



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

استنطاق المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند عبد الرحمن بدوي

رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربي

تحت إشراف الدكتور :

من إعداد الطالب:

عبد الكريم لطفي

عدّة بن عطية حاج

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. سعدي محمّد:
مشرفا ومقرّرا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر (أ)	د. عبد الكريم لطفي:
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. مناد إبراهيم:
عضوا مناقشا	المركز الجامعي النعامة	أستاذ التعليم العالي	أ.د. قيطون أحمد:
عضوة مناقشة	جامعة تلمسان	أستاذة محاضرة (أ)	د. طيبي حرّة:
عضوا مناقشا	المركز الجامعي مغنيّة	أستاذ محاضر (أ)	د. زيّاني سمير:

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## إهداء

أشكر الله عز وجل الذي وفقني على إنجاز هذا العمل المتواضع فله الحمد والشكر في كل أوان وحين.

- أهدي هذا الجهد المتواضع إلى "أمي الغالية" وإلى روح "أبي الحبيب" رحمه الله.

- إلى إخوتي: محمد شريف، جمال الدين، فوزية.

- إلى روح جدتي لأمي رحمها الله.

- إلى أصهاري: عمي الشارف، وعبد الرحمن، وحسين، وعزيز، وبن عيسى.

- إلى زوجتي الغالية التي وقفت إلى جانبي في السراء والضراء.

- إلى كريمتي وابنتي الغالية هديل أملي وقرّة عيني في هذه الحياة.

- إلى أنجال أخي: ياسين، ويونس.

- إلى ملهمي وأبي الروحي الذي أشرف على هذه الرسالة المتواضعة والذي لم يبخل

عليّ بنصائحه العلمية الأستاذ الدكتور لطفي عبد الكريم الذي وقف إلى جانبي

وشجّعني على البحث العلمي الجاد.

- إلى كل من علّمني حرفاً وسأهم في بناء شخصيتي العلمية.

- إلى كل بني الإنسانية في هذا الوجود أرفع هذا العمل المتواضع.

مقدّمة:

يبدو أنّ خطاب السيرة الذاتية عند عبد الرحمن بدوي يقوم على الصدق والصراحة إلى أقصى حدّ ممكن، لأنّ الكاتب يريد من خلال ذلك أن يوصل رسالته إلى المتلقّي بكلّ إخلاص وأمانة، فكاتب السيرة الذاتية من خلال تدوينه لنصّه يريد أن يرسل خطاباً مشفّراً إلى المتلقّي لكي يفهم مقصده من وراء هذا الخطاب، فمقصديّة الخطاب السّير ذاتي تقوم على فهم المتلقّي للمعنى الحقيقي للخطاب وما وراء الخطاب.

فكاتب السيرة الذاتية يختفي وراء نصّه لكي يوجّه رسائل مشفّرة إلى المتلقّي، لكي يساهم في إنتاج دلالة جديدة للنصّ، تلك الدلالة هي التي يمكن أن نطلق عليها مصطلح "المسكوت عنه" أو "ما لم يصرّح به الكاتب" أو "المخبوء بين طيّات النصّ" أو "قراءة ما بين سطور النصّ" أو "قراءة بياض النصّ".

إنّ السيرة الذاتية تحمل في طيّاتها المصرّح به وغير المصرّح به، فالمصرّح به هو ما دوّنه سواد السّطور، وغير المصرّح به هو ما دوّنه ذلك البياض الموجود فيما بين السّطور، فالمسكوت عنه ينطوي تحت أعتاب النّصوص غير المسطورة، فمن يريد أن يصل إلى المسكوت عنه عليه أن يقرأ شيفرات النّصّ وما تحمله من دلالات موحية، ويقرأ كذلك الفراغات الموجودة فيما بين الجمل لكي يصل إلى المعنى المخبوء بين طيّاتها، ويقرأ كذلك الجمل المفتوحة التي تجعلنا نفتح أذهاننا ونساهم في ميلاد معان جديدة لم تكن تخطر لنا على بال، كل هذه الإجراءات أقصد قراءة شيفرات النّصّ وقراءة الفراغات فيما بين الجمل و قراءة الجمل المفتوحة هي من أجل الوصول إلى المسكوت عنه في النّصّ باعتباره خطاباً موجّهاً إلى متلقّ، وعند الوصول إلى المسكوت عنه في النّصّ علينا أن نقرأه ونفكّكه حتّى نفهم المغزى الحقيقي لهذا الخطاب السّير ذاتي عنده والذي لا ندرك حقيقته إلاّ عندما نتناول "المسكوت عنه" فيه ونحاول أن نستنتقه.

كلّ خطاب سير ذاتي يحمل في أعماقه ذلك المحتوى الأفقي والمحتوى العمودي، فالمحتوى الأفقي هو المعنى الظاهر والمحتوى العمودي هو المعنى الباطن، فالمعنى الظاهر هو المصرّح به والمعنى الباطن هو غير المصرّح به (المسكوت عنه)، ولكي نصل إلى جزر المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عنده ونحاول أن نستنتقه علينا أن نقرأ نصوصه قراءة عمودية لكي نقف عند ظلال المسكوت عنه فيه، وعندما نصل إلى واحة المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عنده علينا أن نقرأه قراءة تحليلية لكي نفهم المغزى الحقيقي لهذا الخطاب الذي يقوم على الصراحة والصدق إلى أقصى حدّ ممكن، فخطاب السيرة الذاتية عنده لا يفهمه إلا القارئ الحصيف، ولا يصل إلى شاطئ معناه وجزر مغزاه إلا القارئ الذكيّ، هذا ما نريده من خلال محاولتنا لقراءة واستنتاج المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عنده.

وبناء على هذه الأسباب المذكورة، نسعى من خلال هذا البحث المتواضع إلى تحليل وقراءة واستنتاج المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عنده، لكي نصل إلى المعنى الحقيقي الكامن في طيّات ذلك الخطاب الطافح بالدلالات العديدة التي لا يدركها إلا الناقد الحصيف، فالمسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عنده هو الذي يجعلنا نتوغل في أعماق النصّ، ونسبح في لحجه العديدة.

وتأسيساً على هذا الفهم وقصد الوقوف عند المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عنده والذي يمثّل علامة فارقة في النصّ السير ذاتي العربي المعاصر تميّزه عن غيره من النصوص طرح الإشكال الآتي:

- كيف يمكننا قراءة وفهم واستنتاج المسكوت عنه من خلال تأملنا لفكر عبد الرحمن بدوي الوجودي؟

- كيف يمكننا قراءة وفهم واستنتاج المسكوت عنه من خلال حفرنا المعرفي في روايات عبد الرحمن بدوي الوجودية؟

-كيف يمكننا قراءة وفهم واستنتاج المسكوت عنه من خلال تفكيكنا لعوالم سيرة عبد الرحمن بدوي الذاتية الوجودية؟

هذه التساؤلات هي التي دفعتني لأن يكون "استنتاج المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند عبد الرحمن بدوي" موضوعا لبحثي لنيل شهادة الدكتوراه علوم، على أن الدوافع انقسمت إلى ذاتية وموضوعية، فأما الدوافع الذاتية فبسببها الاهتمام بخطاب السيرة الذاتية عنده، وأما الدوافع الموضوعية فيمكن أن أوجزها في النقاط التالية:

1 تفرّد خطاب السيرة الذاتية عنده بخاصية المسكوت عنه أو غير المصرّح به، وهذا ما نلمسه عندما نقرأ ما بين السطور أو عندما نقرأ البياض، فخطاب السيرة الذاتية عنده طافح بالمسكوت عنه الكامن بين طيّات نصوصه.

2 للمسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عنده لا يدرك فحواه إلا القارئ الذكيّ والناقد الحصيف، إنّه خطاب موجّه إلى متلقّ ذكيّ يدرك جيّدا المغزى الحقيقي من وراء هذا الخطاب.

3 خطاب السيرة الذاتية عنده ومن خلال قراءة المسكوت عنه فيه واستنطاقه يعيد إنتاج نفسه من خلال فهم المتلقّي لفحوى المسكوت عنه في ذلك الخطاب الذي تلقّاه.

ومما ساعدني على الإلمام بهذا الموضوع الموسوم بـ: "استنتاج المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند عبد الرحمن بدوي" هو استقرائي للكثير من الكتب التي تناولت خطاب السيرة الذاتية عنده، نصوصا وسيرا ذاتية ودراسات حول نصوص السيرة الذاتية.

والملاحظ أنّ جلّ الباحثين الذين تناولوا خطاب السيرة الذاتية عنده قد انشغلوا بميثاق الصدق والصراحة والبوح وأهمّلوا التطرّق إلى استنتاج المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عنده.

لقد قامت هذه الرسالة على ثلاثة فصول، فضلا عن مدخل الذي حاولنا من خلاله المقاربة بين مفهوم خطاب السيرة الذاتية وبين مفهوم مصطلح المسكوت عنه كما تناولته الدراسات النقدية الفكرية الفلسفية العربية والغربية الحديثة والمعاصرة.

ولقد وسمنا الفصل الأول بعنوان: "استنتاج المسكوت عنه في فكر عبد الرحمن بدوي" بحيث خصص: من أجل قراءة فكره الوجودي قراءة نقدية وهذا من أجل الوقوف عند نقاط القوة ونقاط الضعف في مشروع الفيلسفي الفريد من نوعه.

ووسمنا الفصل الثاني بعنوان: "استنتاج المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي" بحيث خصص: لاستنتاج المسكوت عنه في رواية (هموم الشباب) ورواية (الحرور والنور) لبدوي.

ووسمنا الفصل الثالث بعنوان: "استنتاج المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي" بحيث خصص: لاستنتاج المسكوت عنه في (سيرة حياتي) لبدوي.

وأما المنهج الذي اعتمدناه في دراستنا هذه هو المنهج التفكيكي، وختمنا بحثنا هذا المتواضع بخاتمة قدمنا فيها أهم نتائج البحث المستخلصة من قراءتنا لفكره الوجودي الذي تجسد في كتاباته الفكرية والفلسفية والشعرية وتمثل أيضا في كتاباته الروائية المصحوبة بشذرات من سيرته الذاتية العطرة.

ولعل أهم دراسة تناولت سيرته الذاتية تناولها أدبيا وفكريا وفلسفيا، هي مذكرتي لنيل شهادة الماجستير الموسومة ب: "تأثير الوجودية في (سيرة حياتي) لعبد الرحمن بدوي-دراسة مقارنة-" والتي قدمت ونوقشت في جامعة وهران - السانيا-قسم اللغة العربية وآدابها بتاريخ 13 فبراير 2012م ولقيت استحسانا وقبولا من طرف أعضاء لجنة المناقشة لذلك قررت أن أتوسع في دراسة فكره من زاوية أخرى في رسالتي للدكتوراه التي تتمثل في محاولة استنتاج المسكوت عنه في فكره وفي خطابه الروائي وفي خطابه الشعري وفي خطابه السير ذاتي

وأرجو أن أكون قد وفّقت في بحثي هذا المتواضع وإن كانت هناك نقائص في هذا البحث فسوف تكون مشروع كتاب في قادم الأيام.

وفي الأخير أشكر أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور " لطفى عبد الكريم " الذي لم يبخل عليّ بنصائحه العلميّة القيّمة وصبر معي صبرا جميلا حتى خرج هذا البحث المتواضع من حيّز القوّة إلى حيّز الفعل، لقد وجّهني أستاذي الدكتور " لطفى عبد الكريم " الوجهة العلمية الصحيحة التي سأسير على هديها ونبراسها في قادم الأيام، فلولاه ما كنت أنا الآن ذلك الباحث الجادّ المائل أمامكم الآن.

مستغانم: 2022/12/15

عدّة بن عطية حاج

**مدخل:**

**بين السيرة الذاتية والمسكوت عنه**

## خطاب السيرة الذاتية والمسكوت عنه:

يقوم خطاب السيرة الذاتية autobiographie على الصدق والصرّاحة والبوح ومساءلة الذات والحفر في تجاعيدها، هنا يمكن لكاتب السيرة الذاتية أن يستتبق المسكوت عنه non dit ويظهره للعيان بعد أن كان غائراً في لجج الخطاب discours، ويعرّف الباحث نعمان بوقرة الخطاب بأنه: "وحدة تواصلية إبلاغية، ناتجة عن مخاطب معيّن موجهة إلى مخاطب معيّن في سياق معيّن يدرس ضمن ماسمي بلسانيات الخطاب"<sup>1</sup> وهذا من أجل القبض على المعاني المبتوثة في شيفرات النصّ ومحاولة قراءتها وتفكيكها، فخطاب السيرة الذاتية هو عبارة عن خطاب سردي يقوم بتصوير الذات العارفة للكاتب وهذا الخطاب السردى السير ذاتي يقوم في الأساس على "دراسة العلاقات بين القصة والتاريخ و بين القصة والسرد وبين التاريخ والسرد"<sup>2</sup> فخطاب السيرة الذاتية يقوم على ثلوث السرد والقصة والتاريخ ومن هنا يتشكّل لنا خطاب السيرة الذاتية في حلّته القشبية.

فالقصة récit في السيرة الذاتية تنبثق من ذاتها أمّا الخطاب السير ذاتي فيتجدّد دون توقف من داخل الأنساق المضمرة فيه فهو خطاب مطلق لا تحدّه حدود، يقول جيرار جينات ما نصّه: "يمكن للخطاب أن يقول" دون أن يتوقف عن كونه خطاب، ولا يمكن للقصة أن (تتحدّث) دون الانبثاق من نفسها"<sup>3</sup>، وهذا يجعلها تشعر بكينونتها كجنس أدبي قائم بذاته يخضع لسلطة الخطاب التي أقامها النصّ في حدّ ذاته، ومن هنا يمكننا القول عن كاتب

<sup>1</sup> نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2012، ص: 19-20.

<sup>2</sup> Gérard Genette : figures III, édition du seuil, paris, France, 1972, p : 74.

<sup>3</sup> Gérard Genette : figures II, édition du seuil, paris, France, 1969, p : 66.

السيرة الذاتية بأنه لا يختار لغته ولا أسلوبه لأنه خاضع لأنساق الكتابة التي يفرضها الواقع يقول جيرار جينات ما يلي: "الكاتب لا يختار لغته ولا أسلوبه، ولكنه مسؤول عن عمليات الكتابة التي تميّزه كروائي أو شاعر" <sup>4</sup> أو كاتب لسيرة ذاتية وهنا تظهر بصمته الإبداعية التي صنعتها الكتابة، فالرواية والشعر شكلان من أشكال التعبير السير ذاتي وسنتطرق لهما بالتفصيل في متون هذا البحث المتواضع.

### المسكوت عنه في الخطاب عند ميشال فوكو:

يعتبر ميشال فوكو Michel Foucault (1926م-1984م) من درّة الباحثين الذي حاولوا أن يفكّوا شيفرات الخطاب ويقفوا عند عتباته النصّية، فالمثقف - عنده- يجب عليه أن يكون حرّاً في تفكيره ولا يخضع لأيّ سلطة دينية أو سياسية أو اجتماعية مهما كانت، ويقدم لنا تصوّره للخطاب عندما يقول بأنه "فضاء للانتشار والتواتر والتوزّع، ممّا يجعله مسرحاً للاستثمار، واستراتيجية تحدّد المنطوق والمكتوب والمرئي لا بحثاً عن معنى خفي يظهره التعليق والتأويل، ولا قيمة مسكوت عنها، نفكّك آليات كبتها فنسحبها للنور، ولا عن صمت يلفّه ويحيط به" <sup>5</sup> وهنا يقدم لنا تصوّره للمسكوت عنه والذي يتمثل في كلّ خطاب غير منطوق وغير مكتوب وغير مرئي وما على الناقد إلاّ الحفر عن المسكوت عنه في هذا الخطاب محاولاً استنطاقه وإظهاره لعيان المتلقي.

### مفهوم السيرة الذاتية والأجناس الأدبية القريبة منها:

معنى السيرة الذاتية لغة: هو الطريقة ورد في معجم مختار الصحاح للرازي ما يلي: "و(السيرة) الطريقة يقال (سار) بهم سيرة حسنة" <sup>6</sup> أي سلك بهم مسلكاً حسناً، ويطلق عليها

<sup>4</sup>Gérard genette : figuresI, édition du seuil, paris, France, 1966, p : 192.

<sup>5</sup> عبد العزيز العيادي: ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1994، ص: 20.

<sup>6</sup> محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1989، ص: 285.

باللغة الفرنسية مصطلح (l'autobiographie) ومعناها "حياة" (الكاتب) الشخصية دونها بنفسه<sup>7</sup> فكأنه يصف حياته من خلال الكتابة ويرسم شخصيته بالكلمات من يراعه وهو وصف يطابق ذاته في الواقع.

فالسيرة الذاتية هي عبارة عن الحفر عن الذات من خلال سجلّ التاريخ الإنساني لكتابتها، يقول عبد القادر الشاوي-معرفا السيرة الذاتية- ما نصّه: "والواقع أن السيرة الذاتية ليست مجرد استعادة للماضي كما جرى، لأن ذلك لن يقود إلا إلى الحديث عن عالم انقضى إلى الأبد، بل محاولة للبحث عن الذات من خلال تاريخها"<sup>8</sup> المحفول بالأسرار والشيفرات القابعة في المسكوت عنه وهذا ما يحاول الناقد إظهاره لأفق المتلقّي عندما يستنتق المسكوت عنه ويحفر في أنساقه المغلقة والمفتوحة على حدّ سواء.

فالترجمة الشخصية-كما يسمّيها-شوقي ضيف-ولا مشاحة في الاصطلاح-هي تلك الحياة العقلية للكاتب وتجربتها المريرة بكلّ ما تحمله من محن وأصار رسمها لنا الكاتب بكلّ وضوح وهي حياة كلّ مفكّر أو فيلسوف ساهم في بناء صرح الحضارة الإنسانية بكلّ ما تحمله من تخوم وزحم معرفيين، يقول في هذا الصدد ما يلي: "والفلاسفة الغربيون الذين ترجموا لأنفسهم كثيرون وهم يكشفون لنا في تراجمهم عن حياتهم العقلية وتطورها، بحيث لا يستغنى عنها دارس لفلسفتهم"<sup>9</sup> لأنّها حياة فكرية زاخرة بالأمل والتفاؤل والغدّ المشرق وتساهم في البناء الحضاري للإنسان في كلّ عصر ومصر، "وهذا النوع يعمد فيه الكاتب إلى تسجيل كلّ ما أترّ في تكوينه العقلي وتطوره الفكري، من كتب وأساندة، ويعرّفنا بآثاره

<sup>7</sup> Dictionnaire de français, Larousse, paris, France, 1997, p : 30.

<sup>8</sup> عبد القادر الشاوي: الكتابة والوجود، السيرة الذاتية في المغرب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص:

13.

<sup>9</sup> شوقي ضيف: الترجمة الشخصية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1987، ص:10.

العملية<sup>10</sup> التي تعتبر ثمرة فكره ونضوجه العقلي وهذه الثمرة الفكرية والعقلية أنضجتها سنوات الطلب والتحصيّل العلميّين.

إنّ القراءة الحقيقة للسيرة الذاتية هي التي تجعلنا نقف عند عتبات المضمّر ونظفر بالمسكوت عنه قابعا في ثنايا النصوص " ولا نستطيع تحديد ماهية السيرة الذاتية ما لم نقم بسبر أبعاد الأنشطة التي تحيط بالنصّ السيرّ ذاتي بشكل مضمّر، بالدرجة نفسها التي نقوم فيها بسبر غور الخصائص الحاضرة ضمّنيا في النصّ"<sup>11</sup>.

والمعنى الضمني هو المسكوت عنه في الخطاب السيرّ ذاتي وهو المعنى الحقيقي الذي أراده كاتب السيرة وابتغاه وارتضاه في مدونته الخطابية، ويمكن اعتبار السيرة الذاتية هي صورة أنا كاتبها رسمها على شكل قصة حتّى تكون قريبة من سمع وبصر المتلقّي، تقول الباحثة مها فائق العطار في هذا الصّدّ ما نصّه: "ويقصّ كاتب السيرة الذاتية قصة حياته، ليقرب نفسه منّا، ولعلّ الإنسان بغريزته يحبّ التحدّث عن نفسه، و(الأنا) حاضرة تختصّ بالأديب والفنّان معا، وهي تختفي وراء قصصه ولوحاته..."<sup>12</sup> محاولة الاقتراب من أنا القارئ وبالتالي يحصل التّواصل والانسجام بينهما.

أمّا التّرجمة الذاتية -كما يسمّيها- محمّد عبد الغني حسن: "هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجّل حوادثه وأخباره، ويسرد أعماله وآثاره، ويذكر أيّام طفولته وشبابه وكهولته وما جرى له فيها من أحداث تعظم وتضوّل تبعا لأهميتها، وهي مظنة الإغراق والمغالاة غالبا، وشرك للحديث عن النفس والرّهو بها وإغلاء قيمتها، ولكنها إذا اعتدلت كانت أصدق

<sup>10</sup> يحيى إبراهيم عبد الدايم: التّرجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1975، ص: 35.

<sup>11</sup> إليزابيت بروس: الذات والدواة، السيرة الذاتية في الأدب والسينما، ترجمة وتقديم: عمر حلي، مطبعة دار القرويين، المغرب، ط1، 2003، ص: 11.

<sup>12</sup> مها فائق العطار: "السيرة الذاتية في الأدب العربي"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد: 313، أيار 1997، ص: 120.

ما يكتب عن رجل وأكثره انطباقاً على حياته، لأنها ليست مجال تخمين أو افتراض، ولكنها مجال تحقيق وتثبت...<sup>13</sup> لأنّ الصدق هو المرآة الصّافية التي تنطبع فيها ذات كاتب السيرة الذاتية وبالتالي يتسنى للقارئ بأن يراها بكلّ وضوح في ملامحها الهلامية، فكانت السيرة الذاتية- وهو يدونها- يجلس أمام كرسي الاعتراف الذي يحمله القارئ على أكتافه وهذا أهمّ ما يميّزها، يقول الباحث إحسان عباس في هذا الصّدّد ما يلي: "والغاية الأولى التي تحقّقها السيرة الذاتية هي الغاية المزدوجة التي يؤديها كلّ عمل فنيّ صحيح، أعني تخفيف العبء على الكاتب بنقل التجربة إلى الآخرين، ودعوتهم إلى المشاركة فيها، فهي متنفس طلق للفنان، يقصّ فيها قصّة حياة جديرة بأن تستعاد وتقرأ، وتوضّح موقف الفرد من المجتمع، كما تمنحه الفرصة لإبراز مقدرة فنيّة قصصية إلى حدّ كبير، وتريحه نفسياً لأنها تسند إلى الاعتراف"<sup>14</sup> والاعتراف هو سيّد الأدلّة في أدبيات الخطاب السّير ذاتي.

إنّ المسكوت عنه في أدبيات الخطاب السّير ذاتي يتمثّل في عدم بوح الكاتب عمّا يختلج في ذاته من هواجس وأفكار ومشاحنات عقليّة وأدبيّة ويعتبر هذا من المستحيلات الثّلاث في ضمير كلّ كاتب، يقول فيليب لوجون موضّحاً هذه الفكرة: "وإنّه لمن المستحيل أن نقول الحقيقة حول الذات، أو أن نتكوّن باعتبارنا ذواتنا كاملة. ومن ثمّ فالسيرة الذاتية هي ذلك العمل المستحيل، غير أنّ ذلك لا يمنع وجودها بتاتا." <sup>15</sup> لا بدّ من تعرية الذات حتى يراها القارئ بكلّ وضوح وبكلّ شفافية، وما على القارئ إلاّ الحفر والتّقيب عن جواهر المسكوت عنه في أعماق كهوف المتن السّير ذاتي ولا يدرك ذلك إلاّ القارئ الحصيف والنّاقذ الجهيذ.

<sup>13</sup> محمد عبد الغني حسن: التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1969، ص: 23.

<sup>14</sup> إحسان عباس: فن السيرة، دار الشروق، عمان، الأردن، ط6، 1992، ص: 99-100.

<sup>15</sup> فيليب لوجون: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص: 17.

إنّ المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية يبقى مطمورا في ثنايا النصوص، ولا يمكن العثور عليه بدون البحث والتنقيب عن حيثياته، يقول الباحث سعد محمد رحيم موضّحا هذه الفكرة ما نصّه: "ومن خلال كتابة السيرة الذاتية تنشط الذاكرة، لا في سبيل إلقاء مخزونها إلى العراء، وإنما لموراة وحجب ما تريد هي مواراته وحجبه من ذلك المخزون، فبقدر ما تفضح الذاكرة عن أشيائها الدفينة فإنّها تتاور أيضا لتموّه وتخادع..."<sup>16</sup> إنّها لا تريد أن تقول الحقيقة المطلقة بل تشير إلى الحقائق النسبية فقط وما على القارئ الحصيف إلاّ البحث عن الحقيقة المطلقة في ثنايا تلك النصوص السيرة ذاتية وعلى العموم فالسيرة الذاتية تختلف عن الأجناس الأدبية القريبة منها، يقول محمد راتب الحلاق: "وهكذا نجد أن (السيرة الذاتية) تختلف عن المذكرات، لأنّ كاتب المذكرات يحاول أن يصوّر الأحداث التاريخية (الخارجية)، دون أن يهتم كثيرا بتصوير واقعه النفسي الذاتي (الداخلي). وتختلف عن الذكريات، حيث يهتمّ كاتب الذكريات بتصوير البيئة والمجتمع والمشاهدات العامة، أكثر من اهتمامه بتصوير حياته الخاصة اللهم إلاّ بوصفها إحدى مفردات تلك البيئة العامة. وتختلف عن الاعترافات، التي يغلب عليها التبرير والتسويع والمراوغة والمكر والتمويه"<sup>17</sup> لأنّ السيرة الذاتية هي الأصل أمّا الأجناس الأدبية الأخرى فهي فروع عنها.

يتضح لنا من خلال هذا البحث بأنّ السيرة الذاتية هي سيرة فكرية لكاتبها لأنّها تقوم بالتأريخ والأرشفة لصاحبها، فكاتب السيرة الذاتية "يصف بأساليب مباشرة أو غير مباشرة، رحلة التكوّن الفكري والعقائدي، لصاحب السيرة، الأمر الذي يجعل شخصيته هي المركز الذي يضفي أهميته على ما حوله، وكلّ شيء لا يكتسب أهمية إلاّ عبر منظوره الذاتي لما يحيط به، ولهذا، فإنّ رؤيته تكتسب أهميتها الخاصة، في تحديد مسيرة التطوّر الفكري

<sup>16</sup> سعد محمد رحيم: "السيرة الذاتية"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد: 385، أيار 2003، ص: 192.

<sup>17</sup> محمد راتب الحلاق: "الترجمة الذاتية، محاولة في مقارنة المصطلح" ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد: 342، تشرين الأول 1999، ص: 103.

له.<sup>18</sup> لأنّ السيرة الذاتية هي خلاصة التجربة الفكرية لكتابتها الذي كابد عناء التحصيل العلمي من فجر الطفولة إلى غروب شمس الكهولة، إنّها حياة فكرية طافحة بالمشاريع الفكرية التي تساهم في التّوير والحداثة، وبالتالي تساهم في رقيّ المجتمع وتلقه بركب الحضارة الإنسانية.

آليات القراءة في السيرة الذاتية تختلف من نصّ لآخر، وتبقى خاضعة لإيديولوجية كاتبها، كما أنّ التّأويل يفرض منطقته الخاصّ، يقول الباحث ناصر بركة في هذا الصّدّد ما نصّه: "إنّ النّظر إلى جدوى تحديد آليات القراءة لدى المثقفين بخاصّة وجمهور القراء بعامة، يستمدّ حراكه من معطيات نقدية قدّمتها نظريات التلقّي والاستقبال، والهادفة إلى تفعيل ممارسة القارئ انطلاقاً من تبني مفاهيم متعلقة ببنية القراءة ولا نهائية المعنى وجماليته في النصّ الأدبي تحديداً"<sup>19</sup> لأنّ المعنى يصنعه القارئ الذي يمتلك أدوات القراءة وآلياتها وله مهارة فائقة في الحفر في النصوص وبالتالي يستطيع استنطاق المسكوت عنه ويجعله منطوقاً أمام المتلقّي.

فالسيرة الذاتية لها أشكال سردية متنوّعة، فتارة يستعمل الكاتب ضمير المتكلم (أنا) أو ضمير الغائب (هو)، يقول محمّد الباردي موضحاً هذه الفكرة "إنّ السيرة الذاتية هي حكي استعادي نثري بأشكال سردية متنوّعة يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاصّ والعامّ وذلك عندما يركّز على حياته الفردية والجماعية وعلى تاريخ شخصيته الجزئي أو الكلّي"<sup>20</sup> لأنّ الإنسان هو الذي يكتب تاريخه الفكري والإنساني ويترك للأجيال صفحات مشرقة من سجّل حياته الفانية، وتكاد طفولة كلّ كاتب لسيرته الذاتية أن تتشابه في أدقّ تفاصيلها الحياتية،

<sup>18</sup> عبد الله إبراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992، ص: 136.

<sup>19</sup> ناصر بركة: أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، بحث في آليات اشتغال النصوص ومرجعياتها الفاعلة، رسالة دكتوراه (مخطوطة)، جامعة باتنة، الجزائر، 2013، ص: 197.

<sup>20</sup> محمد الباردي: عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005، ص: 185.

إنّها طفولة زائفة ومتواضعة" وعلى هذا النحو، فإنّ السيرة الذاتية عن مرحلة الطفولة تكاد أن تكون دائماً متواضعة وزائفة، حتى ولو كان المؤلف مخلصاً<sup>21</sup> فالإخلاص هو سرّ النّجاح لكلّ كاتب لسيرته الذاتية، لأنّ الحياة لا تقوم إلاّ على المبادئ التي يناضل من أجلها الكاتب وبيئتها في نصوصه، كالدّفاع عن حقوق الإنسان والعيش في سلام مع أبناء الإنسانية أجمعين، لقد ساهم كتاب السّير الذاتية في بثّ الحماس في أوساط الشّباب المتقاعسين عن الدّفاع عن حقّهم وواجبهم الإنسانيّ ألا وهو: نداء الضّمير المتمثّل في: الحرّيّة والمساواة وأداء الحقّ وأداء الواجب من أجل تحقيق شروط المواطنة.

ويتبيّن لنا من خلال هذا البحث بأنّ كلّ أشكال التّعبير السّير ذاتي هي بمثابة سير ذاتية قائمة بذاتها حتى وإن اختلف قلبها الشكليّ " ولا نستطيع تحديد ماهية السيرة الذاتية ما لم نغم بسبر أبعاد الأنشطة التي تحيط بالنصّ السّير ذاتي بشكل مضمّر"<sup>22</sup> لعلنا نظفر بكلّ أشكال التّعبير السّير ذاتي التي انطوت في متون السّير الذاتية، وتعتبر المذكرات الشخصية شكلاً من أشكال التّعبير السّير ذاتي ويمكن تعريفها كالآتي هي: " تسجيل المرء لبعض حوادث حياته الماضية في مكان أو ظرف ما، مثال ذلك المذكرات التي كتبها المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل عن حياته السّياسية"<sup>23</sup> وأغلب القادة والعسكريين والسّياسيين كتبوا مذكراتهم الشخصية والهدف من وراء ذلك هو تقديم تجاربهم للأجيال الصّاعدة حتّى يتمرّسوا في الفنّ الذي مهروا فيه، وتعتبر المذكرات الشخصية بمثابة التّاريخ السّياسي لكلّ قائد أو زعيم أو عسكري ساهم في تخليص وطنه من الاحتلال والإمبريالية العالميّة وبالتالي يكتب اسمه بأحرف من ذهب في سجّل التّاريخ الإنساني.

<sup>21</sup> أندريه موروا: فن التراجم والسير الذاتية، ترجمة وتقديم وتعليق: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، 1999، ص: 100.

<sup>22</sup> إليزابيث بروس: الذات والدواء، السيرة الذاتية في الأدب والسينما، ترجمة وتقديم: عمر حلي، مطبعة دار القرويين، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص: 11.

<sup>23</sup> مجدي وهبه، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 2، 1984، ص: 346.

ويمكن اعتبار اليوميات journal شكلا من أشكال التعبير السّير ذاتي ويعرفها الباحث محمد بوزواوي بأنها: " لون أدبي يدوّن فيه الأديب أحداثا، وانطباعات، ومشاهدات، ويرتّبها ترتيبا فنيا على شكل مذكرات يومية، أو شبه يومية، وهو فنّ أدبي مستحبّ لسهولة عرضه، وإقبال القارئ عليه، وقد كتب فيه توفيق الحكيم (يوميات نائب في الأرياف) والعقاد (يوميات العقاد)<sup>24</sup> لقد ارتبط فنّ اليوميات ارتباطا خاصا بالأدباء لأنّ حسّهم مرهف وعاطفتهم جيّاشة، وهذا ما يجعلهم يدوّنون كلّ ما يخطر على بالهم من هواجس وأفكار ومشاعر على شكل يوميات موزّعة على الأيام والأمكنة، فالمكان هو الذي يصنع ويؤنّث فنّ اليوميات ويساهم في بنائه الشكلي والمضموني، ومن نافلة القول أن نستنتج ما يلي: إنّ فنّ اليوميات خرج من رحم السيرة الذاتية، لأنّ كاتبها وهو يدوّنها يعتمد أولا على يومياته المركونة في أدراج مكتبته وعلى مذكراته الشخصية ثانيا .

تعتبر الرواية roman شكلا من أشكال التعبير السّير ذاتي، لأنّها بمثابة تصوير واقعي للحياة يرسم بها الكاتب واقعه من خلال الكلمات، ولها قراءتها الخاصّة إذا اعتبرناها شكلا من أشكال السيرة الذاتية، يقول الباحث ممدوح فراج النّابي موضّحا هذه الفكرة ما نصّه: " ومن ثمّ ظهرت الآراء التي تنادي بقراءة الأعمال حسب ترجيح إحدى المادتين داخل النصّ، فمنهم من يقرأ النصّ على أنّه رواية عندما يغلب المادة المتخيّلة على (الواقع المرجعي) المستمد من الذاتي، والبعض الآخر يقرأ العمل على أنّه (سيرة ذاتية) عندما يغلب المادة الذاتية على المادة المتخيّلة وأخيرا جاء فريق وسط يجمع بين النوعين، ويقرأ النصّ في ضوء عملية المزج Mixing بين الذاتي والمتخيّل، وأطلقوا عليه مصطلحا هجيناً هو (رواية السيرة الذاتية) كبديل دون تغليب عنصر على آخر " <sup>25</sup> فكلّ ما هو ذاتي له علاقة بالسيرة الذاتية،

<sup>24</sup> محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص: 297.

<sup>25</sup> ممدوح فراج النّابي: رواية السيرة الذاتية في مصر، دراسة في التأصيل.. والتشكيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة،

القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص: 47-48 .

وكلّ ما هو متخيّل له علاقة بالرواية، ويمكن اعتبار السيرة الذاتية رواية إذا طغى عليها العنصر المتخيّل، ويمكن اعتبار الرواية سيرة ذاتية إذا طغى عليها العنصر الذاتي.

يعتبر الشعر *poème* هو عنوان السيرة الذاتية لكلّ شاعر في كلّ عصر وفي كلّ مصر، لأنّه يحمل في أعماقه صوت ذات الشاعر، ويمكن في هذا الصّد اعتباره من أشكال التعبير السّير ذاتي، يقول محمّد صابر عبيد: "يمتدّ التشكيل السّير ذاتي إلى حقل الفنّ الشعري في تلاحم أجناسي هجين يجمع السيرة الذاتية بالشعر، حين يكون الشعر ميداناً لتجليات السيرة الذاتية في طبقات منتخبة من طبقاته، تصلح لأن تتحوّل إلى ما اصطّلحنا عليه بـ (القصيدة السّير ذاتية)".<sup>26</sup> لأنّها هي ذات الشاعر وتعبّر عمّا يجول في خاطره من هواجس وأفكار، فالشعر لا محالة، يعتبر شكلاً من أشكال التعبير السّير ذاتي، فكلّ قصيدة شعريّة هي بمثابة سيرة ذاتية لشاعرها التي كتبها من أعماق ذاته الشاعرة، فأصبحت هذه القصيدة تحمل خلاصة حياته، ويمكن اعتبارها بمثابة وثيقة تاريخية تؤرّخ لحياة صاحبها.

لقد شغل أدب الرّحلات *littérature de voyage* اهتمام النقاد لأنّهم اعتبروه شكلاً من أشكال التعبير السّير ذاتي، ويقوم على وصف الرّحلة التي قام بها كاتبها إلى المدن والأمصار حيث يدوّن أهمّ الأحداث التي صادفته في تلك الأمكنة القصيّة والبعيدة كما أنّه يصف الأمكنة وصفاً حقيقيّاً كأنّنا نراها رأي العين "إنّ الرّحلة بحسب هذا الشّكل فعل تاريخي قام به شخص واقعي له هدف محدّد. هذه الرّحلة تتعدّد بتعدّد الرّحالة وتصوّراتهم وطريقة إنجازهم للخطاب الذي قدّموا لنا من خلاله معابنتهم ومشاهداتهم"<sup>27</sup> وتلك المعابنات والمشاهدات هي الأساس الذي يقوم عليه أدب الرّحلات لأنّه يعتمد على الوصف والسرد معاً، يقول الباحث حسين محمّد فهميم في هذا الصّد ما نصّه: "لهذا لعبت كتابات الرّحالة دورها الكبير في تقديم صورة (الغير) لقراءها، وترسيخ مجموعة من الانطباعات العامّة،

<sup>26</sup> محمد صابر عبيد: التشكيل السّير ذاتي، التجربة والكتابة، دار نينوى، دمشق، سورية، ص: 69.

<sup>27</sup> سعيد يقطين: السرد العربي، مفاهيم وتجليات، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص: 206.

والتصوّرات عن الشعوب الأخرى صادقة كانت أو خاطئة<sup>28</sup> فكانت الرحلة قد لا يكون صادقا فيما عرضه لنا من أطروحات وانطباعات التي شاهدها ورآها في رحلاته العديدة إلى المدن والأمصار القاصية والدّانية.

إنّ الصّدق الخالص هو بمثابة المستحيل سواء أكان ذلك في أدب الرّحلات أو في السّيرة الدّاتية، فالصّدق الخالص أمر يلحق بالمستحيل، والحقيقة الدّاتية صدق نسبي، مهما يخلص صاحبها في نقلها على حالها، ولذلك كان الصّدق في السّيرة الدّاتية (محاولة) لا أمرا متحقّقا<sup>29</sup> فصدق كاتب السّيرة الدّاتية لا يظهر للقارئ أو المتلقّي إلّا حينما يستطيع استنتاج المسكوت عنه في النصّ والحفر في جوانبه الخفية، ومن هنا يظهر لنا الفرق بين أدب الرّحلات وبين أدب السّيرة الدّاتية، فكانت أدب الرّحلات قد لا يكون صادقا فيما ينقله لنا من أحداث ووقائع ومشاهدات، أمّا كاتب السّيرة الدّاتية فهو صادق في جميع الأحوال حتّى وإن حاول الاختفاء وراء المسكوت عنه، فالقارئ اللّيب والنّاقّد الحصيف عندما يستنتق المسكوت عنه في النصّ هنا يظهر لنا صدق الكاتب فيما يقول وفيما يدوّن من أحداث وأفكار وهو اجس.

وخلاصة القول لا بدّ على كاتب السّيرة الدّاتية أن يتحرى الصّدق فيها، لأنّه هو سرّ نجاح كلّ نصّ سير ذاتي، تقول الباحثة تهاني عبد الفتاح شاكر في هذا الصّدق موضّحة هذه الفكرة ما نصّه: " وفي جميع الأحوال، سواء أكان كاتب السّيرة الدّاتية صادقا أم كاذبا، فنحن لا نعدّ السّيرة الدّاتية وثيقة تاريخية، ولكننا نتوخى فيها الصّدق لأننا نعدّها وسيلة لإقامة جسور من التعاطف، والصدّاقة بين القارئ و الكاتب، ولكي يستطيع الكاتب أن

<sup>28</sup> حسين محمد فهميم: أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 138،

يناير 1978، ص: 08 .

<sup>29</sup> إحسان عباس: فن السيرة، ص: 105.

يكسب ثقة القارئ لابدّ أن يلتزم الصدق والصراحة"<sup>30</sup> لأنّ بالصدق والصرّاحة يقام صرح وأساس السيرة الذاتية، وعلى كاتبها أن يلتزم بهذا الشرط الأساسي ألا وهو الصدق، ولا بدّ عليه أن يوجّه سهام النقد إلى ذاته وإلى الآخرين، يقول عبد العزيز شرف: "أما كاتب السيرة الذاتية فإنّه ذاتي قبل كلّ شيء، ينظر إلى نفسه ويسلّط أضواء النقد ودقّة الملاحظة على شخصيته"<sup>31</sup> لأنّه يريد أن يقدّمها إلى القارئ في حلّة جميلة من الناحية الفنيّة والأدبية وخالية من التجميل الاجتماعي.

إنّ كاتب السيرة الذاتية يلجأ إلى المسكوت عنه كتقنية ومدارة للقارئ، إنّه لا يريد أن يقول الحقيقة كلّها، هناك أشياء يريد إخفاءها عن القارئ، لذلك يلجأ إلى الصمت لأنّه هو أجمل لغة في مفهوم كاتب السيرة الذاتية، تقول الباحثة تهاني عبد الفتاح شاكر في هذا الصدد ما نصّه: "وكاتب السيرة الذاتية لا يسقط من سيرته الأحداث التي لم يتذكّرها فقط، بل نجده يتعمّد الصمت عن بعض الأمور، التي يرى أنّه من الأفضل أن يسدل الستار عليها."<sup>32</sup> لأنها أمور قد تتعلّق بالتأبؤ tabou الديني والسياسي والاجتماعي لذلك يلجأ الكاتب إلى الصمت وقد يستعمل لغة مشفّرة لا يفكّها إلا القارئ الذكي والناقد الحصيف والمتلقّي الأريب، ومن هنا يمكننا أن نقول إنّ أهمّ ما يميّز السيرة الذاتية هو ذلك المسكوت عنه الذي يقبع في ثنايا نصوصها، وما على الناقد إلا أن يقوم باستنطاقه وفق ما تملّيه آليات القراءة الحداثيّة التي صنعت مجد النقد الثقافي.

### المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية:

<sup>30</sup>تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص: 12.

<sup>31</sup>عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1992، ص: 06.

<sup>32</sup>تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجاً، ص: 24.

يتدثر خطاب السيرة الذاتية بأردية المسكوت عنه خاصة عندما يريد كاتبها أن يوجه رسائل مشفرة يعبر فيها عن خلفيته الثقافية، وسنحاول في هذا البحث أن نقارب مفهوم المسكوت عنه عند علماء أصول الفقه وعند علماء البلاغة وعند التقاد الحدائين.

## 1 - المسكوت عنه عند علماء أصول الفقه:

لقد ارتبط مصطلح المسكوت عنه بعلماء أصول الفقه الذين حاولوا أن يفككوا نصوص الخطاب الديني المتمثل في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف، فأيات الصفات سكت عنها الشارع والرسول صلى الله عليه وسلم سكت عن أشياء مخافة أن تفرض على أمته، فالمسكوت عنه- عند علماء أصول الفقه- إذا كان مخالفا لحكم المنطوق يسمى دليل الخطاب، والمنطوق ما نطق به النص والمسكوت عنه ما سكت عنه النص ويكون مخالفا للمنطوق وهذا ما يسمى بمفهوم المخالفة، "وأما مفهوم المخالفة فهو أن يكون المسكوت عنه مخالفا لحكم المنطوق كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (في الغنم السائمة الزكاة) فالمنطوق: السائمة، والمسكوت عنه: المعلوفة. والتقييد بالسوم يفهم منه عدم الزكاة في المعلوفة، ويسمى دليل الخطاب." <sup>33</sup> فدليل الخطاب إذا كان مقترنا بمفهوم المخالفة- عند علماء أصول الفقه- نطلق عليه مصطلح المسكوت عنه.

## 2 - المسكوت عنه عند علماء البلاغة:

يكمن المسكوت عنه - عند علماء البلاغة- في الكلام الذي يحتمل أكثر من معنى واحد، فالكلام حمّال أوجه كما يقال، ويعدّ عبد القاهر الجرجاني (400هـ-471هـ) أبرز من كتب في هذا المجال، يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد ما يلي: "وإذا كان كذلك علمَ علمَ الضرورة أن مصرف ذلك إلى دلالات المعاني على المعاني وأنهم أرادوا أن من

<sup>33</sup> محمد الأمين الشنقيطي: مذكرة في أصول الفقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 5، 2001، ص: 285.

شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلاً على المعنى الثاني ووسيطاً بينك وبينه متمكناً في دلالاته، مستقلاً بوساطته، يسفر بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أبين إشارة، حتى يخيل إليك أنك فهمته من حاقّ اللفظ وذلك لقلّة الكلفة فيه عليك، وسرعة وصوله إليك.."<sup>34</sup> ومن هنا نلاحظ بأنّ القارئ -عند الجرجاني- هو الذي يؤنّث ويصنع المسكوت عنه ويبلور ركائزه، ولا يدرك ذلك إلاّ القارئ اللبيب، ويرى شيخ البلاغة في هذا العصر محمّد محمّد أبو موسى بأنّ المسكوت عنه هو قراءة ما لم يقرأ، ويقول في هذا الصّدّد: "وهذا وغيره كثير وله دلالة ظاهرة، وهي أن علم العلماء الذي نقرأه مسكون فيه علم مسكوت عنه لم نقرأه، وربما كان أذكى وأصفى وأنقى من العلم الذي نقرأه، ولا شك أنّ من مهمات الأفلام الحيّة التي تحرّكها عقول حيّة هي البحث عن هذا السّاكن المسكوت عنه."<sup>35</sup> فعلينا أن نحرك سكون النصوص حتى يظهر لنا المسكوت عنه طافياً بين جزر المتون، فالسياق هو الذي يصنع المدلولات التي يحملها المسكوت عنه على ظهور النصوص، يقول محمّد عبد المطّلب: "والحقّ أنّ المعنى يفهم من السياق أكثر ممّا يفهم من الوحدات الصّريحة التي تؤلّفه، أي أنّ السياق قد يعطي المدلولات التي لا يمكن أن تعزى بشكل بسيط إلى وحدة معيّنة، أو وحدات مضمونة بطريقة آليّة"<sup>36</sup> بل نستخرج الدلالة الخفية من السياق الخفي الذي يرسمه لنا الخطاب في المتن السير ذاتي.

### 3- المسكوت عنه عند النقاد الحدائين:

لقد حاول النقاد الحدائين -وأبرزهم- عبد الله الغدّامي- أن يفكّوا شيفرة المسكوت عنه في النصوص الأدبية معتمدين على النّقد النّقافي الذي يمدّهم بآليات القراءة والتأويل، فالنّقد النّقافي حاول أن يربط الكاتب بإيديولوجيته الفكرية، فالكاتب لا يكتب من فراغ بل يكتب وفق

<sup>34</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، في علم المعاني، تصحيح وتعليق: الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص: 206-207.

<sup>35</sup> محمد محمد أبو موسى: المسكوت عنه في التراث البلاغي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 2017، ص: 13.

<sup>36</sup> محمد عبد المطّلب: البلاغة والأسلوبية، دار نوبلو للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص: 321.

خلفية فكرية معينة، فالمسكوت عنه-وفق رؤية النقد الثقافي-يختزل الإيديولوجية الفكرية للكاتب لذلك يحاول أن يتخفى وراء قناع المسكوت عنه، وما على الناقد إلا أن يظهر هذا القناع إلى العلن ويفكك أنساقه المضمر، تقول الباحثة بشرى موسى صالح في هذا الصدد ما نصّه: "تقوم استراتيجية الخطاب النقدي الثقافي على ضرورة (النقد) نقد البنى الثقافية السائدة تمهيدا لتحديثها وجعلها متطابقة أو متوائمة مع السياق الذي آلت إليه حديثا، فالتقيد/النقض/التحديث هو حجر البناء الفكري الثقافي الجديد." <sup>37</sup> وهذا البناء لا يقوم إلا على أساس تقويض الأنساق الثقافية المضمر في ثنايا نصوص السيرة الذاتية.

لقد جاء النقد الثقافي ليبيّن لنا عيوب الحداثة الزائفة، فالحداثة نحن من يصنعها وفق تراثنا العربي الإسلامي، يقول عبد الله الغدّامي في هذا الصدد ما يلي: "ولن نتكشّف عيوب هذه الحداثة الزائفة إلا عبر نوع من النقد الذاتي المتعمّق في قراءة الأنساق وأساليب حركتها، وهذا النقد هو (النقد الثقافي)." <sup>38</sup> الذي يحاول أن يقرأ الأنساق الثقافية المضمر أو المسكوت عنه في ثنايا نصوص السيرة الذاتية، فالنقد الثقافي-كما ذكرنا آنفا-هو نقد أدبي يحاول معرفة الخلفية الثقافية للكاتب من خلال نصوصه السير ذاتية، يقول عبدالله الغدّامي: "ومن هنا فإننا نقول: إنّ النقد الثقافي لن يكون إلغاء منهجيا للنقد الأدبي، بل إنّ سيعتمد اعتمادا جوهريا على المنجز الإجرائي للنقد الأدبي. وهذه أولى الحقائق المنهجية التي يجب القطع بها." <sup>39</sup> لأنّ النقد الثقافي هو نقد يحفر في أعماق النصوص من أجل الوصول إلى

الإيديولوجية والخلفية الثقافية التي تدثر بها الكاتب، فمصطلح المسكوت عنه يقابله عند الغدّامي مصطلح المضمّر الذي تخفيه الأنساق الثقافية المضمر في ثنايا نصوص السيرة الذاتية، لقد قدّم لنا الغدّامي -في كتبه-الآليات التي نستطيع من خلالها قراءة المضمّر

<sup>37</sup> بشرى موسى صالح: بويطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 2012، ص: 15.

<sup>38</sup> عبد الله محمد الغدّامي: حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005، ص: 168.

<sup>39</sup> عبد الله محمد الغدّامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي؟ دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص: 21.

(المسكوت عنه) في خطاب السيرة الذاتية، وبالتالي نستطيع أن نعرف الخلفية الفكرية والثقافية للكاتب ولا يتسنى لنا ذلك إلا عن طريق مناهج النقد الثقافي وآلياته في القراءة والتأويل والتلقي.

المسكوت عنه هو نسق مضمّر من منظور النقد الثقافي، وما على الباحث إلا الحفر عن الأنساق المضمرة في النصّ السّير ذاتي، فالكاتب أراد أن يقول أشياء من خلال هذا النسق المضمّر فهو يكتب لقارئ ذكي يجيد قراءة ما بين السّطور، يقول الغدّامي موضّحاً هذه الفكرة ما نصّه: " يكون المضمّر منهما نقيضاً ومضاداً للعلنّي، فإن لم يكن هناك نسق مضمّر من تحت العليّ فحينئذ لا يدخل النصّ في مجال النقد الثقافي - كما تحدّده هنا -".<sup>40</sup> لأنّ النصّ في العليّ يحمل في أعماقه نصّاً خفياً، وما على القارئ أو الناقد إلا إظهاره على السّطح لعلنا نظفر بالمعنى الحقيقي الذي أراده الكاتب، فالناقد هو مثقّف له روح نقدية تستطيع الغوص في أعماق النصّ والحفر فيه واستخراج مخبوءاته الدلالية" إذا توفر لدينا هذا المثقّف الذي يستتبت روحاً نقدية في القارئ لكي ينتقد المثقّف نفسه ليس من خلال الكتاب فقط، فالمثقّف نفسه وهو ينتقد المؤسسة أيضاً يتعرض إلى نقد من جمهور يستقبله، وجمهور يتدرّب على نقد المثقّف لأنّه نفسه يعطي الجمهور أدوات لنقده ولنقد أطروحته، وإن لم يحدث هذا فنحن دائماً نقدّم إذا طبخات جاهزة لظرفيتها ولا يعود لها أيّ مفعول".<sup>41</sup> لأنّ على المثقّف أن يقول كلمة الحقّ ولا يداهن ولا يهادن المؤسسة الدّينية أو الاجتماعيّة أو السّياسية وعليه أن يتطرق إلى كلّ التّابوهات بجميع ألوانها وأشكالها، لأنّ المسكوت عنه هو الحفر داخل الخطاب الثقافي الذي ينتجه الكاتب" ولكنّ الحفر داخل الخطاب الثقافي يكشف عن وجوه أخرى مخبوءة أو مختبئة تحت الأغطية الثقافية، ولاشكّ أنّ الغطاء الثقافي كثيف

<sup>40</sup> عبد الله الغدّامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربيّة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2005، ص: 78.

<sup>41</sup> لقاء مع المفكر والناقد السعودي الدكتور عبد الله الغدّامي، حوار: وحيد تاجا، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد، 423، تموز 2006، ص: 224.

وسميك ومحكم الأطناب، ولقد تعودت الثقافة على تدعيم حضورها وحراسة بواباتها وسراديبها.<sup>42</sup> لأنّ الثقافة هي الغلاف الذي يغلف المسكوت عنه في ثنايا النصوص السّير ذاتية وما على القارئ أو الناقد إلا أن يفتح الغلاف ويقرأ ما فيه.

يتضح لنا من خلال هذا البحث بأنّ المسكوت عنه هو تعرية الثقافة التي يمتلكها الكاتب والناقد (القارئ) معا، فالثقافة ضرورية لأنّها هي التي تصنع المسكوت عنه في الخطاب السّير ذاتي، "والثقافة التي تتمكّن من إنتاج صور جديدة-حسب النّحوية الجديدة- هي وحدها التي سيكون في مقدورها تحقيق موقع آمن لها ولا سبيل إلى التّفاعل الحيّ والإيجابي إلا عبر الدّخول إلى هذا العالم بشروطه وبمنطقه الجديد ونحويته المعدّلة." <sup>43</sup> لأنّ هذا التّفاعل الحيّ و الإيجابي يساهم في تفكيك شيفرات المسكوت عنه في ثنايا نصوص السّيرة الذاتية، فثقافة الناقد (القارئ) هي التي تساهم في تعرية المسكوت عنه وفضحه أمام جمهور القراء والمتلقّين، فالمسكوت عنه هو انفجار الصّمت الذي جعل القارئ منتجا ثانيا للنصّ، يقول عبد الله الغدّامي: "لم نعد نقبل بالوقوف أمام النصّ كمتفرجين، ليس بيدنا غير تلقي ما قد قاله الكاتب. هذه حالة مضى زمانها بارتقاء القارئ إلى منتج للنصّ، ولن يكون من الممكن العودة إلى الوراء، بعد أن خطا عقل الإنسان وخياله خطى واسعة الأمداء إلى الأمام، كي يغزو النصّ من أعماقه ويعيد تشكيله، تماما مثلما كانت كتابة النصّ إعادة لتشكيل اللّغة، وهنا يكون اللّقاء المثمر بين عناصر النصّ الثلاثة الأساسية: القارئ/ الكاتب/ اللّغة"<sup>44</sup> وهذه العناصر الثلاثة الأساسية هي التي تشكّل لنا المسكوت عنه في النصّ السّير ذاتي عندما يصمت الكاتب هناك نجد المسكوت عنه قابعا بين ثنايا النّصوص، ويصبح له

<sup>42</sup> عبد الله الغدّامي: ثقافة الوهم" مقاربات حول المرأة والجسد واللّغة" ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1، ط1، 1998، ص: 103.

<sup>43</sup> عبد الله الغدّامي: الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005، ص: 20.

<sup>44</sup> عبد الله الغدّامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2006، ص: 233.

معنى ثقافيا بارزا و متميزا، يقول الغدّامي: " في هذا النوع من الثقافة يصبح الصّمت ميزة ومعنى ثقافيا ساميا وأنت في حلّ ثقافي في أن تخفي وتضمر، بل إنّ هذا ميزة ثقافية وشارة وجاهة ورفعة، وكلما أخفيت فإنك تحرس مقامك.."<sup>45</sup> فالكاتب لا يكتب لقارئ عادي بل هو يكتب لقارئ ذكيّ يجيد الحفر في أعماق النّصوص، ويجيد فكّ شيفراتها وتأويلها وفق ما يمليه السياق الثقافي للنصّ ووفق ما تمليه الإيديولوجية الثقافية للكاتب.

إنّ المسكوت عنه هو نسق مضمر في النصّ، وعلى القارئ أن يجعله نسقا ظاهرا للمتلقي، وبالتالي يساهم في الكتابة الثانية للنصّ ويجعل المسكوت عنه منطوقا في هذا النصّ الذي أنتجه الناقد (القارئ) والنسق المضمر-كما يرى الغدّامي: " نو طبيعة سردية وله حبكة متقنة، ولهذا هو بارع في التّخفي، لكنّه بارع أيضا في جذب الاهتمام، والسيطرة على الرّغبات وبعثها وتنشيطها، فيحدث انقساما بين الوعي الظاهر المنضبط، والرّغبات السريّة الخفية، ويقود إلى ازدواج مكشوف في السلوك والعلاقات والمواقف."<sup>46</sup> وهي التي تؤنّث للمسكوت عنه وتساهم في صناعته ووسم النصّ به، فالمسكوت عنه يكشف عن السلوك الخفي والعلاقات والمواقف الخفية المطمورة في ثنايا نصوص السيرة الذاتية، وهذا ما يسمى كذلك عند الغدّامي بالدلالة النّسقية التي تساهم في كشف المسكوت عنه وتأويله وتأويلا جماليا يساهم في توسيع أفق المتلقي " يقرأ النصّ والنسق الذي هذه صفته بوصفه (حالة ثقافية) أو (حادثة ثقافية) وبما أنّ الأمر كذلك، (فإن الدلالة النّسقية) (سوف تكون هي الأصل النظري للكشف والتأويل)"<sup>47</sup> عندما نفكّك شيفرات المسكوت عنه في الخطاب السيّر ذاتي يتسنى لنا تأويله وفقا لخلفياته الثقافية، فكلّ نصّ هو منتج ثقافي يحمل في أعماقه

<sup>45</sup> عبد الله الغدّامي: القبيلة والقبائلية، أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص: 201.

<sup>46</sup> عبد الله إبراهيم: «النقد الثقافي، مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق»، مجلة كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد: 97-98، ديسمبر 2001-يناير 2002، ص: 320.

<sup>47</sup> حسين السماهيجي وآخرون: عبد الله الغدّامي والممارسة النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص: 94.

أنساقا ثقافية مضمرة تخاطب قارئاً وناقداً ذكياً، فالمسكوت عنه عند الغدّامي هو تشريح للنصّ من أجل إعادة بنائه من جديد وليس هدمه وتقويض أركانه، يقول الغدّامي موضّحاً مفهوم التشريح وأهم أهدافه الإجرائية ما يلي: "ونكون بهذا قد أخذنا في (تشريح النصّ)، ولكنه تشريح من أجل البناء وليس من أجل الهدم.."<sup>48</sup> بل من أجل الوصول إلى المسكوت عنه ومحاولة استنطاقه وفكّ شيفراته ورموزه وتفجير ألغامه ولا يتسنى لنا ذلك إلا من خلال امتلاكنا للمبضع الخاصّ بتشريح النصّ السّير ذاتي.

فالقارئ الحرّ- عند الغدّامي- هو الذي يستطيع أن يستنطق المسكوت عنه في خطاب السّيرة الذاتية لأنّه يملك أدوات القراءة والتأويل ويستطيع التّوغل في أدغال النّصوص، ويقدم لنا الغدّامي تصوّره الخاصّ للقارئ الحرّ عند ما يقول: "ومع الأسئلة تأتي صور ومفاهيم تقدّم (القارئ) على أنّه متصوّر نظري افتراضي، ينفصل عن الواقع الطّرفي، فيتسامى إلى مستوى من الحرية التي لم تكن له من قبل، على أنّ حرية القارئ تعني حرية القراءة ومن ثمّ حرية النصّ، وهي حرية تؤوّل أخيراً إلى حرية النّفاة وتعدّدها وانفتاحها، وبطل هذا العصر الحرّ هو القارئ."<sup>49</sup> لأنّه يستطيع الحفر والتّقيب عن المسكوت عنه واستنطاقه من خلال القراءة والتّأويل ويبقى النصّ السّير ذاتي رهين موهبة ومعرفة القارئ الذي يستطيع فكّ شيفراته ورموزه يقول الغدّامي: "والنصّ في هذا كلّه يقف (إشارة حرّة) تمثّل (دالاً عائماً) يتوجّه أبداً نحو مدلول غير محدّد. ويقوم القارئ بعملية (الدّلالة) أي الرّبط بين (الدّال) العائم و(المدلول) المطلق. ولكنّ الدّال وجود، أمّا المدلول فغياب، ويتمّ جلبه بواسطة القارئ، وهي عملية يتفاوت فيها قارئ عن آخر حسب قدرات كلّ واحد من الموهبة والمعرفة."<sup>50</sup> التي تجعله يتفاعل مع النصّ ويخرج مخبوءاته بكلّ نكاء وحصافة، كما أنّ المسكوت عنه يكمن

<sup>48</sup> عبد الله محمد الغدّامي: ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 2، 1993، ص: 103.

<sup>49</sup> عبد الله محمد الغدّامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005، ص: 148.

<sup>50</sup> عبد الله محمد الغدّامي: الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، مطابع دار البلاد، جدة، ط2، 1991، ص: 109.

في النص المفتوح. يقول الغدّامي: " فالنصّ قد يكون مادة حيّة وحيوية تسمح لنفسها بالانفتاح على ما سواها من نصوص مثلما يفتح على القارئ المطلق الذي لا يخضع لشروط الظرفية.

وهذا هو النصّ المفتوح الذي يقابل النصّ المغلق الذي يعجز عن بلوغ ذلك المستوى من النصوصية ومن المقروئية، وهذا هو نصّ المشاكلة بينما المفتوح هو نصّ الاختلاف.<sup>51</sup> وهو الذي يؤثت لمفهوم المسكوت عنه ولمصطلحاته في النصّ السّير ذاتي بأنساقه الثقافيّة المتعدّدة التي تجعل هذا النصّ مختلفا في بنيته العميقة التي نحاول من خلال استنطاق المسكوت عنه في خطاب السّيرة الذاتية عند بدوي العثور عليه.

يرى الباحث الغدّامي بأنّ المسكوت عنه هو تفسير لإشارات النصّ، وهذه الإشارات لا يفكّك رموزها إلاّ الناقد الذّكي الحصيف لأنّه يملك أدوات القراءة والتأويل ويحسن فنّ مشاكسة النصوص ومناوشة أغامها، يقول الغدّامي: " والنصّ بعد ليس سوى إشارات تثير في الذّهن إشارات أخرى. ويأتي القارئ ليفسّر هذه الإشارات ويعقد لها الدلالات الضمنية التي تمنح النصّ حياته وخلوده." <sup>52</sup> لأنّ النصّ المليء بالإشارات هو نصّ مفتوح الدلالة وينتج لنا نصوصا أخرى يكتبها لنا الناقد بذكائه الوقّاد عندما يستنطق المسكوت عنه في خطاب السّيرة الذاتية عند بدوي، فالمسكوت عنه هو قراءة ونقد من داخل النصّ، يقول الغدّامي: " وبما أنّنا نمارس القراءة والنقد من الدّاخل فهذا معناه أنّنا نتعمّق في أغوار هذا الدّاخل ونغوص فيه أكثر وأكثر كي نزداد وعيا به وبأنفسنا فيه، وسنكون حينئذ طرفا في محاورّة مفتوحة تقوم على المعارضة والمناقضة، وتتخذ الحلّ والنقض والتشريح وسائل لفتح حلقات

<sup>51</sup> عبد الله محمد الغدّامي: المشاكلة والاختلاف، قراءة في النظرية العربية وبحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي

العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص:78.

<sup>52</sup> قاسم المومني: " عبد الله الغدّامي وقراءة النصّ"، مجلة كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد: 97-98،

ديسمبر 2001، يناير 2002، ص: 420.

الدائرة والنفاذ من خلالها." <sup>53</sup> لأنّ التّشريح أداة من أدوات استنتاج المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي، يقول الغدّامي: "فالقراءة التّقديّة هي عمل مضاد لفعل الكتابة، إنّ ما تخفيه هذه تكشفه تلك، وما تكشفه الأخيرة، تلغيه الأولى. إنّها تسعى حثيث ودائب لقتل نوايا الكاتب ودعاويه. وهي محاولة لقلب السّهم إلى الصياد لأنّها تقوم على إظهار المضمّر، إذ يتبادل الظاهر والباطن الأدوار، ويصبح الضمني صريحا، بينما يتحوّل الصريح إلى غطاء هسّ تطويه القراءة وتلغيه لكي يكون العمق هو السطح حيث لا سطح ولا عمق ولكنّه النصّ مكشوفاً بالقراءة التّشريحية." <sup>54</sup> التي تحاول استنتاج المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي، وهذه القراءة التّشريحية تحاول مقارنة المسكوت عنه في الخطاب السّير ذاتي وتفكيك حيثياته التّثقافية وتأويلها وفق أفق تلقي القارئ، تقوم القراءة التّشريحية بالبحث عن المضمّر في تخوم نصوص السيرة الذاتية الخاصّة به وإخراجه إلى العلن ليصبح منطوقا وبالتالي يتسنى لنا استنتاج المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عنده.

يتضح لنا من خلال هذا البحث بأنّ المسكوت عنه هو الفضاء الذي يتحرّك فيه التّأويل، لأنّه بمثابة شيفرة في النصّ وما على النّاقّد (القارئ) إلّا تفكيكها والوقوف عند أسرارها وبالتالي يتسنى له تأويلها تأويل النّقاد الحاذقين، يقول الباحث محمد ملياني موضّحا هذه الفكرة ما يلي: "أما القراءة بوصفها ممارسة فعلية تساهم في بناء وتشكيل النصّ فحظيت بأهمية خاصّة في دراسات العرب الأقدمين، كما اهتموا أيضا بالتأويل بوصفه فعالية فكرية ينهض بها المتلقي لاكتشاف آليات النصّ وفهم أسرارهِ والوصول إلى دلالاته، وتحديد إichاءاته الفكرية، وما دامت البنية الأدبية بنية مجازية أمكن تصوّر الأدب بالتأويل، فالمجاز

<sup>53</sup> عبد الله الغدّامي: القصيدة والنص المضاد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص:81.

<sup>54</sup> عبد الله محمد الغدّامي: الكتابة ضد الكتابة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص:08-09.

هو الفضاء الذي يتحرك فيه التأويل.<sup>55</sup> وهو الذي يقودنا إلى المسكوت عنه القابع في ثنايا نصوص السيرة الذاتية عند بدوي، فالمسكوت عنه -كما يرى فوكو- هو خطاب بلا نصّ وصوت بلا همس، يقول ميشال فوكو: "وترتبط هذه الفكرة بفكرة أخرى ترى أنّ كلّ خطاب ظاهر، ينطلق سرّاً وخفية من شيء ما تمّ قوله: وهذا الماسبق قوله، ليس مجرد جملة تمّ التلفظ بها أو مجرد نصّ سبقت كتابته، بل هو شيء (لم يقل أبداً) إنّهُ خطاب بلا نصّ، وصوت هامس همس النّسمة، وكتابة ليس سوى باطن نفسها."<sup>56</sup> وما على النّاقِد (القارئ) إلّا التوغّل في هذا الباطن من أجل العثور على المسكوت عنه في الخطاب السّير ذاتي ومحاولة مساءلته وقراءته وتأويله وتأويلاً نقدياً حدثياً تنويراً، فالمسكوت عنه-كما يرى الباحث أحمد عبد الحليم عطية- هو فيض من الكلمات يريد الكاتب أن يغرقنا فيه، هنا يتبنى هذا الباحث أطروحة جاك دريدا Jacques Derrida (1930م-2004م) في تحليل الخطاب، يقول أحمد عبد الحليم عطية: "ومن خلال دراستنا لآليات تحليل الخطاب وقراءة النّصوص- الأدبية وغير الأدبية- تعلّمنا أنّ هناك نموذجاً كامناً وراء أيّ نصّ حتّى ولو كان فيضاً من الكلمات يحاول صاحبها أن يغرقنا فيها."<sup>57</sup> ما على النّاقِد (القارئ) إلّا أن يغوص في أعماق نصوص السيرة الذاتية عند بدوي ويحاول قراءة المسكوت عنه واستنطاقه وتأويله من أجل الوصول إلى الفكرة التي أراد الكاتب أن يوصلها إلى المتلقي.

يتمثّل المسكوت عنه عند رولان بارت Roland Barthes (1915م-1980م) في شعرية الصّمت، لأنّ للصمت جماله وأنساقه النّقافية المضمرّة التي حاول الكاتب أن يجعلها رسائل مشفّرة لا يفكّها إلّا القارئ (النّاقِد) الحصيف الحاذق ويقدمها للقارئ في حلّة جديدة، يقول رولان بارت متمثلاً فلسفة الصّمت عنده: "والصّمت هنا هو زمن شعري متناسق، عالق

<sup>55</sup> محمد ملياني: "تلقى النص الأدبي بين التأسيس والآفاق"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد: 403، تشرين الثاني 2004، ص: 48.

<sup>56</sup> ميشال فوكو: حفریات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1987، ص: 25.

<sup>57</sup> أحمد عبد الحليم عطية: جاك دريدا والتفكيك، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص: 182.

بين طبقتين. يفجر الكلمة لا على اعتبارها نتفة من كتابة مشفرة، بل على اعتبارها نورا وخواء واغتيالاً وحرية.<sup>58</sup> ومساهمة في استنطاق المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي، وبالتالي يسهل على المتلقي فهم مقصدية الكاتب من وراء خطابه، فالمسكوت عنه -كما يرى بول ريكور- يساهم في انفتاح النصّ على قراءات متعدّدة يساهم القارئ (النّاقِد) في إنتاجها، يقول بول ريكور: "ومن طبيعة معنى النصّ أن يفتح على عدد لا حصر له من القراء، وبالتالي من التّأويلات وإمكانية انفتاح النصّ على قراءات متعدّدة هو النّظير الجدلي للاستقلال الدّلالي للنص".<sup>59</sup> لأنّ شيفرة المسكوت عنه هي التي تميّزه وتطبعه بطابعها الخاصّ، وما على النّاقِد (المتلقي) إلّا تفكيكها وتأويلها تأويلاً جمالياً، فللصمت جماله وألّقه وسحره الخاصّ، فالقارئ هنا-كما يرى أومبرتو إيكو- هو الذي يفسّر عمل المؤلّف المتمثّل في شيفرة المسكوت عنه وهي التي تميّز الخطاب السيّر ذاتي المعاصر، يقول أومبرتو إيكو: "أعتقد أنّه ليس على القاصّ أو الشّاعر مطلقاً أن يقدّم آية تفسيرات لعمله، فالنصّ بمثابة آلة تخيلية لإثارة عمليات التّفكير، وعندما يكون هناك تساؤل بخصوص نصّ ما، فمن غير المناسب التوجّه به إلى المؤلّف".<sup>60</sup> لأنّ المؤلّف انتهى دوره هنا عندما قدّم لنا نصّه لننقده ونقدّم قراءتنا الخاصّة لشيفرة المسكوت عنه في نصّه السيّر ذاتي وهنا يأتي دورنا لنعيد كتابة نصّه عن طريق استنطاق المسكوت عنه فيه، نكتبه كتابة جديدة ونقدّمها للقارئ في حلّة قشبية جديدة.

إنّ النصّ في حدّ ذاته-كما يرى روبرت شولز-مجموعة من الشّيفرات وهي التي تؤنّث للمسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي، وهذه الشّيفرات تحمل دلالات

<sup>58</sup> رولان بارت: الكتابة في درجة الصفر، ترجمة: محمد نديم حشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، ط 1، 2002، ص: 99-100.

<sup>59</sup> بول ريكور: نظرية التّأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص: 64.

<sup>60</sup> أومبرتو إيكو: حكايات عن إساءة الفهم، ترجمة: ياسر شعبان، الهيئة العلمية لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، 2006، ص: 77.

مفتوحة يقوم بتأويلها الناقد (القارئ)، فالنص كما يرى روبرت شولز: "مجموعة من العلامات التي تنقل في وسط معين من مرسل إلى متلق باتباع شفرة أو مجموعة من الشفرات. ومتلقي هذه المجموعة من العلامات، وهو يتلقاها نصًا، يباشر تأويلها على وفق ما يتوفّر له من شفرة أو شفرات مناسبة." <sup>61</sup> تساعد الناقد (القارئ) على استنتاج المسكوت عنه وفك رموزه وشيفراته العديدة وتأويلها تأويلاً صحيحاً، فمرجع النصّ ونقصد به الخلفية الثقافية للكاتب هو الذي يؤثّر للمسكوت عنه ويبلور أسسه ومفاهيمه النقدية، يقول محمد مفتاح: "إنّ ما تقدّم يعكس بجلاء أنّ مرجع النصّ له دور حاسم في تشكيل النصّ وإذا كان هذا شيئاً معروفاً فيما يتعلّق بالمرجع النفسي والثقافي والاجتماعي، فإنّه لم يلتفت بعد إلى دور المرجع الطبيعي في ذلك التّشكّل وذلك النّمو، ففضاء المدينة كان لها تأثير حاسم في تشكّل هذا النصّ أو نموه سواء شعر بذلك مبدعه أو لم يشعر به.." <sup>62</sup> فمرجع النصّ له دور حاسم في تأثيث المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي، وبالتالي يكون للنصّ السّير ذاتي شيفراته الخاصّة به يقوم بتفكيكها و قراءتها وتأويلها الناقد الأريب، والمسكوت عنه هو عبارة عن مقاصد خطابية غير مباشرة تحملها رسائل مشفرة في النصّ و "نعني بها تلك المقاصد الضمنية التي لا يصرّح بها النصّ، ولا يكشف عنها الكاتب صراحة، ولكنها متضمنة في معنى النصّ من مثل القصد إلى الغاية التّعليمية، والفكاهة، ومعالجة قضايا المجتمع." <sup>63</sup> وهذه المقاصد الضمنية موجودة في شيفرات المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي، وما على الناقد إلا أن يقدّمها إلى القارئ ويقارنها مقارنة تأويلية.

<sup>61</sup> روبرت شولز: السيمياء والتأويل، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط 1، 1994، ص: 251-252.

<sup>62</sup> أعمال ندوة مكونات النصّ الأدبي، أيام 25-26-27 فبراير 1988، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، ص: 12.

<sup>63</sup> عزة شبل محمد: علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق، تقديم: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 2، 2009، ص: 41.

ومن الناحية السيميائية يرى الباحث أحمد يوسف بأن المسكوت عنه بالمفهوم السيميائي نشاط دلالي داخل فلسفة اللغة يعتمد على الانزياح الدلالي والدلالة المفتوحة التي تتيح للقارئ (التأقّد) القراءة والتأويل، يقول أحمد يوسف في هذا الصدد موضّحاً هذه الفكرة ما يلي: "إنّ الأسلوب علامة تتضايّف فيها الدوالّ بالمدلولات لإنتاج المعنى والانخراط الأخلاقي في بلاغة التسمية، إذ تعنى السيميائيات عناية مركّزة بالنشاط الدلالي المفتوح داخل فلسفة اللغة وبالتسمية وتحولات المعنى من منظورها الإدراكي والتعبيري."<sup>64</sup> لأنّ الدلالة المفتوحة هي التي تساهم في فكّ شيفرات المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي، وتساهم في تأويلها تأويلاً دلالياً نسقياً منسجماً مع نسيج النصّ السّير ذاتي، فالسيميولوجيا قدّمت خدمة عظيمة للمسكوت عنه لأنّها جعلته يختفي وراء أيقونات شيفراته، يقول صلاح فضل في هذا الصدد ما يلي: "وقامت السيميولوجيا عن طريق تنظيم مجالات الإشارات وترابطاتها الرمزية بالتوسط لفضّ إشكالية التعارض المزعوم بين البنية المنبثقة والسيّاق العامّ للنص."<sup>65</sup> الذي يمدنا بمؤشرات شيفرات المسكوت عنه والمتضمنة في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي، فالمسكوت عنه-كما يرى سعيد بنكراد- هو إichالات رمزية واستعارية وإيحائية تساعدنا في استنتاج المسكوت عنه في الخطاب السّير ذاتي، يقول سعيد بنكراد: "ولهذا السّبب يجب ألاّ نبحث عن الدلالات خارج أسوار الواقعة، فما يوجد خارج الأسوار يحضر في الواقعة على شكل إichالات رمزية واستعارية وإيحائية تشير إلى الوجود الكموني لعوالم تحتاج في تحقّقها، إلى تنشيط ذاكرة الواقعة وصنع سياقاتها الممكنة لتمثّل أمامنا كتجارب بالغة الغنى والتنوع."<sup>66</sup> وما على القارئ إلاّ الحفر في هذه الإichالات الرمزية

<sup>64</sup> أحمد يوسف: "السيميائيات التأويلية وفلسفة الأسلوب"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 3، المجلد: 35، يناير، مارس، 2007، ص: 67.

<sup>65</sup> صلاح فضل: أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى، دمشق، سورية، ط1، 2003، ص: 08.

<sup>66</sup> سعيد بنكراد: السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط 3، 2012، ص:

والاستعارية والإيحائية من أجل الوصول إلى استنتاج المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي وتقديمه إلى القارئ العربي وفق منظور تأويلي.

يرى الباحث سعيد يقطين بأن المسكوت عنه هو صدى لنصوص أخرى، لأن الكاتب قد يحيلنا إلى نصوص أخرى موجودة في كتبه أو في كتب أخرى، لأن نصّه بمثابة اختزال لنصوص أخرى، يقول سعيد يقطين: "ينتج كل كاتب نصوصه الإبداعية ضمن بنية سابقة أو معاصرة، وتتموقع كتاباته نفسها، إذا توفرت الشروط النصية المناسبة، ضمن البنية النصية ذاتها، عندما تصبح قابلة لأن تتفاعل معها نصوص أخرى." <sup>67</sup> لأن شيفرة المسكوت عنه هي التي تحيلنا على هذه النصوص، بالتالي نستطيع العودة إليها من أجل فكّ هذه الشيفرة وتأويلها على النحو الذي أراده الكاتب، ويرى الباحث حبيب مونسي كذلك بأن المسكوت عنه يكمن في ملء الفراغات التي تركها النصّ، وبالتالي نستطيع قراءة بياض فراغات هذا النصّ السّير ذاتي، ونستطيع أيضا استنتاج المسكوت عنه فيه، يقول حبيب مونسي: "لأنّ المعنى كما يفهم اليوم ليس معطى حرفيا يحمله النصّ، وإنما صورة تشكّل أثناء التقاء النصّ بالقارئ، فلا تكون بالضرورة شيئا يحمله النصّ، بل يشارك في بنائه فقط، ومن هنا غدا التأويل عملية (حفر) في البناء القائم لهدمه وبلوغ النصّ التّحتي الذي تشكّله الفراغات وتملأ آفاقه." <sup>68</sup> فاستنتاج المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي هو الحفر في البنية التّحتية للنصّ من أجل فهم مقصدية الكاتب من وراء هذا الخطاب، وفهم رسالته المشفّرة التي أرسلها إلينا في هذا الخطاب السّير ذاتي، فالمسكوت عنه كما يرى الباحث هشام القلّفاط هو قراءة البياض وقراءة ما بين السّطور وفهم رسالة الكاتب المشفّرة فهما دقيقا وواضحا، يقول هشام القلّفاط موضّحا هذه الفكرة ما يلي: "غير أنّ الوظيفة الأولى التي تنهض بها مثل هذه البياضات في الخطاب الإبداعي عموما كامنة في وسم النصّ

<sup>67</sup> سعيد يقطين: انفتاح النصّ الروائي، النصّ والسياق، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2001، ص:

103.

<sup>68</sup> حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأديب، السانبا، وهران، 2007، ص: 140.

بسمه (الانفتاح) على إمكانات في الفهم مختلفة، بحيث يمكن أن تتعدّد الأفهام بتعدد المتقبلين الفاهمين.<sup>69</sup> لأنّ دلالة المسكوت عنه في الخطاب السّير ذاتي عند بدوي هي دلالة مفتوحة يستطيع كل ناقد (قارئ) قراءتها قراءة خاصّة تنافسها قراءات أخرى لنقاد آخرين.

يرى الباحث علي حرب بأنّ المسكوت عنه هو قراءة ما لم يقرأ في الخطاب السّير ذاتي، فاستنطاق المسكوت عنه في خطاب السّيرة الذاتية عند بدوي هو عبارة عن قول ما لم يقله الكاتب في نصّه، يقول علي حرب: "وكلّ قراءة تغيّر في مجرى الواقع، بقدر ما تشكل واقعة تضاف إلى سائر الوقائع التي يتركّب منها العالم، المهم أنّها في ما تقرأه لا تدعي المطابقة مع المقروء، إذ كلّ قراءة تخلق مجالها وتنتج حقيقتها، بقدر ما تقرأ في النصّ ما لم يقرأ وما لم يكن منتظرا أو متوقعا، أي يقرأ ما يمارسه الكلام من الحجب والمخاتلة لكي تولّد من تولّده من الأثر الخارق."<sup>70</sup> فالمسكوت عنه في خطاب السّيرة الذاتية عند بدوي هو هتك لأستار الحجب التي أقامها الكاتب حول نصّه وهذه الحجب هي عبارة عن خطاب ضمّني لا يدركه إلاّ النّاقّد الحصيف الذي يفهم فحواه، يقول سعيد علّوش معرّفا الخطاب الضمّني ما نصّه: "و(الخطاب الضمّني) توليد لمستويات التّأويل إلى ما لا نهاية."<sup>71</sup> لأنّ هذا الخطاب الضمّني له دلالة مفتوحة وكلّ ناقد يقرأ هذه الدّلالة قراءة خاصّة مستعملا أدواته الإجرائيّة والمعرفيّة الخاصّة به، فالمسكوت عنه عند سعيد علّوش هو اللامفكّر فيه في النصّ وعلى النّاقّد استخراجا من ثنايا نصوص السّيرة الذاتية عند بدوي، يقول سعيد علّوش معرّفا مصطلح اللامفكّر فيه ما نصّه: "يطلق اصطلاح (اللامفكّر فيه) على كلّ مسكوت عنه / ما لم يقل / ما لم يفكّر فيه في نصّ، والذي بدونه ما كان يمكن لكاتب النصّ،

<sup>69</sup> مجموعة من الأستاذة: مقالات في تحليل الخطاب، تقديم: حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 2008، ص: 171.

<sup>70</sup> علي حرب: هكذا أقرأ التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 30.

<sup>71</sup> سعيد علّوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان/ دار سو شبريس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص: 84.

أن يفكر في ما فكر فيه.<sup>72</sup> لأنّ هذا اللا-مفكر فيه يتملّ في تلك الشيفرة (المسكوت عنه) التي وضعها الكاتب في نصّه لكي يتسنى للقارئ (النّاقِد) أن يفكّكها ويؤوّلها تأويلاً صحيحاً وفق الفكرة البكر التي أراد الكاتب أن يوصلها إلينا، فالمسكوت عنه هو عبارة عن فكرة غامضة أراد الكاتب أن يشدّ أذهاننا بها ويجعلنا نشعر بمتعة القراءة ونحن نقرأ سيرته الذاتية التي تحمل خلاصة فكره النير الحداثي.

يقترن المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي، كما يرى الباحث سعيد علّوش بأدب الاعترافات الذاتية التي يتحدّى فيها الكاتب كلّ التّابوهات ويصرّح بكلّ ما يريد، فهو يتحدّى السّلطة الدّينية والسّلطة السّياسية والسّلطة الاجتماعية بل يصرّح بميوله الجنسية ويظهر نزعه الإيروسية، يقول سعيد علّوش في هذا الصّدّد ما يلي: "وتمتلك (الاعترافات) جرأة خاصّة على الوصف والإدلاء بالأحداث الأكثر شخصية، والأكثر مخلة بالأعراف والأخلاق العامّة."<sup>73</sup>، فكانت السيرة الذاتية ينتهك الأعراف والأخلاق العامّة متحدّيّاً السّلطة الدّينية والسّياسية والاجتماعية ويصرّح بآرائه السّياسية معارضا السّلطة السّياسية وكلّ هذا يدخل ضمن نطاق المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند بدوي، فالمسكوت عنه كما يرى الباحث عبد العزيز حمّودة هو مفتاح القراءة التّفكيكية التي تجعلنا نعيد كتابة النصّ السّير ذاتي، كتابة جديدة مستنطقاً للمسكوت عنه في هذا الخطاب، يقول عبد العزيز حمّودة: "مفتاح القراءة التّفكيكية إذن هو تحديد مناطق اختلاف النصّ مع نفسه، وبعبارة أكثر تحديداً التّعارضات الدّاخلية للنصّ، والحديث عن التّعارضات الدّاخلية للنصّ يفسّر المقولة التّفكيكية القائمة على أنّ النصّ يصلنا وهو يحمل جذور أو احتمالات تفكيكه."<sup>74</sup> لأنّه نصّ طافح بشيفرات المسكوت عنه التي تستدعي آليات القراءة والتأويل وإجراءاته

<sup>72</sup> المرجع السابق: ص 168-169.

<sup>73</sup> المرجع نفسه: ص: 149.

<sup>74</sup> عبد العزيز حمّودة: الخروج من التيه، دراسة في سلطة النصّ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 298، نوفمبر 2003، ص: 210.

العديدة، وبالتالي يصبح هذا النصّ السّير ذاتي نصّاً مفتوحاً على قراءات متعدّدة ومفتوحة هي أيضاً، يقول عبد العزيز حمّودة: "فالنّاقِدُ البنيوي يبدأ من نفس الطّمّوح النّقدي العامّ، وهو فكّ شفرات النصّ الأدبي بغية إنارته، وهو في ذلك، كما يقول (سيلدن)، كعالم الآثار أو الجيولوجيا يحفر في تربة النصّ ويعرّي طبقاتها علّه يصل إلى الكشف عن خبيئة لم يسبقه إليها أحد."<sup>75</sup>، وهذه الخبيئة تتمثّل في استنتاج المسكوت عنه في خطاب السّيرة الذاتية عند بدوي من أجل الوصول إلى فحوى هذا الخطاب وفهم مقصديته الخطابية التي تساهم في توسيع أفق المتلقي الذي يحسن قراءة ما بين السّطور.

يرى الباحث عبد الجليل منقور بأنّ مقصدية الدّلالة المحدّدة ضمن سياق الخطاب هي التي تجعل المسكوت عنه منطوقاً وهو الذي يحدّد المعنى الذي أراده الكاتب في خطابه السّير ذاتي، يقول عبد الجليل منقور موضحاً هذه الفكرة ما يلي: "إلاّ إنّ المسكوت عنه قد يكون منطوقاً على اعتبار مقصدية الدّلالة المحدّدة، ضمن سياق الخطاب، ومن ثمّ ينتفي مصطلح المسكوت عنه، لأنّه حصل امتداد لحقل الإرجاع، وإن كان اللفظ في مفهومه المعجمي مرتبطاً أساساً بمعنى محدّد."<sup>76</sup>، وهنا يتّسنى للقارئ (النّاقِد) أن يستتق المسكوت عنه في خطاب السّيرة الذاتية عند بدوي خاصّة عندما يفهم مقصدية الخطاب عند الكاتب، والمسكوت عنه كما يرى الباحث محمود طرشونة هو نصّ ناطق بألف لسان، أي نصّ له دلالة مفتوحة وله معنى مطلق يفتح على قراءات عديدة، يقول محمود طرشونة: "نعم للنصّ ألسنة، بل النصّ ناطق بألف لسان، لكنّه يحتاج إلى من ينطقه بها وهي الكامنة فيه، وإلى من يحركها فتتحرك وتتلفّظ، وتبوح بالأسرار فتفكّ أغاز، وتتكشف رموز، وتقول العلامات والأحرف ما تقوله أفواه الكثير من البشر، ذلك لأنّ النصّ مشحون طاقات لا حصر لها،

<sup>75</sup> عبد العزيز حمّودة: المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، الكويت، العدد: 232، إبريل 1998، ص: 243.

<sup>76</sup> عبد الجليل منقور: الخطاب والتأويل، قراءة في التراث الأصولي"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،

سوريا، العدد: 451، تشرين الثاني، 2008، ص: 66.

تنتظر أن يفجرها التحليل وآلياته، وأن يصنّفها التّأليف وأدواته.<sup>77</sup> "فألغام المسكوت عنه في الخطاب السّير ذاتي عند بدوي يفجرها النّاقِد الحَصيد الذي يملك أدوات التّحليل وإجراءاته المعرفية، وبالتالي يمكن اعتبار تفكيك المسكوت عنه وتأويله بمثابة قراءة ثانية للنصّ السّير ذاتي" وقد تكون الكتابة الثّانية، ثانية في موقعها بعد نصّ الجنس الأدبي، وإنّها لتكون في هذه الحالة كتابة في النصّ، والكتابة عندما تكون كذلك فإنّها تكون قراءة، وتدعي لنفسها مهمة إكمال النصّ وملء فراغاته. وإذ ذاك نجدها تقول ما لم يقله من غير أن تتقول عليه.<sup>78</sup> لأنّ المسكوت عنه يحمل شيفرة خاصّة تجعل النّاقِد وهو يقوم بتفكيكها وتأويلها يعيد كتابة هذا النصّ السّير ذاتي من جديد ويبثّ فيه روحا جديدة وأفكارا قشبية لم تخطر يوما على بال كاتبها الأصلي.

يبدو لنا من خلال هذا البحث بأنّ المسكوت عنه هو تأويل لا متناهي لشيفرات النصّ المبنوثة في خطاب السّيرة الذاتية عند بدوي، والتّأويل اللّامتناهي كما يرى الباحث محمد بوعزة: "ينظر إلى طبيعة تعددية النصّ على أنها تعددية لا محدودة، وبالتالي فإنّ رهان التّأويل مفتوح على مغامرة اللّانتهائية، فلا وجود لحدود أو قواعد يستند إليها التّأويل، سوى رغبات المؤلّ الذي ينظر إلى النصّ على أنّه نسيج من العلامات واللاتّحديدات، لا توقف انفجارها أيّة تخوم."<sup>79</sup> لأنّها قراءات مفتوحة لا تحدّها حدود، فشيفرة المسكوت عنه في خطاب السّيرة الذاتية عند بدوي، تحمل في أعماقها دلالات كثيرة وتأويلات عديدة لا ترسو على ساحل واحد بل تخوض بحارا عميقة لا قرار لها، فالمسكوت عنه في خطاب السّيرة الذاتية عنده هو فضح للتّابوهات المتمثلة في التّابو السياسي والتّابو الدّيني والتّابو الاجتماعي (الجنس)، فكاتب السّيرة الذاتية عندما يكون جريئاً في كتاباته هو يريد أن يتحدى السّلطة السياسية و السّلطة الدّينية والسّلطة الاجتماعية، يقول حسين المناصرة موضحاً هذه

<sup>77</sup> محمود طرشونة: ألسنة النص، مجلة ثقافات، كلية الآداب، جامعة البحرين، العدد: 09، شتاء 2004، ص: 08.

<sup>78</sup> منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص: 145.

<sup>79</sup> محمد بوعزة: "رهان التّأويل"، مجلة ثقافات، كلية الآداب، جامعة البحرين، العدد: 10، ربيع 2004، ص: 17-18.

الفكرة ما يلي: "إذن ، لم تكن جماليات السيرة الذاتية في يوم من الأيام ماثلة فيما نتجزه تاريخيا، أو واقعيًا، أو صدقا وثائقيًا وجرأة، أو تعرية للذات والواقع وكشف عن المسكوت عنه فيهما فحسب، وإنما هي حلّة سردية إبداعية، تجعل السيرة الذاتية مولودة من الوهم والتخييل أي من رحم الرواية بكلّ ما تمتلكه الرواية من عناصر فنيّة، بحيث لا تتحقّق أدبية السيرة الذاتية إلاّ من خلال روايتها، كما أنّ روايتها الرواية لا يمكن أن تتحقّق على المستوى النفسي العميق وآلية الكشف والفضح للتأبوهات إلاّ من خلال الحفر في سيرية مبدعها المعيشية والثقافية والفكرية والجمالية." <sup>80</sup> لأنّ السيرة الذاتية هي صورة طبق الأصل لكاتبها لا بدّ عليه أن يكون صادقًا فيما يكتب يقتحم قلاع الفكر الحصينة ويدخل معابد الفكر العتيقة ويحطّم أصنامها على رؤوس سدنتها ولا يدهن السلّطة الدّينية ولا يتملّق السلّطة السّياسية ويعرّي السلّطة الاجتماعية عندما يتطرّق إلى أمور الجنس.

يحاول الناقد إمّا في الرواية وإمّا في السيرة الذاتية أن يستخرج ويستنتق المسكوت عنه في ذلك النصّ المقموع والمتملّ في التّابو الدّيني والسّياسي والثّقافي والاجتماعي والجنسي، كلّ نصّ محظور هو نصّ مليء بالتّأبوهات التي لا يستسيغها المجتمع ولا رجال الدّين ولا السّاسة "إذ يقع النصّ الرّوائي تحت تأثير سلّطات الدّولة الإمبريالية والآخر في الدّول النّامية وتحت إرهاب الدّولة الوطنية وأجهزتها القمعية والبيروقراطية، كما يقع تحت سلّطات التّراث واللّغة والدّين والجنس والأعراف والثّقاليد الأدبية والمؤثّرات الثّقافية الأجنبيّة، إضافة إلى سلّطة المجتمع والقبيلة والأب والأعراف والثّقاليد الاجتماعية وتمارس هذه السلّطات العنف المعلن و المبطّن ضدّ النصّ الرّوائي، الذي يجد نفسه مضطرا إلى التّراجع والمراوغة وإقصاء أو حذف بعض الفضاءات الحسّاسة والمحظورة والمقموعة.." <sup>81</sup> فهناك روايات وسير ذاتية منعت من النّشر أو سحبت من الأسواق بعد نشرها بسبب تناولها للمحظور وللمقموع، فكاتبت

<sup>80</sup> حسين المناصرة: وهج السرد، مقاربات في الخطاب السردى السعودى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2010، ص: 97.

<sup>81</sup> فاضل ثامر: المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، دار المدى، دمشق، سورية، ط1، 2004، ص: 10-11.

السيرة الذاتية يحب المغامرة وللمغامرة ثمنها، فالمسكوت عنه كما يرى الباحث حسين المناصرة يتمثل في اقتحام التابوهات بكلّ جرأة وبكلّ شجاعة فكرية وأدبية، يقول حسين المناصرة في هذا الصدد موضحاً هذه الفكرة ما يلي: " لا شكّ في أنّ إشكالية الحبّ/ الجنس تعدّ أهمّ التّابوهات التي ينظر إليها على أنّها أكثر الجوانب استحضارا للإثارة على حساب الفنّ والإبداع في كتابة المرأة وغيرها، يضاف إلى ذلك ما يستدعيه هذا الجانب (الحبّ والجنس) من تداخلات إشكالية أيضا ومثيرة مع كلّ من الدّين والسياسية والهيمنة القبلية والأعراف الاجتماعية.."<sup>82</sup> فاقترام التّابوهات والولوج إلى قلاع السيرة الذاتية الحصينة هي الحقيقة التي يجب أن نقال، وسنرى ذلك من خلال تطرقنا بالدراسة للسيرة الذاتية الخاصة ببهوي.

---

<sup>82</sup> حسين المناصرة: وهج السرد، مقاربات في الخطاب السردى السعودى، ص: 138-139.

## الفصل الأول:

استنطاق المسكوت عنه في فكر عبد الرحمن بدوي

المبحث الأول: رحلة عبد الرحمن بدوي العلمية والمهنية والسياسية

توطئة:

يعتبر عبد الرحمن بدوي (1917م-2002م) أيقونة الوجودية في مصر وفي الوطن العربي حيث حاول إقامة صرح الوجودية في مصر وفي الوطن العربي، يقول الباحث سالم حميش في هذا الصدد ما يلي: "ليس من قبيل المجاملة أن نقول بأن عبد الرحمن بدوي غني عن كل تعريف، فهو حقًا كذلك بحكم انشغاله بمرافق معرفية عدّة، قد تصعب متابعته فيها كلّها، فنحن طلبة أو أساتذة قد عرفناه مصنفًا ومحقّقًا ومترجمًا ومفكرًا، وقد لا نبالغ إن زعمنا أنّه يشكّل في الفكر العربي المعاصر ظاهرة فريدة من حيث القوّة في الجمع والتّحصيل والثراء في الوضع والتأليف".<sup>83</sup> لأنّه يعتبر موسوعة في الفلسفة العربية والغربية قديما وحديثا، يقول عنه تلميذه أنيس منصور ما يلي: "أما عبد الرحمن بدوي فهو يمشي على عجل دائما، مندفع لا ينظر إلى أحد، وإذا نظر إليك فنظرة تقتحمك أو تكتسحك، أي تذيبك تماما ليكون على راحته: ينظر إلى لا شيء.. لأنّه لا شيء هناك.. لا أنت ولا غيرك.. وإذا حاولت أن تستوقفه لم يقف في مواجهتك.. وإنما يقف إلى جوارك، وينظر إليك ببعض عينيه وبعض جسمه، ليس اجتماعيا، ولا عنده أخوة وأبوة ولا يعرف الحوار".<sup>84</sup> لأنّه كان غريب الأطوار لا يتكلّم مع أيّ أحد إلاّ لماما، فهو عاش وحيدا ومات وحيدا وغريبا بذل حياته من أجل الفلسفة الوجودية، فهو فيلسوف وجودي ومؤرّخ للفلسفة العربية والغربية قديمها وحديثها، وبموته فقدت مصر والوطن العربي فيلسوفا وجوديا قلّ وجوده في هذا الزّمن الكئيب.

يرى الباحث أحمد عبد الحليم عطية "أنّ بدوي-بما قدّمه وما يقدّمه من كتابات-إنّما يؤسّس ليس فقط للدراسات الفلسفية وإنّما لخلق وعي عربي معاصر، أو ما أسماه في أول

<sup>83</sup> سالم حميش: معهم حيث هم، لقاءات فكرية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ص: 120.

<sup>84</sup> أنيس منصور: في صالون العقاد كانت لنا أيام، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط3، 1993، ص: 28.

دراساته عن نيته 1939 (ثورة روحية) تواكب الثورة السياسية، فأهمية بدوي ورواد الدراسات الفلسفية هو تأكيدهم الدائم على دور الفلسفة في تأسيس الوعي والروح التي يمكنها خلق حياة جديدة، ونظرة جديدة للكون، والحياة، والتاريخ، فتأسيس النظر أساس العمل، والثورة الروحية أساس الثورة السياسية والحضارة الجديدة.<sup>85</sup> كان متمردا على كل شيء على الفلسفة وعلى الدين وعلى التاريخ وعلى الأدب وعلى الشعر وعلى السياسة، فهو وحيد عصره في هذا الزمان، لقد امتنع عن الزواج حتى فاته القطار، لقد وهب نفسه من أجل الفلسفة الوجودية ومن أجل إقامة صرحها في مصر وفي الوطن العربي، يقول بدوي في هذا الصدد ما نصّه: "لأنّي آثرت التفرغ للعلم وحده، ولم أرد أن يشغلني عن العلم والبحث العلمي شيء، وأنت تعلم مشاغل الأسرة والأولاد." <sup>86</sup>، وهب حياته للعلم وللحياة وأراد أن يؤرخ للفلسفة العربية والغربية قديمها وحديثها، والسبب الحقيقي لعدم زواجه هو أنه تلقى صدمة عاطفية في حياته لذلك لم يتزوج طوال حياته والسبب هو تلك المرأة التي خانت عهد الحب الذي أبرمه معها، فهي وعدته بأن تكون مخصصة له طوال حياته وحياتها، ولكنها خانت ذلك الرباط المقدس المتمثل في ذلك الحب الطاهر العفيف الذي كان بينهما ولكن لا أمان ولا عهد عند النساء وخاصة في هذا الزمان الصعب.

لقد أتقن عدّة لغات ولكنّ اللّغة الفارسية لم يستطيع إتقانها لأنّها صعبة جدًّا، يقول بدوي في هذا الصدد ما نصّه: "وكان سيسهل عليّ الأمر لو أنّني كنت قد تعرّفت إلى فتاة إيرانية جميلة أطيل معها الحديث العذب كلّ يوم دون ملال، كما كانت تجربتي من قبل بالنسبة إلى الألمانية والإيطالية والفرنسية- لكنّ كان دون ذلك مصاعب جمّة!" <sup>87</sup>، فحبّ الفتيات الغربيات هو الذي جعله يتقن اللّغة الألمانية واللّغة الإيطالية واللّغة الفرنسية وهيئات

<sup>85</sup> أحمد عبد الحليم عطية: عبد الرحمن بدوي، نجم في سماء الفلسفة، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 2003، ص: 09.

<sup>86</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2000، ص: 249.

<sup>87</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج2، ص: 382.

له أن يتقن اللّغة الفارسية لأنّه لم يجد الفتاة التي تحبّه في هذه اللّغة وتجعله يتقنها إتقاناً جيّداً، فهو ذهب إلى طهران من أجل البحث عن المخطوطات النّفيسة وليس بحثاً عن فائتات إيران، يقول بدوي: "ولمّا كانت طهران زاخرة بنفائس المخطوطات العربية التي تهمني، وكانت هذه الفرصة للاطلاع عليها، لهذا قرّرت مواصلة الإقامة في طهران حتّى أفيد من هذه المخطوطات، وتركت سائر أعضاء المؤتمر يعودون من حيث أتوا." <sup>88</sup> لأنّهم لا يهتمّون بالمخطوطات النّفيسة التي تحمل في طيّاتها نفائس العلوم التي جادت بها علينا الحضارة العربية الإسلامية، كان مولعا بنفائس المخطوطات النّادرة ينقّب عنها في كلّ مكان يذهب إليه، ويعتبر من رواد محقّقي المخطوطات النّادرة في مصر وفي الوطن العربي، والفضل يرجع إليه في إخراج هذه الدّرة وتقديمها للقارئ العربي الحصيف.

ومكتبات أوروبا أفضل من مكتبات أمريكا، لأنّ فيها أمّهات الكتب وأمّهات المخطوطات النّادرة، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "فأين هذا إذن من المكتبات في أوروبا، العامرة بكلّ جديد وقديم لا يزال للبيع، والذي يمسه المرء بيده ويتصفّح فهارسه وربّما قرأ معظم المقدمة وهو واقف في المكتبة، بحيث إذا اشترى الكتاب اشتراه عن بيّنة، ولم يضع ماله في شرائه هدرا وهو لا يعلم من أمره شيئاً." <sup>89</sup> لأنّ الكتاب النّفيس يعرف من مقدمته ومن فهارسه، وهذا يجعل القارئ يقبل على اقتنائه، أمّا مكتبات نيويورك فهي فقيرة لا تقدّم شيئاً مفيداً للقارئ، يقول بدوي ما يلي: "وقضيت نهارات الأيام الخمسة الباقية لي في نيويورك بعد انتهاء المؤتمر في زيارة المتاحف والمكتبة المركزية وقصر الأمم، ومن الأمور الغريبة التي تبيّنتها في نيويورك أنّ مكتبات بيع الكتب فيها، سواء تلك التي بجوار جامعة كولومبيا، وتلك الموجودة في شوارع المدينة، لا تحتوي إلّا على قدر ضئيل جدّاً من الكتب، وهذا القدر هو من الكتب ذات التّداول العام، لا الكتب العلمية أو الدّراسات التّاريخية

<sup>88</sup> المصدر السابق، ص: 262.

<sup>89</sup> المصدر نفسه، ص: 237.

والإنسانية بعامة.<sup>90</sup> لأنّ القارئ الأمريكي لا يهتمّ بعالم الكتب ولا بعالم القراءة، بل هو مهووس بالحضارة الأمريكية المتوحشة التي صارت الأنترنت هي عالمه المفضل، أمّا بدوي فهو فيلسوف ومفكر يهتمّ بالكتب الفلسفية والعلمية النافعة، فهو يبحث عنها في كلّ مكان يذهب إليه، فهو رجل ثقافة بلا منازع في مصر وفي الوطن العربي.

مكتبة الفاتيكان في إيطاليا هي مكتبة ثرية فيها الكتب النادرة والمخطوطات النفيسة، ونحن نعلم بأنّه كان يتقن اللّغة الإيطالية إتقاناً جيّداً، يقول بدوي: "أمّا مكتبة الفاتيكان فلم أعد أتردّد عليها منذ سنة 1955، وذلك لأنّي كنت قد تردّدت عليها من سنة 1947 حتّى سنة 1954 بمعدّل أسبوعين في أواخر سبتمبر وأوائل أكتوبر من كلّ عام، وقضيت كلّ أربي منها بتصوير كلّ ما كنت أحتاج إليه إذ كانت فيها خدمة ممتازة للتصوير."<sup>91</sup> وهذا الشّيء غير متاح لا في إيران ولا في أمريكا ولا في الوطن العربي، فبدوي هو رجل باحث عن المعرفة والعلم ويجاهد في سبيل الحصول على مخطوطة نادرة أو كتاب نفيس، فمكتبة مؤسسة كيتاني في روما تزخر بالكتب النادرة والمخطوطات النفيسة، يقول بدوي: "حتى صارت مكتبة (مؤسسة كيتاني) هذه من أغنى الخزائن في أوروبا، بل وفي العالم كلّه، فيما يتعلّق بالدراسات الإسلامية بعامة، وكان القيم على هذا الفرع هو الأستاذ ريناتو تراني Renato traini الذي صار بعد ذلك أستاذاً للآداب العربية في جامعة روما، ولا يزال في هذا المنصب حتّى اليوم، مع استمرار إشرافه على (مؤسسة كيتاني)."<sup>92</sup> هذا الأستاذ كان له الفضل في اطلاع بدوي على نفائس المخطوطات ونوادير الكتب، وكان بدوي يناقشه في كلّ القضايا العلمية التي تهّم العالم العربي الإسلامي برمّته، لم يكن هناك عائق في التّواصل بينهما، لأنّه كان يتقن اللّغة الإيطالية إتقاناً جيّداً، وبالتالي خدم مجتمعه العربي والإسلامي خدمة جلييلة ولا ينكر هذا الفضل إلّا جاحد أو في قلبه مرض وحقد دفين.

<sup>90</sup> نفسه، ص: 236-237.

<sup>91</sup> نفسه، ص: 201.

<sup>92</sup> نفسه، ص: 198.

إنّه لا ينسى فضل المكتبة الوطنية بباريس عليه، لأنّه استفاد منها واطلع على نواذر الكتب ونفائس المخطوطات، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما نصّه: "ومن هذا يتبيّن ما للمكتبة الوطنية بباريس-وفيها أكتب الآن ما أسطره هنا-من فضل عظيم على إنتاجي العلمي، ولولاها لما استطعت إنجاز ثلاثة أرباع أعمالِي العلميّة، إنّها مقصدي الأوّل من سفراتي السنوية إلى باريس، والمكان الذي أقضي فيه معظم أوقاتي حين أكون في باريس." <sup>93</sup> فهو يحاول أن يقدّم للقارئ العربي صورة ناصعة عن هذه المكتبة النفيسة التي كانت تزوّده بالمصادر والمراجع التي يستعين بها في أبحاثه العلمية الغزيرة، يا لها من مكتبة عظيمة! جدير بالمرء أن يزورها ويقتبس من نورها العلمي النّادر والنّفيس، في هذه المكتبة كان بدوي ينقّب عن المخطوطات الشّرقيّة لعلّه يحصل على بغيته العلميّة ووجهه الفلسفي، يقول بدوي: "ومنذ رحلة صيف سنة 1947 وأنا أقضي سحابة النّهار في المكتبة الوطنيّة: من العاشرة صباحاً حتّى الخامسة إلّا الرّبع، في قسم المخطوطات، وكان آنذاك مندرجا فيه المخطوطات الشّرقيّة." <sup>94</sup> التي حقّقها وعلّق عليها وقدّمها في حلّة قشبيّة إلى القارئ العربي لعلّه يكتشف أسرار العلوم التي تزخر بها حضارتنا العربيّة الإسلاميّة، فحضارتنا العربيّة الإسلاميّة حضارة رائدة، فيها علوم نفيسة وفلسفات عجيبة وحرّي بالقارئ العربي المسلم أن يكتشف كنوز حضارته الطّافحة بالعلوم والفلسفات النّادرة، والفضل يرجع إلى فيلسوفنا الكبير الذي ضيعته أمّته ولم تعرف له قدره الجليل.

كان وهو في طهران ينقّب عن المخطوطات فاسترعى سمعه صوت عبد الباسط عبد الصّمّد (1927م-1988م) كان صوتاً قادماً من السّماء، بل هو قنبلة سماوية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما نصّه: "ولا يقطع استغراقي في العمل في المخطوطات إلّا صوت رائع جميل يدوي من ميكرفون مسجد جامعة طهران، وهو صوت المقرئ عبد الباسط عبد الصّمّد وهو يتلو آيات من القرآن الكريم، أه! كم كان لتلاوته العذبة من وقع عميق في أرجاء

<sup>93</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص: 207.

<sup>94</sup> المصدر السابق، ص: 204.

نفسى، وعلى نحو لم أعرفه من قبل في أيّ بلاد أخرى هاجرت إليها! إسلامية كانت أو غير إسلامية!"<sup>95</sup>، كان ملحداً ولكنّه كان يحبّ القرآن ويحبّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ولقد دافع عن القرآن وعن النّبي بكلّ ما أوتي من حجّة عقلية أو نقلية.

كان عبقرياً في اللّغة اللاتينية يتقنها إتقاناً جيداً، بل يحاور بها مناقشيه، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما نصّه: "وأذكر أنّه جاء إلى الجامعة وفد من الطلبة البولنديين، وكانوا لا يعرفون الإنجليزية ولا الفرنسية ولا الألمانية، فتوليت أنا التّرحيب بهم باللّغة اللاتينية لأنّني كنت أعلم-كما أخبرني بذلك الأستاذ كواريه- أنّ الطّلاب في بولنّدة يتقنون-آنذاك طبعاً، وليس الآن! -اللّغة اللاتينية، حتّى أنّ المندوبين البولنديين في المؤتمرات الدّولية كانوا غالباً ما يتكلّمون باللّاتينية." <sup>96</sup> فكلّ علومنا في عصر النّهضة الأوروبيّة ترجمت إلى اللّغة اللاتينية، وجاء ليعيد لنا علومنا التي ترجمت إلى اللّغة اللاتينية بلغتنا الأمّ ألا وهي اللّغة العربيّة، فهذه بضاعتنا ردّت إلينا على يد فيلسوفنا الكبير التي جادت به علينا الطّبيعة في هذا العصر الدّهبي الذي أعاد أمجادنا العربيّة الإسلاميّة إلينا.

يعتبر ظاهرة فريدة من نوعها في إتقانه للغة اللاتينية، حيث برز ولعه هذا وهو طالب في مرحلة اللّيسانس، يقول بدوي: "وأصبحت مولعاً باللّغة اللاتينية ولعاً شديداً قراءة وكتابة. وإبراز علمي بها كنت أكتب على (التختة) خطباً باللّاتينية من تألّيفي وتتناول حادثاً يومياً سياسياً آنذاك، وذلك قبل دخول الأستاذ كواريه الدّرس، حتّى إذا ما حضر قرأها وأبدى ملاحظاته عليها، وكان ذلك منّي تباهاً بإتقاني اللّاتينية." <sup>97</sup> ويا لها من موهبة فريدة من نوعها كأنّها ولدت مع صاحبها ودرجت معه حتى بلغ صبوّة الشّباب وميعته، ويعرض علينا أحسن طريقة لتعلم اللّغات الأجنبيّة وخاصة اللّغة اللاتينية وهي طريقة حفظ أمثلة القواعد النّحويّة، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما نصّه: "وهذه في نظري أحسن طريقة لتعليم

<sup>95</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج2، ص: 264.

<sup>96</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 116.

<sup>97</sup> المصدر السابق، ص: 116.

اللاتينية-وغيرها من اللغات، أمّا ما يسمّى بالطّرق (الحديثة) فهي مضيعة للوقت والجهد، وعبث لا طائل تحته، ولا تؤدّي أبداً إلى إتقان أيّة لغة.<sup>98</sup> وهذه الطّريقة التي عرضها علينا هي من أنجع الطّرق في تعلّم اللّغات الأجنبية، فهي تعتمد على حفظ أمثلة القواعد النّحوية حفظاً تامّاً حتّى ترسخ القاعدة في الدّهن وتحصل ملكة اللّغة عند المتعلّم وبالمثال تتضح القاعدة ونحن نعلم بأنّه أتقن عدّة لغات أجنبية وترجم منها إلى العربية وحاضر بها في المؤتمرات التي شارك فيها بل وألّف بها بعض كتبه مثل كتابيه في الدّفاع عن القرآن الكريم وعن محمّد صلّى الله عليه وسلّم كتبهما باللّغة الفرنسية ليردّ على المستشرقين الذين طعنوا في القرآن الكريم وفي النّبي الكريم.

يرجع الفضل في إتقانه للغة اللاتينية وهو في مرحلة الليسانس إلى أستاذه الفرنسي موريك بران، يقول بدوي: " لكنّ الفضل الأوّل في إتقاني اللّغة اللاتينية إنّما يرجع إلى أستاذ فرنسي درّس لنا اللاتينية في السّنة الثّانية، وهو موريك بران Moric brin، إذ درّس لنا في كتاب Grammaire latine simple et complète تأليف Grouzet وآخرين، وهو في نظري حتّى الآن خير متن في تعليم اللّغة اللاتينية لوضوحه وحسن تقسيمه واعتماده في حفظ القواعد النّحوية، على الأمثلة التي ينبغي أن تستظهر فتصبح القاعدة محفوظة وقتاً طويلاً أو أبداً.<sup>99</sup> وهذه كما ذكرنا أنفاً أحسن السّبل في تعلّم أيّ لغة أجنبية، كان وهو في مرحلة الليسانس له ولع باللّغات القديمة وخاصة اللّغة اللاتينية، يقول بدوي: " أمّا اللّغات القديمة فقد درّس لنا اللاتينية أستاذ سويسري هو Patry وكان في الوقت نفسه مولعاً بالموسيقى وتاريخها، ويعزف عزفا جيّداً على البيانو، وقد درّس لي اللاتينية في السنتين الثّالثة والرّابعة، ولمّا رأى تفوقى البارز في اللاتينية، فقد تطوّع لكي يقرأ معي من الثّامنة حتّى التاسعة في يومي الثّلاثاء والخميس (انياهه) فرجيل، فأتمناها في عامين، وجعلني أحفظ عن ظهر قلب التّشيد الأوّل منها. وكان هذا منه فضلاً عظيماً يستحقّ عرفان

<sup>98</sup> المصدر نفسه، ص: 115.

<sup>99</sup> نفسه، ص: 115.

الجميل.<sup>100</sup> لا ينسى فضل أساتذته عليه، فهذا الأستاذ غرس فيه ملكة اللّغة اللّاتينية وجعله يكتشف انيادة فرجيل Virgile (70ق.م-19ق.م) وما فيها من ملاحم وجعله يكتشف كلّ عوالم الموسيقى العالمية وعلمه العزف على آلة البيانو وغرس فيه حبّ الفنّ التصويري وفنّ النّحت وغيرها من الفنون، لا يكلّ ولا يتعب وهو يطلب العلم الرّاقى والفنّ الرّاقى والفلسفة الرّاقية يبذل في سبيل ذلك وقته وجهده حتّى يحصل على بغيته وأمنيته في كلّ العلوم والفلسفات التي يريدّها.

ذهب إلى روما من أجل لقاء ملهمه الأوّل المستشرق الإيطالي كرلو ألفونسو نلينو Carlo Alfonso Nallino (1872م-1938م) وهذا من أجل الاستفادة من خبرته العلمية والمنهجية، يقول بدوي في هذا الصّدّد: "وأقمت في روما أسبوعاً حرصت فيه على اللّقاء مع من أستطيع لقاءه من المستشرقين الإيطاليين. فبدأت بكرلو ألفونسو نلينو، وكنت قد تعرّفت إليه في مصر إبّان حضوره في يناير من كلّ عام إلى القاهرة لحضور مؤتمر المجمع اللّغوي الذي كان عضواً فيه، وكان تعرّفي إليه في يناير سنة 1937، فخاطبته تلفونيا وحدد لي موعداً للقاءه في منزله، 2 شارع رفيني Ruffini في الجانب الأيسر (حيث الفاتيكان) من روما.<sup>101</sup> ولعلّه كان لقاءً علمياً فريداً من نوعه، ليته دونّ حيثيات هذا اللّقاء الهامّ في هذه السّيرة الذاتيّة حتّى نستفيد علمياً وفكرياً.

إنّ سفره إلى أوروبا لم يكن سفراً اعتباطياً بل هو سفر من أجل اكتشاف معالم الحضارة والتّوير في الحضارة الغربيّة على وجه الخصوص، يقول بدوي: "وهكذا انتهت سفرتي الأولى إلى أوروبا، تلك السّفرة التي أعدّها منعطفاً محوريّاً في حياتي، لقد آليت على نفسي منذ ذلك الحين أن أعود إلى أوروبا كلّما استطعت إلى ذلك سبيلاً، -رغم كلّ

<sup>100</sup> نفسه، ص: 115.

<sup>101</sup> نفسه، ص: 110.

المصاعب التي سنقف-ظلما-في طريقي، على النحو الذي سأصفه فيما بعد." <sup>102</sup> فأحمد أمين(1886م-1954م) حاول أن يوقف مسيرته العلميّة لأتّه كان هو عميد الكليّة في ذلك الوقت، فوضع العراقيل أمامه حتّى لا يناقش رسالته للماجستير، ولكن طه حسين ( 1889م-1973م) ومصطفى عبد الرّازق(1885م-1947م) وقفا إلى جانبه حتّى ناقش رسالته وكان لا ينكر فضلها عليه، وجد في أوروبا الحرّيّة الفكرية والحرّيّة الدّينية وحتّى الحرّيّة الجنسيّة، فأوروبا هي بلد الحداثة والتّثوير لذلك كان يحجّ إليها كلّ عام للاقتباس من ذلك النّور الحضاري الذي تزخر به أوروبا.

وأغلب مدرّسيه في مرحلة اللّيسانس كانوا أجانبا، نهل من علمهم الغزير، وكان له أساتذة آخريّن من مصر مثل الشّيخ مصطفى عبد الرّازق وإبراهيم مذكور ( 1902م-1996م) وطه حسين، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما نصّه: " ولم يكد يدرس لنا من المصريّين غير اثنين هما الشّيخ مصطفى عبد الرّازق، على النّحو الذي فصلناه من قبل، ود إبراهيم مذكور الذي أصبح عضوا في مجلس الشّيوخ في صيف سنة 1937 خلفا لأبيه، وكان يلقي علينا درسا واحدا في الأسبوع في مادّة الأخلاق، وكان قد درّس لنا في العام السّابق مادّة: فلاسفة الإسلام، وكان في دروسه-كما هو الشّأن في محاضراته العامّة وأبحاثه في المؤتمرات- يميل إلى اللّهجة الخطابية، ويتناول العموميّات دون التّفصيل الدّقيقة." <sup>103</sup> كان إبراهيم مذكور من أعلام مصر الذين تتلمذ على يديهم ونهل من علمهم الغزير، كما أنّ المستشرق باول كراوس Kraus paul (1904م-1944م) هو الذي اكتشف موهبته في إتقانه للغات، وذهب عند طه حسين وأخبره بذلك، يقول بدوي: " وغداة تلك اللّيلة ذهب (كراوس) إلى الدكتور طه حسين في مكتبه، مكتب العميد، وأخبره بأنّه التقى بطالب في السّنة الثّالثة من قسم الفلسفة، يتقن الألمانية والفرنسية إتقانا أدهشه كلّ الإدهاش، وفي الحال استدعاني د. طه حسين، وذكر لي ما قاله كراوس عني، فأخبرته أنّي أحسن الإيطالية أيضا، فقال على

<sup>102</sup> نفسه، ص: 112.

<sup>103</sup> نفسه، ص: 114.

الفور: إذن سأرسلك في بعثة صيفية إلى ألمانيا وإيطاليا لتحصيل المزيد في هاتين اللغتين، هذا وعد منّي صريح، فتعال وذكّرني به قبيل امتحان آخر العام لاتخاذ الإجراءات الرسمية.<sup>104</sup> كان طه حسين عند وعده وتمّ بالفعل إرساله في بعثة صيفية علمية إلى كلّ من ألمانيا وإيطاليا، وبالتالي استطاع أن يوسّع مداركه في هاتين اللغتين وأن يكتشف أسرار الحضارة الألمانية والحضارة الإيطالية، وزار عدّة مدن إيطالية وألمانية والتقى بشخصيات علمية مرموقة في كلّ من إيطاليا وألمانيا وتعرّف على هاتين الحضارتين عن قرب وليس الخبر كالمعاينة كما يقال.

كان طه حسين عند وعده حيث أرسله في بعثة صيفية إلى كلّ من ألمانيا وإيطاليا حتّى يوسّع مداركه العلمية في هاتين اللغتين الجميلتين، يقول بدوي: "وكانت البعثات الصيفية مخصّصة للمعيدين والمدرّسين المساعدين، وأنا كنت ولا أزال طالبا في السنة الثالثة، لكنّ قوة إرادة الدكتور طه حسين لم يكن يقف أمامها أيّة شكليات ولا اعتبارات تنظيمية، فكان عند وعده، وتقرّر إرساله في بعثة صيفية لإتقان اللغتين الألمانية والإيطالية في ألمانيا وإيطاليا.<sup>105</sup> وبالفعل استطاع أن يقوّي ملكته في هاتين اللغتين بل صار يقرأ بهما ويحاضر ويناقش، قراءاته المتعدّدة جعلته يبتعد عن الأدب ويتجّه إلى الفلسفة، يقول بدوي: "وبهذه القراءات ذات الروافد المتعدّدة استطعت أن أهتدي إلى طريقي الحقيقي في الحياة العلمية وهو: الفلسفة، فاستقرّ عزمي، إبان عطلة صيف سنة 1933 على التخصّص في الفلسفة.

لقد هان شأن الأدب في نظري، ورأيت أنّه لا يستحقّ أن يكرّس له المرء حياته: إنّما هو مرحلة أولية تزوّد الإنسان بأداة للكتابة هي اللّغة والأسلوب الجيّد، وبحساسة مرهفة لتذوّق ما هو جميل، فحسبي إذن ما حصّلتته منه كيما أملك هذه الحساسة وتلك

<sup>104</sup> نفسه، ص: 69.

<sup>105</sup> نفسه، ص: 69.

الأداة.<sup>106</sup> لأنّ الأدب يمنحنا العاطفة الجياشة أمّا الفلسفة فتمنحنا العقل والمنطق والتفكير السليم، هو فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة بلا منازع في مصر وفي الوطن العربي، يكتب الفلسفة بأسلوب أدبي رفيع ويكتب الأدب بأسلوب فلسفي عميق، له تفكير عميق وتحليل دقيق للأشياء من حوله يخوض في كلّ المسائل ولا يبالي، له جرأة شديدة في اقتحام المواضيع مهما كانت صعبة أو عصية على البحث، إنّه مفكّر وفيلسوف فريد من نوعه ظهر في عصر قلّ فيه المفكّرون والفلاسفة الذين يكسرون التّابوهات وينتزقون إلى المسكوت عنه في المجتمعات التي يعيشون فيها.

إنّ الدكتور شفيق العاصي (توفي سنة 1960م) وهو أستاذه في المرحلة الثّانوية هو الذي سيفتح عيونه على مؤلفات الفلاسفة الألمان، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: " وهذا الأستاذ هو الدكتور شفيق العاصي الذي درس في النّمسّا وحصل على الدكتوراه الأولى في الفلسفة من جامعة فينا حوالي سنة 1930، وكان يفتني مكتبة غنية بأهمّات المؤلّفات في الفلسفة، وخصوصا مؤلّفات الفلاسفة الألمان، وهو كان يتقن اللّغة الألمانيّة بحكم دراسته في فينا، وسيكون له عليّ فضل عظيم في تزويدي بالمراجع الألمانيّة لما أن نشبت الحرب العالميّة الثّانية وانقطع السّبيل بيننا وبين ألمانيا." <sup>107</sup> لأنّ ألمانيا عانت من ويلات هذه الحرب التي أكلت الأخضر واليابس ولكنها بقيت محافظة على أدبها وفكرها.

في سيرته الدّاتية عرض علينا فلسفته في التّرجمة خاصّة في الوطن العربي، يقول بدوي موضّحا هذه الفلسفة ما يلي: " إنّ بعض الذين أتقنوا العربيّة ولغة أجنبيّة عزّ عليهم أن يعدّوا مترجمين، فلم يترجموا، وحاولوا أن يكونوا (مؤلّفين) فأخفقوا. وهكذا مضوا عن هذا العالم دون أن يتركوا شيئا ينفع النّاس ويحقّق لهم المجد. لكن لنكن وجوديين ولنقل: لو كانوا يستطيعون أن يفعلوا شيئا لفعلوه، وإلاّ فماذا منعهم من أن يفعلوه؟! .

<sup>106</sup> نفسه، ص: 46.

<sup>107</sup> نفسه، ص: 45.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلت في هذا المضمار في السنوات الخمسين الأخيرة، فإنّ ما تحقّق لا يساوي واحداً على الألف ممّا ينبغي أن يكون قد تحقّق.

ولا علاج لهذه الحال إلاّ بضرورة إتقان لبعض اللّغات الأجنبية، ذات الإنتاج الرّفيع، فهذا الأمر لا مفرّ منه لكلّ عربي يريد أن يكون ذا شأن في هذا العالم.<sup>108</sup> لأنّ التّرجمة هي النّافذة التي تجعلنا نطلّ على العالم برمّته، ونكتشف الأمم والحضارات الأخرى ونكتسب ثقافات أخرى، إنّ التّرجمة هي المفتاح الذي نفتح به باب الحضارة الإنسانية العظمى.

يرى بأنّ تعلّم اللّغات الأجنبية يساهم في تعزيز اللّغة القومية ويساهم في بناء صرح الهوية العربية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "الأمر إذن على عكس ما زعموا. بل دلّت التجربة على أن تعلّم لغة أجنبية حديثة إلى جانب اللّغة العربية في المرحلة الابتدائية وما يتلوها هو ممّا يقوّي ويسند تعلّم اللّغة القومية. إنّ اللّغات كالبنيان يشدّ بعضها بعضاً، لأنّ الأنماط اللّغوية والتّحوية متناظرة بين اللّغات المختلفة.

وماذا كانت نتيجة عدم تعليم لغة أجنبية في المرحلة الابتدائية؟

كانت النّتيجة ضياع اللّغة القومية، وإغلاق الباب أمام التعلّم الجيّد للغة أجنبية، ها نحن أولاء، نرى الطلاب في الجامعات اليوم لا يستطيعون الرّجوع إلى مصادر مكتوبة بلغة أجنبية، ممّا أفقر التّعليم الجامعي كلّ الإفكار.<sup>109</sup> لذلك يجب على طلاب الجامعة أن يتقنوا أكثر من لغة أجنبية، وبالتالي يستطيعون الاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى.

وجّه سهام النّقد إلى المناهج التّربوية في مصر التي صارت لا تواكب روح الحضارة الرّاهنة التي ساهمت الحدّثة في بلورة ركائزها الأساسية، يقول بدوي موضّحاً هذه الفكرة ما نصّه: "والمسئولية عن هذا الانحطاط المدّمّر الذي أودى بالتعليم في مصر تقع كلّها على

<sup>108</sup> نفسه، ص: 36.

<sup>109</sup> نفسه، ص: 27.

(فرسان التربية) (البيداجوجيا) الذين خربوا-بمناهجهم التربوية (العلمية) المزعومة-التكوين اللغوي والفكري للتلميذ المصري. إن الكارثة التي جلبها هؤلاء (البيداجوجيون) على التعليم في مصر أفظع من كل كارثة أخرى أصابت البلاد، لأنها دمّرت خير ما فيها، أعني عقول أبنائها.<sup>110</sup> لأننا عندما نقوم بتطوير المناهج التربوية وإصلاحها إصلاحاً حداثياً، نساهم في بناء مواطن الغدّ الذي يؤمن بروح الحداثة التي جاءتنا من الحضارة الغربية وخاصة الحضارة الأمريكية.

وجّه سهام النقد إلى طريقة التعليم الحديثة، لأنها لا تساهم في صناعة تلميذ نجيب له ملكة في الفهم تسهّل له استنباط الدروس واستحضارها وقت الحاجة، يقول بدوي موضحاً هذه الفكرة ما يلي: "وشتان بين طريقتهم تلك، وبين طريقة المدرّسين في المدارس الابتدائية اليوم! لكنّ الأمور يجب أن تقاس بنتائجها. ولا شكّ في أنّ نتيجة الطريقة القديمة أفضل بألف مرّة من نتيجة الطريقة الحالية: لقد كان التلميذ الحاصل على الشهادة الابتدائية يحصل من العلم و يبلغ من الفهم وحسن التقدير أكثر ممّا عليه نظيره اليوم بمائة مرّة أو يزيد: كان يتقن الكتابة بالعربية، وكان يتقن الحساب، وكان على حظّ غير قليل من العلم باللّغة الإنجليزية.<sup>111</sup> التي تساعده في الانفتاح على الحضارة الغربية وخاصة الحضارة الإنجليزية والحضارة الأمريكية التي تسودها روح الإبداع وروح الحداثة والتّنوير.

يقوم المنهج العلمي عنده على دقّة الملاحظة وقوتها وعلى جوهر الاستنباط والاستقراء وصولاً إلى النتيجة المتحقّقة في البحث العلمي، يقول بدوي شارحاً المنهج العلمي ما نصّه: "وبذا تكوّنت فكرة المنهج بالمعنى الاصطلاحي المستعمل اليوم ابتداءً من ذلك التاريخ. ومعناه إذن: الطّريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من

<sup>110</sup> نفسه، ص: 26.

<sup>111</sup> نفسه، ص: 25.

112 القواعد العامّة تهيمن على سير العقل وتحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة." 112  
تساعد الباحث على الإلمام بموضوع بحثه الذي قدّمه في أحسن حلّة. معتمدا على طرح الإشكال وبلورة الفرضيات وبالتالي يتسنى له الوصول إلى نتائج موضوعية وتبقى هذه النتائج الموضوعية نسبية وقابلة للنقاش الجادّ الذي يساهم في إثراء البحث العلمي قلبا وقالبا.  
يحاول أن يقدّم لنا قراءته الوجودية للعالم، لأنّ الوجود يسبق الماهية، ويحاول كذلك أن يقدّم قراءة صوفية للوجود وللعالم من حوله، يقول بدوي مقدّما قراءته الوجودية الصّوفية للعالم من حوله ما يلي: "إنّ العالم عميق في ألمه ولكنّ سروره أشدّ عمقا من ألمه، كما نادى نيتشه، وقد تجد فيها ما يهيب بها أن تعلق إلى جناب القداسة حيث تحيا حياة الفناء على قمّة النّرفانا، قمّة العدم الأعلى، التي يلوذ بها بوذا في صمته الرّائع، ولكلّ أن يفهمها كما يريد، وأن يستخلص من التّناجج منها ما يشاء، أمّا أنا فأريدها لشيء واحد: هو أن أحيا الوجود روحيا بعمق." 113 وبالتالي يتسنى لي أن أفهم الحياة فهما وجوديا وأفنى فيها فناء صوفيا عرفانيا.

يرى بأنّ الفلسفة تتجدّد كلّما تجددت العلوم في كلّ عصر ومصر، لأنّ الفلسفة هي أمّ العلوم، يقول بدوي موضّحا هذه الفكرة ما يلي: "وفيما يتصل بالفلسفة بخاصّة، يمكن تحديد رابطة التّبعية والتّداخل القائمة بينها وبين العلوم، بأنّ نعدّل في عبارة مشهورة لكنك بحيث تتواءم مع المقصود هنا فنقول: إنّ الفلسفة بدون العلوم خاوية، والعلوم بدون الفلسفة عمياء، ففي كلّ العصور تقريبا، نتج عن نمو العلوم تجدد في الفلسفة، والعكس بالعكس فلا محلّ لنمو العلوم الجزئية دون أن تتصل بالفلسفة اتصالا يتفاوت في كونه مباشرا." 114  
فالفلسفة والعلوم وجهان لعملة واحدة يكمل أحدهما الآخر، فالفلسفة تحاول الإجابة على كلّ

112 عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، ط3، 1977، ص: 05.

113 عبد الرحمن بدوي: شوبنهاور، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان، ص: 19.

114 ج. بنروبي: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مراجعة: محمد ثابت الفندي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1964، ص: 01.

الأسئلة التي تطرحها العلوم، كالطبّ والرياضيات والمنطق والهندسة والفيزياء، وبالتالي يمكننا أن نقول بأنّ الفلسفة هي أمّ العلوم بلا منازع.

إنّ مفهوم المنطق عنده هو عدم وقوع العقل في التناقض عندما يعالج قضية علمية أو فلسفية، وهذا من أجل الوصول إلى الحقيقة العلميّة، يقول بدوي موضّحاً تصوّره لمفهوم المنطق ما يلي: "والمنطق هنا هو البحث في قوانين الفكر وشكوله، ولما كان الفكر عند المثاليين هو كلّ الحقيقة، فإنّ المنطق هو الذي يضع القوانين الأساسية للواقع. والمنطق هنا إذن موضوعي ذاتي معا، صوري مادّي في نفس الآن. فهو لا يبحث في قوانين الفكر الذاتيّ فحسب، بل ويضع أيضا قوانين الواقع الموضوعي." <sup>115</sup> لأنّ المنطق يجعلنا نتحكّم في آليات التفكير ويجعلنا نصل إلى الحقائق العلميّة بكلّ دقة وبكلّ موضوعية، ويجعلنا نساهم في بلورة التفكير العلمي الصحيح.

كان في كلّ إجازة صيفيّة يذهب إلى أوروبا على نفقته الخاصّة وهذا من أجل إنجاز أبحاثه العلميّة في الفلسفة، ويتحدّى خصومه وأعداء نجاحه الذين حرموه من الذهاب في بعثة علميّة إلى أوروبا، يقول بدوي وهو يتحدّى أعداء التّجّاح الذين وقفوا في طريق مسيرته العلميّة ما نصّه: "وتحدّيًا لحرمانني من البعثة في أوروبا، قرّرت أن أمضي كلّ إجازتي في أوروبا وهو ما قمت به فعلا ابتداء من صيف سنة 1946 غداة انتهاء الحرب وفتح الطّريق، وأن أنجز في أوروبا من الأبحاث العلميّة ما عجز عنه كلّ من أوفدوا من قبل قسم الفلسفة. وكذا كان." <sup>116</sup> لم يكن يذهب إلى أوروبا في الإجازة الصيفيّة من أجل النّزهة والتّجّوال، بل كان يذهب من أجل إنجاز بحوثه العلميّة في الفلسفة، كان يزور المتاحف والمكتبات الوطنية الخاصّة والعامّة بحثًا عن المخطوطات النّقيسة والكتب النّادرة، وبالتالي يتسنى له إنجاز بحوثه العلميّة في الفلسفة بكلّ يسر وسهولة.

<sup>115</sup> عبد الرحمن بدوي: المنطق السوري والرياضي، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، ط 4، 1977، ص:

<sup>116</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 117.

يعرض علينا في سيرته الذاتية، الخطّة التي سببها في إنتاجه العلمي الفلسفي الغزير، وهي تقوم أساسا على مذهبه الوجودي الذي قدمه في كتاباته، وقدم للقارئ العربي زبدة الفكر الأوروبي، وساهم بقلمه في دراسة الفلسفة الإسلامية، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: " لكنّي في الوقت نفسه وضعت خطّة للإنتاج العلمي فيما أستقبل من عمري، ورسمت هذه الخطّة على أساس أن تسير في ثلاثة اتجاهات: الأوّل: هو المؤلّفات المبتكرة التي أعبّر فيها عن مذهبي في الفلسفة، والثّاني هو عرض الفكر الأوروبي على القارئ العربي، والثّالث هو الإسهام في دراسة الفلسفة الإسلامية. على أن يتمّ العمل في هذه الاتجاهات الثلاثة إمّا معا، وإمّا على التّعاقب. هكذا الشّأن بالنسبة إلى الفلسفة، وهكذا الشّأن أيضا-ولكن بدرجة أقلّ كثيرا-بالنسبة إلى الأدب بعامة.

والآن، وقد تجاوزت كتبي المائة والعشرين أستطيع أن أقول بكلّ فخر واعتزاز إنني حققت هذه الخطّة تحقيقا كاملا.<sup>117</sup> وبالتالي ساهم في أسلمة الوجودية وعوربتها وتقديمها إلى القارئ العربي في حلّة قشبية.

حاول عند إعداد رسالته للماجستير أن يعالج مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية، لأنّ فكرة الموت مرتبطة بمفهوم العدم عند الفلاسفة الوجوديين كسارتر (Sartre 1905م- 1980م) وهايدجر (Heidegger 1889م-1976م)، يقول بدوي: "وفي الوقت نفسه كنت أعدّ رسالة الماجستير، وعنوانها: (مشكلة الموت في الفلسفة المعاصرة) وهي باللّغة الفرنسية، وتدخل في الاتجاه الأوّل، أي عرض مذهبي في الفلسفة. وثلاثة أرباع الرّسالة يتناول مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية، وبخاصّة عند مارتن هيدجر (Heidegger 1889م- 1976م)، إذ كنت أرى أنّ مشكلة الوجود لا يمكن إيضاحها إلاّ ابتداء من واقعة الموت.<sup>118</sup> لأنّنا لا نستطيع معرفة سرّ الحياة إلاّ من خلال معرفتنا لسرّ الموت وتفكيك

<sup>117</sup> المصدر السابق، ص: 150.

<sup>118</sup> المصدر نفسه، ص: 152-153.

شيفراته، لأنّ الوجود والعدم ضدّان لا يجتمعان أبداً، فالوجود له وسمه في الحياة، والعدم له رسمه على الموت، والفلسفة الوجودية قامت على هذا الأساس.

كان من خلال إعداده لرسالة الماجستير، وهو طالب في الجامعة المصرية، كلية الآداب، قسم الفلسفة، يريد أن يقرأ الموت قراءة وجودية، لأنّ الموت من الوجهة الوجودية هو العدم، أمّا الوجود فهو سابق للماهية، يقول بدوي ملخّصاً فحوى رسالته للماجستير ما يلي: "ولهذا انتهيت في الفصل الأخير منها إلى عرض مخطّط لفلسفة تتخذ نقطة إشعاعها من واقعة الموت، فلسفة يمكن تقسيمها إلى أنطولوجيا الموت-أخلاقيات الموت-إكسبولوجيا (فلسفة المعايير والقيم) الموت، وقد طبعت هذه الرّسالة طبعة أنيقة في المعهد الفرنسي للآثار الشّرقيّة في القاهرة، في سنة 1965، ضمن مطبوعات كلية الآداب بجامعة عين شمس." <sup>119</sup> وبالتالي صار هذا الكتاب في متناول القارئ العربي المهتمّ بالفلسفة الوجودية التي عالجت مشكلة الموت بكلّ دقّة وموضوعية.

ألّف وهو لا يزال طالبا في مرحلة الماجستير كتابا عنوانه: (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية)، فطلب منه عميد الكلية آنذاك الأديب أحمد أمين أن يكون هو المؤلّف الثّاني معه في هذا الكتاب دون بذل أيّ مجهود فكري، وعندما رفض طلب العميد ثارت ثأثرته وعزم على الانتقام منه، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما نصّه: " إذ قلت في نفسي: وما شأن هذا الرّجل بكتاب مؤلّف من دراسات بالألمانية والإيطالية، وفي موضوع بعيد عنه؟! إنّها منه صفاقة ما بعدها صفاقة، ونشرت الكتاب عند ناشري الأوّل: مكتبة النهضة المصرية، ولمّا صدر الكتاب قدّمت إليه نسخة، ولسان حالي يقول له: على الرّغم منك صدر الكتاب! وهذه واقعة سأصادف العديد من أمثالها طوال حياتي في الإنتاج والنّشر." <sup>120</sup> وما أكثر أعداء النّجاح حين تعدّهم! إنهم يحاولون إيقاف مسيرة المفكّر النّاجح

<sup>119</sup> نفسه، ص: 153.

<sup>120</sup> نفسه، ص: 153.

بكلّ الطّرق والوسائل المتاحة لديهم، وما على المفكّر العبقرى النَّاجح إلاّ الصّبر والتّحدّي من أجل الوصول إلى قمّة القمم، وهذا هو السّبيل الوحيد للمفكّر العبقرى النَّاجح الذي يريد أن يتسلّق سلّم المجد من أجل الوصول إلى صرحه العالى.

حاول عميد الكليّة أحمد أمين عندما أراد بدوي أن يناقش رسالة الماجستير أن يوقف مسيرته العلميّة مهما كلفه ذلك من جهد ومن حيل خبيثة، يقول بدوي في سيرته الذاتيّة ساردا علينا حيثيات القضية ما يلي: "فتذرع أحمد أمين، لما أن قدّم إليه تقرير الأستاذ كويريه، بمسألة شكلية تافهة، وهي أنّه لم يتمّ تسجيل موضوع رسالتي في الموعد القانوني، وهو عام قبل المناقشة! يا لسخافة التّفكير، تفاهة الإدراك! فهذا أمر لا قيمة له ما دام قد مضى على حصولي على اللّيسانس عامان، وهو الشّرط الأساسى في مناقشة رسالة الماجستير." <sup>121</sup>، وضع عراقيل كثيرة له حتى لا يتسنى له مناقشة رسالته للماجستير في المدّة القانونيّة التي حدّتها الكليّة.

كان حاقدا عليه، لأنّه كان متفوّقا عليه خاصّة في الفلسفة الألمانيّة وفي الأدب الإيطالي، وأصرّ على رأيه وهو تأجيل موعد المناقشة إلى أجل غير مسمّى، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "فتمسك أحمد أمين بهذه النّقطة الشّكلية التّافهة وهي تسجيل عنوان الرّسالة قبل عام من مناقشتها ووجد فيها ضالته للكيد بي وتحقيق حقه الدّفين، فعرض هذه المسألة على مجلس الكليّة، ولم يكن الدكتور طه حسين حاضرا، وحمل المجلس على أخذ قرار بتأجيل المناقشة عاما! وما أكثر الخشب المسندة في مجالس الكليّات حين لا يتعلّق الأمر بمصالحهم الشخصية." <sup>122</sup> هؤلاء هم أعداء النّجاح الذين حاولوا أن يوقفوا مسيرته العلميّة بأساليب خبيثة، لا ترقى إلى المستوى العلمي الذي وصلوا إليه، كان يكافح من أجل مناقشة رسالته للماجستير في المدّة القانونيّة التي حدّتها الكليّة، سجد إلى جانبه أستاذه طه

<sup>121</sup> نفسه، ص: 154.

<sup>122</sup> نفسه، ص: 154.

حسين الذي سيدافع عنه بكلّ الوسائل والطرق القانونية، لأنّه دائماً يدافع عن الطالب الطّموح ويشجّعه وبأخذ بيده لكي يوصله إلى قمّة القمم ويجعله يتبوأ مكانة مرموقة في مجتمعه الذي يعيش فيه.

حاول أن يجد حلاً لمعضلته هذه، فطلب مساعدة أستاذه الشّيخ مصطفى عبد الرّازق وكان في ذلك الوقت وزيراً للأوقاف، يقول بدوي في هذا الإطار ما نصّه: "فلما علمت بهذا القرار ذهبت إلى الشّيخ مصطفى عبد الرّازق، وكان وزيراً للأوقاف آنذاك وأخبرته بما حدث. فقام الشّيخ مصطفى بالتوسط في الأمر: فكلم أحمد أمين، لكنّ هذا الرّجل الحقود لم يستجب، فكلم الدكتور طه حسين بوصفه عضواً في مجلس الكليّة، فتعهد الدكتور طه بإثارة الموضوع في الجلسة القادمة لمجلس الكليّة، وقال أنّه سيحضر لهذا الغرض وحده."<sup>123</sup> ولكنّ محاولة طه حسين باءت بالفشل لأنّ عميد الكليّة أحمد أمين تمسّك برأيه وقرّر تأجيل هذه المناقشة إلى أجل غير مسمّى.

كان أستاذه المشرف على رسالته للماجستير الأستاذ كويريه يعرف السرّ الذي يقف وراء مناورات أحمد أمين إنّّه الحسد لا غير، يقول بدوي في هذا المجال ما يلي: "وكان كويريه قد غضب غضباً شديداً لهذا التصرّف من العميد، وأخبر د. طه حسين باستيائه الشّديد من هذا الصّنيع الوضيع، الذي لم يصدر عن أيّة مراعاة لمصلحة علميّة وأذكر أنّه قال لي، حين حدّثته في الأمر، قال باسمًا ساخرًا: هذا جزاؤك لأنّك ألّفت كتباً ونشرتّها ! ألا فلتعلم أنّ كلّ كتاب تصدره هو بمثابة خنجر في قلوب الحاسدين والحاقدين، وهذه كلمة حكيمة جدًّا، طالما عرفت صدقها في كلّ مرّة أصدرت فيها كتاباً، في طول حياتي العلميّة، وحرصاً على الاستمرار في الإنتاج، ولسان حاله في كلّ مرّة هو: "موتوا بغیظكم أيّها الحاقدون."<sup>124</sup> لقد ألّف وهو لا يزال طالباً في مرحلة الماجستير ثلاث كتب، ومن خلال

<sup>123</sup> نفسه، ص: 154.

<sup>124</sup> نفسه، ص: 154-155.

إصدار هذه الكتب الثلاث استطاع القارئ العربي أن يكتشف موهبة بدوي الفلسفية واطلاعه الواسع على الفلسفة الوجودية في ألمانيا وفي فرنسا، كان بحرا متلظما من المعارف العلميّة والتاريخيّة والفلسفيّة والأدبيّة، وله معين لا ينضب من الشّعْر الوجودي، استطاع أن يقرض الشّعْر وهو لا يزال في ميعة الشّباب وشرخ الصّبّاء، إنّه نسيج وحده وفريد زمانه.

حاول أن يواجه الصّعاب التي وقفت أمامه بكلّ صبر وأناة، هو يريد أن يتحصّل على شهادة الماجستير ويصبح معيدا في قسم الفلسفة، كليّة الآداب جامعة القاهرة، كان له طموحات كبرى هو يريد الحصول على شهادة الدكتوراه في الفلسفة، ولقد دافع عنه أستاذه طه حسين عندما انعقد المجلس العلمي للكلية، برئاسة العميد أحمد أمين، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "لقد بيّن د. طه لأعضاء المجلس أنّ الذي يدعو إلى عدم الالتفات إلى هذه النقطة الشّكلية التّفاهة هو أنّ الأستاذ كويريه سيغادر مصر في نهاية هذا العام الدّراسي سنة 1940-1941، وهو المشرف على الرّسالة، وهو حريص أن يتولّى مناقشتها لأنّها عملت معه. لكنّ أنّى لمثل هذه الحجّة المبالغة أن تفعل في عقول (إن كان لهم عقول) تلك (الخشب المسنّدة) من أعضاء مجلس الكلية؟! " <sup>125</sup> فأسباب رفض العميد لمناقشة بدوي لرسالة الماجستير تبدو لنا أسبابا واهية لا أساس ولا صدى لها في الواقع، إنّها نزعة الانتقام وتصفية الحسابات الضيقة فقط، لكنّه ما يزال مصرّا على النّجاح والوصول إلى المجد بأيّ ثمن ويتبوأ قمة القمم، يقول بدوي: "وانفضّ المجلس، وخرج دكتور طه حسين مغضبا ساخطا على هذا التّصرف الدّنيء من أحمد أمين، وكنت أنا أمام قاعة (مجلس الكلية) في تلك اللّحظة أنا و د. محمد مندور، فثارت ثائرتي في وجه من توسّمت أنّهم كانوا من المعارضين في إعادة النّظر في الموضوع، وساعدني في ذلك محمد مندور، وعلا الصّيّاح بيننا وبين تلك (الخشب المسنّدة) المتملّقة لأحمد أمين، فخرج أحمد أمين من مكتب العميد

<sup>125</sup> نفسه، ص: 154.

وجرى شجار بيننا عنيف.<sup>126</sup> ، لا يريد الاستسلام هو يريد أن يقاوم العراقيين ويواجه الصعاب بكلّ رباطة جأش، وسينتصر على أعداء نجاحه طال الزمن أو قصر، إنّه طالب طموح يسعى لأن يكون فيلسوفاً وجودياً يساهم في إقامة صرح الوجودية في مصر وفي الوطن العربي، يعتبر موسوعة فلسفية تمشي على قدمين ومكتبة متنقلة.

بالرغم من كلّ العراقيين التي وضعها عميد كلية الآداب أحمد أمين أمامه من أجل ألاّ يناقش بدوي رسالته للماجستير، إلاّ أنّه استطاع أن يناقشها بكلّ جدارة واستحقاق، يقول بدوي: "ثمّ تمّت مناقشة الرسالة في شهر نوفمبر سنة 1941، وحصلت على الماجستير بتقدير ممتاز. وكان أعضاء اللجنة هم: الشيخ مصطفى عبد الرزاق، و د. طه حسن، د. إبراهيم مدكور، ودارت المناقشة بالفرنسية والعربية، وكنت قد أعددت ملخصاً بالعربية هو الذي ألقيته-دون قراءة من ورق- عند بدء المناقشة.

ونشرت جريدة (الأهرام) خبراً مفصلاً عن المناقشة في اليوم التالي.

ولهذا السبب جاءتني رسائل عديدة من قرّاء كلّهم في سنّ كبيرة، إذ صارت مشكلة (الموت) تشغلهم كلّ الشغل، وفيها يسألونني: هل وجدت حلاً لهذه المشكلة؟! "127، نعم لقد وجد حلاً لمشكلة الموت، يتمثل في تقديم قراءة وجودية للموت والمعادل الموضوعي للموت في الفلسفة الوجودية هو العدم وهو الذي يسبق الوجود ويأتي بعده، فقبل الوجود هناك العدم، وبعد الوجود هناك أيضاً العدم، والإنسان يأتي من العدم إلى الوجود لكي يحقق ماهيته ثمّ يضمحلّ بعد ذلك ويتلاشى مع ضباب العدم.

قبل مناقشته لرسالته للماجستير تمّ تعيينه معيداً في قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، وهذا باقتراح من أستاذه أندريه لالاند Lalande André (1867م-1964م)، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وعاد الأستاذ لالاند في أوّل أكتوبر، فبادر في الحال باقتراح

<sup>126</sup> نفسه، ص: 154.

<sup>127</sup> نفسه، ص: 155.

15 تعييني معيدا، ووقع الدكتور طه بالموافقة فورا، وتمّ تعييني معيدا لقسم الفلسفة في أكتوبر سنة 1938.<sup>128</sup>، بعد حصوله على شهادة الليسانس في الفلسفة وشروعه في تحضير رسالته للماجستير في الفلسفة، تمّ تعيينه معيدا في قسم الفلسفة، وبالتالي ولج عالم التدريس في الجامعة مع عمالقة الأدب والفلسفة كالشيخ مصطفى عبد الرزاق والدكتور طه حسين والدكتور إبراهيم مدكور والدكتور أحمد أمين والفيلسوف أندريه لالاند.

قام بعمله المتمثل في تعيينه معيدا في قسم الفلسفة، وقام بالتدريس في كلية الآداب بالجامعة المصرية، جامعة القاهرة الآن، يقول بدوي: "وفي السنة الثانية لتعييني معيدا، أي في العام الجامعي 1939/1940، قمت بتدريس ثلاث مواد هي: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس حتى أفلاطون (بما في ذلك أفلاطون) -مصطلحات فلسفية-نصوص فلسفية بالغة الفرنسية. وهي المواد الفلسفية التي كان يدرسها طلبة قسم الفلسفة في السنة الأولى، إذ صار تخصّص الطلاب في أقسامهم يتمّ ابتداء من دخولهم الكلية مباشرة، لا بعد سنة عامّة مشتركة كما كانت عليه الحال من قبل".<sup>129</sup>، فظروف التعليم تغيّرت وطرق التدريس اختلفت وحاولت أن تواكب ظروف تطوّر العصر، ولقد أدّى واجبه البيداغوجي أحسن أداء.

ينتقد في سيرته الذاتية واقع البعثات العلمية الأولى التي أرسلتها كلية الآداب إلى فرنسا، يقول بدوي موضّحا هذه الفكرة ما يلي: "وهكذا كانت البعثات الأولى التي أرسلتها كلية الآداب إلى فرنسا مخفقة كلّ الإخفاق. ما السبب في ذلك؟ ليست اللّغة الفرنسية هي السبب، فقد كان المتخرّجون في قسم الفلسفة يتلقون معظم دروسهم بالفرنسية، وبعضهم -مثل نجيب بلدي ويوسف مراد- تعدّ الفرنسية هي لغته الأولى.

إنّما كان السبب هو قلة الذكاء المقرونة بالكسل وعدم الرّغبة في العلم والتّحصيل، وتقع مسؤولية إيفادهم على عاتق من لم يحسنوا اختيار الموفدين في البعثات، ومع الأسف البالغ

<sup>128</sup> نفسه، ص: 117.

<sup>129</sup> نفسه، ص: 155.

إنّ سوء الاختيار سيكون هو الطّابع العامّ لكلّ من سيوفدون بعد ذلك في بعثات إلى الخارج على الأقلّ في قسم الفلسفة بخاصّة، وكلّيّة الآداب بعامة، وحتىّ الذين يتحصلون على الدكتوراه لن يجدوا ناشرا ينشر لهم رسائلهم، لأنّ هذه الرّسائل قليلة القيمة.<sup>130</sup> ولا فائدة ترجي منها لأنّها لم تأت بالجديد الذي ترومه السّاحة الفكرية والأدبية، تبقى هذه الرّسائل العلميّة مجرد بحوث عادية لم يبذل فيها الطّالب أيّ جهد فكري معتبر، بل هي مجرد نقولات وحواشي وتعليقات فقط يغلب عليها التّجريد والبساطة والوضوح.

حاول في سيرته الذاتية أن يرسم ملامح جوّ التّدريس في قسم الفلسفة التّابع لكلّيّة الآداب بجامعة القاهرة، وهو جوّ يبعث على الحزن والأسى، إنّه جوّ مشحون بالوشايات والمؤامرات، يقول بدوي: "وبدلا من أن يلوموا أنفسهم على ما فرّطوا في جنب العلم، كانوا موغري الصّدور على الآخرين ممّن بقوا في مصر واجتهدوا في تحصيل الدّرجات العلميّة العالية. لهذا كان جوّ القائمين بالتّدريس في كلّيّة الآداب جوّا مسموما خانقا تكثر فيه الحزازات والوشايات والمهاترات والمؤامرات، لهذا رأيت أنّ الأمثل هو أن أسلك طريقي غير عابئ بأحد، متّخذا من التّرفّع بل والازدراء جهاز دفاع فعّالا في هذا المحيط الوبيل، وجعلت قاعدة سلوكي في الحياة هي: امتلئ (ثقة بنفسك، وازدراء) للحاقدين."<sup>131</sup> وهذا هو أفضل سلاح لمواجهة الحاقدين الذين لا يتقنون سوى حيك المؤامرات من أجل تسميم جوّ التّدريس في قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

كان جوّ هيئة التّدريس في كلية الآداب، قسم الفلسفة، جامعة القاهرة، فاسدا للغاية، لا يبعث على الارتياح، يقول بدوي: "لقد كان الجوّ في كلّيّة الآداب بين أعضاء هيئة التّدريس فاسدا للغاية، وخير وصف له هو عبارة طه حسين: (لا يعملون، يؤذيه أن يعمل الناس)، لم يكن سلاحهم في التّنافس العلم والإنتاج العلمي، بل الدّسّ والوقيعّة والوشاية، والتّزلف إلى

<sup>130</sup> نفسه، ص: 156.

<sup>131</sup> نفسه، ص: 156-157.

ذوي التفوذ داخل الجامعة وخارجها، فتحوّلت هيئة التدريس إلى عشّ للأفاعي، ينهش بعضها بعضا، ويؤرّث الخصومة بينهم عمداً لم يصلوا إلى هذا المنصب بالعلم أو الكفاية الإدارية الجامعية، بل بالصلّات مع من في الحكم (مثل أحمد أمين) أو العلاقات الحزبية الدنيئة (حسن إبراهيم حسن)، أو الدّجل الدّيني والسياسي (عبد الوهّاب عزّام)، أو الدّسائس الخسيسة (زكي محمد حسن).<sup>132</sup>، إنّه جوّ موبوء مليء بالمؤامرات والضّرب تحت الحزام، وهو جوّ لا يساعد على أداء رسالة الأستاذ النّزيه إلاّ شدّ الرّحال إلى مكان آمن يجد فيه راحتة النّفسية وبالتالي يستطيع أداء واجبه البيداغوجي لطلّابه بكلّ إتقان وإخلاص.

ولللخلاص من هذا المحيط الموبوء، قرّر الذّهاب للتدريس في بيروت، لعلّه يجد ضالّته المنشودة هناك، يقول بدوي في سيرته الذاتية ما يلي: "كيف الخلاص من هذا المحيط المليء بالشّرور والأشرار؟ لم يكن أمامي إلاّ الابتعاد عنه، متى تهيّأت الفرصة لذلك، وتهيّأت الفرصة للمرّة الأولى في نوفمبر سنة 1947 لما أن جاءتني دعوة من المدرسة العليا للآداب في بيروت لتدريس الفلسفة الإسلامية فيها."<sup>133</sup> هو أستاذ ضليع في الفلسفة الإسلامية مطّلع على فلسفة الكندي (185هـ-256هـ) والغزالي (450هـ-505هـ) وابن سينا (370هـ-427هـ) وابن رشد (520هـ-595هـ)، وغيرهم من فلاسفة الإسلام الذين ساهموا في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، وكان مطّلعاً على التّراث الصّوفي العربي الإسلامي، وألقى عدّة محاضرات هناك عندما كان في بيروت، يقول بدوي: "وألقيت في ذلك الاحتفال بالمولد النّبوي محاضرة في (الجانب الصّوفي في حياة النّبي صلّى الله عليه وسلّم)، وحضر المحاضرة أعيان الطّائفة الإسلامية في بيروت، ومنهم رئيس الوزراء رياض الصّلاح

<sup>132</sup> نفسه، ص: 157.

<sup>133</sup> نفسه، ص: 157-158.

وابن عمّه سامي الصلح وصائب سلام وجميل بيهم إلخ إلخ.<sup>134</sup>، حاول في هذه المحاضرة أن يقرأ شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة صوفية وجودية.

كان لويس ماسينيون Louis Massignon (1883م-1962م) مولعا بالتراث الصوفي الإسلامي، وجعل من الحلاج الصوفي (244هـ-309هـ) الباب الذي يلج من خلاله إلى قلعة التراث الصوفي الإسلامي، التقى به في لبنان، يقول بدوي: "وكان ماسينيون يحضر إلى لبنان في كل عام بعد حضوره جلسات مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة، وفي بيروت كان يقيم في العادة ضيفا على الأستاذ بونور في منزله الواسع الذي كان يقع في شارع عبد النور في حي المصيطبة، وكان ماسينيون يلقي محاضرة في كل عام في المدرسة العليا للآداب."<sup>135</sup>، وكانت أغلب محاضراته تنصبّ حول موضوع واحد وهو التّصوّف الإسلامي، وكان ماسينيون يقدّم قراءته الاستشراقية للتصوف الإسلامي خاصة تلك الشّطحات الصّوفية الغربية التي اشتهر بها الحلاج شهيد التّصوّف العرفاني، فالحلاج قتلته شطحاته الصّوفية العجيبة التي لم يطقها الفقهاء.

كان مولعا بالبحث عن المخطوطات النادرة، وهذا من أجل تحقيقها وتقديمها إلى القارئ العربي في حلّة قشبية، يقول بدوي: "وفي أثناء إقامتي في لبنان كنت أتحين فرص العطلات المدرسية كي أسافر إلى دمشق، خصوصا في عطلة الربيع، حتّى أطلع على مخطوطات المكتبة الظاهرية من ناحية، وأنعم بجمال الأزهار في وادي بردى وفي الغوطة. فكنت أمضي فترة الصّباح في المكتبة الظاهرية، وفترة بعد الظّهر حتّى الغروب في منارة دمشق: شاذروان، عين الفيحة، الغوطة، داريا، إلخ. وأمضي المساء في مقهى (سقراط) مع

<sup>134</sup> نفسه، ص: 159.

<sup>135</sup> نفسه، ص: 162.

بعض أهل الأدب، أحيانا حتى منتصف الليل.<sup>136</sup> وهذا من أجل مناقشة أهمّ المسائل الفكرية والأدبية المستجدة التي تسيل كثيرا من الحبر في الجرائد والمجلات وتشغل الرأي العام.

حاول في رسالته للدكتوراه عرض مذهبه الوجودي على القارئ العربي، وهو مذهب يقوم أساسا على تفسير الوجود من خلال فهمنا لفكرة الزّمان، يقول بدوي: "كان موضوع الرسالة هو (الزّمان الوجودي). وفيها عرضت مذهبي الوجودي، القائم على أساس تفسير الوجود بواسطة فكرة الزّمان، وما يترتب على ذلك من إقامة مذهب فلسفي كامل. في علم الوجود، وفي المنطق، وفي الأخلاق."<sup>137</sup> وهو مذهب يدعو إلى إقامة صرح الوجودية في مصر وفي الوطن العربي، أمّا مناقشته لرسالته للدكتوراه فأحدثت صخبا كبيرا في الجامعة، يقول بدوي: "وبعد مناقشة استغرقت قرابة خمس ساعات قرّرت اللّجنة منحي درجة الدكتوراه في الآداب بتقدير جيّد جدا. ولما أعلنت النتيجة حملني بعض الطّلاب على الأكتاف وداروا بي في ردهات الكلية وهم في غاية الحماسة لي، فكانت مظاهرة علمية رائعة."<sup>138</sup> شهدت ميلاد فيلسوف عربي وجودي النّزعة، ساهم بقلمه في إقامة صرح الوجودية في مصر وفي الوطن العربي، ويعتبر من أهمّ المؤرّخين الذين ساهموا في تدوين تاريخ الفلسفة بقضّها وقضضها، وهو أوّل من قدّم الوجودية الغربيّة في حلّتها العربيّة الإسلاميّة إلى القارئ العربي.

اهتمّت الصّحف في ذلك الوقت بظروف مناقشته لرسالته للدكتوراه، وشهدت مناقشة هذه الرّسالة ميلاد فيلسوف مصري وجودي، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما نصّه: "ونشرت جريدة (الأهرام) في اليوم التّالي ( 30مايو سنة 1944) نبأ المناقشة وأوردت بالنّصّ بعض ما قاله د. طه حسين أثناء المناقشة، وهو: (لأوّل مرّة نشاهد فيلسوفا مصريا)، وكان الدكتور طه قد أفاض في تقرّظي وإظهار الأهميّة الكبيرة لهذه الرّسالة كما أنّ باول كراوس قال إنّ

<sup>136</sup> نفسه، ص: 174-175.

<sup>137</sup> نفسه، ص: 178.

<sup>138</sup> نفسه، ص: 178-179.

الرسالة تجتاز القرون لتلحق بكبار الفلاسفة والمتكلمين في القرن الثالث و الرابع والخامس والسادس للهجرة.<sup>139</sup> لقد شهد القرن الماضي ميلاد فيلسوف مصري عربي، له نزعة صوفية حالمة، هو أديب وجودي وشاعر وجودي وفيلسوف وجودي يعتبر أيقونة الوجودية في مصر وفي الوطن العربي.

ولج عالم السياسة عندما ولج أعتاب الجامعة التي جعلته يكتشف عالم السياسة المليء بالإحزن والدسائس والمناورات، يقول بدوي في هذا الموضوع ما يلي: "كان اهتمامي بالسياسة نظرياً عند دخولي الجامعة في أول الأمر، ثم أخذ يتحوّل إلى نشاط عملي ابتداء من السنة الثانية (1935-1936): والنشاط السياسي في الجامعة يبدأ في كلّ عام في 13 نوفمبر بمناسبة ذكرى زهاب ثلاثة من الزعماء المصريين هم: عبد العزيز فهمي، وسعد زغلول، وعلي شعراوي إلى دار الحماية البريطانية للمطالبة برفع الحماية البريطانية عن مصر ومنحها الاستقلال التام."<sup>140</sup> وهذا الاستقلال ساهمت في تحقيقه النخبة المتنوّرة في ذلك العصر، وهي التي رفعت مشعل الحرية في سماء مصر، كان في شبابه يكره السياسة وأهلها، يقول بدوي: "لقد كنت مشبوب الحماسة، متوقّد الوطنية، لا أحبّ (السياسة) بالتواءاتها ومنحنياتها ودروبها المظلمة غير المباشرة، ولهذا فإنّه حينما استيقظ الوعي السياسي عندي وأنا في الخامسة عشر، لم أر في الأحزاب القائمة ما يحقق بغيتي ويتجاوب مع مطامحي."<sup>141</sup> إنّ عالم السياسة هو عالم موبوء مليء بالمهاترات وبالضربات تحت الحزام، إنّ طريق محفوف بالأشواك، من دخل عالم السياسة احترق بنارها، إنّ عالم لا يرحم، لقد سئم من جوّ السياسة العفن وآثر أن يخوض غمارها على حذر شديد منها حتّى لا يحترق بنارها، فالعبرة بالنهاية وليس بالبداية، فمن أشرقت بدايته السياسية أشرقت نهايته السياسية.

<sup>139</sup> نفسه، ص: 179.

<sup>140</sup> نفسه، ص: 118.

<sup>141</sup> نفسه، ص: 49.

يرى بأنّ نظام الحكم البرلماني هو أحسن نظام، لأنّه هو الذي يحقّق الديمقراطيّة وبيلوّر ركائزها في المجتمع الذي يتطلّع إلى الحرّية وإلى المساواة وإلى العدالة الاجتماعيّة، وفي سيرته الذاتيّة يقدّم لنا تصوّره للحكم البرلماني عندما يقول: "ومعنى هذا أنّه لا بدّ من موافقة رئيس مجلس الوزراء على كلّ ما يصدره رئيس الجمهوريّة من مراسيم وقوانين وقرارات إلخ. وهكذا أصبح رئيس مجلس الوزراء هو من النّاحية القانونيّة، الرّئيس الحقيقيّ الفعليّ للسلطة التّفيذيّة على الأقلّ في ميدان العمل السياسيّ".<sup>142</sup>، الذي يقوم على أساس العدل والمساواة واحترام القانون واحترام حرّية الرّأي والتّعبير.

يعتقد بأنّه يجب على السّلطة التّفيذيّة أن تطبّق القانون الذي أقرّه المشرّع، وهذا من أجل تحقيق دولة القانون وتعزيز حقوق المواطن في المجتمع الذي يتوق إلى الحرّية وإلى العدل وإلى المساواة، يقول معرّفًا القانون ما يلي: "إنّ القانون هو مجرد صيغة شكلية، ولاعبرة بالشّكل، بل العبارة دائمًا بالمضمون. فإن اتفق المضمون على حقوق الإنسان الأساسيّة كان سليماً واعتبرت قانونيّة، أمّا إن خالف في مضمونه حقوق الإنسان الأساسيّة فإنّه قانون ظالم باطل لا يعتبر بقانونيّة".<sup>143</sup>، فالقانون جاء لكي يكرّس حقوق الإنسان ويفعلها في المجتمع، وبعد نجاح ثورة الضّباط الأحرار في مصر في 23 يوليو (جوليّة) سنة 1952، دعا إلى إقرار دستور حدّثي يضمن كلّ الحرّيات الأساسيّة للمواطن المصري الذي عانى كثيراً من ويلات الحكم الملكيّ الجائر الذي أقرّ العبوديّة والاقطاع، يقول بدوي موضّحاً هذه الفكرة ما يلي: "أمّا أنا فكنت واعياً دائماً إلى الأخذ بأقصى درجات الحرّية: في الرّأي، والبحث العلميّ، والنّشر، والاجتماع، والملكيّة، والتّجارة والزّراعة والصّناعة، والعقيدة الدّينيّة والفكريّة".<sup>144</sup> لأنّ الحرّية هي التي تساهم في رقيّ المجتمع في جميع مجالات الحياة، وتساهم في نشر الحداثة والتّطوير في أوساط النّخبة المثقّفة التي تناضل من أجل

<sup>142</sup> نفسه، ص: 348.

<sup>143</sup> نفسه، ص: 346.

<sup>144</sup> نفسه، ص: 336.

حقوق الإنسان ومن أجل حقوق المواطنة، وبالتالي يصبح المجتمع منفتحاً على جميع الأطياف الفكرية والسياسية المتعددة.

إنّ مهمّة الدولة تكمن كما يرى في حماية المواطن من الأضرار المادية والمعنوية، وتكفل الحرية التامة للمواطن، يقول بدوي: "إنّ الدولة وسيلة، والشخص المفرد هو الغاية. ولهذا ينبغي أن تكون مهمّة الدولة هي خدمة المحكومين، لا الحاكمين. ولهذا كان الشعار الأمثل هو: شخص حرّ في أمة حرّة، فهو شخص، وليس مجرد رقم في مجموع أو ذرّة رمل في كتيّب، بل ولا خلية في جسم عضوي.

وهو حرّ في الفعل والقول والملك طالما لم تتعارض حرّيته مع حرية الآخرين في أمة، أي في مجتمع إنساني تجمعه خصائص مشتركة مكاناً وزماناً وتاريخاً في أمة حرّة أي لا يسيطر على إرادتها حاكم في الدّاخل، ولا أمة أخرى في الخارج." <sup>145</sup> لأنّ الحرية هي حقّ طبيعي لجميع شعوب المعمورة قاطبة، ولكنّ الحاكم المستبدّ قد يقيد حريات الأفراد من أجل البقاء في سدة الحكم، يقول بدوي: "والحقّ أنّ الإنسان في محرّجة لا سبيل له إلى التخلّص منها: فهو لا بدّ له من حاكم، حتّى يضمن الأمن والحرية، والحاكم لا بدّ له من الاستبداد، حتّى يضمن بقاءه في الحكم.

ولهذا فإنّ النّظام الأمثل للحكم هو الأقدر على الحدّ من سلطة الحاكم." <sup>146</sup>، وهو نظام يجب أن يقوم على أساس العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع السياسي الواحد.

يتصوّر بأنّ النّظام البرلماني هو أفضل من النّظام الرئاسي، لأنه لا يكرّس الدكتاتورية في نظام الحكم، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ومن هذا يتبيّن أنّ النّظام البرلماني في الحكم أقلّ ضرراً من النّظام الرئاسي، لأنّ الأوّل لا يساعد على قيام الدكتاتورية، بينما الثّاني من السهل أن يجنح إلى الدكتاتورية، ولا يعصمه منها إلاّ نبالة أخلاق الحاكم، وهذا أمر

<sup>145</sup> نفسه، ص: 350.

<sup>146</sup> نفسه، ص: 350.

نادر جدًّا بين الحكّام، لأنّ السّياسة تقوم أصلاً على المراهنة والخذاع والتآمر، أي على انتقاء العناصر الجوهرية في الأخلاق الفاضلة.<sup>147</sup>، ويجب على السّياسي الذي يريد أن يخوض غمار السّياسة أن يتحلّى بالمبادئ السّامية وبالأخلاق الحسنة ويكون قدوة حسنة للآخرين لا يغيّر مواقفه ولا يبيع ضميره، عليه أن يكون داهية له نظرة ثاقبة في الأشياء ويعالج أموره وأحواله السّياسية بكلّ فطنة وذكاء ويساهم في إصلاح مجتمعه السّياسي الذي يريد النهوض من كبوته.

يرى في سيرته الذاتيّة بأنّ بعض المثقفين هم أبواق للسلطة الحاكمة في مصر، يتملقون الحاكم ولا يقولون كلمة الحقّ التي تزعج أصحاب القرار في مصر، يقول بدوي واصفاً حال بعض المثقفين المتزوّقين في مصر ما يلي: "أما طبقة (المتعلّمين)، أو (المثقفين) أو (الأنتاجنسيا) فخصالها معروفة: ركوب الموجة حين الحركة والاضطراب والتّغيير، والدسّ الخبيث إبّان استقرار الأوضاع، والوصولية السّالكة أخسّ السّبل وأقلّ مجهود، وقاعدتها في السلوك هي التي صاغها شاعر معاصر (هو أحمد الزّين) حين قال:

يَزِنُ العُمَرَ وَعُمُرًا مثله\*\*\* ساعة تنفقها في الملق." <sup>148</sup>، كان يكره هذه التّصرّفات الشّائنة التي تصدر من أشباه بعض المثقفين في مصر، لذلك قرّر الهجرة من مصر هروبا من هذا الجوّ السّياسي الكئيب والمكهرب، يقول بدوي: "وداعا أيّها الوطن المكبّل بالقيود، الحافل بالجواسيس والمخبرين فضاع صوت الأحرار من المواطنين بين جمهور المواطنين المستسلمين. أنت في جوهرك بلد زراعي، ونهوض الزراعة يحتاج إلى الأراضي الواسعة والأموال الوفيرة للإنفاق عليها." <sup>149</sup>، ولذلك قرّر السّفر إلى هولندا للاطلاع على المخطوطات العربيّة النّفيسة، والاستمتاع بجمال الطّبيعة السّاحرة، يقول بدوي في هذا الصّدّد

<sup>147</sup> نفسه، ص: 349.

<sup>148</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج2، ص: 97.

<sup>149</sup> المصدر السابق، ص: 05.

ما يلي:" وكانت هذه الزيارات تجمع بين أمرين: الاطلاع على المخطوطات العربية النفيسة في مكتبة جامعة لايدن Laiden والاستمتاع بجمال الطبيعة وثناء الحياة.

كانت إقامتي في أمستردام، لكنني كنت أستقلّ القطار في الصباح الباكر كل يوم إلى لايدن، أشتغل في قسم المخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة لايدن من التاسعة إلى الثانية عشر، ثم من الثانية إلى الخامسة.<sup>150</sup>، يحاول التتقيب عن الكنوز العلمية الدفينة الكامنة في المخطوطات النادرة والنفيسة، ويقدمها إلى القارئ العربي في حلّة علمية قشبية، لقد بحث عن مخطوطات أرسطو Aristote (384ق.م-322ق.م) وأفلاطون Platon (427ق.م-347ق.م) والفارابي (260هـ-339هـ) ابن سينا والغزالي وابن خلدون (732هـ-808هـ) وابن مسكويه (320هـ-421هـ) فوجدها في جلّ المكتبات التي زارها عبر رحلته العلمية التي قادتته إلى فرنسا وإلى إيطاليا وإلى ألمانيا وإلى الهند وإلى لبنان وإلى ليبيا وإلى إيران، كانت رحلات علمية جادة ومفيدة له وللقارئ العربي.

### المبحث الثاني: عبد الرحمن بدوي الرحالة والمفكر الوجودي

توجّه في أواخر الخمسينات من القرن الماضي إلى سويسرة لكي يعمل كمستشار ثقافي في سفارة مصر هناك، حيث أنّه لم يجد متعته العقلية هناك ولكنه وجد متعته الحسية هناك، وكانت له مغامرات عاطفية مع شقراوات سويسرة الفاتنات الشواب الكواعب الأتراب، يقول بدوي في سيرته الذاتية ملخصاً خلاصة سفره إلى سويسرة ما يلي:" وبالجملة، فقد كانت فترة حياتي هذه في سويسرة حافلة بالمتع الحسية، لكنّها كانت قليلة الحظّ من المتع العقلية."<sup>151</sup>، لأنّه في سويسرة وجد الحبّ الإباحي وشرب من كأسه حتّى الثمالة، والشّيء الوحيد الذي لاحظته على الشعب السّويسري هو أنّه شعب يكره اليهود ويتعامل معهم بحذر شديد، يقول بدوي:" والشعب السّويسري بصفة عامّة في كلّ تاريخه حتّى اليوم يكره اليهود،

<sup>150</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 283 .

<sup>151</sup> المصدر السابق، ص: 283.

ويحذرهم ويعمل على إبعاد تأثيرهم سواء في السياسة وفي الاقتصاد والمال. ولهذا فإنه لا أثر لليهود في سويسرة في السياسة وفي الاقتصاد والمال.<sup>152</sup> فاللّوبي اليهودي الصّهيووني لا يسيطر على السياسة ولا على الاقتصاد في سويسرة، وبصمات السّويسريين في ميادين الأدب والفكر والفنّ تكاد تكون منعدمة، يقول بدوي: "وفي ميادين الأدب والفكر والفنّ لا يشارك السّويسريون بنصيب بارز، فضلا عن أنّ إنتاجهم الأدبي يحيا في ظلّ الآداب التي تنتجها الدّول الكبرى الثّلاث المحيطة بها والتي تشاركها في اللّغات: الأدب الألماني، الأدب الفرنسي، الأدب الإيطالي، حتّى إنّ النّاس تعوّدوا على أن يدرجوا الأدباء السّويسريين ضمن تاريخ هذه الآداب."<sup>153</sup> فالأدب السّويسري هو أدب هجين نجد فيه الأدب الألماني والأدب الفرنسي والأدب الإيطالي، يعبرّ فيه الأدباء عن الحسّ المشترك الذي يجمعهم مع الشّعب الألماني والشّعب الفرنسي والشّعب الإيطالي، وبالتالي هم يعبرّون أيضا عن ثقافة البحر الأبيض المتوسّط، وهي ثقافة مفتوحة على الآخر، وتساهم في الحوار الفعّال مع الحضارات الأخرى التي تخالفها في الرّأي، فسويسرة هي بلد الفنّ الطّبيعي الخالد الذي ينحته الزّمن في تضاريسها، وهي بلد الحرية الفكرية التي تساهم في إذكاء جذوة الحداثة والتنوير، وهي بلد الدّيمقراطية والحرّية السّياسية التي يكلفها الدّستور لذلك أنت تستطيع أن تعبرّ عن موقفك السّياسي بكلّ حرّية، فلا مصادرة للحرّيات هناك.

يرى بأنّ سويسرة هي بلد علماني، والحرّية الدّينية مكفولة للشّعب السّويسري، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "والشّعب السّويسري معتدل في الدّين، سواء أكان المرء كاثوليكيّا أو بروتستنتيّا. ولهذا لم يكن لرجال الدّين دور في الحياة السّياسية، خصوصا في القرنين الأخيرين. ومنعا لاستفحال تأثير رجال الدّين، نصّ الدّستور السّويسري في سنة 1848 وسنة 1874 على منع اليسوعيين والطّرق الدّينية من الإقامة في سويسرة أو فتح مدارس خاصّة بها، ومنع إقامة أديرة مكان ما يندثر منها، منع إنشاء أديرة جديدة، لهذا نجت

<sup>152</sup>المصدر نفسه، ص: 266.

<sup>153</sup> نفسه، ص: 266-267.

سويسرة في المائة عام الأخيرة من الأضرار الحتمية الناجمة عن نفوذ رجال الدين في السياسة وفي الحياة العامّة. والمتردّدون على الكنائس في سويسرة قليلون، بل نادرون فيما يتعلّق بالكنائس البروتستنتية." <sup>154</sup> كان من أنصار الدولة العلمانية أي فصل الدين عن الدولة، لأنّه يساهم في عرقلة تطوّر المجتمع العربي الإسلامي، أمّا سويسرة فهي بلد جدّ متطوّر في الصنّاعة وفي الزّراعة، وإنتاجها القومي يحتلّ المركز الثاني في أوروبا، يقول بدوي: " فعلى الرّغم من قلّة مواردها الطّبيعية، فإنّها متقدّمة جدّا في الصنّاعة وفي الصنّاعات الزّراعية. وإنتاجها القومي بحسب السكّان يجعلها تحتلّ المركز الثاني في أوروبا، بعد السويد، والازدهار الاقتصادي يقوم أساسا على: الصنّاعات، والبنوك، والتأمينات." <sup>155</sup> فسويسرة هي بلد صناعي وله مكانته الاقتصادية بين الدول الأوروبية قاطبة، وكلّ رجال الأعمال في العالم يودعون أموالهم وأرصدهم المالية في بنوكها، كما أنّ مدينة جنيف السّويسرية هي مدينة متسامحة ومنفتحة على الآخر، إنها بلد الحريّات والديمقراطية، يقول بدوي: " وليس بصحيح ما يشاع عامّة من أنّ جنيف من حيث الأخلاق الاجتماعية تتسم بالتشدّد الذي أضفاه عليها كلفان، ولم أشهد على أهلها أيّ أثر للتصلّب الديني الأخلاقي السّاري في مذهب كلفان. بل أهلها أكثر سراوة وتساهلا في أمور الأخلاق الاجتماعية من سائر مدن سويسرة." <sup>156</sup> فجنيف مدينة متسامحة مع الآخر وتقبل كلّ الأديان والأطياف الاجتماعية، وتساهم في تصدير حرّية الرّأي وحرّية التّفكير إلى جميع الأمم والمجتمعات المتاخمة لها، كما أنّها تدعو إلى احترام حقوق الإنسان مهما كان لونه أو دينه أو وطنه، صارت سويسرة موئلا للمظلومين وموطنا للمضطهدين من قبل حكّامهم المستبّدين.

انبهر بالحضارة الألمانية عندما زار ألمانيا لأول مرّة في حياته وهام جدا بالطبيعة الألمانية السّاخرة الخلّابة، واتصل اتصالا وثيقا بالثقافة الألمانية، يقول بدوي: " فقد اتصلت

<sup>154</sup> نفسه، ص: 265.

<sup>155</sup> نفسه، ص: 262.

<sup>156</sup> نفسه، ص: 232.

بالثقافة الألمانية، والطبيعة الألمانية، والروح الألمانية، والسياسة الألمانية اتصالاً حياً عميقاً ندياً جعلني أنفذ إلى الحضارة الألمانية من الباطن، وأتعاطف معها عن إدراك واع وتفاعل مع تياراتها على طول تاريخها. وعانيت أول تجربة حيّة للحضارة الأوروبية، بعد أن كنت لا أعرف عنها إلا ما علمتته الكتب أو ما تلقّيته من العلم لدى الأساتذة الأوروبيين.<sup>157</sup> الذين عرّفوه على فلسفة نيتشه Nietzsche (1844م-1900م) وعلى فلسفة كنت Kant (1724م-1804م) على فلسفة هيدجر الوجودية وجعلوه يكتشف الأدب الألماني المتمثل في روائع غوته Goethe (1749م-1832م) وروائع رلكه Rilke (1875م-1926م)، وجمال الطبيعة الألمانية في مدينة منشن (ميونخ) قوّى فيه النزعة الرومنطيقية، يقول بدوي: "وشاهدت الغابات الكثيفة الواسعة، والجبال الشاهقة فامتألت إعجاباً بالطبيعة وصرت أتمنى أن أقضي العمر بين الغابات والجبال. وقويت نزعتي الرومنطيقية التي فطرت عليها، وصار للشعراء الرومنطيك الألمان: نوفالس، هيلدرن واشليجل وتيك وبزمتانو مكان الصدارة في تقدير الشعر بعامة، والألماني على وجه التخصيص."<sup>158</sup>، لأنّ الشعر الألماني ساهم في تقوية النزعة الرومانسية في وجدانه وصار يتذوّق الموسيقى الألمانية بكلّ أريحية وهام وجداً بها، يقول بدوي: "أصبحت مولعاً بالموسيقى الألمانية، وموسيقى رتشرد فجنر بخاصة، وبالموسيقى الألمانية انفتح أمامي عالم ساحر، صار هو ملاذي حين تسوّد الدنيا في عيني، أو يستبدّ بي الضيق واليأس، إنّي أعدّ الموسيقى أعظم إنتاج انفردت به الروح الأوروبية."<sup>159</sup> إنّها موسيقى عالمية حاملة تجعل الروح تسمو إلى عالم المثال، وتجعل الإنسان يشعر بالسعادة وهو يستمع إلى ألحان هذه الموسيقى العذبة، ويحلّق بعيداً في أجواء السعادة المخملية، ويسبح في بحار الأحلام الوردية، هذه الموسيقى تجعل شلال العواطف يتدفّق عبر أنغام هذه

<sup>157</sup> نفسه، ص: 94.

<sup>158</sup> نفسه، ص: 94.

<sup>159</sup> نفسه، ص: 94.

الموسيقى السّابية للعقول وللوجدان وللضّمائر، إنّ الموسيقى هي أجمل لغة عرفها الإنسان عبر الوجود الأيل إلى الأفول.

لقد ساهمت مدينة (منشن) ميونخ الألمانية في نضوجه السّياسي وجعلته يستلهم من النّازية بعض المبادئ الأساسية كالوطنية مثلا، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "تبلورت أفكار السّياسية حول معان أساسية هي: الوطنية النّابعة من صميم الشّعور بمصر ومكانتها في الماضي وما أمله من استعادة هذه المكانة في المستقبل القريب، وكان النّمودج العيني الذي ينبغي استلهامه هو ما تحاول النّازية تحقيقه لوطنها ألمانيا. ولما كانت ألمانيا لم تستعمر مصر ولا أيّ بلد عربي أو إسلامي، وكان الإعجاب بألمانيا أصيلا في الشّعب المصري بل وسائر الشّعوب العربية والإسلامية، فلم يكن ثمّ أيّ تحرّج في استلهام نمودج ألمانيا".<sup>160</sup> كان كلّ المصريين وكلّ العرب يرون هتلر (Hitler) (1889م-1945م) مخلصهم الوحيد من الاستعمار البريطاني ومن الاستعمار الفرنسي، وذهب إلى ألمانيا في الثلاثينات من القرن الماضي في بعثة دراسية لأنّه كان متفوّقا في اللّغة الألمانية، يقول بدوي: "وكانت الدّراسة في الجامعة تمتدّ بي حتّى الساعة السّادسة مساء. فقد كنا نذهب في التّاسعة ونتلقى دروس الألمانية من التّاسعة حتّى الحادية عشرة، ثمّ نتلقى المحاضرات العامّة من الحادية عشرة حتّى الواحدة، ثمّ تكون فترة غداء واستراحة حتّى الثالثة، ثمّ نستأنف دراسة اللّغة حتّى السادسة".<sup>161</sup>، إنّه عمل شاقّ ومتعب ولكنّه ممتع في نفس الوقت، وبالتالي استطاع أن يتمكّن من ناصية اللّغة الألمانية بكلّ مهارة وبكلّ احترافية.

يرى الباحث وائل غالي بأنّ وجودية بدوي جمعت بين فلسفة نيتشه وبين فلسفة مارتن هيدجر عندما يقول ما يلي: "أصبح من المسلّم به الآن أنّ الجانب المذهبي في أعمال عبد الرّحمن بدوي قد مات. أقصد أنّ الفلسفة الوجودية كمذهب عقائدي جامد قد مات، والمؤكّد

<sup>160</sup> نفسه، ص: 94.

<sup>161</sup> نفسه، ص: 84.

أيضا أنّ التيّار الرّاهن المائل إلى ما بعد الحداثة يستلهم جوهره الجذري العميق من بعض اللحظات التكوينية لأعمال فريدريش نيتشه ومارتن هيدجر التي أقام عليها عبد الرّحمن بدوي مذهبه الوجودي، وذلك دون أن تكون الوجودية هي جوهر ما بعد الحداثة.<sup>162</sup> لأنّ الوجودية هي رنين الحداثة وصداهها خاصّة في أوروبا، لأنّها جاءت بعد عصر الأنوار الذي واكب وهج الحداثة الذي هبّ على المجتمع الأوروبي وحاول فلاسفته قراءة العقل الغربي قراءة حدائثة تنويرية وهي التي ساعدت على ميلاد وجودية غربيّة ساهمت في بناء الجهاز المفاهيمي للإنسان المعاصر.

يرى بأنّ الفلسفة الوجودية في فرنسا منبوذة من طرف المتلقّين ولا صدى لها هناك، لأنّها تعرّضت إلى التزييف من طرف أربابها، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "لما غادرنا فرنسا آخر مرة في صيف سنة 1955، كانت (الوجودية) على الصّورة الشّوهاء الزّائفة الكاريكاتورية التي اتخذتها الوجودية في فرنسا منذ سنة 1945، لا تزال هي البدع السّائدة في النّقافة الفرنسية: في المسرح، والحياة الفنّية، والأدب بوجه عام." <sup>163</sup> لم ترتبط الفلسفة الوجودية في فرنسا بالفكر وبالفلسفة بل ارتبطت بالمسرح وبالرواية وبالقصّة وبالسينما، لقد فهم الصحفيون المصريون الوجودية فهما خاطئا لأنّهم ربطوها بالتحرّر الأخلاقي المتمثّل في الجنس، يقول بدوي: "كأنّها التفاهة والجهل والادعاء الكاذب قد حملت هؤلاء الصحفيين المصريين على أن يربطوا بين ما هو مشاهد منذ مئات السّنين في باريس وبين (الموضة) السّائدة لها آنذاك، أي (الوجودية)، ولم يكفّوا أنفسهم قراءة أيّ كتاب بسيط عن الوجودية حتّى يفهموا ما هي: فلما عادوا إلى مصر راحوا يكتبون مقالات عمّا شاهدوا في باريس، فزعموا أنّ الوجودية هي التحرّر الأخلاقي خصوصا في أمور الجنس!!" <sup>164</sup> هو الذي عرّف المثقفين العرب على الوجودية، يقول بدوي: "وبفضل ما كتبت عن الوجودية،

<sup>162</sup> وائل غالي: دفاع عبد الرحمن بدوي عن الزمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997، ص: 19.

<sup>163</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج2، ص: 26.

<sup>164</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 184.

صارت الوجودية رافداً أساسياً في تكوين غالبية المثقفين العرب، على تفاوت بينهم في مقدار فهم كل واحد منهم لها وفي تحديد موقف منها، وفي إساءة فهمها والخلط بينها وبين ما لا علاقة لها به. وهذا يدل على قوة الفلسفة الوجودية في النفوذ إلى وعي المثقفين، وهو أمر لم يحظ به أي مذهب فلسفي آخر، وقد أفادت الوجودية من خصومها وأنصارها على السواء. من خصومها بإثارة الاهتمام بها، ومن أنصارها بالشرح والدفاع والإيضاح. وإلا فلقد أتت أحد على مذهب فلسفي آخر حظي بما حظيت به الوجودية من اهتمام واطلاع ومساجلات.<sup>165</sup> ويعتبر من أهم المؤسسين لصرح الوجودية في مصر وفي الوطن العربي، وحاول أن يقدمها إلى القارئ العربي في حلّة عربية إسلامية أصيلة، وحاول أن يجد لها جذورا معرفية في تراثنا العربي الإسلامي، فوجوديته ظاهرها عقلاني غربي وباطنها روحاني صوفي من خلفية عربية إسلامية.

يتضح لنا مما سبق بأن وجوديته ذات نزعة هيدجرية، لأنه تأثر بالفيلسوف الألماني مارتين هيدجر، يقول بدوي مبينا خلاصة مذهبه الوجودي ما يلي: " وإسهامي في الفلسفة الوجودية إنما يرتبط مباشرة بوجودية هيدجر، ويعدّ إكمالا لمذهبه في عدّة نواح:

**أولاً:** في تفسير ظواهر الوجود على أساس الزمانية.

**ثانياً:** وضع لوحة مقولات وفقا لها ينبغي تفسير أحوال الوجود، فكما فسّر إيمانويل كانت الأحوال العقلية وفقا للوحة مقولاته الإثنيتي عشر، كذلك وضعنا نحن -وهو ما لم يفعله هيدجر ولا غيره من الفلاسفة الوجوديين- لوحة مقولات تفهم وفقا لها أحوال الوجود. وتتميّز هذه اللوحة بأنها تقوم على التوتر في أحوال الوجود، ممّا يهب الفهم تفسيراً ديناميكياً للوجود قائماً على دياكتيك عاطفي وإرادي.

**ثالثاً:** فهم أحداث التاريخ فهما كفيّاً باعتبار أنّ الوجود تاريخي، وتاريخيته كيفية.

<sup>165</sup> المصدر السابق، ص: 182.

رابعاً: تفسير العدم بأنه الهوآت القائمة بين الذرات، لأنّ الوجود منفصل وليس متصلاً.<sup>166</sup> وهذه هي الوجودية كما يتصوّرها لأنّها قامت على فكرة الزّمان وتفسير أحوال الوجود وفهم أحداث التّاريخ، وتفسير العدم تفسيراً وجودياً، وقدّم كتاباً هاماً عنونه: (دراسات في الفلسفة الوجودية)، يقول بدوي: "هذه دراسات بسيطة موجزة عن الوجودية، قصدت منها إلى إعطاء القارئ العربي فكرة واضحة عن هذا المذهب الذي اختلط اسمه في ذهنه بمعان ليست لها به أيّة صلة، رغم أنّ الوجودية مذهب في الوجود محدّد تمام التّحديد، يقوم على مبدأ أساسي سهل بسيط هو أنّ وجود الإنسان هو ما يفعله، فأفعال الإنسان هي التي تحدّد وجوده وتكوّنه، ولهذا يقاس الإنسان بأفعاله، فوجود كل إنسان بحسب ما يفعله، وذلك ضدّ مذهب القائلين (بالماهية)، أي الذين يفترضون ماهية سابقة على وجود الإنسان وعنّها تنشأ أفعاله، ووفقاً لها يحكم عليه، وبها يحدّد." <sup>167</sup> جاءت الوجودية لكي تساهم في تحقيق الفردانية للإنسان المعاصر وتجعله يشعر بذاته الوجودية وتحقّق له حرّيته المنشودة، صار الإنسان في هذا العصر يعاني من القلق الوجودي الذي سيدخله في دوامة الاكتئاب وهذا الاكتئاب الحادّ سيجعله يفكّر ألف مرّة في الانتحار.

يرى بأنّ الوجودية عند سورن كيركجور (Soren Kierkegaard 1813م-1855م) هي اقتران الذات الوجودية بالحقيقة الإنسانية، يقول بدوي: "لقد قرّر رائد الوجودية كيركجور (1813-1855) أنّ الحقيقة ذاتية، وأنّ (الذاتية هي الحقيقة). ذلك أنّ وجود الحقيقة له تكراره في ذاتك، في ذاتي، في ذاته، حتّى إنّ حياتك، وحياتي، وحياته هي وجود الحقيقة بالقدر الذي به تقترب منها،... وبعبارة أخرى أنا لا أعرف الحقيقة إلّا حين تصبح حياة في ذاتي). (والحقيقة هي فعل الحرّية). (والحقيقة لا توجد للفرد إلّا من حيث هو أنتج

<sup>166</sup> المصدر نفسه، ص: 179.

<sup>167</sup> عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1980، ص: 05.

بفعله شيئاً)، وهذا الإنتاج لا يتم إلا بقرار مصمم، لا بالتأملات العقلية.<sup>168</sup> لأنّ الإنسان وجد على ظهر هذه البسيطة لكي يحقق حرّيته ويحقّق فردانيته، وظاهر الوجود عند جان بول سارتر هو الماهية لأنّ الوجود يسبق الماهية، يقول سارتر: "إنّ الظاهر لا يخفي الماهية، بل يكشف عنها: إنّه هو الماهية. فماهية الوجود ليست قوّة مغرورة في جوف ذلك الموجود، بل هي القانون الجلي الذي يهيمن على توالي تجلياته، إنّه أسّ المتوالية."<sup>169</sup> لذلك هو كامن في الماهية لذلك يتجوهر الوجود في كينونة الماهية لأنّ الوجود لذاته يتمثّل في الأنا عند لحظة تشكلها، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "والنّمودج الأوضح لهذا الوجود لذاته هو (الأنا). فنحن نعرف أنفسنا أشياء موجودة مستقلّة في البدء عن غيرها من الموجودات، ونشعر بأنفسنا أشياء ثابتة تشير إذا ذاتها باستمرار وبغير نهاية.

ففي (الأنا) إذن كلّ تلك الصّفات التي وجدناها في الوجود لذاته: أعني القيام بالذات، والإشارة من الذات إلى الذات، واللّاتناهي الحقيقي، وبالجملة، الوحدة بأخصب معانيها. والواقع أنّ الوجود لذاته هو الأساس لكلّ التّطورات العليا المعروفة باسم الدّاتية أو الشّخصية."<sup>170</sup>، لأنّ الذات الوجودية تقوم في الأساس على صيرورة الماهية، وبالتالي تتحقّق الأشياء في أعيانها، فأنا أوجد أولاً ككائن له كيانه الأنطولوجي ثمّ بعدها تتحقّق ماهيتي كإنسان له وجود فيزيقي وعندما يأتي الموت يأتي معه العدم المحض والمطلق.

لقد حاول في كتابه (موسوعة الفلسفة) أن يقدّم لنا خلاصة الفكر الغربي، يقول بدوي: "هذه موسوعة للفلسفة وهي تلبي حاجة ماسّة يستشعرها القارئ العربي ليس فقط المختصّ في الفلسفة، بل وكلّ مثقف بعامة: فهي تسعف الأوّل بما يريغ إليه من معلومات

<sup>168</sup> عبد الرحمن بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السالم، الكويت، ط 1، 1975، ص: 149.

<sup>169</sup> جان بول سارتر: الوجود والعدم، بحث في الأنطولوجيا الظاهرية، ترجمة: عبد الرحمن بدوي: منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 1، 1966، ص: 15.

<sup>170</sup> عبد الرحمن بدوي: الزمان الوجودي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 3، 1973، ص: 11.

موجزة عن الفلاسفة والمعاني والمذاهب الفلسفية، وهي تزود الثاني بما يغنيه من معلومات عن هذا الفرع الأساسي من فروع المعرفة الإنسانية، الذي يهيئ له التكوين العقلي الحر ويوسّع من أفق تفكيره، ويبثّ فيه الروح النقدية، ويمكنه من تكوين نظرة في الحياة وفي الوجود، ويشغل ذهنه بمشاكل الإنسان والكون، وبالجملة: يسمو بالجانب الإنساني حقاً في الإنسان.<sup>171</sup> وهو يعتبر مبحثاً هاماً من مباحث الفلسفة الوجودية التي تشغل بال الإنسان المعاصر.

كان يهدف من خلال ترجمته لكتاب النقد التاريخي أن يقدم للباحثين في التاريخ المنهجية العلمية الصحيحة في تدوين التاريخ، لأنّ التاريخ هو السجلّ الذهبي لماضي الشعوب وحضارتهم العريقة، يقول بدوي عن مضمون هذا الكتاب ما يلي: "وهكذا يتألف هذا المجموع من كتب أساسية في النقد التاريخي ومنهج التاريخ، وكلاهما لم ينفذ النّفوذ الكافي في الدراسات العلمية بالعربية، وكلاهما لا غنى عنه لمن يتصدى لأيّ بحث تاريخي في أية ناحية من نواحي التاريخ بالمعنى الأوسع لهذا اللفظ، الذي يشمل التاريخ السياسي والأدبي والفكري والعلمي، ولعلّ من أكبر أسباب النقص في الدراسات التاريخية عندنا - بهذا المعنى الواسع - الافتقار إلى المنهج الدقيق والنقد العلمي النزيه المتمرس بطرق البحث العلمية التي استقرت مبادئها وتعدّدت قواعدها في أوروبا منذ النصف الثاني من القرن الماضي."<sup>172</sup>، لقد حاول في هذا الكتاب تقديم المنهجية العلمية الصحيحة والدقيقة في الكتابة التاريخية التي يجب أن يتحرى فيها المؤرّخون الدقّة والموضوعية، ويبدلون قصارى جهدهم في تحري الحقائق التاريخية وتقديمها إلى القارئ العربي بكلّ دقّة وبكلّ وضوح، وبالتالي يساهمون في تقديم تاريخ حضارتهم الإنسانية إلى الأجيال القادمة بكلّ أمانة وبكلّ إخلاص.

<sup>171</sup> عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1984، ص: 06.

<sup>172</sup> النقد التاريخي، مجموعة من الكتب، ترجمها عن الفرنسية والألمانية: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، ط4، 1981، ص: 14.

تقوم فلسفة القانون عند هيجل Hegel (1770م-1831م) على مفهوم الحرية الذي يواكب التطور التاريخي، يقول بدوي: "وذلك أنّ علم القانون-في نظر هيجل-يبدأ من مفهوم الحرية، وهذا المفهوم يتجدد وفقا للتطور التاريخي. فهو إذن لا يخترع مفهوم الحرية، لأنّ الأجيال السابقة قد أسهمت في إيجاد هذا المفهوم. وهو ليس ملزما بإثبات وحدة الحرية، لأنّ الحرية موجودة. وكلّ ما عليه هو أن يدرك معناها، ويعيها."<sup>173</sup>، لأنّ الحرية ارتبطت ارتباطا وثيقا بالفلسفة الوجودية التي جاءت لتساهم في بناء الإنسان.

يرى مفهوم الدولة عند هيجل يتمثل في التعبير عن حرية الشعب في أسمى أشكالها، يقول بدوي: "والدولة، بوصفها تاج وعي الشعب تعبّر عن الحرية في أسمى أشكالها، وإنّ أسمى أحوال الفرد أن يكون عضوا واعيا في الدولة، ولهذا تتميز الدولة من المجتمع المدني. ذلك أنّ الدولة هي الروح الموضوعية التي يكون كلّ مواطن شعوره فيها."<sup>174</sup> لأنّ الدولة هي التي تساهم في تحقيق شروط الكيان الوجودي للإنسان المعاصر الذي يتوق إلى الحرية ويسعى إلى تحقيق شروط المواطنة في المجتمع الذي يعيش فيه.

حاول في كتابه هذا إثبات موضوع صحّة الشعر الجاهلي ويفند أقوال كلّ المستشرقين فيه خاصة أقوال طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي)، يقول بدوي: "لهذا أردت بكتابي هذا الذي ترجمت وجمعت فيه أهمّ الأبحاث في موضوع صحّة الشعر الجاهلي-أن أقوم- بأخرة-بمهمّة كان ينبغي القيام بها تدريجيا وأوّل بأوّل منذ قرابة مائة وعشرين عاما. ولو كان ذلك قد تمّ في إبانه فلربما كانت دراسة الشعر الجاهلي قد صارت إلى حال أفضل من الحال التعيسة المنقهرة الآن عاما بعد عام."<sup>175</sup> فالمستشرقون حاولوا التشكيك في صحّة الشعر

<sup>173</sup> عبد الرحمن بدوي: فلسفة القانون والسياسة عند هيجل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص:16.

<sup>174</sup> المرجع السابق، ص: 160.

<sup>175</sup> دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، ترجمها عن الألمانية والإنجليزية والفرنسية : عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص:14.

الجاهلي وجاراهم في ذلك عميد الأدب العربي طه حسين وأنكر جملة وتفصيلا وجود الشعر الجاهلي وصحّته وحاول بدوي تفنيد هذه المزاعم في هذا الكتاب القيم.

ارتبطت فلسفة اشبنجلر Spengler (1880م-1936م) بمعادلة الموت والحياة، يقول

بدوي: " والحياة وقائع وأحداث، أمّا الموت فمعارف وحقائق: لأنّ الوقائع تحدث مرّة وإلى الأبد تزول، فهي كانت أو ستكون، أمّا الحقائق فنابذة لأنها ممكنة وليس من الضّروري أن تكون. فهذه تقتضي الثّبات، وتلك تقتضي الصّيرورة. والطّبيعة إذا مجموع حقائق، بينما التّاريخ تيار وقائع."<sup>176</sup> لأنّ التّاريخ هو الذي يبيث الرّوح في الحضارة الإنسانيّة ويساهم في صناعة الخلفية الوجودية للأشياء وللإنسان، كما أنّ الحضارة هي من صنع الإنسان.

لقد حاول كنت من خلال فلسفته التّقديّة أن يفكّك معالم الميتافيزيقا، يقول بدوي: " إنّ الميتافيزيقا التي تريد أن تكون علما هي تلك المستندة إلى نقد العقل الذي يحدّد الحدود التي لا ينبغي للعقل أن يتجاوزها، والذي يخضع للنقد ما هنالك من تصورات قبلية يردها إلى مصادرها المختلفة وهي: الحسّاسية، والدّهن، والعقل."<sup>177</sup> لأنّ الفلسفة التّقديّة عند كنت لا تؤمن بالخرافات التي تروّج لها أكذوبة الميتافيزيقا.

حاول من خلال تأليفه لكتاب (المثالية الألمانية) أن يقاوم المدّ اليساري في مصر الذي انتشر في ربوعها انتشار النّار في الهشيم، يقول بدوي: " فكتابي عن (المثالية الألمانية) قد هدفت منه إلى مقاومة المادية التاريخية بأقصى سلاح لمقاومتها، وهو المثالية الألمانية ممثلة في فيشته وهيجل وشلنج."<sup>178</sup> التي جاءت لكي توقف المدّ الشيوعي الذي انتشر في جميع أنحاء العالم.

<sup>176</sup> عبد الرحمن بدوي: اشبنجلر، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، 1982، ص: 13.

<sup>177</sup> عبد الرحمن بدوي: الأخلاق عند كنت، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، 1979، ص: 26.

<sup>178</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 354.

جاءت الفلسفة الوجودية لكي تقاوم فكريا الإيديولوجية الماركسية، يقول بدوي: " وفي عرضي للمذاهب الوجودية أكدت خصوصا معنيين رئيسيين وهما: الحرّية، والفردية، وهما المعنيان اللذان تحاربهما الأيديولوجية الماركسية أشدّ المحاربة، لأنّها تنكر الحرّية وتؤكّد دكتاتورية البروليتاريا، وتنكر الفردية وتؤكّد الجماعية. لهذا فإنّ أقوى سلاح فكري ضدّ الأيديولوجيا الماركسية هو الفلسفة الوجودية." <sup>179</sup> لقد حاولت الفلسفة الوجودية أن تكبح جماح الإيديولوجية الماركسية، لأنّ الفلسفة الماركسية تدعو إلى تمجيد الجماعة تحت مظلة البروليتاريا أمّا الفلسفة الوجودية فتدعو إلى تمجيد الفرد وتحقيق حرّيته على هذه الأرض.

لقد حاول في كتابه (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) أن يبيّن لنا مدى تأثير الفلسفة اليونانية في الحضارة الإسلامية، خاصّة في العصر العباسي، يقول بدوي: " وفضلا عمّا في عنوان الكتاب من دلالة على اتجاه رئيسي في إنتاجي طوال حياتي، وهي دراسة التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، وتحقيق كلّ ما بقي لنا من ترجمات عربية قديمة للتراث اليوناني في الفلسفة فإنّني أردت أيضا أن أطلع الباحثين العرب على نماذج من الدّراسات العلمية الدّقيقة التي قام بها المستشرقون في هذا الميدان، حتّى يأتوا بمنهجها فيما يتبادلون من موضوعات في التراث الإسلامي، كيما يطرحوا الكتابات الخطابية غير العلمية ولا المنهجية التي دأبوا عليها في هذا الباب." <sup>180</sup> فهم يحاولون أن يبرزوا مدى تأثير الفلسفة اليونانية على الفكر العربي الإسلامي خاصّة في العصر العباسي.

لقد أثر كتاب (نيتشه) لبديوي على القراء في مصر خاصّة فئة الضباط الأحرار من أمثال جمال عبد الناصر ( 1918م-1970م) وأنور السادات ( 1918م-1981م)، يقول بدوي: " ومن الفئات التي أقبلت بشدّة على قراءة هذا الكتاب فئة ضباط الجيش الذين كانوا

<sup>179</sup>المصدر السابق، ص: 354-355.

<sup>180</sup> المصدر نفسه، ص: 152.

ذوي تطلعات سياسية، ومنهم جمال عبد الناصر وأنور السادات كما صرّحاً مراراً.<sup>181</sup> وهذا الكتاب هو الذي بثّ الحماس في صفوف الضباط الأحرار ليقوموا بالثورة المصرية المباركة في 23 يوليو (جويلية) 1952، يقول بدوي: "وأعتقد أنّ السرّ في رواج هذا الكتاب هو الحرارة والجمال في أسلوبه، والحماسة في عرض آراء نيتشه وهي بطبعها مليئة بالإثارة والتشويق، وملائمة الظروف آنذاك-ظروف الانتصارات الكاسحة للجيش الألماني، لقبول الفكر الألماني الرامي إلى القوّة والحرب والانتصار."<sup>182</sup>، لقد كتب هذا الكتاب بأسلوب أدبي جميل، وحاول أن يقدّم فلسفة نيتشه إلى القارئ العربي بكلّ يسر، لأنّها فلسفة تسعى إلى تحقيق الكينونة الوجودية للإنسان المعاصر خاصّة في هذا الزّمن.

لقد ألف هذا الكتاب وهو لا يزال طالبا في مرحلة الماجستير، لأنّه انبهر بفلسفة نيتشه العدمية التي تنكر وجود الله، يقول بدوي: "وكان أول إنتاج لي هو كتاب (نيتشه) الذي ظهر في أكتوبر سنة 1939 عند الناشر: مكتبة النهضة المصرية ( 15 شارع المدابغ آنذاك). ويدخل في الاتجاه الثّاني، وهو تقديم الفكر الأوروبي إلى القارئ العربي، ولهذا وضعته داخل سلسلة سمّيتها: (خلاصة الفكر الأوروبي). وقد حدّدت في تصديره أنّ الهدف من هذه السّلسلة هو تقديم خلاصة الفكر الأوروبي إلى القارئ العربي، والدّافع إلى ذلك هو إحداث ثورة روحية في الفكر العربي، إذ وجدت أنّ السبيل إلى ذلك هو أولاً الاطلاع على الفكر الأوروبي الذي استطاع أن يحقّق تقدّماً عظيماً في الفكر الإنساني فيما تخلفّ العقل العربي-الإسلامي عن متابعة تطوّر الفكر الإنساني منذ القرن الثّاني عشر."<sup>183</sup>، الذي شهد أفول الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي التي قامت في الأساس على التّراث اليوناني وحضارته العريقة، يقول بدوي: "وكما أنّ معرفة التّراث اليوناني هي التي أوجدت نهضة الفكر الإسلامي في القرن الثّالث الهجري (التّاسع الميلادي) وما تلاه. فإنّي رأيت أنّ معرفة

<sup>181</sup> نفسه، ص: 151-152.

<sup>182</sup> نفسه، ص 151.

<sup>183</sup> نفسه، ص: 150-151.

الفكر الأوروبي الحديث والمعاصر هي الكفيلة بإحداث نهضة في الفكر العربي والإسلامي. كما قلت في ذلك التصدير أنه لا جدوى من العودة إلى القيم القديمة التي سادت الفكر الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى منه، وإنما الدواء التّاجع لتخلف العرب الفكري هو الاستفادة من الفكر الأوروبي، ويكون ذلك باستيعابه كلّه والأخذ بالقيم التي وضع أصولها ما دامت تقوم على أساس عقلي إنساني عام.<sup>184</sup>، لقد حاول في هذا الكتاب أن يقدّم إلى القارئ العربي خلاصة الفكر الأوروبي الذي يمتح من معين التّراث اليوناني الذي ساهم في بناء الصّرح الحضاري للفكر العربي الإسلامي في العصر العبّاسي، ويعتبر العصر العبّاسي هو العصر الذّهبي للحضارة العربية الإسلامية التي ساهمت في النهضة الفكرية لأوروبا في القرون الوسطى وفي العصر الحديث.

يرى في كتابه (موسوعة الفلسفة) بأنّ فيلسوف الحضارة اشبنجر حاول تصنيف الحضارات من خلال تأمله للتاريخ العام، يقول بدوي: "وشبنجر في تأمله للتاريخ العام قد اكتشف وجود ثماني حضارات عليا رئيسية هي: 1- الحضارة المصرية، 2- الحضارة البابلية، 3- الحضارة الهندية، 4- الحضارة الصينية، 5- الحضارة القديمة (اليونانية -الرومانية)، 6- الحضارة العربية، 7- الحضارة المكسيكية، 8- الحضارة الغربية (الأوروبية -الأمريكية)."<sup>185</sup> وكلّ هذه الحضارات تمثّل الحضارة الإنسانية برمتها وتساهم في البناء الحضاري للإنسان عبر العصور الغابرة.

يعرض علينا في هذا الكتاب مفهوم الفنّ عند كنت بوصفه مهارة إنسانية تعبّر عن موهبة دفينّة في الإنسان، يقول بدوي: "والفنّ، بوصفه مهارة إنسانية، يتميّز من العلم، كما تتميّز الملكة العملية من الملكة النّظرية، والتّكنيك من النّظرية، والمساحة من الهندسة."

<sup>184</sup> نفسه، ص: 151.

<sup>185</sup> عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص: 13.

<sup>186</sup> لأنّ الفنّ في الأساس يقوم على الموهبة التي يمتلكها الفنّان ويقوم بصقلها من خلال تكوينه الأكاديمي.

يرى بأنّ بداية الفنّ عند هيجل انطلقت مع الدّين، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "أما من النّاحية الموضوعية فإنّ بداية الفنّ مرتبطة بالدين، والأعمال الفنّية الأولى ذات طابع أسطوري، وفي الدّين يتجلّى الوعي بالمطلق. وأوّل تجلّ للمطلق هو ظواهر الطّبيعة، ففي وجودها يشرح الإنسان معنى المغلق والتّعبير عنه." <sup>187</sup>، لأنّ المطلق هو الذي يرسم لنا ملامح الفنّ الأسطوري، ويجعله ظاهرا للعيان، وفي هذا الكتاب أيضا يعرض علينا مفهوم علم الجمال عند هيجل، يقول بدوي معرّفا علم الجمال وفق الرؤية الهيجلية ما يلي: "وعلم الجمال، بوصفه علما، مهمته هي تنفيذ قوانين النّشاط الجمالي وأشكاله المختلفة وأحوال تطوّرها، وكيفيات تحقيقها ومنظورات تطوّرها." <sup>188</sup>، لأنّ الجمال هو علم يدرس الأسس المعرفية التي قام عليها الفنّ ويرصد كذلك البعد الجمالي في الفنّ بجميع أشكاله وأنواعه.

يتصوّر في كتابه (فلسفة العصور الوسطى) بأنّ هذه الفلسفة هي فلسفة خاضعة للأديان، لأنّها تحاول البحث والحفر في اللاّهوت، يقول بدوي: "ومن هذه المعاني أنّ العقل الإنساني كان مستعبدا لسلطة خارجية عنه فلا يملك حرّية التّفكير إلّا في داخل النّطاق الذي حدّده النّقل أعني الإيمان، وأنّ الفلسفة تبعا لهذا يجب أن تكون في خدمة اللاّهوت، وأنّ المعرفة ينبغي أن تستهدف هدفا واحدا هو سبيل النّجاة التي هي الغاية العليا للسلوك الإنساني كلّها، فلا تطلب المعرفة لذاتها ولا يبحث في العلم لمعرفة أسرار الطّبيعة وتمكين

<sup>186</sup> عبد الرحمن بدوي: فلسفة القانون والسياسة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979، ص: 384.

<sup>187</sup> عبد الرحمن بدوي: فلسفة الجمال والفن عند هيجل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1996،

ص: 226.

<sup>188</sup> المرجع السابق، ص: 05.

الإنسان من الإفادة أكبر الإفادة منها، وإنما تطلب لتحقيق نجاة الرّوح الإنسانية.<sup>189</sup>، جاءت فلسفة العصور الوسطى لتعطينا الصّورة الحقيقية لواقع العقل في ذلك العصر، فالدين المسيحي كان يسيطر على العقل ويضع له الحدود والحواجر المعرفية ويصدّه عن حرية التّفكير ويجعله لا يطرح الأسئلة الجريئة، بل يجعل سلطة العقل خاضعة لسلطة النصّ المقدّس، وبالرغم من كل هذا استطاعت هذه الفلسفة أن تحفر في أعماق النّصوص اللاهوتية وتخضعها لجرأة السّؤال، فالفلسفة تستطيع أن تجيب عن جميع الأسئلة التي يطرحها الدّين.

يعتقد بأنّ الدّين العقلي عند كنت هو دين متتورّ، لأنّه دين يدعو إلى حرّية العقل ويدعو إلى الحدّثة وإلى التّثوير ويدعو إلى عقلنة الدّين المسيحي، يقول بدوي: "أمّا الدّين العقلي فهو القائم على الصّدق الكلّي الذي يتفق فيه جميع العقول. وكنت يريغ إلى بيان هذا الدّين العقلي، وأن يبيّن ما في الأديان الوضعية ممّا يتفق، وممّا لا يتفق، مع هذا الدّين العقلي، وهو في هذا إنّما يقوم بمهمة (التّثوير) التي أسهم فيها مفكّرو القرن الثّامن عشر).<sup>190</sup>، لقد ساهم هؤلاء المفكّرون في النّهضة الفكرية لأوروبا في القرن الثّامن عشر وحاولوا بثّ روح الحدّثة وروح التّثوير في العقل الأوروبي في هذا القرن واستطاعوا أن يخلّصوا الدّين من سطوة العقل ويجعلونه خاضعا لمنطق السّؤال.

يرى فريدرش شلر Friedrich von Schiller (1759م-1805م) هو أحد أقطاب الأدب الألماني في النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر وجيته أيضا يعتبره أحد أيقونات الأدب العالمي في هذا القرن، يقول بدوي عن فريدرش شلر ما يلي: "فريدرش شلر من أنبل الوجوه في الأدب العالمي، وهو وجيته قطبا الأدب الألماني تعاصرا في النّصف الثّاني من

<sup>189</sup> عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان، ط 3، 1979، ص: 10.

<sup>190</sup> عبد الرحمن بدوي: فلسفة الدين والتربية عند كنت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1980، ص: 15.

القرن الثامن عشر، واحتلّا مركز الصدارة في الأدب في العالم كلّ آنذاك وانعقدت بينهما أواصر صداقة متينة، وتعاونوا في بعض الإنتاج الأدبي المشترك، وإن اختلف مزاج كليهما: ففي شلر حرارة وحماسة للمثل العليا، وفي جيته سجو أولمبي فيه رصانة وإحساس عميق بالواقع.<sup>191</sup>، لأنّ الأدب الألماني هو أدب يعبر عن روح العصر ويساهم في تعزيز المثل العليا في ضمير الإنسان.

يتصوّر في كتابه (نيتشه) بأنّ فلسفة نيتشه هي فلسفة تدعو إلى الفكر الحرّ، وتساهم في البناء العقلي للإنسان في العصر الحديث، يقول بدوي: "ولكنّا نعلم أيضا أنّ هذه الهزّة هي القادرة وحدها على انتشالك من ظلمة الهوة التي أنت فيها إلى حيث نور الفكر الحرّ والنظر الصحيح إلى الأشياء، وأنّ هذه القشعريرة هي الخليفة وحدها بأن تدفعك إلى الخلق المستمر والإبداع. وتلك الصّورة صورة فكر نيتشه." <sup>192</sup>، الذي يدفعنا إلى التفكير في جرأة السّؤال الذي يقودنا إلى الفكر الحرّ الحداثي التّويري.

يرى الباحث عبد الغفار مكاوي بأنّ الفيلسوف كنت هو أيقونة الفلسفة في عصر التّوير في أوروبا، يقول عن فلسفة كنت ما يلي: "عالم كما نرى غريب على معظم الناس، لا عجب أن ينفر منه رجل الشّارع، كما ينفر منه المنطقي والديالكتيكي والميتافيزيقي السّادر في ضباب أحلامه، ولا عجب أيضا أن يخرج كانت منه إلى النّاس وقد تكوّن فكره العبقري، وتشكّل أسلوبه بالصورة التي نعرفها اليوم، والتي نحاول أن نقرب منها، فيختلف نصيبنا من الإخفاق والتّوفيق." <sup>193</sup>، إنّها فلسفة تدعو إلى الحداثة وإلى التّوير وتساهم في تأسيس الفكر الحرّ لدى الإنسان الأوروبي في العصر الحديث، وتساهم في تفكيك فلسفة العصور الوسطى وإعادة قراءتها من جديد بروح العصر السّائد.

<sup>191</sup> فريدرش شلر : اللصوص، ترجمة وتقديم: عبد الرحمن بدوي، وزارة الإعلام، الكويت، 1980، ص: 05.

<sup>192</sup> عبد الرحمن بدوي: نيتشه، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السالم، الكويت، ط5، 1975، ص: 16.

<sup>193</sup> إيمانويل كانت: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، مراجعة: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2020، ص: 09.

يعتقد بأنّ الفكر اليوناني المترجم إلى العربية أغلبه منحول خاصّة في القرون الأربعة الأولى من الإسلام، لأنّ هذا التّراث اليوناني الرّهيب يكون قد تعرّض للزيف ولانتحال من قبل المترجمين، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما نصّه: "ويبدو أنّ نهمهم إلى نتاج الفكر اليوناني جعلهم لا يقتصرون على الصّحيح منه، بل حملهم على تلمّس المنحول أيضاً. ومن هنا نجد هذا الحشد الهائل من المؤلّفات اليونانية المنحولة التي ترجمت إلى العربية، ونسبت أحيانا إلى مفكّرين كبار من أفلاطون، وأرسطو، أو إلى شخصيات أسطورية مثل هرمس أو بليناس، أو لم تتسب إلى شخص بعينه. وليس من شكّ في أنّ القسم الأكبر من هذه المنحولات كان موجودا في العهد البيزنطي السّابق على الإسلام، ومن ثمّ نقل إلى العالم الإسلامي، والبعض القليل هو الذي يمكن أن يكون قد انتحل وزيف في القرون الأربعة الأولى من الإسلام." <sup>194</sup> خاصّة في العصر العباسي الذي شهد ترجمة الفلسفة والآداب اليونانية إلى اللّغة العربية وبتشجيع من الخليفة العبّاسي المأمون (170هـ-218هـ) الذي حرص على نقل الحضارة اليونانية من أثينا إلى بغداد.

يتصوّر بأنّ الفلسفة اليونانية قامت على أنقاض الفلسفة الطّبيعية والفلسفة الأخلاقية عند أرسطو وعند أفلاطون، يقول بدوي: "وصلت الفلسفة اليونانية إلى أعلى درجة استطاعت أن تبلغها عند أرسطو وأفلاطون. فالفلسفة الطّبيعية قد أقيمت على قواعد ميتافيزيقية وأصبحت تكوّن نظرة شاملة في الوجود، ولم يقتصر النّظر على النّاحية المادية من الطّبيعة، بل اعترف بوجود ثنائية مطلقة لا سبيل إلى القضاء عليها في داخل نظام الوجود، وهي الثّنائية بين الرّوح وبين المادة، أو بين الهيولى، وبين الصّورة. والفلسفة الأخلاقية قد تكوّنت وأصبحت ذات أساس ثابت بالنسبة إلى هذه الحضارة اليونانية." <sup>195</sup>

<sup>194</sup> عبد الرحمن بدوي: دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص:12.

<sup>195</sup> عبد الرحمن بدوي: خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط4، 1970، ص:03.

التي ساهمت في بناء أساس الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي الذي يعتبر العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية الذي امتد إشعاعها قرونا عديدة.

يرى بأن الحضارة العربية تحمل في أحشائها روح الحضارة اليونانية، لأنّ الحضارة اليونانية ساهمت في بناء الحضارة العربية الإسلامية، يقول بدوي: "ومن هنا لم يكن البحث في أثر التّراث اليوناني في الحضارة العربية مجرد بحث في تأثير من التّأثيرات الأجنبية في حضارة أخرى ولجها، بل هو بحث في صميم تلك الحضارة، هو بحث في (روح الحضارة العربية) نفسها بكلّ مقوماتها وعناصرها. ولذا كانت أهمية التّراث اليوناني بالنسبة إلى دراسة الحضارة العربية أكبر بكثير جدّا من أهميته بالنسبة إلى الحضارة الغربية الأوروبية الفالوستية".<sup>196</sup>، لأنّ التّراث اليوناني ساهم في بناء الحضارة الغربية الأوروبية وساهم أيضا في بناء الحضارة العربية الإسلامية ولا ينكر فضل الحضارة اليونانية على الأمم الأخرى إلّا جاحد.

حاول في كتابه (أفلاطون في الإسلام) غريلة تراث أفلاطون من جديد وإعادة قراءته من جديد بعد تخليصه من النّصوص المنحولة والإبقاء فقط على النّصوص الجديدة حتّى يتسنى للقارئ الوقوف عند الفلسفة الحقيقية لأفلاطون، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ها نحن في هذا المجلد نقدّم طائفة من نصوص أفلاطون، الصّحيحة والمنحولة، التي ترجمت إلى العربية في القرنين الثّالث، والرّابع للهجرة (التّاسع والعاشر للميلاد)".<sup>197</sup> يعني بأنّ التّرجمة تمّت في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي الذي شهد نهضة فكرية كبرى في جميع المجالات.

<sup>196</sup> هانز هينرش شيدر: روح الحضارة العربية، ترجم هـ عن الألمانية وعلق عليه: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1949، ص: 13-14.

<sup>197</sup> عبد الرحمن بدوي: أفلاطون في الإسلام، نصوص حقّقها وعلق عليها، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 2، 1980، ص: 09.

لقد قام بترجمة مسرحيات سوفوكليس Sophocle (496ق.م-405ق.م) التراجيدية من اللغة اليونانية التي كان يتقنها إتقاناً جيّداً إلى اللغة العربية بأسلوب أدبي جميل يروق القارئ ويجعله يندمج اندماجاً كلياً في عوالم هذه المسرحيات التراجيدية، يقول بدوي: "والنص اليوناني لهذه المسرحيات التي وصلتنا موجود في عدد هائل من المخطوطات يكاد يبلغ المائتين، وهي مخطوطات ترجع إمّا إلى العصر الوسيط، أو إلى عصر النهضة في أوروبا..."<sup>198</sup>، الذي جعل العالم يكتشف روائع مسرحيات سوفوكليس التراجيدية التي تحاول تصوير مأساة الإنسان الذي يعاني معاناة شديدة في هذه الحياة.

يرى في كتابه (ربيع الفكر اليوناني) بأنّ الفكر اليوناني ساهم في ميلاد العقل، يقول بدوي: "ها هنا معبد الرّوح، فطوبى للداخلين، وها هنا ميلاد العقل، فهلمّوا نحتفل به يامن بالعقل تؤمنون، هلمّوا، فهنا، وفي لحظة قدسيّة عالية، اهتزت الرّوح الإنسانية لأوّل مرّة هزة الخلق، فانتفض عنها جنين العقل، وبالعقل كان الإنسان الأعلى." <sup>199</sup> ذلك الإنسان الباحث عن الحقيقة المطلقة الكامنة في الإنسان وفي الأشياء.

رسم في كتابه (أرسطو عند العرب) ملامح لصور عديدة لشخصية أرسطو عبر العصور، وهي صور تختلف من عصر إلى عصر، يقول بدوي: "ففي الحضارة العربية نرى صورة أرسطو في مدرسة الإسكندرية في القرون الخمسة أو السبعة الأولى للمسيح، غيرها في العصر العبّاسي في بغداد وإيران، وفي الحضارة الأوروبية تختلف صورته في العصر الإسكلائي عنها في عصر النهضة حتّى القرن التاسع عشر، وهذه تختلف كذلك عنها في

<sup>198</sup> تراجيديات سوفوكليس: ترجمها عن اليونانية وقد م لها وعلق عليها : عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص: 13.

<sup>199</sup> عبد الرحمن بدوي: ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط3، ص: 05.

النّصف الأوّل من قرننا هذا مضافا إليه النّصف الثّاني من القرن الماضي.<sup>200</sup> فصورة أرسطو في الفلسفة الإنسانيّة تختلف من عصر إلى عصر ومن مصر إلى مصر.

دعا في كتابه (منطق أرسطو) إلى تحديد منطق أرسطو وإعادة بعثه من جديد، لأنّ المنطق ساهم في البناء العقلي للإنسان، يقول بدوي في هذا الصّدّد مايلي: "لذا ترانا في حاجة ملحّة إذا إلى الاستعانة بالترجمات القديمة للمؤلفات اليونانية: نستغلها ونديم الاطلاع عليها حتّى نحقق في النّهاية ذلك النثر الفلسفي الجديد الذي نرنو بأبصارنا المتطلّعة بلهفة إلى إيجاده. وليس في هذا كلّ ما يدعو إلى أسر المرء لنفسه في قيود الماضي اللّغوي، بل هو على العكس من هذا يشدّ من أزر التوثب إلى خلق لغة جديدة، لأنّ العود ها هنا عود استلهام واستيحاء، لا عود تقليد واقتصار واكتفاء. فليطمئنّ للمجددين بالهم من هذه النّاحية كلّ الاطمئنان.<sup>201</sup>، لأنّ المنطق يساهم في بناء التّفكير السّليم لدى الإنسان خاصّة في هذا العصر الذي كثرت فيه السّجلات الفكرية بين المتقفين حول أهمّ القضايا الفكرية التي تشغل بال أبناء الأمتّة العربيّة الإسلاميّة، لقد وجد المتقفون العرب في المنطق آليات للتّفكير التي تساعدهم في تحليل أهمّ القضايا الفكرية تحليلا منطقيًا.

يرى بأنّ فنّ الشّعْر عند أرسطو يتمثل في قوّة فنّ الشّعْر التي تتجلى في قدرته التّمثيلية المتمثلة في تجسيد العواطف بكلّ تناقضاتها، لأنّ بأضدادها تتمايز الأشياء، فتارة نغضب وتارة أخرى نفرح، وهذه هي سنّة الحياة، يقول بدوي: "ولكنّ الفنّ في ذاته، فنّ الشّعْر، في غير حاجة إلى معونة خارجية لتحقيق المحاكاة، مثل الأصوات والأناشيد والأوزان والإشارات ممّا يدخل في باب الإخراج المسرحي، لأنّ قوّة فنّ الشّعْر تكمن في قدرته التّمثيلية على إثارة النّفس نحو الغضب والحماسة، نحو الرّحمة والعطف، نحو الدّموع

<sup>200</sup> عبد الرحمن بدوي: أرسطو عند العرب، دراسة ونصوص غير منشورة، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السالم،

الكويت، ط2، 1978، ص: 06.

<sup>201</sup> منطق أرسطو، الجزء الأول، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان،

ط1، 1980، ص: 09.

والعبرات أو نحو الضحك والابتسامات..."<sup>202</sup> لقد دعا أرسطو إلى مسرحة الشعر من أجل تقريب الفكرة إلى المتلقي، وعلى الشاعر وهو يلقي شعره أن يتمثل المعاني ويبث فيها الحركة والمشاعر والأحاسيس.

لقد وصف أرسطو الله بأنه المحرك الأول الذي لا يتحرك، أي أن الله خلق العالم ولكنه لا يتدخل في مصير مخلوقاته، كان أرسطو رويباً يؤمن بوجود إله خالق ولكنه إله لا يتدخل في رسم مصائر العالم، يقول بدوي: "وإذا لخصنا هذه الأمور فظاهر أن المحرك الأول الذي لا يتحرك لا يمكن أن يكون له عظم أصلاً. وذلك أنه إن كان له عظم فواجب ضرورة أن يكون عظمه متناهماً أو غير متناه. "<sup>203</sup>، فصورة الله عند أرسطو هي صورة غير واضحة المعالم، فمهمة الله عند أرسطو تتمثل في خلق الكون فقط ليس إلا.

يرى في كتابه (مخطوطات أرسطو في العربية) بأن تراث أرسطو بعضه صحيح وبعضه منحول، لذلك يجب علينا إعادة قراءته من جديد، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "لأرسطو في العربية تراث حافل: بعضه صحيح، وبعضه منحول، وقد تناوله بالدراسة منذ القرن الماضي نفر من الباحثين: بعضهم بطريق مباشر أعني في ترجمته العربية الأصلية، والبعض الآخر بطريق غير مباشر أعني بحسب ما ترجم منه من العربية إلى اللاتينية والعبرية."<sup>204</sup> لقد حاول في هذا الكتاب أن يقرأ تراث أرسطو الفلسفي قراءة وجودية حدائثة تنويرية تساهم في تبسيط فلسفة أرسطو وتقريبها إلى ذهن المتلقي العربي المهتم بالفلسفة الإنسانية.

<sup>202</sup> أرسطو طاليس: فن الشعر، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجم هـ عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1953، ص: 15.

<sup>203</sup> أرسطو طاليس: الطبيعة، ترجمة: إسحاق بن حنين، مع شروح: ابن السمع ومتمى بن يونس وابن عدي، وأبي الفرج بن الطيب، ج2، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، المكتبة العربية، القاهرة، مصر، 1965، ص: 934.

<sup>204</sup> عبد الرحمن بدوي: مخطوطات أرسطو في العربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1959، ص: 01.

تسنى له من خلال نشره لهذه التّرجمات القديمة تقديم تراث أرسطو الفلسفي إلى القارئ العربي حتى يتسنى له الاطلاع عليه، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وإذا فبعث هذه التّرجمات القديمة له قيمة أثرية أولاً، وقيمة فعلية ثانياً وعلى وجه التّخصيص. ولهذه القيمة الأخيرة وفي سبيلها عنينا بأن نقدّم النّص مزوّدا بكلّ ما يحتاج إليه اليوم من إيضاح وعلامات ترقيم..."<sup>205</sup>، فتراث أرسطو حري بأن يقدّم إلى القارئ العربي في حلّة قشبية خالية من الغموض والتّعقيد.

يرى بأنّ التّرجمة العربية القديمة لكتاب الخطابة لأرسطو ترجمة ركيكة خالية من الإبداع، يقول بدوي: "والتّرجمة العربية التي نقدّمها جاءت ويا للأسف سقيمة، انحرفت عن معاني النّص وأساءت فهمه، وعبر المترجم-المجهول لنا- عمّا فهمه أو بالأحرى أساء فهمه بألفاظ واصطلاحات غريبة يعسر على المرء أن يفهم السرّ في التجائه إليها: أذلك لأنّ هذه التّرجمة ترجع إلى المرحلة الأقدم في ترجمة مؤلفات أرسطو المنطقية، أم لأنّ المترجم كان بعيداً عن المنطق ومصطلحاته فكان يترجم ترجمة لغوية حرفية؟"<sup>206</sup> بعيدة كلّ البعد عن الواقع الفلسفي الذي يحفر في أعماق الذات الإنسانية باحثاً عن الحقيقة.

أراد في كتابه (الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية) أن يرسم لنا ملامح صورة العقل العربي في ضوء مرآة الحضارة الإنسانية عندما يقول ما يلي: "لقد كان العقل العربي مفتوحاً لكلّ ألوان الثقافات العالمية، فعني بالتراث الإيراني والتراث الهندي وتراث حضارات قديمة كبيرة، إلى جانب دوره العظيم هذا في تكوين الفكر اليوناني. وكان هذا التّفّتح الواسع-الذي لا يحده شيء، ولا يقف في سبيله أيّ تزمّت ولا تعصّب ولا ضيق نظر- هو العامل الأكبر في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية هذا الازدهار الشّامل الرّائع الذي أضاء العالم

<sup>205</sup> منطق أرسطو، الجزء الأول، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، ص: 09.

<sup>206</sup> أرسطو طاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص: 08.

في العصر الوسيط.<sup>207</sup> ، فالعقل العربي خاصّة في العصر العبّاسي ساهم في البناء الحضاري للإنسان العربي في ذلك العصر الذهبي الفريد من نوعه، لقد استطاع العقل العربي في ذلك العصر أن يقتحم مجاهيل وأدغال الفلسفة ويعيد تأسيسها وإعادة قراءتها من جديد قراءة عصرية حديثة تنويرية.

حاول ابن رشد في كتابه (تلخيص الخطابة) أسلمة تراث أرسطو الفلسفي حتّى لا يتصادم مع العقيدة الإسلامية، يقول بدوي: "وقد اعتذر ابن رشد عن ذكر الأمثلة اليونانية لأنّه رأى مجهولة تماما لدى القارئ العربي الذي يتوجه إليه، ولا تتلاءم أيضا مع الجوّ الإسلامي الذي يكتب فيه ويعيش فيه. على أنّه استبدل بهذه الأمثلة اليونانية نظائرها في الإسلام، فاستشهد بشواهد من الفقه والتاريخ الإسلامي واللغة العربية. والحقّ أنّه بذل جهدا محمودا في هذا الباب، وبخاصّة في المقالة الثالثة، حيث أراد أن يطبّق القواعد والنماذج التي يذكرها أرسطو على اللغة والآداب والخطب العربية، ووفق كثيرا في هذا."<sup>208</sup> ، ولم يكن ابن رشد هو الوحيد من شرح تراث أرسطو الفلسفي، بل هناك شرّاح آخرون كابن السّمح وابن عدي ومثّى بن يونس وأبي الفرج بن الطيّب، يقول بدوي موضّحا هذه الفكرة ما يلي: "كما تدل (هذه الشّروحات العربية القديمة) أيضا على أنّ ابن رشد لم يكن وحده الشّارح الكبير لمؤلفات أرسطو طاليس بل كان ثمّ شرّاح كبار آخرون نسيهم الناس لا بسبب نقص أقدارهم العلمية، بل لأنّ الشّهرة عمياء: لا تميّز غالبا بين من يستحقها عن جدارة، ومن لا يستحقها. ونرجو أن يكون في إحياء تراث هؤلاء الأفاضل المغمورين بعض الاعتراف

<sup>207</sup> عبد الرحمن بدوي: الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1987، ص: 11.

<sup>208</sup> ابن رشد: تلخيص الخطابة، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان، ص: 12.

بأفضالهم وجلائل أعمالهم.<sup>209</sup>، لذلك حاول ابن رشد أن يضيف على تراث أرسطو الفلسفي طابعا عربيا إسلاميا ووفق في ذلك توفيقا كبيرا.

أراد ابن سينا في كتابه (البرهان) أن يقدم لنا تصوّره الأوّلي لنظرية البرهان التي تقوم على أساس نظرية العلم اليقيني الذي لا يعتوره الشكّ، بل يعتوره اليقين المطلق الذي يؤدي إلى الحقائق المطلقة، يقول بدوي شارحا نظرية البرهان لابن سينا ما نصّه: "نظرية البرهان هي نظرية العلم اليقيني والعلم بالمعنى الصّحيح هو اليقين لهذا كان البرهان هو العلم."<sup>210</sup>، لأنّه يقودنا إلى الحقائق المطلقة التي تساعد الإنسان على الوصول إلى الحقيقة، لأنّ فلسفة ابن سينا هي فلسفة إشرافية ترى بأنّ العالم هو صادر عن الله وأشرق نوره من الله.

يرى بأنّ كتاب (عيون الحكمة) هو خلاصة فلسفة ابن سينا التي تتمثّل في المنطق والطبيعيات والإلهيات، يقول بدوي في مقدمة كتاب (عيون الحكمة) لابن سينا ما يلي: "كتاب (عيون الحكمة) لابن سينا موجز بسيط يشمل الحكمة النظريّة بأقسامها الثلاثة التقليديّة في الفلسفة الإسلاميّة المشائيّة وهي: المنطق، والطبيعيات، والإلهيات. هو موجز لأنّه لم يتضمن إلّا المعاني العامّة في هذه الأقسام دون الدخول في التفصيلات..."<sup>211</sup>، إنّها فلسفة تدعو إلى إعمال العقل والبحث فيما وراء الطّبيعة باستعمال أدوات المنطق وأدلّته العلميّة، إنّها فلسفة إسلامية بحثة تدافع عن العقيدة الإسلاميّة بكلّ ما أوتيت من حجج وبراهين.

يتصوّر بأنّ النّظام السّياسي في الإسلام مستمدّ من الفرس ومن اليونان خاصّة في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العبّاسي، يقول بدوي: "ويلوح أنّ الكتاب الذي ننشره

<sup>209</sup> أرسطو طاليس: الطبيعة، ترجمة: إسحاق بن حنين، مع شروح: ابن السّمح ومتى بن يونس وابن عدي وأبي الفرج بن الطيب، ج1، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط1، 1984، ص: 28.

<sup>210</sup> ابن سينا: البرهان، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربيّة، القاهرة، مصر، 1966، ص: 09.

<sup>211</sup> ابن سينا: عيون الحكمة، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت ، ودار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص: 03.

الآن، (العهود اليونانية) إنّما ألفه أو ترجمه صاحبه لينحاز في هذه المعركة إلى صفّ اليونانيين، ليبين لهم في السياسة مؤلفات لا تقلّ قيمة عن مؤلفات الفرس. ومن هنا كان غرضه من هذا الكتاب بيان ما لليونانيين من فضل في النظريات السياسية.<sup>212</sup>، التي ساهمت في بلورة ركائز النظام السياسي في الإسلام خاصّة في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي.

كان يرجّح مع بعض التحفّظ نسبة كتاب (شفاء السائل في تهذيب المسائل) -وهو كتاب في التّصوّف- إلى ابن خلدون، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ولا جواب لنا على هذا التّشكيك إلاّ أن نقرّر أنّه-إلى أن تظهر شواهد جديدة مضادّة، وخصوصاً شواهد كتابية، لا أدلّة تحليلية-فإنّنا نوّكد أنّ كتاب (شفاء السائل في تهذيب المسائل) هو من تأليف أبي زيد عبد الرّحمن ابن خلدون، صاحب (العبر وديوان المبتدأ والخبر)."<sup>213</sup>، إنّ كتاب هامّ في التّصوّف حاول فيه ابن خلدون أن يقرأ التّصوّف السائد في عصره قراءة عقلانية تجيب عن جميع الأسئلة التي يطرحها التّصوّف.

وفي الأخير هو يرجّح نسبة كتاب (شفاء السائل في تهذيب المسائل) إلى ابن خلدون عندما يقول: "ومن حسن الحظّ أنّ مؤلفاته لا تثير مشاكل جدية فيما يتصل بصحة نسبتها إليه، فإنّ أحدا لم ينحله كتابا ليس له. والمشكلة الوحيدة في هذا الباب، وهي الخاصّة بكتاب (شفاء السائل في تهذيب المسائل)، لا تستعصى على الحلّ إذ ليس ثمّ شكّ جدّي في صحّة نسبته إليه، كما أثبتنا حينما تناولنا هذه المشكلة من جميع وجوهها."<sup>214</sup>، كان يعتقد بأنّ ابن خلدون هو المؤلّف الحقيقي لكتاب (شفاء السائل في تهذيب المسائل)، وهو كتاب هامّ في

<sup>212</sup> الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، ج1، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1954، ص:07.

<sup>213</sup> عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خلدون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1962، ص:25.

<sup>214</sup> المرجع السابق، ص: 09.

التصوّف حاول فيه ابن خلدون أن يقرأ التصوّف السائد في عصره قراءة عصرية حديثة تنويرية.

إنّ الهدف من ترجمة كتاب (تاريخ العالم) لأوروسيويس Orosius (385م-420م) هو معرفة المصادر اللاتينية واليونانية التي استعان بها ابن خلدون في كتابه الأوّل من تاريخه الكبير وهو الكتاب التّالي لمقدمة ابن خلدون مباشرة، يقول بدوي في مقدّمة هذا الكتاب ما يلي: "وسنقصر حديثنا الآن على مصدر واحد من مصادره اللاتينية واليونانية، وهو (تاريخ) أوروسيويس، لأنّه المصدر اللاتيني الوحيد من بين هذه المصادر، الذي نقل عنه مباشرة. ونقل عنه مرارا عدّة تستغرق كلّ فقرات هذا التّاريخ اليوناني والرّوماني." <sup>215</sup>، فالتاريخ ظهر على يد اليونان ثم تطوّر على يد الرّومان ثمّ جاء عبد الرحمن بن خلدون وصبغه بالصبغة العربية الإسلامية.

يرى بأنّ أبا حامد الغزالي يعتبر من الفلاسفة العرب المسلمين الذين جمعوا بين الفلسفة وبين التصوّف وبين علم الكلام وبين الفقه وأصوله، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما نصه: "الغزالي-كأرسطو-من أعلام الفكر الإنساني الذين بلغوا في حياتهم وبعد وفاتهم أرفع مكانة بين النّاس، فكان طبيعياً أن تتعاون الحقيقة والأسطورة معا على إيجاد هذه المكانة، لما فطر عليه النّاس من نسبة جلائل الأعمال إلى من يظفرون بالشّهرة والمجد ولو لم يكن هم أصحابها." <sup>216</sup>، فالغزالي يعتبر من الفلاسفة العرب المسلمين الذين ساهموا بقلمهم في بناء صرح الفلسفة العربية الإسلامية، له مؤلّفات عديدة في الفلسفة ككتاب (تهافت الفلاسفة) وكتاب (مقاصد الفلاسفة)، كان كاتباً موسوعياً طرق جميع فنون العلم التي كانت سائدة في عصره وبدّاً أقرانه فيها.

<sup>215</sup> أوروسيويس: تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة (منتصف القرن الرابع الهجري)، حقّقها وقدم لها: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص: 05.

<sup>216</sup> عبد الرحمن بدوي: مؤلّفات الغزالي، وكالة المطبوعات، 22 شارع فهد السالم، الكويت، ط2، 1977، ص: 09.

## المبحث الثالث: الفلسفة والتصوّف والفكر والأدب والفنّ والحبّ بعيون عبد

### الرحمن بدوي

أنشأ الخليفة العبّاسي المأمون بيت الحكمة في بغداد، وجعله فضاء حرّاً لمناقشة أهمّ القضايا الفكرية السائدة في ذلك العصر كمسألة خلق القرآن وغيرها من المسائل الفكرية التي أسالت الكثير من الحبر، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وبيت الحكمة هذا هو إسم المدرسة التي أمر المأمون بإنشائها للتوفّر على ترجمة علوم الأوائل من اليونانية والسريانية إلى العربية. وكان حنين بن إسحاق الشّاب أنشط من فيها بين المترجمين، لقد نزل ميدان التّرجمة، ولمّا يتجاوز السّابعة عشرة من عمره، حتّى أصبح بعد قليل زعيم المترجمين العرب والسريان على الإطلاق".<sup>217</sup>، لقد صار بيت الحكمة في بغداد معهداً للتّرجمة، حيث ترجمت الفلسفة اليونانية من السريانية إلى العربية على يد حنين بن إسحاق وهذا في العصر العبّاسي المشرق.

لقد أثرت فلسفة أفلوطين Plotin (205م-275م) في الإسكندرية على الفكر الإسلامي عامّة وعلى التّصوّف الإسلامي خاصّة، في الفلسفة ساهمت في تأسيس الفلسفة الإشرافية وفي التّصوّف ساهمت في بلورة ركائز التّصوّف الإشرافي، يقول بدوي: "وكلّ هذا زاد من خفاء معالم أفلوطين، مع أنّ أثره في الفكر الإسلامي عامّة لا يقلّ أبداً عن أثر أرسطو، بل يزيد عليه في تشعبه، إذ شمل الفلسفة والمذاهب الدّينية ذوات التّزعّات الرّوحية الغنّوصية، وتغلغل في ضمائر المفكرين المسلمين بطريقة لا شعورية كانت أعمق نفوذاً من ذلك المذهب المنطقي الجافّ الظّاهري الذي كان لأرسطو طاليس".<sup>218</sup>، لقد ساهم أفلوطين

<sup>217</sup> عبد الرحمن بدوي: الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية، ص08.

<sup>218</sup> أفلوطين عند العرب، نصوص حقّقها وقدم لها: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1955،

ص: 02.

في البناء المعرفي للفكر الإسلامي عامّة وللتصوّف الإسلامي خاصّة وبالتالي خدم الفكر الإنساني خدمة جليّة.

تقوم فلسفة الأخلاق عند بدوي على تطبيق مبادئ ونظريات السلوك الإنساني في مجتمع قابل لتبني هذه القيم الأخلاقية التي بشر بها الفلاسفة ككانط وهيغل، يقول بدوي موضّحاً هذه الفكرة ما يلي: "لأخلاق وجهان: نظري، وعملي. الأوّل يضع المبادئ والنظريات التي يستند إليها السلوك الإنساني، والثاني يبحث في التطبيقات العملية لهذا السلوك داخل كيان عينيّ محدّد. ومن هنا كانت قيم الأخلاق النظرية عامّة، بينما قيم الأخلاق العملية خاصّة جزئية." <sup>219</sup>، لأنّ الأخلاق الفاضلة هي التي تساهم في بناء المجتمع المثالي الذي تسوده قيم الخير والعدل والمساواة وقيم المواطنة ويصبح الفرد مسؤولاً أمام ضميره الذي يميله عليه الواجب الذي يؤثته القانون.

يكمن الفرق بين الحضارة اليونانية وبين الحضارة الإسلامية في نظر بدوي في الحضارة اليونانية التي لها نزعة إلحادية وفي الحضارة الإسلامية التي لها نزعة إسلامية، يقول بدوي: "فالروح اليونانية تمتاز أوّل ما تمتاز بالذاتية، أي بشعور الذات الفردية بكيانها واستقلالها عن غيرها من الدّوات، بأنّها في وضع أفقي بإزاء هذه الدّوات الأخرى، حتّى ولو كانت هذه الدّوات آلهة، بينما الرّوح الإسلامية تقني الدّوات في كلّ ليست الدّوات المختلفة أجزاء تكوّنه، بل هو كلّ يعلو على الدّوات كلّها، وليست هذه الدّوات إلّا من آثاره ومن خلقه، يسيرها كما يشاء، ويفعل بها ما يريد." <sup>220</sup>، فالحضارة اليونانية قامت على أسس مادية بحتة، أمّا الحضارة الإسلامية فقد طغت عليها النّزعة الرّوحانية التي سرت في جميع الأديان الموجودة على ظهر البسيطة.

<sup>219</sup> عبد الرحمن بدوي: الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السالم، الكويت، 1975، ص: 01.

<sup>220</sup> التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، ألف بينها وترجمها : عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1940، ص: 10-11.

يرى بأنّ التّصوّف عند ابن عربي ( 1165م-1240م) هو مجرد تلقّي للإلهامات العلوية بدون واسطة، فالله يكلمنا كفاحاً من خلال نور يقذفه في القلب إنّه نور العرفان الإلهي الذي يساهم في إيصال العارف إلى ربّه بأقصر الطّرق، وفلسفة التّصوّف عند ابن عربي تتمثّل في التّطهير، يقول بدوي موضّحاً هذه الفكرة ما يلي: "ولهذا التّطهير ثلاث مراتب عند ابن عربي وهي:

1- تزكية النّفس 2- تصفية القلب، 3- تجلية الروح.

وللوصول إلى المرتبة الأولى لا بدّ من التّوبة وقهر الأهواء، وللوصول إلى الثّانية لا بدّ من الخلوة والذّكر، وللوصول إلى الثّالثة يكفي الإيمان الصّوفي الذي يفتح أبواب الرّوح للإلهامات العلوية.<sup>221</sup> وغذاء الرّوح هو الذّكر وهو شراب القوم كما يقال، وهو الذي يوصل العارف إلى حضرة الله لكي يسكر بالخمرة الإلهية ولا يفيق بعدها أبداً.

يعتقد بأنّ الأفلاطونية المحدثّة أثّرت في الفكر الإسلامي في العصر الوسيط، فالفارابي وابن سينا والكندي وأبو بكر الرّازي ( 250هـ-311هـ) تأثّروا بهذه الفلسفة التي ترى بأنّ الكون هو صادر عن الله، يقول بدوي: "وفي اعتقادنا أنّ هذه النّصوص تكشف عن جانب من أخطر جوانب الفكر الإسلامي، جانب الأفلاطونية المحدثّة التي ثبتت للمشائية الأرسطية وزاحمتها في فضل تكوين النّظرة الفلسفية للمسلمين في العصر الوسيط."<sup>222</sup> لقد ساهمت هذه الفلسفة في بلورة ركائز الفلسفة الإشراقية والتّصوّف الإشراقي، فالكون هو صادر عن الله وكذلك المعارف والأفكار والأسرار كلّها صادرة من الله.

<sup>221</sup> أسين بلاثيوس: ابن عربي، حياته ومذهبه، ترجمه عن الأسبانية: عبد الرحمن بدوي: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1965، ص: 148.

<sup>222</sup> الأفلاطونية المحدثّة عند العرب، مجموعة من النصوص، حققها وقدم لها: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، ط2، 1977، ص: 55.

يكمن الفرق بين الشعر وبين الخطابة عند حازم القرطاجني (608هـ-684هـ) كما يتصوّر بدوي في أنّ الشعر يعتمد في الأساس على التخييل، أمّا الخطابة فهي تعتمد في الأساس على الإقناع، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وحازم في هذا القسم يبدأ فيفرّق بين الشعر والخطابة على أساس أنّ الشعر يعتمد على التخييل، بينما الخطابة تعتمد على الإقناع. على أنّهما يجتمعان في أنّهما يجعلان الأقاويل الكاذبة توهم أنّها صادقة. وذلك بالتّمويه، ويتعلّم به الاستدراج، وهو يتمّ بأن يتهياً المتكلم بهيئة من يقبل قوله أو باستمالة المخاطب. والتّمويه يكون بطي محلّ الكذب في القياس عن السّامع، أو بوضع مقدمات القياس على ترتيب يوهّم الصّحة، أو بإلهاء السّامع عن تفقّد موضع الكذب." <sup>223</sup>، فأرسطو هو أوّل من نظّر للشعر وللخطابة، لأنّ الحضارة اليونانية قامت على فنّ الشعر وعلى فنّ الخطابة وهما عنصران هامّان في صناعة أيّ حضارة إنسانية ما.

تتمثّل فكرة الإنسان الكامل عند بدوي في ذلك الإنسان العارف بالله الذي استطاع أن يتماهى مع المطلق ويضمحل فيه والتحمت ذاته الإنسانية مع الذات الإلهية، يقول بدوي: "بين تأليه الإنسانية وتأنيس الألوهية، سعت فكرة (الإنسان الكامل) في الحضارة الإسلامية، حتّى تعبر هوة اللانهاية بين المخلوق والخالق، تلك الهوة التي انبثقت عن ينبوع الرّوح السّحرية، فكانت مصدرا مزدوجا لقطبين متناقضين: لديانتها وإدانتها." <sup>224</sup>، وفكرة الإنسان الكامل تقوم على أساس أن يحلّ اللاهوت في النّاسوت وتلتحم الذات الإلهية مع الذات الإنسانية في بوتقة واحدة.

يرى بأنّ الحكم التي مفردها حكمة ليست مجرد أقوال بل هي أفعال، والحكمة هي عبارة عن قول موجز يحمل خلاصة تجربة الحياة وليس له مضرب ولا مورد، يقول بدوي: "وإذن فليست الحكم صيغا نهائية، وليست نواميس ثابتة للسلوك، بل هي بالأحرى بواعث

<sup>223</sup> عبد الرحمن بدوي: حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في البلاغة والشعر، القاهرة، مصر، 1961، ص: 88.

<sup>224</sup> عبد الرحمن بدوي: الإنسان الكامل في الإسلام، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السالم، الكويت، ط2، 1976، ص:

إلهام واستلهام، ودواعي توجيهه والتزام، ولن تأتي أكلها إلا إذا أضحت صورا حيّة متطوّرة متجدّدة في نفس متمثلها.<sup>225</sup>، فالحكمة هي صوت الإنسان العاقل الحصيف الذي عرف الحياة على حقيقتها وأدرك أسرارها الباطنية الحقيقية.

وجّه في سيرته الذاتية سهام النقد إلى مشايخ الطّرق الصّوفية السّائدة في مصر كالطريقة الشاذلية والطريقة الرّفاعية والطريقة البدوية والطريقة الدّسوقية واعتبرهم مجرد جهلة وعملاء للاستعمار البريطاني، يقول بدوي في هذا المجال ما يلي: "وهؤلاء المشايخ الذين تؤخذ عليهم العهود لا تعرف لهم طريقة من الطّرق الصّوفية المشهورة ولا يتبعون أحدا من أعلام الصّوفية-كالشاذلي، أو الرّفاعي، أو أحمد البدوي، أو الدّسوقي-لأنهم جهلة أجلاف، وفي الغالب أميون. ولهذا فإنّ (مريديهم) لا يستفيدون علما من علوم أهل الطّريق، بل يقتصر الأمر عندهم على لبس البشت ووضع سلسلة حديدية أو سبحة في الرّقبة، وإحياء الذّكر في أوقات معلومة. ومن النادر جدّا أن تتهدّب نفوسهم أو أن تتحسن أخلاقهم، وليس بين مختلف هؤلاء المشايخ تنظيم أو تضامن، وليس لهم هيئة تجمعهم، ولا مرجع يرجعون إليه بل كلّ واحد منهم له شأنه الخاصّ به، وأتباعه المتعلّقون به وحده."<sup>226</sup>، إنهم مشايخ من ورق يروّجون للتصوّف الخرافي الذي يعتمد على الدّروشة والخرافات والكرامات المكذوبة، وهدفهم من كلّ هذا هو صرف وجوه النّاس إليهم ليسلبوهم أموالهم وينصبوا عليهم باسم التّصوّف، والتّصوّف بريء منهم ومن أمثالهم، يقول بدوي: "ولهذا ليس لأحد أن ينتظر من هؤلاء (المشايخ) المنتشرين في الرّيف المصري-بل وفي المدن المصرية-أيّ إسهام في التّصوّف الإسلامي، النّظري والعملية منه على السّواء، أمّا تأثيرهم السّياسي-وهو لا يتجاوز نطاق الانتخابات-فيكاد يكون معدوما، على أنّهم من حيث العدد في تناقض شديد متواصل. وما أكبر الفارق بين عددهم اليوم، وعددهم منذ ستّين عاما! لقد كان التّدوين آنذاك لوجه الله

<sup>225</sup> أبو علي أحمد بن محمد مسكويه: الحكمة الخالدة، جاويدان خرد، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة

المصرية، القاهرة، مصر، 1952، ص: 10.

<sup>226</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 19.

وللوجاهة في الآخرة، أمّا اليوم فهو لوجه السلطان والنّفوذ في الدّنيا.!.<sup>227</sup>، لقد خرج التّصوّف عن سكّته الحقيقية وصار بوقاً للسلطة الحاكمة في مصر، يحتاجونه عند أوان الانتخابات، فالمريدون في كلّ الطّرق الصّوفية في مصر هم بمثابة وعاء انتخابي هامّ لا يمكن الاستغناء عنه، لذلك أصبح التّصوّف حرفة من لا حرفة له، من يريد أن يكون وجيهاً بين قومه عليه أن يؤسّس طريقة صوفية لكي ينال ما يريد من مصالح ومن امتيازات خاصّة من السلّطة الحاكمة ومن المقربين منها، لذلك صار التّصوّف هو الوجاهة الدّينية للسلطة الحاكمة.

يرى في كتابه (الموت والعبقريّة) بأنّ الموت هو تجربة فردية وجودية لكلّ إنسان وجد على ظهر هذه البسيطة، يقول بدوي: "لعلّ أوّل حركة باطنة يحاول بها المرء أن يردّ الأثر الذي يتركه في نفسه سماعه للكلمة (مشكلة الموت) أن يتساءل: هل للموت مشكلة؟ أو ليس الموت واقعة ضرورية كلية لا بدّ لكل فرد أن يعاينها يوماً ما؟ أو لسنا نعرف جميعاً هذه الواقعة، لأنّنا نستطيع أن نشاهدها لدى الآخرين؟"<sup>228</sup>، لأنّ الموت هو عبارة عن تجربة فردية وشخصية لا يشعر بها إلّا من كابدها وعاش أحداثها الأليمة، فهي نهاية لا بدّ منها لكل كائن في هذا الوجود.

مفهوم الشّطح عند الصّوفية كما يتصوّره بدوي هو ذلك الكلام غير المفهوم الذي يخرج من فم العارف بالله كأبي يزيد البسطامي (188هـ-261هـ) وغيره من الصّوفية الأقحاح، يقول بدوي معرّفًا مفهوم الشّطح ما نصّه: "الشّطح إذن تعبير عمّا تشعر به النّفس حينما تصبح لأوّل مرّة في حضرة الألوهية، فتدرك أنّ الله هي وهي هو. ويقوم إذن على عتبة الاتحاد. ويأتي نتيجة وجد عنيف لا يستطيع صاحبه كتمانها، فينطلق بالإفصاح عنه لسانه، وفيه يتبيّن هذه الهوية الجوهرية فيما بين العبد الواصل والمعبود الموصول إليه،

<sup>227</sup> المصدر السابق، ص: 19.

<sup>228</sup> عبد الرحمن بدوي: الموت والعبقريّة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1962، ص: 03.

## الفصل الأول: استنطاق المسكوت عنه في فكر عبد الرحمن بدوي

فيتحدّث على لسان الحقّ، لأنّه صار والحقّ شيئاً واحداً..."<sup>229</sup>، وهذا ما يعرف بوحدة الوجود، وهي أن يحلّ اللاهوت في النَّاسوت ويصبح ذاتاً واحدة تسري فيها الرّوح الإلهية المطلقة التي تجسّد لنا مفهوم الإنسان الكامل على هذه الأرض.

تبدو لنا صورة ابن سبعين (614هـ-669هـ) عند بدوي مثل صورة الحلاج (244هـ-309هـ) الذي دعا في تصوّفه إلى الحلول والاتحاد، يقول بدوي: "وابن سبعين شخصية فذّة فريدة في نظراتها الإنسانية العامّة، فهو رجل إنساني عالمي غير مقيد بقيود دار العقيدة، بل يسير على نفس المنهج الذي اختطّه الحلاج من قبل، حينما ارتحل عن بلاد الإسلام خارج منطقة شفاعة النّبي كما يقول الأستاذ ماسينيون..."<sup>230</sup>، فابن سبعين في تصوّفه خرج على منظومة الفقيه ودعا إلى الحلول والاتحاد متأثراً بفكرة الإله المتجسّد (يسوع المسيح) في الديانة المسيحية.

تعتبر رابعة العدوية (100هـ-180هـ) من أهمّ النّساء اللّواتي همن وجدا بالذات الإلهية، لقد فنت في الذات الإلهية فناء تاماً حتّى غابت عن الحسّ، وصارت لا تنطق إلاّ على لسان الله، يقول بدوي: "هذه الصّوفية المسلمة هي رابعة العدوية التي قضت عمرها منذ توبتها وهي تحترق بنار الحبّ الإلهي حتّى آلت في آخر حياتها إلى تلك الحال التي وصفنا، فكانت شهيدة العشق الإلهي حقاً."<sup>231</sup>، لأنّها أحبّت الله حبّاً صوفياً وجودياً جعلها تنسى ذاتها الإنسانية التي انصهرت في الذات الإلهية وذابت فيها.

<sup>229</sup> عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية، أبو يزيد البسطامي، الجزء الأول، وكالة المطبوعات ، 27 شارع فهد السالم، الكويت، ص:10.

<sup>230</sup> أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي الأندلسي: رسائل ابن سبعين، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ص:15.

<sup>231</sup> عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 2، 1962، ص:06.

يعتبر التّصوّف هو الحياة الرّوحية في الإسلام، لأنّه يجعل الرّوح تسمو إلى المطلق وتنمهي فيه، إنّ التّصوّف هو حياة الرّوح وقوت القلوب، يقول بدوي مبيناً فلسفة التّصوّف الحقيقية ما يلي: "التّصوّف جانب من أخصب جوانب الحياة الرّوحية في الإسلام، لأنّه تعميق لمعاني العقيدة، واستبطن لظواهر الشريعة، وتأمّل لأحوال الإنسان في الدّنيا، وتأويل للرموز والشّعائر يهبها قيمة موعظة في الأسرار، وانتصار للروح على الحرف، ومعلوم أنّ (الرّوح تحيي، والحرف يميت). وآفة التّصوّف هي آفة كلّ علم إنساني، أعني: الانحراف عن روحه والابتعاد عن الغاية منه وإساءة فهم مقاصده..."<sup>232</sup>، لأنّ التّصوّف يدعو إلى مكارم الأخلاق ويساهم في تطهير النّفس من أدرانها، وبالتالي يصبح الإنسان عارفاً بالله متصلاً بحضرة الإطلاق حتّى لا يرى في هذا الوجود سوى الله الذي تجلّت أفعاله وصفاته في هذا الوجود الطّاعي.

كان معجباً بالمستشرق الإسباني أسين بلاثيوس (Asin Palacios) (1871م-1944م)

لأنّه هو الذي عزّفه على تراث ابن عربي الصّوفي بلمسته الأندلسية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "لقد كان أسين بلاثيوس طوداً شامخاً من أطواد الاستشراق، يحتلّ مكان الصّدارة التي يحتلّها نلينو (إيطاليا) وجولد تسيهر (المجر) ونيلدكه (ألمانيا) ماسينيون (فرنسا) وكراتشكوفسكي (روسيا) ودوزي (هولندا)، وبه رسخت أقدام البحث العلمي الممتاز في تاريخ الإسلام الرّوحي في أسبانيا." <sup>233</sup>، فبلاثيوس يعتبر باحثاً في التّصوّف الإسلامي الأندلسي الذي دعا إلى التّسامح مع النّصارى ومع جميع الأديان المختلفة الموجودة على ظهر هذه الأرض برمتها.

<sup>232</sup> عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي، من البداية حتى نهاية القرن الثاني، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السالم، الكويت، ط1، 1975، ص: 07.

<sup>233</sup> عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، طبعة جديدة منقحة ومزودة بثمانين مادة جديدة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص: 126.

كان معجبا بلويس ماسينيون الذي ارتبط ارتباطا روحيا بالحلاج، يقول بدوي ملخصا شخصية ماسينيون في صورة مجملّة ما يلي: "ولئن كان قد عرف خصوصا بدراساته في التّصوّف الإسلاميّ عامّة، وفي الحلاج بخاصّة. فما كان ذلك في الواقع غير جانب واحد من جوانب فكره المتعدّد الأصيل في كلّ ما تناوله. فقد عني بالآثار الإسلاميّة، واستهلّ بها نشاطه العلمي، واهتمّ بكلّ المشاكل العصرية في البلاد الإسلاميّة وبتاريخ النّظم الاجتماعيّة في الإسلام، وأولى الدّراسات الفلسفيّة والعلميّة رعاية تشهد له باليد الطولى فيها. وتوفّر على دراسة الشّيعة بكلّ تطوّراتها وفروعها، وخصوصا المغاليّة منها كالقراطة والنّصيرية والإسماعيلية، لأنّه كانت تستهويه المذاهب المستورة والحركات السريّة، الرّوحية والسياسية، في تاريخ الإسلام، فضلا عن ارتباطها في بعض الأحيان بصاحبه الذي رافقه طوال حياته، أعني الحلاج".<sup>234</sup>، الذي يعتبر من أهمّ المتصوّفة الذين مزجوا بين التّصوّف وبين الفلسفة وبين التّعالم الدينيّة للهنود القدامى، فكان تصوّفه فريدا من نوعه امتزج فيها ناسوته باللاهوت الإلهي.

يرى بأنّ الملاحدة العرب القدامى كابن المقفّع (106هـ-142هـ) وصالح بن عبد القدّوس وابن سينا وابن الرّواندي (827م-911م) وأبي بكر الرّازي هم تنويريون لأنّهم دعوا إلى حرّيّة الفكر وإلى رفع القداسة عن النّصوص الدينيّة حتّى يتسنى لهم نقدها، يقول بدوي: "وأخيرا تصف تنويريهم بأنّه يطلب الحرّيّة بكلّ ثمن دون أن يعبأ بما سيناله من جرّاءها، فاندفع الرّنادقة يعلنون آراءهم الهدامة بكلّ شجاعة وصراحة، على الرّغم ممّا كان يتوعدهم به السّلطان-أعني الخليفة-من عذاب، وما لقيه أكثرهم من اضطهاد، وفضّل أغلبهم الاستشهاد فقد أرواحهم فداء لتلك الحرّيّة الفكرية التي لم يرضوا بغيرها بديلا، كما فعل ابن المقفّع وصالح بن عبد القدّوس ومئات غيرهم على النّحو الذي فصلناه، ويلوح أنّ الدّولة قد آثرت أخيرا أن تحرم هؤلاء من فخر الشّهادة فتركنتهم أخيرا في النّصف الثّاني من القرن

<sup>234</sup> شخصيات قلقة في الإسلام، دراسات ألف بينها وترجمها: عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربيّة، القاهرة، مصر، 2، 1964، ص: 08-09.

الثالث، وطوال القرن الرابع يفعلون ما يشاءون.<sup>235</sup> ، وهؤلاء الملاحدة العرب القدامى كانوا ريببيين يؤمنون بوجود خالق على طريقة الفيلسوف سقراط، ولكنهم يرون بأن الأديان الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلام) هي صناعة بشرية بحتة ليس إلا.

كان يعتبر أبا حيان التوحيدي (310هـ-414هـ) هو أديب وجودي لأنه عبّر عن آلامه في كتاباته الأدبية، يقول بدوي موضحاً شخصية التوحيدي ما يلي: " فالآلم الذي يحياه في لحظة هو ألم مرفوع إلى أسّ السّرمدية، والانفعال الذي ينطبع في نفسه من موضوع محدد، سرعان ما يفتح على الوجود الواحد بأسره. وهذا هو ما يميّز الأديب الوجودي الحقّ. فكأين من حدث تافه عند الناس يصبح لديهم حدث الأحداث، لا لمبالغة في تقديرهم أو إفراط في التخيل الجامح، لكن لأنهم يقولون مع جيبته: (كلّ حادث رمز). فما بالك وقد لقوا في دنياهم عننا ليس بالهين!"<sup>236</sup> ، هو الذي جعلهم ينظرون إلى هذه الحياة نظرة سوداوية، تجعلهم يعرفون سرّ الحياة ويدركون كنهها، هؤلاء هم أدباء الوجودية الذين حاولوا أن ينظروا إلى هذا الوجود بعمق وحاولوا الإجابة عن كلّ الأسئلة التي يطرحها الوجود.

يعتبر طه حسين هو الأب الروحي له، كان أستاذه في الجامعة وناقشه في رسالة الماجستير وفي رسالة الدكتوراه وهو من عينه معيدا في جامعة القاهرة وهو من أرسله في بعثة صيفية إلى إيطاليا وإلى ألمانيا، يقول بدوي مخاطبا طه حسين في لوح الخيال ما يلي: " إلى العلم الشامخ في الأدب المعاصر. إلى رائد النزعة الإنسانية في الفكر العربي الحديث. إلى الأديب الذي فتح للأدب العربي آفاقا عالمية. إلى المفكر الحرّ الذي ناضل بقلمه وعلمه وعمله من أجل رفع لواء الحرّية الفكرية في مختلف مرافق الحياة الروحية.

<sup>235</sup> عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، دار سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1993، ص: 11.

<sup>236</sup> أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ج 1، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، مصر، 1950، ص: 10-11.

إلى القلب الكبير النَّابض مع المستضعفين، الحاني على المحرومين، النَّائر للمعذَّبين والمضطهدين، المنافح في سبيل كرامة الإنسان، إلى العقل المحيط بثتَّى فروع الثقافة العالمية، الدَّاعي دعوة النَّحرر من أغلال التَّقاليد المتحجِّرة والقيم البالية، العامل على تهيئة أسباب العلم والنُّور للنَّاس أجمعين. إلى النَّاقد الذي أنشأ شرعة قيم جديدة، وابتدع موازين للنقد النَّافذ إلى عمائق الآثار الفكرية والأدبية. إلى السَّاحر بفصاحة لسانه ونصاعة بيانه وعذوبة موسيقى أسلوبه وإيقاع كلماته ونبراته.<sup>237</sup> فطه حسين يعتبر من المفكرين التَّوويريين الذي حاولوا قراءة التَّراث العربي الإسلامي قراءة حدائثة معاصرة تنويرية، ولكنَّ سدنة المعبد وقفوا في طريقه الإصلاحي التَّوويري وحاولوا إيقاف مسيرته العلمية والفكرية، ولكنَّه بقي صامدا كالطود لا تزعزعه رياح المنكرين عليه، وواصل مسيرته الأدبية والفكرية حتَّى أتاه اليقين.

يرى بأنَّ الإمام محمَّد عبده (1849م-1905م) من دعاة التَّجديد في الخطاب الدِّيني الحديث، فالشَّيخ عبده كان متأثرا بابن رشد لأنَّه عقلاني التَّفكير وحاول إصلاح نظام التَّعليم في الأزهر ولكن كلَّ محاولاته قد باءت بالفشل، يقول بدوي عن محمَّد عبده ما يلي: " فلقد كان عقلا من أكبر عقول الشَّرق، والعروبة والإسلام في عصرنا الحديث، وإنَّما الموت يصيب الأجسام، أمَّا هذه العقول الفعَّالة النَّاضجة، فإنَّها لا تموت، وأنَّها موجودة دائما بيننا من خلال ما تركته من أعمال باقية ما بقيت الحياة."<sup>238</sup> من عاش من أجل فكرة فلن تموت تلك الفكرة أبدا، لأنَّها ستبقى صامدة عبر التَّاريخ تردِّدها الأجيال من حين إلى حين، هكذا هي الأفكار الإصلاحية دائما هي تساهم في رقي المجتمع وتطوره.

<sup>237</sup> إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين: دراسات مهداة من أصدقائه وتلاميذه، أشر ف على إعدادها: عبد الرحمن بدوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1962، ص: 07.

<sup>238</sup> عبد الرحمن بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2005، ص: 25.

يعتبر ميشال فوكو مجرد مفكّر سطحي لم يأت بأيّ جديد في ميدان الفكر والفلسفة، هو يردّد أقوال سابقه مثل البيغاء ليس إلّا، يقول بدوي: "ويحاول فوكو أن يفسّر المذاهب والتيّارات والتّصوّرات العلمية واللّغوية والاقتصادية إلخ، وفقا لهذه الخصائص في كلّ عصر، لكنّ محاولته في الغالب مفتعلة تلوي التّفسير ليتفقّ مع الخصائص. وبالجملة فإنّ كتاب (الألفاظ والأشياء) كتاب مضطرب التّأليف ضعيف المادّة، واهي الاحتجاج، ولهذا لم يكن يستحقّ هذه الشّهرة التي حظي بها آنذاك، والتي ما لبثت أن تضاعلت أصدائها بعد عامين، وأضحى الكتاب في عالم النّسيان." <sup>239</sup>، لأنّ هذا الكتاب لم يأت بأفكار جديدة تحاول إصلاح المجتمع وما فيه من عيوب اجتماعية وفكرية، فالأفكار الإصلاحية لن تموت وإن مات صاحبها في الواقع، لأنّ الفكرة لن تموت أبد الدهر.

يعتبر جان بول سارتر مجرد أديب فقط يتطلّ على موائد الفلسفة الوجودية ليس إلّا، هو يحاول أن يلعب دور الفيلسوف الوجودي من خلال كتاباته المسرحية فقط، يقول بدوي: "سارتر أديبا أكثر منه فيلسوفا. وأنا قد عبّرت عن رأيي فيه في كتابي (دراسات في الفلسفة الوجودية) وقلت عنه إنّهُ ضئيل القيمة من النّاحية الفلسفية، وأمّا من النّاحية السّياسية فأنا لا أقيم له أيّ وزن، لأنّه متقلّب يركب الموجة الرّائجة ولا مبدأ عنده يستقرّ عليه." <sup>240</sup>، لأنّه يجب على الفيلسوف أن تكون له مبادئ ثابتة لا يحد عنها ويدافع عنها في كتاباته الأدبية والفكرية والفلسفية على حدّ سواء.

فسارتر هو مجرد أديب-في نظره-كان يتبع الموضة السّائدة آنذاك وهي موضة الفلسفة الوجودية خاصّة في فرنسا، يقول بدوي: "ومنذ قراءتي له لم أشعر نحو سارتر بأيّ تقدير من النّاحية الفلسفية. وعددته مجرد أديب، وباحث نفساني يستند إلى منهج الظّاهريات،

<sup>239</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج2، ص:28.

<sup>240</sup> المصدر السابق، ص: 249.

ولم اعتبره أبداً فيلسوفاً وجودياً، قد أسهم بأيّ إسهام يذكر في تكوين المذهب الوجودي.<sup>241</sup> إنّه مجرد أديب تأثر بالأفكار التي تطرحها الفلسفة الوجودية مثل: الحرّية والنزعة الفردية والقلق الوجودي والتشاؤم.

ينتقد طريقة تدريس الفيلسوف الألماني الوجودي كارل يسبرز Karl Jaspers

(1883م-1969م) خاصة عندما زار سويسرة وحضر إحدى محاضراته في جامعة بازل السويسرية، كان يرى طريقته في التدريس طريقة مملة وسمجة، يقول بدوي: " كذلك أتيت لي أن أحضر ثلاث محاضرات للفيلسوف الوجودي الألماني كارل يسبرز ( 1883-1969)، كانت المحاضرات الثلاث الأخيرة من الدروس التي يلقيها على الطلاب في جامعة بازل في الفصل الصيفي سنة 1956، وكان الموضوع هو الأخلاق عند الأخلاقي الصيني لاوتسيه، وقد لاحظت أنّ عدد الطلاب كان قليلاً لا يتجاوز العشرة. وكان صوته خفيفاً، مملاً، يبعث على النوم، وكان يقرأ من كراسة دونّ فيها محاضراته.<sup>242</sup> على الأستاذ الجامعي أن يكون مبدعاً وهو يلقي محاضراته على طلابه، والواجب عليه ألا يكون نسخة مكرّرة عن الآخرين، بل عليه أن يضع بصمته الخاصة في دروسه ومحاضراته وهذا حتّى يؤثّر على طلابه تأثيراً جيّداً.

يرى بأنّ زكي نجيب محمود ( 1905م-1993م) رائد الوضعية المنطقية في مصر

وفي الوطن العربي قد أثرى المكتبة العربية بمؤلّقاته الغزيرة في الأدب وفي الفلسفة، يقول بدوي: " إنّي كنت أختلف معه اختلافاً كبيراً، لكنّي لا أنكر أنّه ترك لنا مجموعة من الكتب المهمّة. وإن لم يكتب في تاريخ الفلسفة ولا في تحقيق الكتب الفلسفية!.. وأضاف كانت تربطني به علاقة صداقة شخصية، وإعجاب متبادل، ولا ينكر أحد أنّه ساهم بدور كبير في إثراء الثقافة العربية، سواء من خلال مقالاته الأدبية أو من خلال الدّعوة إلى التفكير

<sup>241</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 183-184.

<sup>242</sup> المصدر السابق، ص: 269.

العقلي.<sup>243</sup>، إنّه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة دعا إلى قراءة تراثنا العربي الإسلامي قراءة عقلانية، وهذا من أجل تنقيته من الخرافات والأساطير وجعله يواكب العصرنة والحدائثة والتّوير وبالتالي تتمّ عقلنة تراثنا العربي الإسلامي وتقديمه إلى القارئ العربي في حلّة قشبية.

كان زكي نجيب محمود مهتمًا بالوضعية المنطقية التي تهتمّ بالمنطق الرياضي وبالتحليل المنطقي للأشياء، لقد دعا في كتاباته الفلسفية إلى فلسفة علمية تعتمد على التحليل المنطقي في رؤيتها للأشياء، يقول بدوي: "وكان زكي نجيب محمود مهتمًا بالمنطق الرياضي، وكذلك بالفلسفة خصوصًا تلك القائمة على التحليل اللفظي أو ما يسمى بالوضعية المنطقية التي أنشأتها حركة دائرة فيينا، وأهمّ ما خلفه لنا هو كتاب (نحو فلسفة علمية) الذي يسطر فيه أفكار الوضعية المنطقية التي كان يؤمن بها."<sup>244</sup>، لقد أراد زكي نجيب محمود أن يؤسس لفلسفة علمية في مصر وفي الوطن العربي تحاول أن تقرّ تراثنا العربي الإسلامي قراءة حدائثة عصرية تنويرية تنزع القداسة عن النصوص الدّينية وتحاول قراءتها قراءة موضوعية.

حاول في كتابه (حيّ بن يقظان لابن طفيل (1100م-1185م)) أن يقرأ قصة حيّ بن يقظان قراءة رمزية فلسفية، إنّه قصة عقل يبحث في الوجود عن آثار الخالق من خلال طرح أسئلة وجودية تتعلّق بالحياة وبالموت وبوجود الله، وابن طفيل في قصّته هذه هو متأثر بالفلسفة الإشرافية لابن سينا، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: " (حيّ بن يقظان) قصة رمزية فلسفية تعرض نمو العقل الموحد منذ بداية خلقه حتّى وصوله مرتبة الاتحاد

<sup>243</sup> سعيد اللاوندي: عبد الرحمن بدوي، فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام، مركز الحضارة العربية، القاهرة، مصر،

ط1، 2001، ص: 10.

<sup>244</sup> المرجع السابق، ص: 11.

## الفصل الأول: استنطاق المسكوت عنه في فكر عبد الرحمن بدوي

بالخالق.<sup>245</sup> هو هنا متأثر بالتصوّف الإشرافي عند ابن سينا ومتأثر كذلك بنزعة الحول والاتحاد التي عرف بها شهيد التصوّف الإسلامي العارف بالله الحلاج.

انبرى أدب القصة عند الهولنديين للدفاع عن الشعوب المستعمرة من طرف الهولنديين أنفسهم، إنّه أدب يدعو إلى الحرّية وإلى الإنسانية، يقول بدوي: "لهذا كان الموضوع الغالب لدى القصصيين الهولنديين الذين مكنتهم أعمالهم من السّفر إلى تلك المستعمرات هو معاناة شعوب هذه المستعمرات من ظلم الهولنديين أنفسهم. ومن هنا تسري نفحة إنسانية متعاطفة مع أماني شعوب المستعمرات الهولندية في الحرّية والعدالة، وإن كانت لم تصل إلى مناصرة حركاتها الاستقلالية."<sup>246</sup>، إنّه أدب ملتزم بقضايا الشعوب المظلومة التي تعاني من ويلات الاستعمار الهولندي، هو أدب يحاول الدّفاع عن المبادئ التي جاءت بها الفلسفة الوجودية كالحرّية والمساواة والعدالة والالتزام بقضايا الشعوب المقهورة، إنّه أدب وجودي بحثّ يحاول الإجابة عن كلّ الأسئلة التي تؤرّق الإنسان المعاصر.

يرى بأنّ قصة (دون كيخوته) لسرفنتيس Cervantes (1547م-1616م) هي قصة وجودية لأنّها تمثّل روح الإنسان الأوروبي في القرون الوسطى، يقول بدوي: "ولهذا كانت قصة (دون كيخوته) هي قصة الوجود نفسه بقطبيه المتطرفين المتصارعين المتنازعين، ومن نزاعهما يتألف ديالتيك الوجود، وكانت شخصية دون كيخوته من النماذج الإنسانية العليا، إلى جانب برومثيروس، وفاوست، وهاملت، ودون جوان، إنّ دون كيخوته يمثّل روح الإنسان، أمّا رفيقه سنشوبينا فيمثّل بدن الإنسان، هذا الرّفيق الأصيل للروح."<sup>247</sup>، إنّه قصة تمثّل الغربة الوجودية التي كان يشعر بها الإنسان الأوروبي في القرون الوسطى.

<sup>245</sup> عبد الرحمن بدوي: حي بن يقظان لابن طفيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1995، ص: 03.

<sup>246</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 320.

<sup>247</sup> ثريانتس: دون كيخوته، (الجزء الأول) ترجمة : عبد الرحمن بدوي، دار المدى، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998، ص: 05.

يبدو شعر غوته في نظره هو ذو نزعة شرقية، فالغرب جوهره المادّة والشرق جوهره الرّوح، يقول بدوي: "وليس هذا كلّ ما في الشرق ممّا يحقّق أمني جيته، فقد كان يشعر بضيق شديد من أساليب الغربيين في التّعبير وأوضاعهم التي اصطلحوا عليها. ومن هنا كان يشعر شعورا خفياً في بادئ الأمر، ملحا قويا في النّهاية، بأنّه في حاجة إلى اتّخاذ أسلوب جديد للتعبير، فيه حرّية وفيه انطلاق، وأسلوب الشرق في الشّعْر يمتاز بهذه الخصائص. ففي الشرق إذا قد وجد ما يحقّق أمله من ناحية الشّكل والصّورة، بعد أن وجد فيه من قبل ما ينشده من ناحية الموضوع والمادّة." <sup>248</sup>، فالشرق هو الذي ألهم غوته وأوحى له بشيطان الشّعْر الذي تلبّسه عندما زار الشرق وانبهر بروحانيته الصّوفية ذات النّزعة الإشراقية.

يتصوّر شخصية (فاوست) لغوته هي نموذج الإنسان الكامل الذي يستعين بالقوى الخارقة (السّحر) من أجل الوصول إلى ما يريد، يقول بدوي: "فاوست هو نموذج الإنسان السّاعي إلى المزيد من القوّة، أو الكمال، بوسائل خارجة عن الطّبيعة هي ما يعرف بالسّحر، بأوسع معانيه: فالمستقبل مجهول، والإنسان يريد معرفة ما سيجي به، والقوى الطّبيعية الميسورة له قاصرة، فليبحث عن قوى خارقة كي يسخرها لتنفيذ ما يصبو إليه، والطّباع الموجودة في الواقع تقف في سبيله أو تعجز عن أداء ما يطلب، فليتمس إذن أدوية لتحويلها إلى ما ينجح في تحقيق أغراضه. وتلك مهمّة السّحر." <sup>249</sup>، لقد حاول غوته من خلال شخصية فاوست أن يرسم لنا ملامح الإنسان الكامل الذي يستعمل السّحر من أجل أن يمتلك قوى خارقة تمكّنه من السّيطرة على الوجود برمّته وبالتالي يحصل على حرّيته المطلقة التي نادى بها الفلسفة الوجودية في عزّ مجدها.

<sup>248</sup> جيته: الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص: 07.

<sup>249</sup> جيته: فاوست، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار المدى، دمشق، سورية، ط2، 2007، ص: 07.

في مرحلة المراهقة استطاع أن يكتشف عوالم الأدب الفرنسي المترجم إلى اللغة العربية، ويومها لم يكن يتقن اللغة الفرنسية، يقول بدوي: "لكن ليس معنى هذا أنني لم أطلع آنذاك على الأدب الفرنسي، بل بالعكس كنت قد قرأت كتاب محمد حسين هيكل: (جان جاك روسو: حياته من كتبه)، كما قرأت ما ترجمه حافظ إبراهيم من قصّة (البؤساء) لفكتور هوجو (وهو لم يترجم منها إلاّ خمسها تقريبا، ولا أدري لماذا لم يتمّها)، وكانت ترجمته هي نفسها قطعة من النثر الفنّي العربي الرّائع الأسلوب." <sup>250</sup>، وهذا الأدب الفرنسي المترجم هو الذي جعله يقبل على تعلّم اللغة الفرنسية لكي يقرأ هذه الرّوائع الأدبية في لغتها الأصلية، وبالتالي وبعد فترة وجيزة صار مطلعًا على عيون الأدب الفرنسي وفلسفته الرّاقية.

استطاع في مرحلة المراهقة أن يكتشف عوالم جبران خليل جبران (1883م-1931م) الأدبية، فأدب جبران خليل جبران ذو نزعة صوفية رومنسية متشائمة، يقول بدوي: "صاحب ذلك إعجابي بجبران خليل جبران الذي قرأت له أوّل ما قرأت مجموعة تدعى (البدائع والطرائف) ومن ثمّ التمسّت سائر كتبه العربية: (الأجنحة المتكسّرة) و(رمل وزبد) و(المواكب) إلخ." <sup>251</sup>، إنّ أدب جبران ذو نزعة صوفية حاملة ظاهرها التّفاؤل وباطنها التّشاؤم، كان يكتب بلغة شعريّة طافحة بالحمولة الصّوفية التي تستدعيها الكلمات الرّنانة.

يرى بأنّ أدب طه حسين أفضل من أدب عبّاس محمود العقّاد (1889م-1964م) عندما يقول: "أمّا العقّاد فلم يثر في نفسي أيّ إعجاب، وقد لا زمني هذا الشّعور نحوه طوال حياتي، لقد كنت بعد قراءة فصل أو كتاب لطه حسين أشعر بحرارة تسري في مشاعري، وحماسة للخلق الفنّي المبكّر تزداد كلّ يوم أوارا، وتعاطف وجداني وفكري يخيل إليّ أنّ طريقه هو طريقي المقبل، أمّا العقّاد فلم أكن أشعر بعد قراءته إلاّ بالبرود والسّأم، ومهما غالبت نفسي على قراءة مقالاته، فإنّ شعوري بالنّفور كان يزداد تمكّنا من نفسي. كان

<sup>250</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 35.

<sup>251</sup> المصدر السابق، ص: 35.

أسلوب طه حسين كالتّهر المنساب في إيقاع عذب رقيق، بينما كان أسلوب العقّاد كالسّيل المتشجّج في انحداره من جبل أجرد.<sup>252</sup> كان أدب طه حسين ذا نزعة علمانية أمّا أدب عبّاس محمود العقّاد فذو نزعة إسلامية، فطه حسين له منهجية علمية أكاديمية أمّا العقّاد فهو عصامي التّكوين وليس له منهجية علمية أكاديمية، طه حسين كان يقرأ التّراث العربي الإسلامي قراءة عصرية حدائثة تنويرية، أمّا العقّاد فيقرؤه قراءة تقليدية سمجة تجتري أقوال السّابقين.

إنّ قراءته لأدب مصطفى لطفى المنفلوطي (1876م-1924م) جعلته يكتشف عوالم غوته الأدبية وروائع بيتهوفن Beethoven (1770م-1827م) الموسيقية، يقول بدوي: "ومن خلال (ماجدولين) عرفت اسم جيته-الذي سيصبح بعد ذلك أعظم الشّعراء عندي، كما عرفت بيتهوفن وأحواله البائسة وعظمة موسيقاه، وإن لم يتيسّر لي آنذاك أن أسمع هذه الموسيقى التي سأولع بها كلّ الولع في عنفوان شبابي وسائر عمري. إنّ لأسلوب المنفلوطي سحر لا يعرفه إلاّ الشّباب المرهف الحساسة."<sup>253</sup> إنّ أسلوب يجعلنا نقبل على حبّ الحياة ونتذوّق الأدب الرّاقى والفنّ السّامي، فأدب المنفلوطي له طعمه الخاصّ يجعلك تتماهى وجوديا مع روحه الإبداعية.

كان-وهو في ميعة الصّبا-مولعا بالشّعراء الجوالين في قريته شرباص تلك القرية ذات الطّبيعة السّاحرة، يقول بدوي: "وكنت في صباي مولعا بسماع هؤلاء (الشّعراء)، لا لأنّي كنت أحبّ مغامرات الهلالية، بل بسبب الآلات الموسيقية التي يعزفون عليها، وكان يستهويني منها بخاصّة النّاي (السّلمية) وهو قصبه من الغاب طولها حوالي 30 سم وقطرها يتراوح بين 3 إلى 5 سم. وتحتاج إلى نفس قوي متواصل."<sup>254</sup> لأنّ العزف على النّاي

<sup>252</sup> المصدر نفسه، ص: 28-29.

<sup>253</sup> نفسه، ص: 28.

<sup>254</sup> نفسه، ص: 21.

يجعلك تتماهى مع الوجود تماهيا صوفيًا، ويجعل الرّوح تسمو إلى مقام الإحسان والعرفان وتتحد بالمطلق وتذوب في العماء والهباء الوجوديين.

يرى بأنّ أغلب المذاهب الفكرية كالمعتزلة والأشاعرة والإسماعيلية والقرامطة والنّصيريّة-خاصّة في العصر العبّاسي-قد خرجت من رحم الفلسفة الإسلامية، يقول بدوي: "للفلسفة الإسلامية تاريخ حافل بأعلام أصحاب المذاهب الذين أنشأوا أنظمة فكرية استندت إلى التّراث اليوناني من ناحية، والتّراث الفكري الإسلامي من ناحية أخرى، ونتج عن هذا التّأثير المزوج مركب فكري خاصّ ممتاز بالأصالة إذا ما قورن بسائر التّيّارات الفكرية في تاريخ الإنسانية، ومن هنا كان من الواجب أن يدرس قائمًا برأسه بوصفه إسهامًا خاصًا في الفكر العالمي." <sup>255</sup>، كلّ هذه الفرق الفكرية الإسلامية التي ظهرت في العصر العبّاسي قد تآثرت بمدرسة الاعتزال التي تآثرت بدورها بالفلسفة اليونانية التي دعت إلى إعمال العقل عند قراءة النّصوص الدّينية المقدّسة.

يتصوّر بأنّ مذهب الدّروز هو منبثق من مذهب الإسماعيلية، وهو مذهب باطني متأثر بالفلسفة اليونانية وبعلم الكلام، يقول بدوي: "ينبثق مذهب الدّروز، أو (الموحّدين) كما يفضّلون أن يسمّو أنفسهم، من مذهب الإسماعيلية، ومن هنا يتفقان فيما بينهما في كثير من العقائد الأساسية والاصطلاحات، وإن حرص الدّروز على توكيد استقلالهم عن سائر الفرق." <sup>256</sup>، فمذهب الدّروز هو عبارة عن فرقة إسلامية مستقلة عن المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى ولها منهجية في التّفكير ولها طقوس في العبادة ولها نظرة مختلفة عن الآخرين حول الحياة والموت.

<sup>255</sup> عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين (المعتزلة، الأشاعرة، الإسماعيلية، القرامطة، النصيرية) ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1997، ص: 02.

<sup>256</sup> عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين ، الدروز، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1973، ص:508.

الإباضية هي فرقة إسلامية ومذهب فقهي انبثق عن فرقة الخوارج التي خرجت على الإمام علي (599م-661م)، وهو مذهب فقهي منتشر في ليبيا وفي الجزائر (غرداية) وفي سلطنة عمان، يقول بدوي: "والإباضية، كما قلنا، أقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة، سواء في الفقه وفي العقيدة، إذا فهمنا (أهل السنة) بالمعنى الأوسع الذي يشمل: المرجئة، والمعتزلة، والأشاعرة، أي في مقابل الشيعة من ناحية، والخوارج من ناحية أخرى، وهم في أمور العقيدة متأثرون كثيرا بالمعتزلة." <sup>257</sup>، وخاصة في مسألة صفات الله التي يعطلونها ولا يقومون بتأويلها كما يفعل الأشاعرة وهم في ذلك متأثرون بعلم الكلام، ويرون بأن القرآن مخلوق وليس كلام الله كما يرى أهل السنة والجماعة (الحنابلة والأشاعرة).

بالرغم من أنه كان ملحداً إلا أنه ساهم بقلمه في الدفاع عن القرآن الكريم وعن النبي صلى الله عليه وسلم، وحاول الرد على المستشرقين الطاعنين في لغة القرآن، كان يعتقد ببشرية القرآن إلا أن أسلوب القرآن راقه ولغة القرآن بهرته، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "ومنهجنا في بحثنا هذا هو المنهج الوثائقي والموضوعي الواضح، وهدفنا كشف القناع عن العلماء المزعومين الذين قدّموا الضلال والخداع لشعب أوروبا ولغيره من الشعوب الأخرى، لكننا في نفس الوقت نوّكد أنّ القرآن يخرج دائماً منتصراً على منتقديه." <sup>258</sup>، لأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله في بلاغته وفي فصاحته، ونظرة الملحد إلى الأمور العلمية دائماً تكون محايدة، إنه يناقش بالمنطق وبالحجة وبالبرهان من أجل الوصول إلى الحقيقة.

<sup>257</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج2، ص: 119.

<sup>258</sup> عبد الرحمن بدوي: دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، الجيزة، مصر، ص: 08.

لقد حاول أن يدافع عن شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالرغم من أنه ملحد، إلا أنه قال كلمة الحق ورد الاعتبار للنبي محمد واعتبره رجلا ثائرا أصلح أحوال المجتمع الجاهلي، وفند كل أقوال المستشرقين التي تطعن في النبي الكريم، يقول بدوي: "ولذلك فقد حاولنا هنا أن نكشف أخطاءهم وأن ندحض أكاذيبهم وأن نقوم أحكامهم التي تقوم غالبا على أحداث مغلوطة أو ناقصة وكل ذلك بهدف توصيل القارئ غير المسلم إلى أن يكون لديه عن الإسلام وشخصية مؤسسه مفهوم دقيق وعادل." <sup>259</sup>، وهذا حتى لا يظلموه كما ظلمه المستشرقون الذين طعنوا في شخصيته وحاولوا الانتقاص من قدره، فكان لهم بالمرصاد وخاطبهم باللغة الفرنسية التي يتقنها إتقاناً جيداً ودافع عن القرآن الكريم وعن النبي العظيم.

يعتبر ناقداً فنياً، وحاول في سيرته الذاتية أن يعرض علينا أهم موضوعات الفن الهولندي (الرسم)، حيث كان الفنان الهولنديون متأثرين بالمدرسة الواقعية، يقول بدوي: "لهذا كانت الموضوعات السائدة في معظم لوحات الفنانين الهولنديين هي: البيت، والأسرة، والأولاد، وبالجملة: الحياة العائلية بكل تفاصيلها الدقيقة وأوضاعها المبتذلة: طفل يتبرز، كرسي مطبخ، خادمة تقشر البطاطا، طماطم ويصل وكراث، إلخ، وهذه الواقعة العائلية لا تجد لها نظيراً عند سائر الفنانين الأوروبيين من عصر النهضة (القرن الخامس عشر) حتى القرن التاسع عشر." <sup>260</sup>، لأنهم يصورون الواقع كما تراه العين المجردة دون تزييف، فالرسم في المدرسة الواقعية هو عبارة عن محاكاة للواقع الذي هو عبارة عن طبيعة صامتة وطبيعة متحركة تصورها ريشة الفنان كما يشاء وكما يريد.

<sup>259</sup> عبد الرحمن بدوي: دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتق صرين من قدره، ترجمة: كمال جاد الله، الدار

العالمية للكتب والنشر، الجيزة، مصر، 1999، ص: 04.

<sup>260</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 302.

يعرض علينا في سيرته الذاتية سرّ الفنّ الهولندي، حيث حاول أن يقرأ لوحات بعض الفنّانين الهولنديين قراءة فنيّة، يقول بدوي: "إنّ سرّ الفنّ الهولندي هو أنّه (يحفر اللوحة) كما يقول فرومنتيان، لأنّ توزيعه للضوء في جوّ قاتم يشعرك بأنك تنفذ في أغوار اللوحة، ولهذا يتسم بالعمق، والجّد، والحزن العميق، والأنس والألفة، إنّه فنّ الوضوح المظلم Clair obscur إلى أعلى درجة."<sup>261</sup>، إنّه ناقد فنيّ بامتياز يحاول أن يقرأ الفنّ الهولندي (الرسم) قراءة رمزية سيميائية تفكّك كلّ الشيفرات الموجودة في اللوحة الفنيّة ويوضّحها للمتلقّي.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ فنّ الخزف في هولندا لم يتأثر بالخزف الإسلامي، بل تأثر بالخزف الصّيني والياباني، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "لكن قيام فنّ الخزف في دلفت لا يرجع إلى تأثير الخزف الإسلامي، بل إلى تأثير الخزف الصّيني والياباني التي كانت تنقله الشركة الشرقيّة الهولندية من الصّين واليابان إلى هولندا."<sup>262</sup>، إنّه فنّ متأثر بثقافة الشرق القديمة وحضارة الهند والصّين واليابان هم يحاولون في فنّهم الشرقي محاكاة طقوسهم الدّينية التي تدعو إلى التأمّل الوجداني والسّمو الرّوحي.

حاول في سيرته الذاتية أن يقرأ لوحات رمبرانت Rembrandt (1606م-1669م) الهولندي قراءة سيميائية رمزية نفسية اجتماعية، يقول بدوي: "واتخاذ الفاتح والغامق، الضّوء والظّلّ تلويها أساسيا في كلّ لوحات رمبرانت إنّما ينبع من نفس الرّوح: روح الانطواء على الباطن، لأنّ هذا التلويها هو وحده القادر على التّعبير عن الانطواء على الباطن. أمّا الأزرق السّماوي، والأحمر والأصفر بكلّ فروقهما اللّونية، والأخضر الفاتح، فكّلها ألوان انفتاح على الخارج، وهروب من الباطن، واستشفاف لعمق الرّوح."<sup>263</sup>، هو ناقد فنيّ يحاول أن يقرأ الفنّ الهولندي قراءة وجودية، لأنّ الرّسم هو تعبير رمزي ورصد لنوطات الوجود الغامضة.

<sup>261</sup> المصدر السابق، ص: 296.

<sup>262</sup> المصدر نفسه، ص: 309.

<sup>263</sup> نفسه، ص: 303.

يتصوّر في سيرته الذاتية بأنّ الفنّ الإسلامي في العصر الأموي وفي العصر الأندلسي هو فنّ باهت يكاد يخلو من روح الإبداع، يقول بدوي موضّحاً هذه الفكرة ما يلي: "لكنّ النّصوير في هذا الفنّ الإسلامي اقتصر على التوريق (الرّسوم النّباتية) وعلى رسم الحيوان، ولم نعثر حتّى الآن على تصوير لإنسان، وليس السبب في هذه الظّاهرة ما ذهب إليه بعض الفقهاء من تحريم تصوير الإنسان، لأنّهم حرّموا أيضاً تصوير الحيوان. ومع ذلك فإنّ تصوير الحيوان في الإسلام قديم جدّاً يرجع إلى العصر الأموي: فإنّ جدران قصر عمرة حافلة برسوم الحيوان، وكذلك قصور الفاطميين في مصر..."<sup>264</sup>، ولكن مع مرور الأيام ازدهر الفنّ الإسلامي في العصر الأندلسي وفي العصر العبّاسي، وصار لهذا الفنّ أربابه الذين تفوّقوا على أقرانهم في هذا المجال، لقد تأثّر الفنّانون في العصر العبّاسي بالفنّ الفارسي وظهر ذلك في اللّوحات الموجودة في قصر الخلافة في بغداد، أمّا الفنّانون في العصر الأندلسي فقد تأثّروا بالفنّ القوطي الذي كان شائعاً في أوروبا في القرون الوسطى.

في سيرته الذاتية يتحدّث عن المعماري فيوليه لودوك (Viollet-le-Duc) 1814م-1879م) الذي قام بترميم كنيسة نوتردام دي باري Notre Dame de Paris في سنة 1845، وحاول المحافظة على الطّابع القوطي للكنيسة، لكنّه تعرّض للنقد اللاذع من طرف نقّاد الفنّ، يقول بدوي: "والرّأي عندي أنّ هؤلاء النّقّاد قد ظلّموا فيوليه لودوك ظلماً كبيراً: فإنّ أيّة إضافة للمعمار القوطي من شأنها أن تشوّهه، إنّ ميزته الرّئيسية هي التّجرّد من التّوشيات، وتمكين النّور من ملء فراغ الكنيسة، والعمل على تزويد المشاهد بانطلاقة نحو السّماء، وكأنّ الكنيسة وثبة إلى أعلى وسبحة في ملكوت الفضاء."<sup>265</sup>، لقد أضفى الفنّ القوطي على الكنائس في فرنسا مسحة جمالية جعلت من الكنائس مؤثلاً للسّحر وللجمال وللتصوّف الرّوحاني.

<sup>264</sup> نفسه، ص: 308.

<sup>265</sup> نفسه، ص: 191.

يرى في سيرته الذاتية بأن كنيسة نوتردام دي باري جمعت بين الطراز الروماني وبين الطراز القوطي، وبالتالي صارت تحفة معمارية نادرة، يقول بدوي: " ويمثل بناؤها انتقالاً من الطراز الروماني إلى الطراز القوطي.. ويمثل الروماني في الأعمدة الضخمة المستديرة بينما يتمثل القوطي في الأعمدة الرفيعة السامقة التي تصاعد حتى سقف الكنيسة، وفي العقود المتقاطعة. وواجهة نوتردام تتألف من ثلاثة قطاعات متساوية، تعلوها ثلاثة أخرى، تعلوها ثلاثة تالفة، ويتناقص اتساعها كلما صعدنا في هذه القطاعات الثلاثية." <sup>266</sup>، إنها تحفة معمارية نادرة ما زالت تتحدى التاريخ إلى يوم الناس هذا، لأن الفن الجميل لا يموت.

لقد اكتشف عوالم الشعر وهو طالب في الثانوية، حيث كان يتردد على مكتبتها الصغيرة ليقراً عيون الشعر الجاهلي والأموي والعبّاسي والحديث، يقول بدوي: " وفضلها تدفق العزف الشعري عندي في نهاية سنّ الثالثة عشرة. فرحت أختشب الشعر، مستعينا بكتاب صغير في العروض والقوافي يدعى (ميزان الذهب في وزن أشعار العرب) للهاشمي. وابتداء من سنّ الرابعة عشرة، خصوصاً وبعد أن استظهرت الكثير من القصائد الجاهلية والأموية والعبّاسية والحديثة، صرت أنظم قصائد طويلة في موضوعات شتى: منها السياسية، والوجدانية وفي وصف الطبيعة." <sup>267</sup>، يعتبر أحد فرسان الشعر في العصر الحديث، حيث أنه كتب شعراً سياسياً وشعراً في وصف الطبيعة الساحرة في قريته شرباص وكتب شعراً في الغزل العفيف وفي الغزل الماجن، يعتبر شاعراً وجودياً تأثر بالفلسفة الوجودية في شعره ونظم قصائد في الحرية وفي الاغتراب وفي القلق الوجودي، فشعره خرج من رحم الفلسفة الوجودية.

<sup>266</sup> نفسه، ص: 189.

<sup>267</sup> نفسه، ص: 34.

يعرّف الشعر الوجودي بأنّه هو ذلك الشعر الذي يعبر عن التجربة الوجودية لكلّ إنسان وجد على ظهر هذه البسيطة، يقول بدوي: "والشعر من غير شكّ هو التعبير العاطفي المناظر للتجربة الصّوفية في الدّور الأوّل للحضارة الوليدة، ولهذا كان عهد ازدهاره الأعلى في تلك الفترة في كلّ الحضارات. ومن هنا حاولنا أن نقدّم محاضرتنا الثالثة صورة إجمالية لفنّ الشعر المعبر عن الرّوح الجديدة لتلك الحضارة، أعني الشعر الوجودي."<sup>268</sup>، إنّه شعر ذو نزعة صوفية يحاول رصد البعد الوجودي في ذات الإنسان وفي الأشياء المحيطة حوله.

شعر بآلام روماتيزم في مفصل الساق اليسرى، فنظم قصيدة في 05 مارس سنة 1988 يشكو حاله ويناجي ذاته الوجودية في لوح الخيال قائلاً:

"أَجْمَلُ الْأَيَّامِ أَيَّامُ الشَّبَابِ \* \* \* \* \* إِنَّ سِنَّ الشَّيْخِ مَلَأَى بِالْعَذَابِ

قد يقال: الْفَقْرُ مِنْ حَظِّ الصَّبَا \* \* \* \* \* إِنَّمَا الْإِثْرَاءُ مَحْصُولُ الْغَلَابِ.

صِحَّةُ الْأَبْدَانِ أَوْلَى مِنْ غِنَى \* \* \* \* \* فِي دُيُولِ الْعُمْرِ بِالْأَدْوَا مُصَابِ

أَيُّ طَعْمٍ فِي طَعَامٍ فَآخِرٍ \* \* \* \* \* بَيْنَمَا الْأَسْنَانُ وَافَاهَا الْخِرَابِ.

أَيُّ إِمْتِنَاعٍ يُرَجَى بَعْدَمَا \* \* \* \* \* غَاصَتِ الشَّهْوَةُ مِنْ كَأْسِ الشَّرَابِ !!"<sup>269</sup>

إنّه شعر وجودي يعبر عن معاناته وغربته مع المرض الذي يجعله يعيش في عزلة صوفية وجودية، إنّه في عزلته هذه يحنّ إلى أيام الصّبا وليالي الهوى الغلاب، لقد تذكر مغامراته مع الحبّ وما ينتج عنه من آلام ولواعج ومكبوتات نفسية، يقول بدوي:

<sup>268</sup> عبد الرحمن بدوي: الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان،

1982، ص: 08.

<sup>269</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج2، ص: 378.

"الْقَلِيلُ الْأَمْسِ يَكْفِي مُتَعَةً \*\*\*\* وَالكَثِيرُ الْيَوْمَ بِالْكَدِّ بَهِيحٌ

بَسْمَةً بِالْأَمْسِ تُجْزِي لَهْوَى \*\*\*\* وَالتَّحَامُ الْيَوْمَ كَالْخَمْرِ الْمَرْيَجِ

رَحِمَ اللَّهُ لَيْالِي الْمُتَنَقَّى \*\*\*\* تَحْتَ ضَوْءِ الْبَدْرِ فِي الْعَابِ الْمَرْيَجِ

لَمْ يَعُدْ فِي الْأَفْقِ بَدْرٌ أَوْسَنًا \*\*\*\* لَمْ يَعُدْ فِي الْأَرْضِ رَوْضٌ أَوْ أَرِيحٌ"<sup>270</sup>.

حاول في شعره الوجودي هذا أن يسترجع ذكريات الهوى التي مرّت بسرعة كما يمرّ السحاب، لقد أراد أن يحكي لذاته الوجودية سحر هذا الهوى العجيب الذي صادفه وهو في ميعة الصبا لكي يدونه في سجّل الوجود وبالتالي يضمن له الخلود.

أراد أن يناجي الطبيعة في شعره ويفتح معها حواراً صوفياً وجودياً يجعل روحه الشاعرة تلتحم وجدانياً مع مشاهد الطبيعة الساحرة، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي:

"أَيْنَ إِحْسَاسِي بِأَطْيَافِ الدُّجَى \*\*\*\* وَأَنْتِشَائِي بِنَبَارِيحِ الْغَلَسِ!؟

وَمُنَاجَاتِي لِطَيْرٍ مُنْشِدٍ \*\*\*\* أَوْ لِطَيْرٍ فِي ذُرَى الدَّوْحِ جَلَسِ

أَيْنَ إِعْجَابِي بِنَبْعِ هَادِرٍ \*\*\*\* يَطْلُبُ الْعَوْتَ إِذَا الْمَاءُ انْحَبَسِ

أَيْنَ سَكَبِ الدَّمْعِ مِدْرَارًا إِذَا \*\*\*\* دَقَّ لِلتَّوْدِيْعِ وَالْبَيْنِ الْجَرَسِ!؟

لَمْ أَمْتَعْ فِي حَيَاتِي مُطْلَقًا \*\*\*\* غَيْرَ سَاعَاتٍ قَلِيلَاتٍ خُلْسِ."<sup>271</sup>

<sup>270</sup> المصدر السابق، ص: 378.

<sup>271</sup> المصدر نفسه، ص: 378.

لقد ولّت أيام الشّبَاب ولن تعود أبداً، لذلك يحاول من خلال مرآة الشّعْر أن يرى ذكريات الطّفولة التي انصرفت من دفتر حياته الطّويلة الشّامخة أمامه كأنّه يراها رأي العين، فطفولة الشّعراء طفولة حاملة مخملية ترفرف السّعادة فوقها.

لقد زار إيران فوجدها مجتمعا مغلقا على ذاته، لا يوجد فيها إلاّ عبوس الكتب وتجهّم المخطوطات، أمّا الفتيات الشّواب فقد غبن عن المشهد الإيراني، يقول بدوي:

" شَكَوْتُ إِلَيْكَ يَا خَيًّا \* \* \* \* \* مُ مِنْ حَالِي بِطَهْرَانِ

أَتَيْتُ لِدَرْسِ مَخْطُوطٍ \* \* \* \* \* وَظَبِّي غُصْنُهُ دَانِي

فَضَاعَ الْيَوْمُ فِي الْمَخْطُوطِ \* \* \* \* \* طِ دُونَ الظَّبِّيِّ وَالْبَانِ

فَلَا (شِيرِينِ) نَبَسَمَ لِي \* \* \* \* \* وَلَا (زَهْرًا) تَمَنَّانِي

وَلَا مَالٌ لِأَبْدُ لَهُ \* \* \* \* \* وَلَا سِنَّ الْجَوَّانِ "272.

والجوانان جمع: جوان وهو شاب أو فتى بالفارسية، هنا يتحسّر بدوي على الحالة المزرية التي وصل إليها المجتمع الإيراني، لأنّ الحضارة الفارسية هربت منه وخرجت عن يديه وأناخت في بغداد، لقد فقد المجتمع الإيراني بريقه الحضاري الذي صار أثرا بعد عين، ولولا المخطوطات النّفيسة ما زارها ولا غيره من الباحثين الجادّين.

272 نفسه، ص: 383.

لقد وجّه في شعره نقدا لاذعا للزعيم العربي جمال عبد الناصر خاصة بعد هزيمة جوان 1967، لأنه سعى إلى هزيمة مصر أمام عدوّها اللدود إسرائيل، فهو يعتبره بطلا من ورق وشعبيته زائفة حتّى وإن هتفت بحياته الجماهير، يقول بدوي:

"هَتَفُوا بِمَنْ جَلَبَ الْهُوَانَ عَلَيْهِمْ \* \* \* \* \* وَأَحَالَهُمْ قِطْعًا مِنَ الْأَغْنَامِ

وَسَعَى بِكُلِّ الْحُمُقِ نَحْوَ هَزِيمَةِ \* \* \* \* \* عَارٍ لِمِصْرَ عَلَى مَدَى الْأَعْوَامِ

وَمَضَى يِعْرَبِدُ بِالْمِكَازِبِ فَاجِرًا \* \* \* \* \* مُتْرَدِّيًا فِي الْبُطْلِ وَالْأَوْهَامِ" <sup>273</sup>

لقد ضيّع أحلام أمته وبنى لها صرحا من الأوهام، لم يكن يوما ما زعيما قوميا عربيا، بل خان أمته وألحق بها الهزائم التكرار في كلّ الحروب التي خاضها ضدّ أعداء أمته ووطنه، هذا هو جمال عبد الناصر الذي خدعت فيه الجماهير العربية وصدمت فيه.

لقد وجّه سهام النقد إلى الصحافة في مصر لأنها لم تقم بواجبها إزاء أمتها، لأنها كانت بوقا للاستعمار الإنجليزي، يقول بدوي: "ولقد قلت معارضا لشوقي في مطلع قصيدة عن (الصحافة):

لِكُلِّ زَمَانٍ مَضَى آفَةٌ \* \* \* \* \* وَآفَةٌ هَذَا الزَّمَانِ الصُّحُفُ." <sup>274</sup>.

لقد صارت الصحف في مصر عميلة للاستعمار الإنجليزي، ولا تقول كلمة الحق ولا تواجه الظالم والمعتدي، بل تقف إلى جانبه وتآزره وتأخذ بيده وتسانده في كلّ قرار يتخذه.

كان بدوي بالشاعر الألماني رلكه، وقال هذه الأبيات عندما زار قبره في يوم الأحد العشرين من شهر يوليو (جويلية) 1958 الموجود في قصر ميزوت بألمانيا:

<sup>273</sup> نفسه، ص: 93.

<sup>274</sup> نفسه، ص: 95-96.

"يا شاعر الموت في دنيا مُلَفِّقَةٍ \* \* \* \* \* أمضيت عُمرَكَ في التَّجْوَالِ وَالسَّقَمِ

حَلَمْتَ بالنُّبْلِ-هَلْ فِي النُّبْلِ مَفْخَرَةٌ \* \* \* \* \* لِمَنْ تَرَوِّدَ بِالْإِلْهَامِ وَالْحِكْمِ

كَأَنْتَ حَيَاتُكَ تَرْنِيماً وَزَمْزَمَةً \* \* \* \* \* تَكْسُو الْمَعَانِي بِجَرِّ اللَّفْظِ وَالْكَلِمِ

فَاهُنَّا بِمَا نَلْتَمَسُ مِنْ مَجْدٍ وَتَكْرُمَةٍ \* \* \* \* \* وَاهُنَّا بِخُلْدِكَ بَيْنَ النَّاسِ وَالْأُمَمِ".<sup>275</sup>.

إنه شاعر وجودي عبّر عن موضوع الموت بكلّ أريحية، لأنه أراد أن يفهم المعنى الحقيقي لهذه الحياة التي صارت تحاصر الإنسان وتحدّ من حرّيته ومن كرامته، بقيت مسألة الموت مسألة غامضة أرقت وأرهقت الفلاسفة والشعراء الوجوديين مدى الدهر.

كان ضدّ موجة الشعر الحرّ التي كانت سائدة في الأربعينات، فالشعر الحرّ ظهر في سنة 1947 في العراق على يد نازك الملائكة (1923م-2007م) وبدر شاكر السياب (1926م-1964م)، وهي محاولة من أجل الخروج عن النمط السائد الذي تميّزت به القصيدة العمودية، أطلق على هذا الشعر المتمرد على كلّ الأعراف التقليدية التي تميّزت بها القصيدة الكلاسيكية مصطلح: (الشعر الحرّ) و(شعر التفعيلة)، و(الشعر المرسل)، وهي محاولة من أجل تجديد الشعر العمودي الكلاسيكي قلباً وقالبا، يقول بدوي: "وكان دوري في هذه المعركة هو أن أبين أنّ الشعر الحرّ ليس تقدّماً بل تخلفاً، مستندلاً على ذلك بالشعر الأوروبي المعاصر، والألماني منه بخاصّة، فكتبت عدّة مقالات في مجلة (الثقافة) أعرض فيها التيارات المعاصرة في الشعر الألماني".<sup>276</sup>، فالشعر الحرّ هو شعر حدثي ثار على

<sup>275</sup> عبد الرحمن بدوي: الأدب الألماني في نصف قرن، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

الكويت، يناير 1994، العدد: 181، ص: 252.

<sup>276</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 354.

كلّ الأشكال التقليديّة التي تميّزت بها القصيدة العمودية الكلاسيكية، فالتيّار المحافظ دائماً يرفض كلّ دعوة للتجديد وهذه هي سنّة الإبداع في كلّ عصر وفي كلّ مصر.

كان معجبا بذلك الحبّ الذي يكون على الطّريقة السّويسرية، لأنّه حب حضاري يحمل قيما إنسانية، يقول بدوي-عارضاً علينا فلسفته في الحبّ على الطّريقة السّويسرية ما يلي: "ومن رأيي أنّ هذا هو الوضع العاقل السّليم، إذ لا ينبغي أن تكون العلاقة بين الرّجل والمرأة مصدراً للعذاب. وكفى الإنسان همومه الأخرى، وإنّما الواجب هو أن تقوم هذه العلاقة على التّراضي، والحرية المتبادلة دون قهر ولا إرهاب من أحد الطّرفين ضدّ الطّرف الآخر، إنّ الحبّ علاقة بين طرفين، فإذا شاء أحد الطّرفين قطعها، فليقطعها دونما حرج، ودون أن يرى الطّرف الآخر في ذلك إهانة له. وإذا نجم عن الاتّصال الجنسي حمل، فعلى المرأة وحدها أن تتحمّل نتائجه الآن وقد كفلت لها وسائل منع الحمل أن تتجنّبها."<sup>277</sup>، إنّّه حبّ يعبر عن علاقة صادقة تجمع بين رجل وبين امرأة، هو التّحام جسدين في روح واحدة، لقد كان الحبّ على الطّريقة السّويسرية يحمل في أعطافه أجمل القيم الإنسانية التي وجدت على ظهر هذا الكوكب الأزرق، إنّها قيم سامية تجعل الحبّ يسري في كلّ أوصال المجتمع الإنساني الذي يتوق إلى الحرية وإلى العدل وإلى المساواة، ففلسفته في الحبّ هي فلسفة تدعو إلى تحقيق النّزعة الوجودية للإنسان في هذا العصر الذي سادت فيه الحروب بكلّ أنواعها والتي حاولت أن تدمّر الإنسان تدميراً لا هوادة فيه.

لقد حاول في سيرته الدّاتية أن يسترجع ذكريات الهوى الألماني حيث أنّه أحبّ فتاة ألمانية وهو في مرحلة الشّباب، يقول بدوي: "ورحت أناجيها في الخيال بهذه القصيدة:

يَا ابْنَةَ (الإيزر) يَا أَحْلَى فَتَاةٍ \* \* \* \* \* أَيْنَ أَنْتَ الْآنَ؟ آه مِنْكَ آه!

شُعْلَةُ الْحُبِّ الَّتِي أَوْقَدْتِهَا \* \* \* \* \* تَوَرَّتْ لِلْقَلْبِ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ

<sup>277</sup> المصدر السابق، ص: 264.

## الفصل الأول: استنطاق المسكوت عنه في فكر عبد الرحمن بدوي

بَسْمَةُ الْعَيْنَيْنِ وَحَيٍّ وَسَنَا \*\*\*\* وَغِذَاءُ النَّفْسِ مِنْ شَهْدِ الشَّقَاهِ

وَبَدَاءُ النَّهْدِ رِيَانِ الصَّدَى \*\*\*\* يَعْصِرُ الشَّهْوَةَ فِي كَأْسِ الْجِنَاهِ

وَصُنُوفُ الزَّهْرِ فِي رَوْضِ الْمُحِبِّا \*\*\*\* هِيَ لِلْعَاشِقِ أَفْصَى مُشْتَهَاهِ. "278 .

لم يستطع أن ينسى تلك الفتاة الألمانية التي سلبت لبه وجعلته يهيم وجدا بها، لقد خلد ذكرى هذا الحب في هذه القصيدة الماتعة وراح يعاتب حبيبته بهذه الأبيات:

"أَيْنَ وَعْدٌ مِنْكَ خَطَّته الْقَبْلُ \*\*\*\* أَيْنَ عَهْدٌ بِالْوَفَا حَتَّى الْأَجَلُ

أَيْنَ حِنْفٌ شَهَدَ الْبَدْرَ عَلَى \*\*\*\* صَدْقِهِ وَالتَّغْرُ بِالتَّغْرِ اشْتَعَلَ

أَيْنَ أَحْلَامٌ بَنَيْهَا عَلَى اللُّقْ \*\*\*\* يَا بِيَوْمِ حَافِلِ الْمَعْنَى جَلَّ؟

كَانَ ذَا لَعْوًا وَلِهَوَا يَا تَرَى؟ \*\*\*\* أَوْ خِدَاعًا وَانْطِلَاقًا فِي الْأَمَلِ؟

أَيَّمَا كَانَ فَقَلْبِي ذَاكِرٌ \*\*\*\* مُتَعَةً عِشْتُ بِهَا أَحْلَى الْمُثَلِّ. "279 .

إنها ذكريات لا تنسى، فالحب لا يشبع منه طالبه لأنه بلسم المحبين، لقد عاش قصة حب فريدة من نوعها وعانى من لواعج هذا الهوى الألماني وخذل ذكراه في هذه القصيدة البديعة التي سجل فيها سطور هذا الحب الخالد في سجل التاريخ الإنساني.

من خلال مناوشتنا لمباحث هذا الفصل نكون قد خرجنا بالنتائج الآتية وهي كما يلي:

1- يعتبر من رواد الفلسفة الوجودية في مصر وفي الوطن العربي.

2- حاول أسلمة الوجودية الغربية وتدويرها بدثار الصوفية الشرقية الإسلامية.

<sup>278</sup> المصدر نفسه، ص: 83.

<sup>279</sup> نفسه، ص: 84.

## الفصل الأول: استنطاق المسكوت عنه في فكر عبد الرحمن بدوي

- 3- يعتبر مؤرخاً للفلسفة الوجودية وللفلسفة الغربية القديمة والحديثة والمعاصرة وللفلسفة العربية الإسلامية القديمة والحديثة والمعاصرة.
- 4- لقد قدّم للقارئ العربي عيون الأدب اليوناني القديم والأدب الألماني الحديث والأدب الإسباني الحديث وروائع الأدب الهولندي الحديث.
- 5- يعتبر من رواد الشّعْر الوجودي في مصر وفي الوطن العربي.
- 6- يعتبر ناقداً فنياً ووجدياً من الطراز الرفيع في مصر وفي الوطن العربي.
- 7- كانت فلسفته في الحبّ فلسفة وجودية بحثة تحمل في أعماقها الصدى الصوّفي.
- 8- لقد عاد في أواخر حياته إلى الإسلام ونزع عن فكره جبّة الإلحاد وعاد إلى الحقّ وإلى الصواب.

في الفصل الثّاني سنحاول استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الرّوائي عند عبد الرّحمن بدوي وسنركز على دراسة وتحليل روايتين اثنتين، الأولى عنوانها: (هموم الشّباب)، والثّانية عنوانها: (الحوار والنّور)، هذا ما سنراه في الفصل الآتي.



## الفصل الثاني:

استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الرّوائي عند

عبد الرّحمن بدوي

## توطئة:

سنحاول في هذا الفصل أن نستنطق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند بدوي وسنركّز على روايتين اثنتين هما: (هموم الشباب) و(الحر والنور) وهما روايتان حاول من خلالهما أن يقدّم رؤيته الوجودية للأشياء من حوله، لقد أراد أن يعبر عن فلسفته الوجودية التي تجسّدت في شخص هاتين الروائيتين، هو فيلسوف وجودي متأثر بفلسفة هيدجر الوجودية ودعا في مؤلفاته الفلسفية إلى إقامة صرح الوجودية في مصر وفي الوطن العربي، يعتبر أول وجودي عربي ظهر في مصر في نهاية الثلاثينات من القرن الماضي محاولاً بثّ القيم الوجودية كالحريّة والعدالة والمساواة في أوساط المجتمع العربي الإسلامي في مصر وفي الوطن العربي، فوجوديته هي فلسفة حداثة تنويرية حاولت نشر أفكار جديدة في المجتمع العربي الإسلامي في مصر وفي الوطن العربي وحاولت أن تحارب الخرافات والأساطير والتقاليد البالية التي عشّشت في أذهان الناس منذ قرون عديدة.

## أ رواية (هموم الشباب) لعبد الرحمن بدوي:

حاول في هذه الرواية أن يتطرق إلى المسكوت عنه في المجتمع المصري خاصّة في فترة الأربعينات عند حديثه عن ظاهرة الدّاعة ويوميات المومسات في المجتمع العربي المصري المحافظ، لقد اعتبر هذه الظاهرة هي مجرد سحابة صيف ستمرّ بسرعة عندما تذاق الأفكار الوجودية في المجتمع المصري المحافظ الذي يطمح إلى الحداثة والتنوير، لقد كان هو البطل الرئيسي في هذه الرواية التي عبّرت بكلّ صراحة عن هموم الشباب في مصر وفي الوطن العربي، ولقد عبّر بكلّ صراحة في هذه الرواية عن كرهه الشّديد للمرأة وهذا ما سنراه لاحقاً.

## ب رواية (الحر والنور) لعبد الرحمن بدوي:

لقد عبّرت هذه الرواية بكلّ صدق وصراحة نادرتين عن ذلك الحبّ الافتراضي الذي جمع بين قلب بدوي وبين قلب سلوى اللبنانية، إنّه حبّ وجودي نادر كأنّه الكبريت الأحمر، في هذه الرواية نجد حواراً حضارياً بين الإسلام وبين المسيحية، فهو في رسائله إليها يحدثها عن يسوع المسيح، وهي في رسائلها إليه تحدّثه عن الإمام الأوزاعي (707م-774م)، فالحر هو رمز لجمال المرأة اللبنانية المتمثّل في سلوى، والنور هو رمز للفكر الحدائي الحرّ والمتسامح مع الآخر.

## المبحث الأوّل: استنطاق المسكوت عنه في رواية (هموم الشباب) لعبد الرحمن بدوي:

سنحاول في هذا المبحث أن نستنطق المسكوت عنه في رواية (هموم الشباب) لبديوي، لأنّه قدّم للقارئ العربي في هذه الرواية مجموعة من الرسائل المشقّرة وهي كالاتي:

لقد انتقد في روايته (هموم الشباب) التّفسخ الأخلاقي الذي شاع في مصر في الأربعينات من القرن الماضي، يقول بدوي: "ألا قاتل الله من أدخل هذا المخدّر الفتاك في جسم الحضارة السّليم، فأشاع فيه التخلّل وكان إيذاً بالمصير الأليم الذي ينتظر هذه الحضارة بعد أن شاخت وتمشى في أوصالها الهرم الرهيب، فأشاحت بوجهها عن ينبوع الدافق بالحياة الخصبة، وجثت على ركبتيها تحت أقدام مخدّرات الزّنوج"<sup>280</sup>، كلّما بلغت الحضارة أوج ازدهارها إلّا وساد فيها التّفسخ الأخلاقي الذي يساهم في انحطاط المجتمعات التي أشرقت عليها شمس الحضارة ودخل عليها نورها من كلّ باب.

<sup>280</sup> عبد الرحمن بدوي: هموم الشباب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1946، ص:01-02.

لقد تطرّق في روايته (هموم الشّباب) إلى المسكوت عنه في المجتمع المصري ألا وهو الانحراف الخلقي بجميع أنواعه والسّبب في ذلك هو الكبت الجنسي والحرمان الشّبقي، يقول بدوي عن هذه النفوس المتعطّشة للجنس ما نصه: "إذ أبت هذه النفوس المعدّبة بالحرمان إلا أن تسترسل في هذه النّشوة البهيمية كيما تغرق فيها متاعب حياتها اليومية المرهقة".<sup>281</sup>، إنّها تحاول البحث عن المتعة الجنسية مهما كلفها ذلك من ثمن، فالشّباب العربي المسلم في مصر وفي الوطن العربي عانى من الحرمان العاطفي ومن الكبت الجنسي لذلك صار يبحث عن المتع الجسدية في كلّ مكان يذهب إليه.

عندما غصنا في أعماق رواية (هموم الشّباب) أدركنا بأنّه يكره المرأة كرها شديداً، يقول بدوي: "وهنّ في هذا السّبيل يصطنعن من الحيل وينصبن من الشّراك والأحاييل ما يخفى أمره على أكبر النّاس فطنة ودهاء: فيتظاهرن بالعفاف، بل والبكارة والطّهارة، وكأنّهنّ قديسات متبتلات لم ينزلن مواطن الفجور إلاّ للمشاهدة البريئة وعمّا قليل يتسلّئن من بين زحمة مواكب الفجور والعهارة طاهرات أبارا كما دخلن، وما هذا إلاّ لكي تزداد الفريسة تعلقاً بهنّ، وحرصاً على طلبهنّ".<sup>282</sup>، هنا ينتقد ظاهرة الدّعارة التي انتشرت في المجتمع المصري، فالنّساء صرن يتاجرن بأجسادهنّ من أجل لقمة العيش، والخوض في هذه الموضوعات يعتبر من التّابوهات ومن المسكوت عنه في المجتمع المحافظ.

<sup>281</sup> المصدر السابق، ص: 02-03.

<sup>282</sup> المصدر نفسه، ص: 04.

نلاحظ في رواية (هموم الشباب) بأنّ البطل الرئيسي وهو في نفس الوقت كاتب الرواية (عبد الرحمن بدوي) حاول الابتعاد عن عالم الرذيلة وهذا من خلال لجوءه إلى عالم الكتب يمتح من معينه ما يشاء، يقول بدوي: "وغلبت عليّ حياة الأوراق هذه، حتّى لم يعد في وسعي أن أحسّ بشيء بنفسي، أو على الأقلّ لم يكن إحساسي بشيء كاملاً أو واضحاً إلاّ إذا رددته إلى هذا الموضوع أو ذلك من كتاب من الكتب، أمّا الشعور المباشر بأيّة عاطفة، أمّا هذا الاتصال الحيّ بالآثار والانفعالات توّأ من مصدرها فقد حيل بينه وبينني".<sup>283</sup>، فعالم الكتب يجعل الإنسان يعيش في عالم المثل، ويبتعد رويدا رويدا عن عالم الرذيلة الذي يحيط به من كلّ جانب ويحاصره في كلّ مكان يذهب إليه.

بالرغم من أنّه يحاول كتابة تنبيه في مقدمة هذه الرواية نافيا أن يكون هو نفسه بطل هذه الرواية، ولكن عندما نغوص في أعماق هذه الرواية يتبيّن لنا بأنّ بطل هذه الرواية هو نفسه كاتبها، يقول بدوي: "كلّ محاولة للربط أو المقارنة بين بطل هذا الكتاب وبين مؤلفها مصيرها الإخفاق الشنيع فما هو إلاّ عرض لمأساة صديق أفضى إليّ في لحظاته الأخيرة بمكنونها، وما كان لي بها ولا بأشخاصها الآخرين معرفة من قبل على الرغم وثائقة ما كان يربط بينه وبينني من صلة روحية عميقة".<sup>284</sup>، هنا يتحدّث عن ذاته الوجودية التي تعاني من الاغتراب ومن الكآبة ومن الفراغ الروحي، لذلك وجد في الكتابة ملاذه الآمن لعلّه ينفّس عن مكبوتاته وما يعتريه من آلام روحية.

<sup>283</sup> نفسه، ص: 05-06.

<sup>284</sup> نفسه، ص: 07.

يرى في روايته (هموم الشَّبَاب) بأنَّ مقياس القلق لا يضبطه إلاّ مؤشر الحياة، فحياتنا الطويلة تجعلنا نشعر بالقلق خاصّة إذا فقدنا لذة الحياة ومتعتها الزّائفة، فالسعادة تنبثق من أعماق ذاتنا الوجودية، إنّها لا توجد خارج أسوار ذاتنا الوجودية، يقول بدوي: " لكنّي لم أكد أتجاوز الخامسة والعشرين حتّى بدأ القلق يساورني على مصير هذا العيش الخيالي المستمر، وتوثبت الوسواس تشكّكي في صحّة قناعاتي ورضائي، وتصور لي أنّ هذا كلّه وهم زائف لا أكاد أفحصه حتّى أتبيّن فساده وبؤس حالي."<sup>285</sup>، فالحياة الطويلة المقرّفة تجعل الإنسان يشعر بالكآبة والسّأم والاعتراب، فهذه الحياة الكئيبة يسودها الرّوتين القاتل الذي يجعل أيام الإنسان ولياليه متشابهة، فالإنسان إذا أراد أن يعيش حياة سعيدة عليه أن يتخلّص من القلق ويرميه في بحر النسيان.

تبيّن لنا في هذه الرّواية (هموم الشَّبَاب) بأنّه كان يكره أمّه كرها شديدا، كان يعاني من عقدة أوديب، وفي مقدّمة الرّواية قدّم لوالدته إهداء مسموما، يقول بدوي: " إلى الأفعى الرهيبة التي أوردتني موارد الخطيئة في جحيم الشّهوات فاقتحمت عليّ برجي العالي، أنا الأعزل، واختطفتني ثمّ قذفت بي من حالق في التّيّار المتدفّق لنهر الحياة، وما كنت أعلم السّباحة فهويت في القاع مرّات وكانت تنتشلني بشصّها الذهبي الزّائف فلا ألبث حتّى أغوص من جديد في أسوأ قرار إلى أن أسدل السّتار على ختام تلك المأساة، إليها أهدي هذه الصّفحات التي سطرّتها بيمينها، سائلا الله تعالى لها الغفران ولي الرّضوان؟ شهيد الشَّبَاب."<sup>286</sup>، فالمرأة هي التي تجعل الرجل يعيش سعيدا أو تعيسا لأنّها هي التي تصنع الحزن والفرح في الوقت نفسه.

<sup>285</sup> نفسه، ص: 08.

<sup>286</sup> نفسه، ص: 09.

كان في الأربعينات من القرن الماضي متأثراً بالنازية ويرى في أدولف هتلر المخلص الذي سيخرج مصر من محنتها ومن كبوتها، يقول بدوي: " ولم تكن في الواقع تجربة واقعية بالمعنى الحقيقي، لأنني كنت في الحق أعاني تجربة خاصة في السياسة كوّننتها لنفسي بنفسي، وإن تعلّقت بثوب خارجي ظننته في البدء أنسب الأشياء إليها، وكنت في هذا واهما هأنذا اليوم أقدم عنه أبشع الكفارة: كفارة انهيار الأمل والتهدم الروحي من تلك الناحية، ناحية السياسة." <sup>287</sup>، كانت النازية بالنسبة لبدوي كالسراب الذي يحسبه العطشان شراباً، لقد باعت لكلّ الشعوب العربية المقهورة الأوهام وعادوا كلّهم من خيبتهم هذه بخفّ حنين، فلا النصر حقّقوا ولا الحرّية أنشدوا.

عندما كان في ميعة الصبا وشرح الشباب حاول أن يقتحم عالم الحياة الصاخبة باحثاً عن اللّهُ وعن المجون بكلّ أنواعه، يقول بدوي: " فحاولت في هذا الاتجاه الجديد أن أنوع التجارب حتّى أظفر بقدر وافر، واستمرّ الحوار يجري في داخل النفس أيضاً حتّى هذا العام، أي ثلاث سنوات، فإذا بي أرجح الإقبال على تجارب في مختلف صورها التي اصطلح عليها النّاس. فكانت نفسي إذا مهياً لنشيدان التجارب الجديدة." <sup>288</sup>، لقد اقتحم كواليس هذه الحياة الصاخبة باحثاً عن اللذة المنشودة المتمثلة في معاورة الخمر وفي معاورة النّساء المومسات، وهذه الأمور تعتبر من التّابوهات ومن المسكوت عنه في المجتمع العربي الإسلامي لأنّها من هامش الحياة وقليل من الرّوائيين من يخوض في هذه الموضوعات الصّادمة، ولكنّها الحقيقة التي يجب أن تقدّم إلى القارئ العربي بدون زيف ولا تحريف ولا تجميل.

كانت الموسيقى تأخذه إلى عوالم أخرى، لأنّه وجد في الموسيقى ملاذه الآمن فهو يبحث عن السّعادة في هذه العوالم الممكنة، يقول بدوي: " وكم كانت مؤثّرة حقّاً هذه

<sup>287</sup> نفسه، ص: 09.

<sup>288</sup> نفسه، ص: 09.

الموسيقى! لقد كان التّصعّد (الكرشندو) يسمو بنفسه شيئاً فشيئاً إلى حالة من الوجد خيل إليّ فيها أنّي قد صرت إلى أفلاك من الصّوت الرّنان، يتردّد فيها إيقاع ترقيمتي البندير كأنّه العود الأبدي في الكون الأكبر، فحلّقت في أجواز اللانهائي...<sup>289</sup> " لقد دفع به تذوق تلك الموسيقى السّامية إلى ولوج عالم التّصوّف من بابه الواسع وصار يرى الجمال الكوني في كلّ شيء يراه، لأنّ للموسيقى سحرها الخاصّ الذي يأخذ بالألباب بعيداً إلى حضرة الإمكان والتمكين.

لقد هام وجدا براقصة أعجبتة وسحرت لبه وجعلته يفنى فناء تاماً في هواها لأنّها سكنت في شغاف قلبه وصارت حشاشة فؤاده وأصبح بدوي فيلسوف الحبّ بلا منازع، يقول بدوي:

"الحبُّ طَيْرٌ مُرِيدٌ \* \* \* \* \* حُرٌّ دَوَامًا شَرِيدٌ

إِنْ لَمْ تَقَعْ فِي غَرَامِي \* \* \* \* \* وَقَعْتَ لَمَّا أُرِيدُ

لَكِنْ إِذَا هَمَّتْ فَاحْذَرِ \* \* \* \* \* مَنِّي، فَحَبِّي شَدِيدٌ."<sup>290</sup>

كان صادقاً في حبه، إذا أحبّ أحبّ بصدق وإذا كره كره بصدق، لقد جعل من الحبّ الصادق والطّاهر فلسفته في هذه الحياة، هو يريد أن يعيش حياته صادقاً مع نفسه وصادقاً مع النّاس، لأنّ كلّ شيء في هذه الحياة يبني على الصّدق والإخلاص والوفاء والتّضحية.

كان معجباً بالموسيقى الإسبانيّة لأنّه وجد فيها روح ثقافتنا وحضارتنا العربيّة الإسلاميّة، فالموسيقى الإسبانيّة (الأندلسيّة) خرجت من رحم الموسيقى العربيّة الأصليّة،

<sup>289</sup> نفسه، ص: 09-10.

<sup>290</sup> نفسه، ص: 10.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

يقول بدوي: " فالموسيقى الأسبانية تعود في شيء منها إلى أصول من الموسيقى العربية في العصر الوسيط، بيد أنها استطاعت بفضل قواها الخاصة الخالقة أن تتطور وتتمو حتى ترتفع إلى المستوى الذي نشاهدها عليه اليوم، مستعينة في هذا بروافد عدّة صبّت فيها من أوروبا ومن المستعمرات الأمريكية." <sup>291</sup>، فالموسيقى الإسبانية هي موسيقى شرقية الروح لأننا نجد فيها بصمات الحضارة العربية الإسلامية المتمثلة في روح زرياب (789م-857م) واسحاق الموصلي (767م-850م) وإبراهيم الموصلي (742م-804م)، فالثقافات والحضارات تأخذ من بعضها البعض.

وجّه في روايته (هموم الشباب) سهام النقد إلى الموسيقى العربية واعتبرها موسيقى تقليدية يغلب عليها التصلّب والجمود في طابعها الغنائي، لم تهب عليها بعد رياح التجديد ولم تمتح من معين الموسيقى الأوروبية، يقول بدوي: " أمّا موسيقانا العربية فقد تصلّبت في قالبها الذي اتخذته في القرون الوسطى ووقفت عنده، وجئنا نحن المحدثين فلم نستطع أن نأخذ بيدها من حيث وقفت، ولا أن نستوحي الموسيقى الأوروبية في آخر مراحل تطورها كما فعلت الموسيقى الروسية." <sup>292</sup>، التي صارت موسيقى عالمية تتساب منها روح التجديد والحدّثة، إنّها موسيقى تخاطب الروح والوجدان وتجعل الإنسان يقبل على حبّ الحياة والنهل من معينها الصّافي، لأنّ الموسيقى هي لغة سيميائية تخاطب الذّوق في ضمير كلّ إنسان وجد على ظهر هذه البسيطة.

أبدى في روايته (هموم الشباب) إعجابا شديدا بالموسيقى الروسية لأنّها تعتبر من روائع الفنّ الموسيقي في العالم بأسره، واستوحت من تراثنا العربي الإسلامي ألحانا خالدة صدحت بها حناجر المغنين والقيّنات، يقول بدوي: " وها هي ذي تجربة الموسيقى الروسية

<sup>291</sup> نفسه، ص: 11.

<sup>292</sup> نفسه، ص: 11.

أمامكم خير هاد إلى ما ينتظر موسيقاكم العربية من مستقبل باهر وضآء لو أنكم كنتم جادين مخلصين إلى جانب أن تكونوا موهوبين بطبعكم ممتازين. إنَّها اتخذت من تاريخكم القومي نفسه ومن سير أبطالكم ومن أقاصيصكم الشعبيّة مادة أبدعت في إتقانها واستخراج المعجزات الصوّتية منها، فلم تدع عنتره ولا شهرزاد-وهما من كبار شخصيات أساطيركم التي هي جزء من دمكم وروحكم-حتّى أخرجت منهما ومن غيرهما روائع الفنّ الموسيقي في العالم كلّه، لا في روسيا وحدها، أو ليس الأخلق بكم بعد هذا كلّه أن تدفنوا وجوهكم في التراب من هذا العار الأكبر؟"<sup>293</sup>، لقد صارت الموسيقى الرّوسية تقتبس ألحانا خالدة من تراثنا الموسيقي العربي الإسلامي وبالتالي ساهمت في نهضة الموسيقى العربية خاصّة في القرن التّاسع عشر، لقد عبّرت الموسيقى الرّوسية عن الرّوح الشّرقية التي تميزت بها حضارتنا العربية الإسلامية وهذا من خلال تلك الألحان الخالدة التي جادت بها قرائح الموسيقيين الرّوس، إنَّها ألحان عذبة شجية تجعل الرّوح تسبح في ملكوت الوجود وتتماهى معه، فالموسيقى لغة وجودية تخاطب الرّوح والوجدان في كلّ زمان وفي كلّ مكان.

عبّر بكلّ أريحية عن نزعتة الإيروسية في روايته (هموم الشّباب) حيث تطرق إلى المسكوت عنه في المجتمع المصري ألا وهو الجنس، كان بدوي مولعا بنهود الرّاقصات وله خبرة في اكتشاف سحره وجماله، يقول بدوي: "والمرأة الضئيلة النّهدين هي كائن حلّت عليه لعنة الجنس فصار يرقص على الهاوية القائمة بين حافتي الأنوثة والرّجولة، إنَّها مخلوق شقيّ كان الأجدر به ألا يولد. وتعلم أيضا كم من فتيات هجرتهن من اللّحظة الأولى، على الرّغم من جمال وجوههن الفاتن، ووسامة قدهن الرّائعة، وعذوبة أرواحهن الجذّابة السّحرية لا لشيء إلا لخفة نهودهنّ بل وأحيانا لمجرد عدم بروزها بشدّة." <sup>294</sup>، لقد عبّر هنا عن نزعتة الشّبقية المتمثلة في ولعه بنهود الرّاقصات، فصار التّهد الجميل هو الذي يسحره ويسلب لبه ويجعله يفنى حبّا في غرام الرّاقصات الفاتنات، يقول بدوي: "لكنك تعلم كذلك أنّني أميّز بين

<sup>293</sup> نفسه، ص: 12.

<sup>294</sup> نفسه، ص: 13.

نوعين من التهود المليئة: الشّماء المنطقة، والمترهلة المرتخية، والأوّل وحده هو الذي أميل إليه، لأنّه يحقّق الغاية منه، ألا وهي توجيه النّداء الجنسي الخالد من الأنوثة الخالدة إلى الرّجولة الخالدة كذلك. أمّا الثّاني فإنّ حقّق جانباً من هذه الغاية فإنّما يحقّق جانبها السّفلي لأنّه ينبّه إلى الجنس في أخطّ درجاته. النّوع الأوّل يدعو إلى الجنس لكنّه يهتف في نفسي الآن: علواً بالقلوب! أمّا النّوع الثّاني فيجرّ إلى الجنس لكنّه يهتف في نفسي الآن: نزولاً إلى درك جحيم الشّهوات!"<sup>295</sup>، إنّها نزعة شبقية اعترته وهو يطوف على الرّاقصات في الحانات يطلب ودهنّ وگرامهنّ، وصار لا يهوى إلّا نهود الرّاقصات، ولقد عبّر في روايته هذه بكلّ صراحة عن هذا الغرام العجيب والغريب الذي أصابه في مقتل.

لقد انتقد جمال الرّاقصة الرّائف في روايته (هموم الشّباب) لأنّها تعتمد على حركات جسدها لكي تغري السّفهاء والحمقى، يقول بدوي: "وما لنا والحديث عن جمال التّهود وفتانتنا ليست في حاجة إلى شيء من هذا كلّّه! بل العكس: إنّها في رقصتها هذه وما يصاحبها من موسيقى لا تحتاج إلّا إلى هذا الجسم الذي أتيت على وصفه بكلّ تفاصيله: فما رقصتها هذه إلّا عملية شهوانية من أخطّ الأنواع، تمثّل حالة الانهيار الرّوحي المريع الذي يريد قوم أن يقرّفونا به معشر الشّرقيين المساكين." <sup>296</sup>، فالراقصة الشّرقيّة تعتمد على إيقاع حركات جسدها لكي تغطّي على جمالها الرّائف الذي صار لا يغيري أيّ أحد من النّاس، لقد تطرق في روايته هذه إلى المسكوت عنه والمتمثّل في الحديث بكلّ صراحة عن أمور الجنس التي تعتبر من التّابوهات في مجتمعنا العربي الإسلامي.

في روايته (هموم الشّباب) نجد بأنّ البطل الرّئيسي (بدوي) وقع في غرام فتاة جميلة ناهد، ووصف تفاصيل هذا الحبّ الخارج عن القانون في هذه الرّواية بكلّ جرأة واستطاع أن

<sup>295</sup> نفسه، ص: 13.

<sup>296</sup> نفسه، ص: 13.

يقتحم قلاع المسكوت عنه بكلّ أريحية وبكلّ جسارة، يقول بدوي: "والغريب في طبعي أنّ عاطفة الحبّ كثيرا-إن لم تكن دائما-ما تنشأ عندي تحت تأثير عاطفة الشفقة. هناك تَلَفَّت خلفي إلى الفتاة ذات العينين السوداوين والنظرات البرّاقة والغدائر الأفغانية التي كنت أتأملها منذ حين ولم يصرفني عن التأمّل فيها إلاّ ابتداء البرنامج، فوجدتها لا تزال رابضة في مكانها، لم يتبدّل من حالها شيء، اللهم إلاّ أنها استبدلت بفسطانها فستان السهرة الأسمر الذي أضفى عليها شيئا من الطول القليل وزاد في ضخامتها، خصوصا نصفها الأسفل، وكان لا يكاد يغطّي من صدرها إلاّ نهديهما وقد رفعهما العماد (السوتيان) بعد أن كانا مرتخيين شيئا، فازداد تأثيرهما صولة وعرامة." <sup>297</sup>، هذه الأمور الحساسة تثير في الإنسان غرائزه الجنسية التي يجعله يثور ثورة عارمة كلّما رأى فتاة ناهدة الثديين في رابعة النهار أو في الهزيع الأخير من الليل.

حاول في روايته هذه أن يدافع عن بنات الهوى (فتيات الليل) لأنهن في نظره هنّ ضحايا هذا المجتمع المقيت الذي يضطهد المرأة ويجعلها آمة وبضاعة للرجل، يقول بدوي: "قلت لنفسي: ولم لا يكون ديما صادقا في استدرار الدّمع على حال بنات الهوى هؤلاء ولم لا يكنّ جذيرات بالعطف حقًا، والنّاس هم الذين يصوّرونهنّ بتلك الصّورة الرّهيبية التي رسمتها لك وفق ما تقوله ألسنتهم، ولو كانوا مخلصين في هذا التّصوير إذا لا ندفعوا لإنقاذهنّ أو لتجنّيب المجتمع ويلاتهنّ؟ لم لا يكنّ شهيدات لأهواء الرّجال الآثمة، لم يستطعنّ ردّ غائلتها لأنّ المجتمع لم يزودهنّ بأيّ سلاح يذدن به عن أغراضهنّ فلا يلقين بها في تلك السّوق الموفورة من جراح الإنسانيّة." <sup>298</sup> لأنّ بنات الهوى هنّ ضحايا هذا المجتمع البائس، فالفتاة الفقيرة تضطرها الحاجة إلى بيع جسدها من أجل لقمة العيش لأنّ مجتمعا السّادر لم يرحم أنوثتها السّاذجة، صارت المرأة الفقيرة التي تتدثر بدثار الفاقة ألعوبة في يد كلّ ذئب بشري

<sup>297</sup> نفسه، ص: 17.

<sup>298</sup> نفسه، ص: 19.

يبحث عن متعة عابرة، لذلك وجب على الإنسان الحصيف أن يتعاطف مع المرأة لأنها ملاك طاهر.

يرى في روايته (هموم الشباب) بأنّ الدّعاة غزت جميع نواحي الحياة فقد صرنا نراها في الأخلاق وفي الأدب وفي السّياسة، يقول بدوي: "وليست الدّعاة مقصورة على النّاحية الجنسية في مظهرها الخارجي، بل تمتدّ إلى النّواحي الخلقية والأدبية والسّياسية وكلّ مرفق من مرافق الحياة: فهذا داعر في الأدب، وذلك داعر سياسي، وثالث داعر في الصّناعة إلخ." <sup>299</sup>، فهو يرى بأنّ الحياة برمتها قد تميّعت في مصر وأصابها التّصحّر، فصارت كلّ الأشياء التي نراها في المجتمع لا تبشّر بالخير، فالحياة صارت مقرّفة مملة تحاصر كلّ مبدع وكلّ فيلسوف وتصيبهما في مقتل.

وجّه في روايته (هموم الشباب) سهام النّقد إلى بنات الهوى (العاهرات) اللواتي يتاجرن بأجسادهنّ من أجل متعهنّ المادية، يقول بدوي: "لكنّ بنات الهوى شأنهنّ شأن قطع الطّرق واللّصوص لا يصدرن في مآربهنّ تلك عن شعور بالحاجة إلى المغامرة كمغامرة تطلب لذاتها ولذاتها، بل هي الحاجة المادية أحيانا أو الفساد الطّبيعي أحيانا أخرى أو دائما هو الذي يحملهنّ على هذا المركب الوعر دون أن يكنّ في هذا مختارات أيّ اختيار." <sup>300</sup>، فعلى العموم يبدو أنّ الطّروف الاجتماعية هي التي دفعت بنات الهوى إلى هذا العمل المشين والخارج عن القانون وعن الأعراف وعن النّقاليد، هنّ ضحايا هذا المجتمع البائس الذي لا يرحم المرأة ولا يحسب لها ألف حساب ولكنّ التّاريخ سينصفها يوما ما.

<sup>299</sup> نفسه، ص: 23.

<sup>300</sup> نفسه، ص: 24.

انتقد في روايته (هموم الشباب) ظاهرة الدّعاة التي انتشرت في المجتمع المصري انتشار النار في الهشيم، وصارت المومسات يمارسن مهنتهنّ دون خوف من أيّ رقيب، يقول بدوي: "وجاست فتاتنا خلال الممرّات بين الموائد لأنّها لم تكن قد ظفرت بصيد بعد: ضاحكة محتكّة بذاك، سائلة من تعرف ومن لا تعرف لفافة من التّبغ أو قطعة من الحلوى كيما تكون هذه وسيلة لبدء الحديث بينهما. بيد أنّ هؤلاء الذين تحدثت إليهم كانوا من الفتيان المحنكين فلم تحل منهم جميعا بطائل." <sup>301</sup>، فكلّ الفتيات اللواتي دخلن هذا العالم الموبوء ندمن في آخر حياتهنّ على ما اجترحن من آثام وموبقات، هنّ لا يردن العودة إلى هذا العالم المليء بالمخاطر، كلّ فتاة تريد أن تعيش حياتها وفق ما تمليه الأعراف والتقاليد الاجتماعية.

بدأت ظاهرة الدّعاة تغزو المجتمع المصري خاصّة في نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات من القرن الماضي، وكان له مغامرات عاطفية مع هؤلاء المومسات، يقول بدوي: "هنالك بدأ الفتى ينتبه إلى الأحبولة التي تتصبها له هذه الفتاة الماكرة، وهاله أن تحاول الفتاة عقد صفقة تجارية بضاعتها المزجاة كلمات رخيصة جفتها روح الإخلاص، فأنشأ يأخذ حذره فيجيبها بألفاظ مغتصبة لا تستطيع هي أن تحلو منها بأمنيّتها المنشودة. وكلّما تراجع هو ازدادت حرصا على مطاردته." <sup>302</sup>، إنهن فتيات مومسات أقبلن على عالم الدّعاة بكلّ أريحية ليمارسن أقدم مهنة في التّاريخ وهناك من المومسات من دفعته الحاجة والفاقة إلى ذلك هنّ ضحايا هذا المجتمع الغاشم، ونلاحظ بأنّه في روايته هذه قد وجّه نقدا لاذعا إلى كلّ امرأة عاهرة باعت شرفها مقابل دراهم معدودة لا تسمن ولا تغني من جوع، يقول بدوي: "قلت لنفسني: أهذه طبيعة المرأة؟ أي لا تعرف العاطفة إلاّ كوسيلة لغاية مادية؟ أي لا تقيض بشعور جميل إلاّ إذا قبضت الثّمّن مقدّما: إمّا نقدا أو وعدا إلى أجل محدود؟ ولماذا تنتظر إلى الرجل هذه النظرة، بينما هو ينشد العاطفة الخالصة أولا، ولو استطاع لاكتفى

<sup>301</sup> نفسه، ص: 26.

<sup>302</sup> نفسه، ص: 32.

بها؟<sup>303</sup>، فهذه الظاهرة العجيبة صرنا نراها في كل المجتمعات العربية الإسلامية التي تعاني من الفقر والتخلف والكبت النفسي والاجتماعي، والحلّ هو أن نحارب الفقر والتخلف ونحقّق ونكرّس العدالة الاجتماعية بين الناس.

في رواية (هموم الشباب) يصوّر لنا جمال واحات النّخيل في الصّحراء المصرية، فصارت النّخلة عنوان جمال الصّحراء وسحرها الوجودي، يقول بدوي مصوّرًا جمال النّخيل في واحات الصّحراء المصرية ما يلي: "لو لا أنّ أشعة الشّمس كانت أحيانًا تتألّف على حوص السّعف فتخرج المنظر عن شيء من صمته، حتّى إذا ما استقرّت عليه طويلا عاد النّخيل إلى حالة من الوجد بإغراقه في هذا اللّون الذهبّي الخاطف للبصر ممّا يدفع بالنّخيل إلى أبعد غايات الأحلام الزّاهية البرّاقة، والحقّ أنّ هذا النّخيل هو خير ممثل للروح الشّرقية السّحرية المنطوية على نفسها في كهفها المطلي بالذهب المموّه." <sup>304</sup>، فجمال واحات النّخيل في الصّحراء المصرية له ألقه العجيب وله سحره الفاتن خاصّة في ليالي الشّتاء الدّافئة، كلّ من أراد أن يتدوّق جمال الصّحراء العجيب عليه أن يزورها في الشّتاء لكي يستمتع بأسرار الليالي الشّتائية في الصّحراء الرّحبة الفسيحة الممتدة الأطراف.

يروى في روايته (هموم الشباب) بعض مغامراته العاطفية مع بعض المومسات، اللواتي صادفهنّ في الحانات أو في قارعة الطريق، يقول بدوي وهو يتحدّث عن عشيقته التي صادفها يوما ما ما يلي: "لهذا سألت صاحبتني أن تقصّ عليّ بعض أمرها، فتأبّت، وكلّما ازدادت إباء ازددت إلحافا وتوسلا وإغراء لها بحرصي مخلصا على أن أعرف ماضيها وحياتها حتّى أجد، إن استطعت، لها مخرجا، وبعد تجاذب وتمنّع يخالطه دلال وتلامس بين الأكفّ ومغاضنة بالعيون، قبلت أن تقصّ شأنها على أن يكون سرّا مقدّسا بينها وبينني." <sup>305</sup>، إنّها فتاة مومس دخلت هذا العالم الرّهيب مكرهة وطلبت من بدوي (بطل الرواية) أن يخرجها

<sup>303</sup> نفسه، ص: 32-33.

<sup>304</sup> نفسه، ص: 38.

<sup>305</sup> نفسه، ص: 39.

من هذا العالم الموبوء، ولكنّه للأسف الشديد كان يبحث عن لذّة عابرة فقط، هو لا يفكر إلاّ في نزواته الجنسية.

يمكن اعتبار العاهرات حسب رواية (هموم الشّباب) هنّ ضحايا هذا المجتمع المخملي الذي عشن فيه، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "ومثل هذه الحجّة كانت خليقة أن تدفع بنا-ونحن في حماسة الشّباب وثورته-إلى حيث تريد هذه الفتاة أن نقتادنا. فمن ممّا لم تطمح في أن تنال أكبر المراكز الاجتماعية، أعني خير زواج ميسور وأنت تعلم سفسطة العقل البورجوازي الذي كُنّا نمثله، وما يندفع فيه من مطامح وهمية وآمال كاذبة خدّاعة، لهذا أسلمنا قيادنا لفتاتنا دون أن نحسب لشيء حساباً".<sup>306</sup>، لقد أقبلن على هذه المغامرة دون التّفكير في العواقب الوخيمة التي تترتب عنها، إنّها طريق محفوف بالأشواك وبالمخاطرة وبالأوهام، فهؤلاء الفتيات تمردن على مجتمعهنّ البورجوازي المحافظ وهذا عندما أردن تعلم الرّقص بجميع أنواعه، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "لم يكن مجتمعنا البورجوازي المحافظ يسمح بالاختلاط بين الفتيات والفتيان إلاّ إذا كان هؤلاء محارم، ولم يكن يسمح حتّى لهؤلاء المحارم أن يتبسّطوا مع الفتيات أيّ تبسط، فما بالك بأن يراقصهن ! لو حدث هذا لكان كبيرة الكبائر ولعنة عظمى حلّت بالأسرة كلّها وفضيحة صارخة تدنس شرفها إلى الأبد، فمن كان يجرؤ عليها، هيهات! هيهات!"<sup>307</sup> فأغلب العاهرات خرجن من وسط محافظ، لقد تمردن على كلّ الأوضاع السّائدة وعلى كلّ التقاليد البالية، فنحن نلاحظ أنّ جلّ العاهرات لهنّ عقد نفسية ولهنّ كبت جنسي رهيب، هنّ يبحثن عن اللذّة بأيّ ثمن مهما كان، فكلّ عاهرة حاولت أن تتحدى مجتمعها الذكوري وتتمرد عليه إلاّ وكانت نهايتها وخيمة، لأنّ نيران الحرّية تحرق كلّ من اقترب منها ولو من بعيد.

<sup>306</sup> نفسه، ص: 42.

<sup>307</sup> نفسه، ص: 42.

في هذه الرواية (هموم الشباب) تعرّف على عاهرة دفعتها ظروف الحياة إلى ممارسة هذه المهنة القذرة، يقول بدوي على لسان صديقه العاهرة ما يلي: "شهد الله أنّي ما كنت أنظر إلى فتاة تراقص فتى وسيما إلاّ تمنيت أن أكون هذه الفتاة حتّى كنت أحسد الفتيات المراقصات لفتيان ممتازين، حسدا ينفذ إلى أعماق نفسي." <sup>308</sup>، إنّها تريد أن تستأثر بكلّ الفتيان الذين يتردّدون على ذلك المرقص وهذا طمعا في أموالهم، كانت تبحث عن متع زائلة وعن سعادة وهمية، هؤلاء الفتيان الذين يتردّدون على هذا المرقص هم يبحثون عن المتعة مهما كلفهم ذلك من ثمن، هم في قاموسهم لا يعرفون معنى للحب، يقول بدوي على لسان تلك العاهرة ما يلي: "ولا تسلني بعد هذا عن الأحاسيس العذبة التي شعرنا بها آنذاك. فقد تجمعت الجدة وفتاة السنّ وغضارة الشبان وحلاوتهم وحديثهم فأشاعت في نفوسنا أجمل الأحلام وأعذب اللذات، ومن كان يستطيع بعد أن تذوق هذا مرّة أن ينساه أو يتناساه أبد الدهر!" <sup>309</sup> إنّها سعادة وهمية سرعان ما تذهب مع سحب الصيف أو أمطار الشتاء، من يجري وراء اللذات والمتع الوهمية هو يجري وراء السحاب ولا يجني إلاّ الغبار، وبالمختصر المفيد المجتمع لا يرحم العاهرات إلاّ نادرا، يقول بدوي على لسان تلك العاهرة ما يلي: "لكنّك تعرف وأنت الشاب-تهور الشباب وعدم قدرته على كتمان الأسرار، حتّى لو كان في هذا إضرار بالغ به، فما بالك وقد وجدوا في الأمر مدعاة للتفاخر، إذ يرون أترابهم يتباهون بالمغامرات الغرامية ويعدّد كلّ منهم، منتفجا صريعاته الكثيرات في ميدان الحبّ والغزل! لهذا جرى ذكرنا في أوساط الشباب المرح، وظلّت الدائرة تتسع شيئا فشيئا حتّى كادت تنتظم الشباب كلّهم ومن إليهم من المتصابين، فكنا لا نسير إلاّ والعيون ترمقنا بنظرات ساخرة من أغلب الشباب، وتتهامس الألسنة بل وأحيانا تصيح بأبشع العبارات." <sup>310</sup>، فالمجتمع الذكوري لا يرحم العاهرات ولا يحسب لهنّ حسابا، بل يعتبرهنّ مجرد متمردات على الأعراف وعلى

<sup>308</sup> نفسه، ص: 48.

<sup>309</sup> نفسه، ص: 50.

<sup>310</sup> نفسه، ص: 52.

التقاليد لذلك هو يعلن عليهنّ حرباً شعواء لا هوادة فيها، لقد أحسّت كلّ عاهرة بالظلم الذي وقع على بنات جنسها لذلك عليها أن تكافح من أجل ردّ الاعتبار لأتربائها، كلّ عاهرة هي ضحية لهذا المجتمع البائس الذي لا يرحم الضّعيف ولا ينصف المظلوم، فصرامة المجتمع الذكوري هو الذي دفع المرأة إلى عالم الرذيلة والانحراف.

في رواية (هموم الشّباب) يعتقد بأنّ العاهرات لهنّ نزعة انتقامية ضدّ مجتمعهنّ، لقد أعلنوا كلّ أنواع التمرد ضدّ هذا المجتمع الغاشم الذي ظلمهنّ، يقول بدوي على لسان عاهرة لها نزعة انتقامية ما يلي: "وهنا لا أستطيع أن أكتمك مافي طبعي من حبّ للانتقام، أنا لا أحبّ المبادأة بالعدوان. لكن إذا اعتدى عليّ أحد فإنّي لن أنسى اعتدائه أبد الدهر. ولا بدّ لي من الانتقام الرّهيب، أضف إلى هذا طبيعتنا نحن معشر النّساء، تجد عندي أعنف عاطفة للانتقام تستطيع أن تتصوّرها، هنالك وجدت أنّ التّجربة التي عانيتها تقتضي منّي أن أنتقم لنفسي من الرّجال، وأشرت على رفيقتي بهذا الرّأي، فوافقاني عليه بعد تردّد طويل.<sup>311</sup>، هنّ ضحايا هذا المجتمع البائس الذي لا يرحم المرأة الضّعيفة التي اضطرتها الحاجة لأن تبيع جسدها للدنّاب البشرية، لذلك قرّرت هذه المرأة الضّعيفة أن تنتقم من الرّجال الذين يفترسون جسدها.

في هذه الرّواية (هموم الشّباب) نجد أصداء السيرة العاطفية له، لقد تعلّق قلبه بفتاة مصرية رائعة الجمال وكان يواعدها على حين غفلة من النّاس لكي يمارسا معا طقوس الحبّ الممنوع، يقول بدوي: "فأنشأت تحدّق في عينيّ وهي تبسم، وتقرب خدّها منّي شيئاً فشيئاً حتّى مسّ خدي فلم أدع الفرصة تمرّ دون أن أطبع عليه قبلة عابرة، ولكنها جميلة حارة، فكانت نسيماً منعشاً خفّف حرارة الجوّ كلّهُ".<sup>312</sup>، فلحّب طقوس جميلة تجعل الرّوح تسبح في ملكوت المطلق وتتماهى معه ويبقى المكان شاهداً على هذا الحبّ الخالد الذي لا

<sup>311</sup> نفسه، ص: 53-54.

<sup>312</sup> نفسه، ص: 57-58.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

تمحيه رياح الأيام ولا الليلي، يقول بدوي: "وكانت الساعة قد بلغت السابعة، وكنا قد بقين جالسين ساعات طوالا لا نريم عن مقعدنا الرخو الذي اتخذناه في ذلك البهو العربي المتعدّد الأضواء والألوان، خصوصا في ساعات الأصيل وقد انساب ضوء الشمس الهادئ الدّامي فأشاع في الكون نشوة خفيفة كانت عوننا على الاسترسال في الحديث وعدم الملل من ذلك المكث الطويل. فلما بلغ الملل غايته آثرنا التّجوال سائرين على أقدامنا في طريق الهرم البديع حتّى يحين وقت العود إلى المدينة." <sup>313</sup>، لقد عاش مغامرات الحبّ وهو لا يزال في شرح الشّباب وفي ميعة الصّبّا، أراد أن يخدّد هذا الحبّ المقدّس في هذه الرواية العجيبة التي استطاعت أن تقتحم قلاع المسكوت عنه (الجنس) وتتحدّث عنه بكلّ طلاقة وبكلّ أريحية وهذا حتّى تضع القارئ في الصّورة وتجعله يتعرّف على أدب الهامش.

لقد انبهر بجمال صحراء النّيل المتمثّل في التّحفة الفنية الخالدة والمتمثلة في الهرم الأكبر، هناك نجد الحضارة الفرعونية ضاربة أطناها في أعماق التّاريخ، يقول بدوي واصفا الجمال الفرعوني للهرم الأكبر ما يلي: "فرأينا واديا منبسطا تناثرت فيه أشجار السّرو العالية تحيط بالضّفاف والمنازل الشّامخة المترامية على طول الطّريق، ورأينا إطار هذه اللّوحة البديعة قائما عند جبال المقطّم وقد استحال ترابها تحت تأثير شعاع الأصيل إلى أوراق من البنفسج واللّازورد تعلق قمم هذه التّلال القصيرة، وخلال هذا كلّه يمتدّ النّيل وينساب في انثناء بديع تحجبه أحيانا خمائل فانتة من النّخيل أو الصّفصاف، فكان النّيل بقنواته العديدة ملطّفا للرتوب الذي ينتظم الوادي، إذ الرّابية وتلال المقطّم لم يكونا يتدرجان سويا مع الوادي بل كان كجدارين عموديين والوادي سهل منبسط لا تدرج فيه ولا تصعيد." <sup>314</sup>، إنّه جمال صحراويّ يسلب اللّب ويجعل النّفس تتماهى مع الفنّ الخالد الذي يبثّ أريج الحضارة الفرعونية في كلّ مكان، فمصر هي مهد الحضارة الفرعونية وعنوان جمال الطّبيعة الفرعوني.

<sup>313</sup> نفسه، ص: 58.

<sup>314</sup> نفسه، ص: 59.

أعجب في روايته (هموم الشّباب) بجمال فتيات جنوب إفريقية اللواتي زرن الأهرام في الصّحراء المصرية الرّحبة والفسيحة، يقول بدوي واصفا الجمال الإفريقي لهؤلاء الفتيات ما يلي: "وكانت الإبل برحالها المزركشة تصّاعد إلى الأهرام أو تتحدر إلى الفندق وقد علتها فتيات مجنّدات من جنوب إفريقية، غلب على أكثرهنّ الجمال الفاتن والسّحر الحارّ: شعور شقراء تنافس أشعة الشّمس الذهبية فترى بينهما انعكاسا متبادلا هو الاشتباك بين هذين القرينين اللذين عدما النّظر، وخذود حمر تتوهج فيها جمرات الشّهوة المتدفقة، وعيون زرق وخضر تطوف بالخيال إلى ثبج الموج في البحر المحيط، وسيقان بضّة تدلّت على الرّجال في انثناءة خانقة وانفراجة متوثبة، والفساتين الكاكي تلتوي بالقود النّحيلة وتشدّ الصّدور النّاهدة ثمّ تتحسر عن السيّقان الجاثمة على الرّجال فتغري العيون بالفضول اللّهيّف والاستطلاع الشيق".<sup>315</sup>، إنّه جمال إفريقيّ يسحر اللبّ ويجعل الفؤاد يتنفّس نسيم هذا الحبّ العذب العليل، لقد سحره هوى الفتيات الإفريقيات وجعله يهيم وجدا بهذا الغرام الإفريقي، كان يذهب إلى الأهرامات لكي يستمتع بجمال الفتيات الإفريقيات وبتماهى مع جمالهنّ المطلق، فللجمال الإفريقيّ سحره وألقه العجيب.

فجمال فتيات جنوب إفريقية له سحره العجيب الذي يجعل اللبّ يحير في هذا الجمال الأسطوريّ، لقد سحره صوتهنّ العذب الرّخيم، يقول بدوي: "وما أجمل نبراتهنّ وأعذب صرخاتهنّ حينما تهرول بهنّ الجمال فيستصرخنّ الأعراب من أصحاب الجمال، فيكتفي هؤلاء الأعراب بابتسامة خشنة ترتسم على وجوههم المتخدّدة وقد علاها التراب وأحاطت بها كوفيات مرقومة بالأحمر والأبيض والبنفسجيّ".<sup>316</sup>، لقد انبهر هؤلاء الأعراب بجمال فتيات جنوب إفريقية، لهنّ سحر عجيب وألق ساحر يجعل الشّاعر يفنى حبا في جمالهنّ الأخاذ.

<sup>315</sup> نفسه، ص: 59.

<sup>316</sup> نفسه، ص: 59.

يصور في روايته (هموم الشّباب) اعتزاز الفلاح المصري بأرضه التي يراها عنوان مجده التّليد وعزّه وجاهه بين النّاس، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "إنّ الفلاح في الرّيف-أيّ ما كانت ثروته ومهما يكن فقره المدقع- هو لا بدّ يملك بيتا-إن يكن حقيرا فهو بيت على كلّ حال يستطيع أن يأوي إليه مهما بلغت به سوء الحال، ويستطيع أن يتصور في داخله جوعا بعيدا عن أعين النّاس، إنّه يمتدّ بجذوره إلى الأرض التي ينمو عليها عن طريق هذا البيت الذي يملكه، فهو إذا نبات أصيل وليس نباتا طفيليا كهذا الموظف المسكين الذي يهدّد كل شهر بإيجارة إمّا أن يدفعها وإمّا أن يطرد شريدا في الأزقة والطّرات." <sup>317</sup>، فالفلاح المصري يرى في أرضه كرامته وعزّة نفسه لذلك هو لا يفرط في أرضه ويبذل في سبيلها روحه ومهجته.

يرى في روايته (هموم الشّباب) بأنّ الرّيف هو أفضل من المدينة، لأنّ الرّيف فضاء رحب فيه النّسيم العليل والطّبيعة السّاحرة، يقول بدوي: "وإنّي لأرثي أشدّ الرّثاء لحال أولئك الذين يقضون حياتهم متقلّين من منزل إلى منزل في داخل برج بابل الهائل، هذا الذي يطلقون عليه إسم: المدينة، ومع هذا فأنت تراهم يتنقلون غير مكترئين، بل مغتبطين لأنّهم جدّدوا ونوّعوا، ألا ساء ما يظنّون! لقد فقدوا إحساس بما هو حيّ، فتهاووا كالفراش مهطعين لا يرتدّ إليهم طرفهم ولا يدرون ما يفعلون. شيئا من الإحساس بالأرض وبمعنى الأرض أيّها المستأصلون المساكين!" <sup>318</sup>، فالمدينة هي فضاء ضيق يجعل الرّوح تسأم هذا المكان، لأنّ المدينة هي فضاء عجيب فيها كلّ ما يمجّه النّاس ولا يستصيغونه فهي مكتظة بالنّاس تكاد شوارعها تختنق من كثرة الازدحام، أمّا الرّيف ففيه السّعادة المخملية والإشراق الطّفولي والصّبابة الطّاغية، في الرّيف عبق الحضارة السّاذجة والبراءة الطّفولية، من أراد العمر المديد والعيش الرّغيد فليرتمي في أحضان الرّيف السّعيد.

<sup>317</sup> نفسه، ص: 59-60.

<sup>318</sup> نفسه، ص: 60.

يعتقد في روايته (هموم الشباب) بأن نشدان الحرّية هو هدف كلّ إنسان في هذه الحياة، فالحرّية هي حقّ طبيعي لجميع الشعوب، يقول بدوي: "والعلّة في هذا فيما يخيّل إليّ هي أنّ الحرّية في ذاتها من أكبر الأشياء قيمة، فتكفي بنفسها لأنّ تضيي على الفعل الصّادر عنها-أيّا كان شأنه-قيمة أخلاقية نبيلة، بينما الضّرورة بطبعها شرّ، فتطبع ما يصدر عنها-أيّا كانت حاله وصفته-بطابع الشّرّ والفساد."<sup>319</sup>، لأنّ الحرّية لها علاقة وطيدة بالفلسفة الوجودية وتعدّ مظهرا من مظاهرها خاصّة في العصر الحديث وفي عصرها هذا.

ينتقد في روايته (هموم الشباب) ظاهرة التّحرّش الجنسيّ بالفتاة الطّالبة للعمل، حيث أنّها تضطرّ لأنّ تتبع شرفها من أجل دراهم معدودة تجنيها من ذلك العمل البائس، يقول بدوي مشفقا على حال كلّ فتاة تتبع نفسها من أجل المال ما يلي: "فلما رأيت هذا كلّه، رحّت ألوم نفسي: وماذا عسى أن يكون فيك حتّى يغري الشباب في هذا العصر بك؟ لا جاه عندك تهدينه ولا مال، أجل لديك جمال، لكنّ أيّان يسعد اليوم الجمال! فإنّ تقدّم إليك أحد، فلن يكون غير صلوك حقير سيستنزف جمالك بأقلّ النّفقات، حتّى إذا ما أتى عليه مضى لتوّه كيما يعلق بفريسة أخرى يمتصّ دمه، فما عليك بعد هذا كلّه إلّا أن تعودني إلى مشروعك القديم."<sup>320</sup>، وكان مشروعها القديم هو أن تصبح راقصة في الملاهي الليلية وهذا يعتبر دخولا إلى عالم الرذيلة من بابه الواسع، وظروفها الاجتماعية العسيرة هي التي دفعتها إلى ذلك دفعا كبيرا وهذا من أجل ضمان لقمة العيش، فما أشقى هذه الحياة! .

يذكر في روايته (هموم الشباب) بأنّ الحاجة هي التي دفعت العاهرات إلى العمل في الظلام بعيدا عن أعين الرّقيب، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "لم يكن لنا أن ننفذ مشروعنا هذا في مدينتنا، وإلّا افتضح أمرنا في الحال وفسد المشروع كلّ من ناحية

<sup>319</sup> نفسه، ص: 61.

<sup>320</sup> نفسه، ص: 62.

ومن ناحية أخرى كنّا سنسيء إلى أسرنا أبلغ إساءة، وكان خيرا لأسرتي أن تتضوّر جوعا بل وتنتحر عن بكرة أبيها من أن تسمع أنّ لها فتاة ساقطة تستجدي لها القوت بذبح عرضها على مذابح الكرامة والفضيلة"<sup>321</sup>، فالمجتمع لا يرحم كلّ فتاة باعت جسدها لكي تعول أسرتها، بل عليها أن تبحث عن عمل شريف يحفظ لها كرامتها الإنسانية.

في رواية (هموم الشباب) يقصّ علينا مغامراته العاطفية مع بعض الفتيات الشّواب الكواعب الأتراب وكانت مغامرات عجيبة تظللّها السّعادة الوارفة المخملية، يقول بدوي قاصّا علينا بعض مغامراته العاطفية ما يلي: "ثمّ ركبنا سيّارة بعد أن ودّعنا هذا الأثر الرائع الذي أظنّنا في اللّيل برهبتة المحبوبة، وطوانا في أسراره الخالدة التي حملها على طول الزّمان، وكان القمر قد ارتفع فوق الأفق وصعد في الجانب الشرقيّ من السّماء، وإذا بالقنوت والتّرع تتراقص أمواها الفضيّة تحت أضوائه المترنحة المتواتبة، وإذا بالأشجار على طول الطّريق تستلقي تحت شعاعه وهي ناعمة بملاطفاته النّاعمة الجميلة، وأشجار الجكرندة تبسم للقمر بأزهارها البنفسجية الفاتنة، فكان جوّا حالما سرعان ما طوانا نحن في أحلامنا، فأحطت خصرها بذراعي النّهمة وألقت خدّها على كتفي واستسلمنا لأحرّ الإحساس وأعذب الخيالات التي لم يكن يقطعها إلّا بعض النظرات الماكرة من السّائق، أو القبلات الحارّة يطبعها ثغر كلّ منّا على خدّ الآخر أو شفّتيه."<sup>322</sup>، إنّه حبّ عاصف جارف ألمّ بقلبيهما وجعلهما يقعان في المحظور، إنّه حبّ إباحيّ متحرّر من جميع القيود الاجتماعية وتمرّد على جميع الأعراف الاجتماعية.

يرى في روايته (هموم الشباب) بأنّ الآثار الإسلامية الفريدة من نوعها تتمي في الإنسان الدّائقة الصّوفية التي تتذوّق جمال المعمار الإسلامي، يقول بدوي: "ومع هذا فيجب

<sup>321</sup> نفسه، ص: 63.

<sup>322</sup> نفسه، ص: 64.

أن يقال أيضا إنّ هذا الحيّ الذي يقع فيه المطعم حيّ حقًا: حيّ بآثاره الإسلامية الرّائعة التي تكدّست فيه مع هذا في غير عناية ظاهرة ولا اهتمام بأمر من سيزورونها، خصوصا من السّائحين، وحيّ كذلك بتجاربه النّشيطة إلى أبعد حدود النّشاط، وحيّ ثالثا بالروح الدّينية الصّوفية العميقة التي تسود أرجاءه، حيث تؤويها هذه الآثار المقدّسة من مساجد ومدارس وسبل، خصوصا من عهد المماليك، لهذا كان يلدّ لي كثيرا أن أزور هذا الحيّ لأستروح هذا الجوّ العابق بالقداسة الرّطبة، وأنتسمّ البخور في الرّوح الشّرقية التي تسوده وأملأ رئتي بهوائه الدّيني الصّوفي المخدّر، وكم أفادتني هذه الجرعة من الدّواء !<sup>323</sup>، فللعماراة الإسلامية جمالها الفاتن العجيب الذي يأسر الألباب ويسكر القلوب بالمحبة الصّوفية التي تجعل الإنسان يسبح في ملكوت المطلق وفي ملكوت الفضاء الفسيح حيث ترفرف الرّوح الشّرقية في هذا الفنّ الإسلامي العجيب الذي يؤرّخ لحضارة الإنسان في ذلك العصر الغابر، نجد في العماراة الإسلامية روحنا الشّرقية التي تجسّدت في هذه الآثار الإسلامية المتمثلة في المساجد والرّوايا والمدارس العتيقة التي تزخر بالعبق وبالأريج الحضاريين.

هذا الجوّ الصّوفي العربي الإسلامي الذي وجدته في العماراة الإسلامية جعله ينسى الجوّ الغربيّ الذي كان يعيشه في الكتب، لقد وجد في الحضارة العربية الإسلامية النّزعة الرّوحانية الصّوفية ووجد في الحضارة الغربية النّزعة المادية، يقول بدوي: 'لقد كنت أستعيد بها شيئا من الرّوح الشّرقية الممتازة بالطّراوة والرّخاوة والأحلام الدّهبية المخدّرة والصّوفية الشّاحبة المريضة-أستعيده حتّى لا أتوهم أنّي نسيت نفسي الأولى نهائيا بفضل الجوّ الغربيّ النّفافي الذي كنت أحياء في بطون الكتب أو في ذكرياتي بأوروبا، ولا بأس على المرء أحيانا-منا معشر الشّباب-أن يستسلم لهذه الرّوح الشّرقية النّاعمة المخدّرة في بعض الأوقات والسّاعات، على أن يكون هذا الاستسلام مؤقتا كنوع من المشروب أو المخدّر الذي ينسى المرء شيئا من قسوة الحياة وصلابتها، وإلا فإنّه إذا استمرّ كان تأثيره تماما كتأثير الإدمان على غيره

<sup>323</sup> نفسه، ص: 67.

من المخدرات، إذ لا شكّ في أنّ كليهما مخدّر، فلا يجب إذا الإدمان عليه، ألا فليأخذ كلّ من هذا الدواء برفق !<sup>324</sup>، فهذا الجوّ الصّوفي العربي الإسلامي يجعل الرّوح تسمو إلى الكمال المطلق وتتماهى مع الوجود وتتلاشى فيه، فجمال فنّ العمارة الإسلامية هو ديدن كلّ متصوّف حائر في متاهة الإبداع الإنساني.

يعتقد بأنّ العطور الشّرقية لها تأثير صوفيّ عجيب يجعل الرّوح تسري إلى حضرة الإمكان والتّمكين وتتماهى مع المطلق وتذوب فيه، يقول بدوي: " وإنّك لتعلم مقدار حرصي على العطور الشّرقية بحسبانها خير ممثّل لتلك الرّوح، حتّى ليكفيني أن أستروح شذاها الفاغم كيما أحيط نفسي بجوّ شرقيّ كامل أحسّ بنفسي تحلّق في أرجائه النّاصعة وبيدني يتقلّب بين طنافسهِ وحشاياه الوثيرة الشّهوانية، في هذا الرّزّاق تعثر على ضالتك من العطور بمجرد دخولك فيه، أعني أنّ جوّه كلّ يعبق برائحته المخدّرة التي تلعب بالرّأس فيدور كما تدور رؤوس الدّراويش المولوية، والحقّ أنّه لا شيء أدعى إلى إثارة الجذبة أو النّشوة عندي من العطور الشّرقية الفاغمة، فلغيري أن يلجأ إلى المطاعم من المخدرات أو المشروبات من الخمر لإحداث تلك النّشوة أو الجذبة، أمّا أنا فيكفيني المشموم من تلك العطور."<sup>325</sup>، فالعطور الشّرقية لها سحر صوفيّ عجيب يجعل الرّوح تنتشي وتتغذّى من أريجها العبق، فهي تزين مجالس الذّكر والعمارات التي يقيمها المشايخ والمريدون في التّكايا والزّوايا، ولأنّ مجالس الذّكر يحضرها الملائكة والأرواح الطّيّبة لا بدّ أن يعطرّ المكان بالروائح الزّكية حتّى يتسنّى للأرواح العطشى أن تعرج إلى قدس الأقداس وتتعرّف على الذات الإلهية وتعود إلى موطنها الأصلي الذي جاءت منه، فالرجوع إلى الأصل هو العرفان الكامل.

يرى في روايته (هموم الشّباب) بأنّ أفضل مدينة هي تلك التي تجمع بين الحضارة الشّرقية وبين الحضارة الغربية وجعل من مدينته خير نموذج يمثّل ذلك، يقول بدوي: " لكنّ لم

<sup>324</sup> نفسه، ص: 67-68.

<sup>325</sup> نفسه، ص: 68-69.

يكن في الوسع الاستمرار على تعاطي هذا المخدّر لمدة أطول، وإلاّ أصابنا دوار يهوي بنا إلى قاع الرخاوة الشّهوانية والصّوفية الرّطبة المعتمة، فصحت بأعلى صوتي: النّجاء، النّجاء والفرار الفرار قبل أن ننحدر إلى هذا القرار! وحمدت الله على أنّ مدينتنا هذه قد جمعت بين الجانبين: الشّرقي والغربي، وإنّ أصبحت بهذا لا شرقيّة ولا غربيّة، والتمسنا الخلاص في مقهاي الأليف، وما استقرّ بنا المجلس حتّى سألتها أن تخرج كنزها الثّمين.<sup>326</sup>، المتمثّل في جسدها النّاعم الأسيل الذي صار هو مصدر ثروتها وسلاحها الفعّال في اصطیاد الرّجال في أيّة لحظة.

يسرد علينا في روايته (هموم الشّبّاب) يوميات عاهرة في هذا العالم الموبوء والمليء بالأخطار، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "وقد اتخذت مجلسي مع صديقتي إلى مائدة تبعد قليلا عن الحانة (البار)، وجلست أنقرّس الوجوه فرأيت شبّابا مختلف الأنواع، وشيوخا تقرّأ في وجوههم كؤوس الشّراب. وقد مزجت بألوان المجون، وترسم على سيماهم أخاديد السّهر المضني والإنفال النّافه، ورأينا إلى جوارنا زميلتنا من بنات الهوى يتضاحكن، وكنّ مشيرات إلينا، والخبث والاستخفاف ولون من التّأنيب تتبادل الارتسام على وجوههنّ ونظراتهنّ، وكنّ يتهاMSN بعبارات لم يكن ثمت شكّ في أنّها تعنينا.<sup>327</sup>، فعالم الدّعارة عالم صعب يحطّم المرأة ويجعلها أسيرة الرّذيلة، إنّه عالم لا يرحم ومليء بالمغامرات المجنونة، يقول بدوي: "وأخيرا تقدمت إحداهنّ منّا وقالت: أحديثات أنتنّ ها هنا؟ فقلنا: نعم! فقالت: فأين كنتنّ قبل؟، فأجبنا: هذه أوّل مرّة نزاول فيها هذه المهنة. فقالت: مسكينات! وماذا حملكنّ على هذا؟ إنّها مهنة ويل لمزولاتها منها: تقتل النّفس ولا تفيد كسبا، فكلّ ما يأتي منها يضيع فيها، وما من فتاة استطاعت أن تخرج منها سليمة في أيّة ناحية من نواحيها، فإنّ سلمت بالمال، لم تسلم بالصّحّة، وإنّ سلمت بالصّحّة، خرجت صفرا من المال. أواه! إنّها استهلاك دائم لا إنتاج فيه. ومع هذا فلا مناص من مزاولتها. فهذه ضربة قد

<sup>326</sup> نفسه، ص: 69.

<sup>327</sup> نفسه، ص: 77.

يصيبنا بها الله".<sup>328</sup>، فالقدر الغاشم هو الذي يرمي المرأة المسكينة في برائن هذا العالم الموبوء الذي لا يرحم، كلّ امرأة دخلت عالم الرذيلة لا تستطيع الخروج منه إلا بشقّ الأنفس، فالمجتمع الذكوري لا يرحم المرأة الضعيفة التي اقتحمت هذا العالم الغريب عنها بل يحملها كلّ المسؤولية ويجعلها مدانة في كلّ ذلك، إنّ عالم الدّعاة عالم مليء بالآفات الاجتماعية وبالعدّ النفسية على مرّ التاريخ.

يبدو أنّ بنات الهوى لهنّ دستورهنّ الخاصّ بهنّ، ولهنّ لغتهنّ الخاصّة بهنّ، لأنّ عالم الدّعاة هو عالم قائم بذاته يقتحمه الفتيات المغلوبات على أمرهنّ، يقول بدوي: " هذا دستور بنات الهوى، فحذار أن تخالفن أوامره، وإلا هلكتنّ، وهناك لن يتقدّم أحد لإنقاذكنّ إنّ مهمتنا أليمة قاسية، ولكنّ ثمارها شائقة غالية، فكنّ جديرات بهذه الثّمار، تظفرن منها بالخيار".<sup>329</sup>، فمهمة كلّ عاهرة هو أن تتقن مهنتها وتلعب دورها في هذا العالم العجيب الذي لا يرحم كلّ من ولجه، صارت الدّعاة لها عالمها الخاصّ ولها أباطرتها الذين يتحكّمون فيها في كلّ زمان وفي كلّ مكان ويوجّهونها كما يريدون وفق ما تمليه المصلحة الخاصّة.

يرى في روايته (هموم الشّباب) بأنّ هدف العاهرات في كلّ مجتمع وفي هذه الحياة هو الانتقام من الشّباب من خلال اللّعب بعواطفه من أجل استنزاف أمواله، فالشّباب يستمتع بجسدهنّ وهنّ يستمتعن بماله ويا لها من تجارة كاسدة، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: " صادفت هذه الكلمات هوى عميقا في نفوسنا نحن الفتيات الثّلاث لأنّها تحقّق حلمنا القديم بالانتقام، وتقويّ إيماننا بأنّنا سنصيب الأغراض التي رسمنا لأنفسنا، فصقّقنا لفتاتنا المحنّكة الحكيمة هذه في أعماق قلوبنا، وأمضينا اللّيلة نراجعها في عقولنا،

<sup>328</sup> نفسه، ص: 77-78.

<sup>329</sup> نفسه، ص: 80.

بيننا نحن نتطّلع إلى برنامج الرقص والغناء." <sup>330</sup>، فهؤلاء الفتيات المومسات لا يفكرن إلا في اصطياد الزبائن من الشباب الذين فارت شهوتهم وتمادوا في طلبها وبذلوا في سبيلها الأموال والمهج وهذا من أجل الاستمتاع بلذة عابرة سرعان ما تمرّ مرّ السحاب، أمّا هؤلاء الفتيات العاهرات لا يفكرن إلا في الانتقام من هؤلاء الشباب الذين يطلبون اللذات العابرة.

يتصوّر في روايته (هموم الشباب) بأنّ كلّ فتاة عاهرة هي فتاة لعوب تلعب بعقول الشباب المتهوّر وتسلب ماله الوفير وتمثّل عليه دور العاشقة الولهانة وهذا حتّى يقع في شرك هواها وفي حبال غرامها، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "يا لها من لذة رائعة تلك التي أشعر بها وأنا أزلول هذه المهنة! وأيّة لذة أجمل من أن نعبث بعقول العديد من الفتيان والشيوخ، ونلهو بجيوبهم كأنّها كرات خفيفة في ملعب الشّهوات الزائفة!" <sup>331</sup>، لقد أردن الانتقام من كلّ شاب يقع في حبالهنّ وهذا حتّى يكون عبرة لمن اعتبر، كلّ فتى يدخل هذا العالم سيدفع الثمن في القريب العاجل أو الآجل لا محالة والأيام بيننا.

كانت تلك الفتاة المومس تحاول أن تصطاد ذلك الفتى الغرّ الساذج وهذا لكي تستولي على أمواله وتبيع له الهوى الكاذب، يقول بدوي على لسان تلك المومس ما يلي: "رأيت في جماعة من أصحابه يكبرونه سنًا وتجربة في الحياة العاطفية المضطربة، وكان خجولا حيبا يبدو عليه أنّه من أصل ممتاز، كما كان يظهر على هندامه آثار النعمة الوفيرة والثراء الواسع، وكنت قد رأيت من قبل مرّة أخرى في تلك الزمرة نفسها، لكنّه لم يكن يشاركهم في مضطربهم وتلاعبهم بيننا معشر بنات الهوى، ومع هذا فقد لاحظت أنّه دفع للنذل الحساب كلّه، فأثار هذا انتباهي، كما أثاره ما بدا عليه من سداجة وطيب نفس، فعزمت لئن عاد لألقينّ عليه حبالتي." <sup>332</sup>، يا لها من مومس مأكرة! تحاول أن تصطاد الزبائن مهما كلفها

<sup>330</sup> نفسه، ص: 80.

<sup>331</sup> نفسه، ص: 84.

<sup>332</sup> نفسه، ص: 85.

ذلك من ثمن، هي تحاول أن تكون ثروة طائلة من خلال المتاجرة بجسدها، لقد وجدت في هذه المهنة المبتذلة السعادة الوهمية.

في رواية (هموم الشباب) يعرض علينا فلسفة السكر عند المصري وعند الشرقي، فهم في سكرهم لا يتجاوزون الخطوط الحمراء الخاصة بعالم المجون والعريضة، يقول بدوي شارحا هذه الفلسفة ما يلي: "فالمصري والشرقي عامة، لا يتجاوز في سكره حد المجون والمزاج الخفيف، وإذا زاد لم يتجاوز حد الترتج والقذف الرقيق في مقصده، وعلى العكس من هذا تجد الأوربي في الدرجات العادية للسكر يكشف عن ضراس وغلاظة وشدة شكيمة، وتراه يثور ويجأر محطما كل ما تمسه يده من أشياء وأحياء، وبالجملة تبعث فيه غريزة المقاتلة بكل ضراوتها وفطرتها الأولى، أما يدل هذا على دماثة الخلق عند الأول ورقة حاشيته وتسامحه، وعلى وعورة خلق الآخر وعرامة مزاجه؟".<sup>333</sup> فالرجل الشرقي عامة والرجل المصري خاصة في سكره وعريذته لا يتجاوز حدود المعقول، أما الرجل الغربي ففي سكره وعريذته يتجاوز الحدود ويبلغ به الطيش آمادا بعيدة، فلا الحياء يكبح جماح شهوته ولا المروءة تطفئ سعار لهوه ومجونه وعريذته.

يرى في روايته (هموم الشباب) بأن الأوروبي يقدر المرأة حتى ولو كانت عاهرة، إنه يحترمها لأنها إنسانة لها الحق المطلق في الحرية وفي العيش بسلام، يقول بدوي على لسان عاهرة تتحدث عن ذلك الرجل الأوروبي الذي يحترم ويقدر المرأة حتى ولو كانت عاهرة ما يلي: "فقد كان يعاملني كسيّدة نبيلة- (سيّدة) بالمعنى الذي كان لهذا اللفظ في العصور الوسطى، عصور الفروسية والنبالة، مع أنه يعلم أنني لست إلا بنت هوى مأجورة، أتاني أذمه على هذا أم أمدحه؟! لست أدري".<sup>334</sup> كان الرجل الأوروبي يحترم المرأة

<sup>333</sup> نفسه، ص: 88-89.

<sup>334</sup> نفسه، ص: 89.

ويعتبرها نصف المجتمع ويدافع عن حقوقها لكي يحفظ لها كرامتها الإنسانية التي دنسها هذا العالم الموبوء عالم الدعارة البائس.

يتصوّر في روايته (هموم الشّباب) بأنّ العاهرة بينها وبين نفسها تحتقر زونها (عشيقها) مهما أغدق عليها من أموال، يقول بدوي على لسان عاهرة تحتقر زونها ما يلي: "ولقد بدأت أتبدّخ على زميلاتي بهذه الهدايا الثّمينة التي تنهال عليّ، بينما هنّ لا يكدن يظفرن إلّا بالتّافه القليل، حتّى صار حديثهنّ يدور كثيرا حول هذه الصّلة التي بيني وبين عاشقي الأبله هذا".<sup>335</sup> هي تعتقد بأنّ عشيقها الأبله استطاعت أن تخدعه في أمواله وتمثّل عليه الهوى الكاذب وتجعله يجري وراء سراب غرامها ولا يظفر بأيّ شيء في حبّه لها.

في رواية (هموم الشّباب) يعتقد بأنّ في حياة العاهرات لا يوجد الحبّ الحقيقيّ إنّهُ مجرد تمثيل فقط من أجل اصطياد الرّبائن والثّمّع بأموالهم، يقول بدوي: "أمّا الحبّ الحقيقيّ فهو الحبّ الصّامت الرّاقد في وجدته الهائلة بين طوايا النّفس الباطنة، الذي لا يعلن عن نفسه إلّا بإشارات غامضة مبهمة، بحركات بسيطة لكنّها على بساطتها في غاية العمق، إنّ الحبّ الذي يعمل في الأعماق ويكره التّظاهر على السّطح فتكفيه الهمسة أو الالتفاتة، لا ليؤكّد-فالتأكيد إنّما يأتي بعد شكّ، وليس ها هنا شكّ، كما هي الحال تماما في حالة الإيمان الصّافي الذي لا يشوبه أثر من تشكّك أو وسواس-ولكن لينفّس قليلا دون صوت ولا حركة بادية شأن النّفس الإنساني تماما: لا صوت له ولا لون ولا حركة".<sup>336</sup>، إنّهُ حبّ زنبقي مائع لأنّهُ بني على أساس هشّ ليس فيه الوفاء ولا الإخلاص ولا التّضحية ولا الفداء، إنّهُ حبّ رسمته أنامل عاهرة أتقنت كلّ فنون الخداع والمكر والحيلة لعلّها تظفر بصيد ثمين يغدق عليها الهدايا السّنية والأموال الوفيرة، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات الماكرات ما يلي: "ويشهد الله أنّني ما كنت أشعر بحبّ صادق أو بحبّ إطلاقا نحو الفتى في أوّل

<sup>335</sup> نفسه، ص: 90.

<sup>336</sup> نفسه، ص: 93.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

الأمر، إنّما كنت أتخذة في البدء وسيلة لابتزاز ماله واستغلاله إلى أقصى حدّ مستطاع. وآية هذا أنّني لم أشعر بالشفقة عليه من هذه الناحية، خصوصا وقد رأيت لا يرفض لي مطلباً ولا يخالف عن أمر ألقيه عليه، فكان أحرى بي-لو أنّني أشعر بحبّ نحوه فعلا-أن أعفيه من هذه النّفقات الباهظة حتّى لا تبدو الصّلة صلة تبادل منفعة وعملية إقتصادية آثمة.<sup>337</sup>، إنّّه عالم غريب عجيب من يدخله يجب عليه أن يكون حذرا، لأنّ عالم الدّعارة عالم مليء بالأشواك لأنّه يبيع الوهم والأحلام السّاذجة للمغفلين، كلّ من ولج هذا العالم الموبوء سيتجرّع العلقم والسّم الزّعاف لأنّه يبحث عن سعادة وهمية سرعان ما تمضي بسرعة كأنّها سراب نخاله واحة صحراوية فيها الماء العذب السّائع والثّمار اللّذيذة، ولكن هيهات، هيهات ! إنّها سعادة وهمية سرعان ما تزول مع سرعة الضّوء.

يصوّر لنا في روايته (هموم الشّباب) غيرة عاهرة على عشيقها الذي وقع بين براثن المومسات وافتقدته كثيرا، يقول بدوي على لسان تلك العاهرة الغيور ما يلي: " لكّنك تعلم يا إلهي أنّني قد بدأت فعلا، منذ اللّحظة التي أثّرت فيها زميلاتي غيرتي عليه، أشعر نحوه بشيء يسمى الحبّ، حتّى قلّت مطالبي منه، بل صارت صفرا في الأيام الأخيرة، أتراني لجأت إليه بسبب المنافسة حتّى لا أثقل عليه؟ لا أظنّ، فقد كان قلبي يضطرب حقّا حينما أتفقدّه فلا أجده، وكنت أحرّق الأرم، وأنا جالسة معه وإلى جوارنا غريمتي هاتيك." <sup>338</sup>، إنّها فتاة مومس شديدة الغيرة على عشيقها وتبذل كلّ ما استطاعت من أجل الحفاظ على هذا الحبيب لذلك هي شديدة الغيرة عليه إلى درجة الجنون والتّرجسية المفرطة.

يرى في روايته (هموم الشّباب) بأنّ الحرب هي مكسب للعاهرات، عندما تتدلّع أيّ حرب تزدهر وتنتعش تجارة الرّقيق الأبيض، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: " فالحرب مصيبة الأقوام كلّها، ولكنّها فائدتنا الكبرى، نحن فتيات الهوى. أوه! ما أعذب الصّيد

<sup>337</sup> نفسه، ص: 93.

<sup>338</sup> نفسه، ص: 93.

وأيسره بين هؤلاء الجنود والضباط المساكين! إنهم ينفقون كل ما بأيديهم، لأنهم لا يعرفون أيّ منقلب غدا سينقلبون: موت أم أسر أم جراح لا رجاء في برئها؟ هم يحيون ليومهم...<sup>339</sup>، فهؤلاء العاهرات وجدن في الحرب فرصة ثمينة وسانحة من أجل الغنى والثراء الفاحش، والدّكي من يغتتم الفرص النادرة لعلّه يتحصّل على فوائد جلييلة ويسيرة. يبدو لنا مزاج العاهرة في رواية (هموم الشّباب) منقلّبا، فالعاهرة لها نزعة انتقامية اتجاء المجتمع الذي لفظها، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "أمّا وهذا مصيري ومقدوري، فأحبب هذا المصير ولأنتن تحقيق هذا المقدور. لأغامر وأقامر، ولأنتشرد وأستهلك قوّتي وحياتي وأبدّد. لأنتقم لنفسي من الإنسانية كلّها، ومن الرّجال خاصّة. الانتقام من بني الإنسان! الانتقام من الرّجال! الانتقام! هكذا صحت وأنا راقدة على سريري أكتب فيك أيّها الدّقتر الحبيب، ثمّ جذبت اللّحاف وغطّيت جميع بدني ونمت ملء جفوني." <sup>340</sup>، لقد أرادت هذه العاهرة أن تنتقم من هذا المجتمع الذي دفعها إلى ولوج هذا العالم المليء بالأخطار وبالمغامرات، كلّ فتاة عاهرة هي عبارة عن قبلة موقوتة توشك على الانفجار في المجتمع برمّته، على علماء النّفس وعلماء الإجماع أن يدقّوا ناقوس الخطر محاولين معالجة هذه الظّاهرة الغريبة في مجتمعنا والتي ساهمت في انحرافه وتخلّفه عن الرّكب الحضاري الذي يمتدّ عبر أثير التّاريخ.

يتحدّث في روايته (هموم الشّباب) عن عاهرات كن يقضين اللّيالي الحمراء مع ضباط شاركوا في الحرب العالمية الثّانية، وكان هؤلاء الضباط من أستراليا، وفي أثناء الحرب تزدهر تجارة الرّقيق الأبيض، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "فلما أوشك المرقص على الإغلاق دعاني وبعض زميلاتي زمرة من الضباط لقضاء بقية اللّيل في ناد خاصّ، وخرجنا جميعا وأمضينا ليلة حافلة بالمرح والتّهريج إلى أن تنفّس الصّبح فعدت إليك

<sup>339</sup> نفسه، ص: 98-99.

<sup>340</sup> نفسه، ص: 101-102.

أيها الدّفتّر الحبيب.<sup>341</sup>، لتدوّن فيه سيرتها الدّائية كعاهرة ولجت هذا العالم الموبوء من باب المغامرة وحبّ الاكتشاف، حاولت في دفتريها هذا أن تفتح قلاع المسكوت عنه وتخرج الأنساق المضمرّة إلى العلن وتجعلها تطفو على السّطح.

يعتقد في روايته (هموم الشّباب) بأنّ العاهرة حياتها عبارة عن تجربة مريرة فيها الفرح وفيها الحزن، فيها السّرور وفيها الكدر، فالحياة لا تخلو من هموم ومنغصات، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "أعود فأراجع نفسي مستعرضة لوحة حياتي في تلك السنّة المنصرمة، فأجدها حافلة حقّاً: تجارب متنوعة، وعبرات وابتسامات، وصخب مستمر في مرح أو شجار، وأحداث بعضها رهيب وبعضها شائق عرفت أمرها من الوسط الذي أعيش فيه وأدركت طرفاً منها بإحساسي لأنّها وقعت بالقرب منّي وتحت بصري وسمعي، ومشاهدات عميقة لأحوال النّاس وطرائقهم في الحياة ومشاربهم في العيش، واستكشاف للمجهول في بعض نواحي النّفس البشريّة."<sup>342</sup>، كلّ عاهرة في هذه الحياة تمرّ بتجربة مريرة لأنّ الفقر المدقع هو الذي يجعلها تتاجر بجسدها مقابل دراهم معدودة، وللهرب من هذا الواقع المرّ تضطرّ بعض العاهرات إلى الارتقاء في أحضان الطّبيعة خاصّة في فصل الرّبيع، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "وافتنا بشائر الرّبيع على شجرة مشمش أطلّ عليها من شرفة منزلي: فتبدّت لي أزهارها البيض المشربة بشيء من الحمرة العذبة كأنّها تبسم لي وتحيني مهنة-إيائي بتوديع فصل البرد والرّكام والسّعال. ولأول مرّة أشعر بنعمة الرّبيع الكبرى: لهذا بقيت نهاري أستضحى للشمس الدّافئة عسى أن تتبخّر الرّطوبة من بدني ويثوب إليّ سالف نشاطي."<sup>343</sup>، لقد وجدنا في هذه الطّبيعة السّاحرة خاصّة في فصل الرّبيع الملاذ الآمن والرّاحة النّفسية التي تجعل النّفوس تتوق إلى الحرّية وتسبح في ملكوت الجمال المطلق، كلّ فتاة ولجت هذا العالم الغريب عنها (الدّعارة) هي

<sup>341</sup> نفسه، ص: 103.

<sup>342</sup> نفسه، ص: 104-105.

<sup>343</sup> نفسه، ص: 105.

تحاول أن تخرج منه من الباب الواسع بمحض إرادتها، هي تحاول أن تعود إلى طفولتها المسروقة منها وإلى شبابها الهارب منها والمنصرم عنها على حين غفلة منها.

يقدم لنا شهادة إحدى العاهرات حول أحداث تاريخية تتمثل في تمّص الحلفاء عن وعودهم للشعوب المستعمرة أثناء الحرب العالمية الثانية، تقول إحدى العاهرات في مفكرتها الشخصية ما يلي: "تمّ انتهت الحرب بانتصارنا وانتظرنا عبثا تحقيق ما لوّحوا به لنا من غايات: فماذا رأيت؟ رأيت الشعوب الصغيرة كلّها تبتلع في معدة الدّول الكبرى باسم كذا وكذا من المبادئ: حماية المواصلات، تربية الدّول الصّغيرة، والوصايا على الشعوب القاصرة، مناطق النفوذ، والتّوازن الدّولي، صيانة التّجارة، أوه! لن أفرغ من هذا الثّبت الطّويل من الأسماء التي استخرجها الدّجالون من سفر الدّجل الأكبر وكتاب التّفاق المقدّس أعني المدّس".<sup>344</sup>، إنّها سياسة الكيل بمكيالين يقدّمون الوعود الكاذبة ويبيعون الوهم للشعوب المستعمرة من أجل تكريس حرّية زائفة ووهمية، في هذا العصر ضاعت روح الفروسية المتمثلة في روح التّضحية من أجل تحرير الوطن من نير الاستعمار خاصّة بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وتواصل قولها شارحة معنى روح الفروسية ما يلي: "إنّ الرّوح التي تعوز هؤلاء حقّا، بل وتعوز عصرنا كلّه، هي روح الفروسية: روح بذل الذات لا لشيء إلاّ للبدل، روح الجهاد الدّائم في سبيل غاية مثالية قد لا تفيد أدنى فائدة مادية، روح فيضان القوى الزّائرة لأنّها لا تستطيع أن تفعل غير هذا الفيض".<sup>345</sup>، يعني مقاومة الاستعمار بجميع أشكاله ومحاربة الإمبريالية العالمية بجميع ألوانها وهذا حتّى تتحرّر جميع الشعوب المستعمرة في قارة آسيا وفي قارة إفريقيا، لا بدّ من النّضال المستمرّ ضدّ الاحتلال البريطاني وضدّ الاحتلال الفرنسي، فالحرّية ثمنها باهض جدّا وطريقها محفوف بالأشواك ففي سبيلها الدّماء تسيل والأرواح تبذل.

<sup>344</sup> نفسه، ص: 107.

<sup>345</sup> نفسه، ص: 114.

يرى في روايته (هموم الشّباب) بأنّ العاهرة معدنها طيّب، لأنّ ظروفها الاجتماعية هي التي دفعتها إلى هذا العالم الكئيب (الدّعارة)، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات وهي تصوّر شخصيتها الحقيقية ما يلي: "أما القلب فقد صار رمادا أوشك أن أضعه في إجانة الاستشهاد حتّى يحيا مع الخالدين، لأنّه على الرّغم من كلّ ما حدث لي حتّى اليوم، فقد ظلّ طاهر العنصر كريم الجواهر، لكنّه من فرط ما أبهظته الحياة قد خبا نوره وخمد لهيبه."<sup>346</sup>، لأنّ صروف الحياة وتقلّباتها هي التي تجعل القلوب تتغيّر وتحاول التكيّف مع الظروف الطّارئة والمستجدة.

يعتقد في روايته (هموم الشّباب) بأنّ العاهرات حياتهنّ آخرها ندم خاصّة عندما يتقدّم بهنّ العمر، يقول بدوي: "أه لو عرفت كلّ فتاة ماذا سيؤول إليه أمرها حينما تغريها الحياة باقتطاف الثّمرة المحرّمة وهي في مطلع الشّباب الغافل، إذا لما بذلت نفسها لكائن من كان، ومهما يكن الثّمّن."<sup>347</sup>، لأنّها ستجد بأنّ قطار العمر مرّ مسرعا وحياتها ذهبت هباء منثورا، وباعت نفسها للرّاع وللسّفلة مقابل دراهم معدودة ولذّة عابرة كسحابة صيف.

يتصوّر في روايته (هموم الشّباب) بأنّ العاهرة لها نزعة صوفية بوهيمية لأنّها تحبّ الطّبيعة حبّا جمّا وتفنى فيها فناء صوفيا تامّا، يقول بدوي على لسان عاهرة متصوّفة تصوّفا بوهيميا ما يلي: "أترى بين حالتي تلك وبين حال الصّوفية صلة؟ يساورني خاطر يحملني على المقارنة، يصوّر لنفسي أنّ الصّوفية معنى مشترك يطلق على مغالاة متعمّقة في جانب من جوانب الشّعور أو العمل المصاحب بالشّعور، فمن ينشد الاتحاد بالله بقلب منقّد فهو صوفي إلهي، ومن يوغل في النّفوذ إلى أعماق ما هو أرضي فهو أيضا صوفي، ولكنّه صوفي أرضي، وأنا من هذا النوع الثّاني: فقد غصت بكلّ كياني إلى أعماق الشّهوة الآثمة

<sup>346</sup> نفسه، ص: 116.

<sup>347</sup> نفسه، ص: 116.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

فأصبحت متصوّفة في الشّهوة.<sup>348</sup>، لأنني استطعت أن أتحدّ مع الطّبيعة وأفنى فيها فناء صوفيا تامّا يجعلني أتماهى معها، لأنّ الطّبيعة هي أمّنا الرّؤوم التي ترعى شؤون حياتنا وتجعلنا ننادمها وتنادمنا ونسامرها وتسامرنا.

يرى في روايته (هموم الشّباب) بأنّ الخريف له أسراره عند العاهرات فهو يملأ النّفس انشراحا والقلب سرورا والأيام واللّيالي بهجة وغبطة، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات وهي تصف أسرار الخريف وصفا دقيقا ما يلي: "فيه رقّة إحساسنا رقّة تبلغ حدّ الرّخاوة السّاجية، وفيه الحزن النّاعم اللّطيف الذي لا يفارق وجوهنا، وفيه هذا الاستسلام الكبير لحياة اعتصمنا منها بالشّاطئ لأن ننام لم نفو على الدّخول في دوامة تياراتها العنيفة الصّاخبة، وفيه هذا الصّفاء الدّاهل الذي قد يجعل غيرنا يتهمنا بالسّداجة إلى درجة الغفلة، ولكن فيه أيضا ذلك الأنس العميق الذي يجعلنا أقرب إلى أسرار الكون والاتحاد بقواه المستسرّة."<sup>349</sup>، فالخريف له أسراره العجيبة التي تنزل على قلوب المحبين للطّبيعة السّاذجة والسّاحرة، ويجعل النّفس تتغنى بجمال الطّبيعة الأخاذ الذي يأسر اللّب ويأخذ بمجامع القلوب ويجعلها ترنو إلى المطلق وتتحدّ معه اتحادا تامّا مطلقا.

يتحدّث في روايته (هموم الشّباب) عن النّهاية المأساوية التي يتوقعها لكلّ عاهرة سلكت درب التّجارة في الرّقيق الأبيض، وهذه النّهاية المأساوية المتوقعة تتمثّل في الإقبال على الانتحار هروبا من عذاب الضّمير، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "ما زالت حادثة صديقتي المنتحرة تشغل بالي إلى أقصى حدّ، لا لأنّ عاطفة الرّثاء والعطف على الآخرين قد بعثت من مرقدتها عندي، ولكن لأنّي أخشى على مصير نفسي: بيد أنّ لي في موت ضميري خير ضامن يحميني من ارتكاب فعلة هذه الفتاة البائسة. أوه! أشدّ ما

<sup>348</sup> نفسه، ص: 120.

<sup>349</sup> نفسه، ص: 120.

أخافه أن يبعث هذا الضمير يوما فيدفع بي إلى تلك الهاوية!"<sup>350</sup>، وهي الانتحار هروبا من هذا الواقع المرّ الذي لا يرحم، وعندما يصحو ضمير العاهرة حتما ستفكر في هذا الأمر وستنتهي هذه التّهاية المأساوية لا محالة.

يسرد علينا في روايته (هموم الشّباب) ظاهرة ترّد الضّبّاط الإنجليز على العاهرات في مصر بحثا عن اللذات العابرة، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "ولا جديد في الخارج عندي إلا أنّي تعرّفت أخيرا إلى ضابط إنجليزي يغلب عليه المكر والدّهاء. وهو يحسن العربية لطول اشتغاله في الشّرق العربي، ولا غريب فيه إلا أنّه شديد الحرص على السّماع أكثر منه على الكلام، وأنّه ينفق على سعة لم نشاهدها من قبل لدى كثيرين غيره منهم، وهذا الإنفاق لا يتصل بنفسه بل بغيره من النّاس، وقد ترّد على المرقص مرّتين أو ثلاثا حتّى الآن، يصحبه رجل متوسّط العمر يبدو من لهجته أنّه لبناني، لكنّه يقيم في مصر منذ عهد طويل."<sup>351</sup>، هؤلاء الضّبّاط الإنجليز كانوا يبحثون عن اللذات العابرة وكانوا يعملون كجواسيس لصالح بلادهم من أجل الحصول على المعلومات الضّرورية التي تساعدهم على إحكام قبضتهم الحديدية على هذا البلد الذي استعمروه (مصر).

يرى في روايته (هموم الشّباب) بأنّ العاهرة تضحيّ بنفسها من أجل سعادة أهلها مهما كلفها الثّمّن، يقول بدوي على لسان إحدى العاهرات ما يلي: "هو أن أبذل كلّ ما في وسعي حتّى أظفر بأكبر قدر من المال مهما تكن الطّريقة التي يرد عنها، عليّ أن أقتطع منه مقدارا وافيا أدخره لأعيش أنا وأسرّتي منه سنوات ينسى فيها النّاس سيرّتي فيتهيأ الجوّ لأختي حتّى يظفرا بزواج موفق، ولي بعد أن أستأنف حياتي الأولى بعيدة عنهما وعن الأسرة

<sup>350</sup> نفسه، ص: 126.

<sup>351</sup> نفسه، ص: 127.

كلّها.<sup>352</sup> فهذه المرأة دعته الحاجة لكي تبيع جسدها حفاظاً على عائلتها التي تعاني من الفقر ومن الفاقة، كان لا بدّ عليها أن تضحيّ بنفسها من أجل سعادة أهلها حتّى ولو كانت هذه السعادة وهمية وعمرها محدود بعدد أنفاس الأيام واللّيالي التي تمضي بسرعة كأنّها وميض برق لامع.

أثناء الحرب العالمية الثّانية تمّ تجنيد الكثير من العاهرات المصريات للعمل كجواسيس لصالح الإنجليز مقابل المال، يقول بدوي على لسان عاهرة تمّ تجنيدها للعمل كجاسوسة لدى الإنجليز ما يلي: "ويلوح أنّه قد أحسّ برغبتني في مال وفير، فراح يعدني بتحقيق هذه الأمانة على يديه، فلما استنبتاته عن دوافع هذه الوعود وكيف يمكن أن تنجز في مقابل ماذا، طمأنني على أنّ الأمر لن يكلفني شيئاً أبداً، وسيترامى إلى الأصغر الرّثان دون أن أسعى إليه بجهد، إنّما هي معلومات بسيطة يودّ أن يصل إليها عن طريقي وصدقات أعقدها مع بعض النّاس سينقذني عليها أجراً ضخماً."<sup>353</sup>، والمقابل هو أن تخون وطنها بكلّ برودة دم، لقد أرادت هذه العاهرة أن تلعب لعبة قذرة مع المخابرات البريطانية وقد يكون الثّمّن الذي ستدفعه في المستقبل هو حياتها، لأنّ من يلعب مع المخابرات وهو لا يجيد قواعد اللّعبة سيدفع الثّمّن لا محالة في القريب العاجل أو الآجل، لقد كانت تلك العاهرة التي تمّ تجنيدها من طرف الإنجليز للعمل معهم متردّدة وفي حيرة من أمرها لأنّ التّعامل مع المخابرات أمر صعب وخطير في نفس الوقت، يقول بدوي على لسان هذه العاهرة المجنّدة من طرف الإنجليز ما يلي: "أنا الآن في حيرة بالغة، وفي لحظة حاسمة من لحظات تقرير المصير في حياتي، فاهدني اللّهمّ-أو أنت أيّها الشّيطان الذي يسخرني اليوم لرغباته- سواء السّبيل"<sup>354</sup>، إنّها تحسّ بتأنيب الضّمير وتشعر بأنّها خانت وطنها من أجل المال ومن أجل المتع الرّائثة، لذلك هي في عذاب داخلي وفي حرب نفسية مع ضميرها الذي يريد أن يصحو

<sup>352</sup> نفسه، ص: 128.

<sup>353</sup> نفسه، ص: 129.

<sup>354</sup> نفسه، ص: 129.

من سباته العميق ولكن هيهات يحدث هذا الأمر، لأنها في الأخير وافقت على العمل كجاسوسة عند الإنجليز، والحاجة هي التي دفعتها إلى ذلك ، تقول في هذا الصدد ما يلي:" بعد تردّد طويل وشكّ قاتل أسلمت أمري لشيطاني المارد الجبار الذي لم يعد في وسعي بعد أن أخالف عن أمره: ريح السموم تهبّ علينا عنيفة متوعدة تثير علينا ثائرة رمال الصحاري المحرقة، وإنّ ما أنتسمه من أنباء الغد كهذه الرّيح يحمل إلى نفسي خواطر مزعجة رهيبية، لقد قضت هذه الرّيح على أزهار الثالوث في حديقتي، فهل قضى أيضا على ثالوث حياتي؟! خضت غمار المعركة مدجّجة بكلّ سلاحي..."<sup>355</sup>، لكن من يخون وطنه سيلعنه التاريخ، فكّل الخونة مصيرهم مركون في مزبلة التاريخ، باعوا ضميرهم من أجل متعهم الفانية التي لا تدوم، كان عليها أن تبقى وفية لوطنها تساهم في تخليصه من ويلات الاستعمار البريطاني وتساهم في رقيه السياسي والاجتماعي والحضاري مهما كلفها ذلك من تعب وجهد مضني ولكن لا حياة لمن تنادي.

وجّه في روايته (هموم الشباب) سهام النّقد إلى المفكرين الأحرار الذين تقاعسوا عن الدّفاع عن القضايا المصرية لأمتهم، بل استطاع أن يتحدّث على لسان تلك العاهرة عندما قال ما يلي:" بل إنّ هؤلاء المفكرين الأحرار أنفسهم كانوا من النّدرّة والضعف بحيث لم يستجب لندائهم إنسان، وفضلا عن هذا كلّه-وتلك هي الطّامة الكبرى-لم يكونوا في الواقع يصدرّون عن أغراض نبيلة، بل كانت تدفعهم غالبا دوافع آثمة: إمّا عصبية قومية، أو شخصية."<sup>356</sup>، كان يجب على هؤلاء المفكرين الأحرار أن يلتزموا بقضايا أمتهم المصرية ويدافعوا عنها في كتاباتهم الفكرية خاصّة بعد الحرب العالمية الثّانية وهذا من أجل تحقيق الاستقلال الدّاتي لشعوبهم التي ترزح تحت نير الاستعمار البريطاني، يقول بدوي متخفيا وراء شخصية العاهرة في الرواية ما يلي:" فلم يكن الإخلاص هو رائد هؤلاء المفكرين (الأحرار) كما يدّعون، لهذا ضاعت صيحاتهم أدراج الرّياح، وجاء (ما بعد الحرب) فكان من أشدّ

<sup>355</sup> نفسه، ص: 129-130.

<sup>356</sup> نفسه، ص: 132.

الفترات هولا في تاريخ الإنسانية: انحلال ودمار وتعطل وجوع وانهيار روحي كامل في الدول المهزومة، وجشع ودسائس وتعطل واستغلال للضعفاء في الدول الظّافرة، وغليان فكري واضطراب مادي وزلزلة سياسية في الدول المتوسطة بين هؤلاء وهؤلاء.<sup>357</sup> ، لقد خان المفكرون الأحرار هذه الثورة المخملية النّاعمة التي نادى بها الشعوب المستعمرة بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، يقول بدوي: "نشدوا الحرّية فلم يجدوا إلاّ أبشع صور الطّغيان في جميع البلدان وإن اتخذ أسماء تنكّرية متعدّدة: من شيوعية وفاشية وجمهورية ومملكة دستورية وديمقراطية برلمانية. وطلبوا القوت فلم يظفروا إلاّ بالفتات يلقى إليهم من موائد السّادة الجشعين، لا كرما منهم، بل ليزيدوا في استغلالهم وليستمروا على استعبادهم كالقوت من الزيت يوضع في الآلات حتّى تستمر دائرة الحركة. وسعوا إلى المجد فتلقفتهم الأزمات الاقتصادية من كلّ جانب، وتخطفهم التّعطل والرّشوة والنّدالة وامتهان الكرامة الإنسانية حتّى من أجل أتفه المراكز والأوضاع."<sup>358</sup> ، لقد حقّق المفكرون الأحرار الحرّية الوهمية لشعوبهم، لقد باعوا لهم الوهم والأمل الزّائف، لأنّ الحرّية المقيدة بشروط لا تعتبر حرّية بل هي وهم أساسه الوعود الكاذبة والسّرّاب في الأرض اليباب، كان يجب على هؤلاء المفكرين الأحرار أن يساهموا بقلمهم من أجل حرّية شعوبهم المستعمرة ومن أراد أن يحقّق النّصر لأمتّه عليه أن ينافح عنها ببراعه ويذود عن حياضها بكلّ ما أوتي من حجة عقلية وبالتالي يتسنى له أن يحطّم أصنام العبودية في كلّ مكان وفي كلّ زمان.

كان المفكرون الأحرار يتطلّعون إلى السّلام الزّائف الذي لن يتحقّق أبدا للأسف الشّديد، لقد خالف الحلفاء كلّ الوعود التي أبرموها مع الشعوب المستعمرة، يقول بدوي: "وثارت فيهم النّخوة والحمية نحو الإنسانية، ففتحوا عيونهم الذّاهلة على أروع المآسي الإنسانية التي انعدمت فيها كلّ فروسية وشهامة، وتلفتوا من حولهم فوجدوا الكلّ صرعى ولم يتبينوا من الذي صرّعهم: فالقوي الظّافر قد صرّع الضّعيف أو المقهور، وقد صرّعه هو نفسه جشعه

<sup>357</sup> نفسه، ص: 133.

<sup>358</sup> نفسه، ص: 133.

وطغيانه، فكان كلاهما صريحا يتخبّط في دمائه الفائرة. وأمّلوا في السّلام المقيم فلم يبصروا عن يمين وشمال غير الثّورات الدّامية وأعمال التّخريب الدّاخلية وضياع هيبة كلّ ما هو ثابت راسخ، فتداعت دعائم الحياة الآمنة في كلّ مكان، وابتكرت بدع عجيبة للتّكليل: من معسكرات اعتقال وحمامات دموية ومحاكمات بالجملة واعتقالات زائفة باسم الديمقراطية ورغبات الشّعب.<sup>359</sup> هنا يتحدّث على لسان عاهرة في روايته ويوجّه رسالة إلى المفكرين الأحرار بأنّهم باعوا شعوبهم مقابل متع زائلة لا تدوم ما دامت السّموات والأرض.

وجّه في روايته (هموم الشّباب) سهام النّقد إلى حركة الإخوان المسلمين وبراها بأنّها حركة خذلت محبّيها وأنصارها على حدّ سواء، يقول بدوي: "ورأى فيها (الحرب العالمية الثّانية) المتديّنون عقابا من الله ستتحقّق بعده مملكة الله على الأرض بعد هذه الكفّارة الكبرى، فلم يعاينوا إلاّ شبابا متشكّكا في كلّ شيء، ورجالا يئسوا من كلّ أمل، وشيوخا ازداد حرصهم على الدّنيا، ولم يجدوا ما يخفّف عنهم خيبة أملهم إلاّ في الوجوه المتخدرّة الشّاحبة لتكالي وأرامل تكفي رؤيتهم لطرد الإيمان من كلّ قلب، وهكذا.. وهكذا تداعى كلّ أمل في النفوس، وانبتّ حبل الرّجاء عند الجميع."<sup>360</sup> لأنّ حركة الإخوان المسلمين في مصر اهتمت بمصالحها الشّخصية على حساب شعوبها وباعت لهم الأمل الزّائف ووعدهم بتحقيق كامل الحرّية لهم ولكن للأسف الشّديد لا شيء تحقّق على أرض الواقع سوى الوهم والسّرّاب والخذلان.

يرى في روايته (هموم الشّباب) بأنّ الحرب العالمية الثّانية ( 1939م-1945م) لم تكن بردا وسلاما على مصر بل كانت نارا أكلت الأخضر واليابس، يقول بدوي على لسان عاهرة كانت شاهد عيان على ويلات هذه الحرب ما يلي: "وعرفنا مرارتها في ذلك الحرمان المادي والرّوحي الذي ضرب علينا طوالها فكناّ مسلوبين من قوت الرّوح وغذاء البدن، لا

<sup>359</sup> نفسه، ص: 133.

<sup>360</sup> نفسه، ص: 133-134.

نفكر ولا نعيش إلا لنزداد ذلاً وهواناً نير الغاصبين من كل ملة وأمة." <sup>361</sup>، لأن من استعمرنا  
دمرنا مادياً ومعنوياً وساهم في تخلفنا وفي استحمار شعوبنا، فالاستعمار يحطم كل الشعوب  
التي استعمرها ويبث فيها الانحطاط والهمجية، لقد باع الحلفاء للشعوب المستعمرة الوهم  
والسراب والحرية الزائفة التي لا طعم لها ولا لون.

كانت الحرب العالمية الثانية نعمة على الشباب الأوروبي ونقمة على الشباب  
العربي، يقول بدوي في روايته (هموم الشباب) ما يلي: "وكان عند الشباب الأوربي أمل فيما  
بعد الحرب، أما نحن فقد كنا يتامى من كل رجاء، لا نكاد نهتدي لوجه فيما يتصل بمستقبلنا  
الأسيف: أنبقى في ظل تلك السلطنة المهزولة الغاشمة التي سامتنا كل ألوان الذل والهوان  
طوال أربعة قرون كانت من أسوأ ما عرفه التاريخ؟ أم نسلم إلى سيد جديد يذيقنا ألوانا جديدة  
من الاستعباد يبدأ يعرض علينا بضاعتها المزجاة في النصف الثاني من القرن الماضي،  
وحاول أن ينفذ بها في خلايا (الرجل المريض) حتى تملك منها أجزاء كبيرة وأحشاء باسم كذا  
وكذا من أسماء الظلم والنفاق والغدر والخيانة؟" <sup>362</sup>، لقد استحوذ الاستعمار الغاشم على  
أملك الإمبراطورية العثمانية (الرجل المريض) وجعل شعوبها تزرع تحت نير استعمار جديد  
وحاول تقسيم هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف إلى دويلات صغيرة يسهل التحكم فيها  
والسيطرة عليها بقوة الحديد والنار.

يرى في روايته (هموم الشباب) بأن التراث الغربي أخصب من تراثنا العربي  
الإسلامي، لأنه تراث روحي غني بالتجارب الإنسانية، يقول بدوي: "وكان لديهم تراث روحي  
خصب يستطيع أن يعمر نفوسهم الخربة وأرواحهم المنهارة، أما نحن لم يبق من تراثنا العتيق  
إلا أشلاء صامته بعدت الصلة بينها وبين نفوسنا منذ آلاف السنين، فلم تعد غير (آثار)  
رمزية لا تثير في النفس غير ذكريات باهتة ونداءات خفية لا يكاد يسمعها أحد، والتراث

<sup>361</sup> نفسه، ص: 134.

<sup>362</sup> نفسه، ص: 134.

الرّوحي الآخر الذي اتخذناه لأنفسنا من أكثر من ألف عام قد تضاعل أثره وصار طائفة من الأساطير الفقيرة والعادات الزّائفة والعقائد الشّاحبة التي غادرها الدّم فلم تعد تتردّد فيها حياة...<sup>363</sup>، فتراثنا العربي الإسلامي يحتاج إلى إعادة قراءة وإعادة تنقيب وتمحيص وغريلة، لأنّ فيه الغثّ والسّمين وفيه المعقول واللامعقول وفيه المنطوق والمصرّح به وفيه المسكوت عنه، تراثنا العربي الإسلامي فيه تجارب إنسانية عظيمة.

يعتقد في روايته (هموم الشّباب) بأنّ الشّباب المصري العربي ضائع لأنّه يعاني من فراغ روحي ومن قلق وجودي وهذا بسبب طغيان الحضارة الغربية الماديّة على حياة النّاس العامّة في مصر وفي الوطن العربي، يقول بدوي: "لهذا كلّه نشأنا-نحن الشّباب المصري العربي-في حالة من العدم الرّوحي والمادي لا يبلغ مداها التّعبير. لم نستطع الصّبر على حالنا والاستسلام لمصيرنا البائس، ونحن نتقرّى أحوال الشّباب الأوربي، أستغفر الله! بل الشّباب الشّرقي كلّه من هندي وياباني وصيني، فنجد أنفسنا أعداما إلى جوارهم..."<sup>364</sup>، فالشّباب المصري العربي يعاني من اكتئاب حادّ بسبب القلق الوجودي الذي أحدثته الحضارة الغربية الماديّة المعاصرة، لقد صارت الحياة في ظلّ هذا الوضع البائس مقرفة وباهتة ولا تبشّر بخير وتجعل الإنسان يشعر بالغرابة ويكابّد تداعيات الاغتراب الرّوحي.

يتصوّر في روايته (هموم الشّباب) بأنّه لا يوجد في مصر رموزا سياسية تدافع عن مصالح الأُمَّة وخاصّة بعد نهاية الحرب العالميّة الثّانية، يقول بدوي: "وكانوا يجسّدون آمالهم في أشخاص سياسية توسموا فيها أوثانا للعبادة الدّنيوية، أمّا نحن فلم يكن لدينا رموز كهذه، وإن لمعت بعض الشّهب في سمائنا لحين قصير سرعان ما هوت بعده، كما كان يملك علينا أمرنا-بالرغم منّا-خونة وضعاء فرضوا علينا فرضا واستبعد من توسم النّاس فيهم مخايل

<sup>363</sup> نفسه، ص: 135.

<sup>364</sup> نفسه، ص: 135.

الخير.<sup>365</sup>، فهذه الرموز السياسية خانت وطنها وأصبحت بوقاً للاستعمار الإنجليزي تتأفح عنه بكل ما أوتيت من حجة سياسية ودهاء سياسي ذي نزعة مكيافيلية.

كان الشباب المصري العربي في الأربعينات من القرن الماضي يقبل على كل جديد في الفكر الأوروبي، يقول بدوي في روايته (هموم الشباب) ما يلي: "وما من رأي جديد لاح في سماء الفكر الأوربي في مختلف مرافق الحياة إلا استهوى نفوسنا فاستجبنا له بالحماسة السخية الحارة المعهودة فينا معشر الشباب المصري العربي، وكنا خصوصا أكثر إعجابا بالأفكار الحادة الخطرة الشاذة التي تنسّم بالطرافة والمفارقة والغرابة، تلك التي تؤذي وتجرح، فكما أننا مولعون بالأفوايه الحريفة إلى أبعد حدّ في غذائنا المادي، كذلك نحن مولعون بالأفكار المحرقة اللاذعة في قوتنا الروحي." <sup>366</sup>، لأننا نحتاج إلى كل جديد خاصة على مستوى الفكر يساهم في رقيّنا الحضاري ويجعلنا أمة يحسب لها ألف حساب بين سائر الأمم في القارات الخمس.

وجّه في روايته (هموم الشباب) سهام النقد إلى أفكار الثورة الفرنسية (1789م-1799م) التي يتغنى بها الشيوخ في مصر في مجالسهم الخاصة، يقول بدوي: "في السياسية تركنا أفكار الثورة الفرنسية للشيوخ من أبناء الوطن، وكنا نبتمس ابتساماً عريضة ونحن ننظر إلى حماسهم لها ونسمعهم يحدثون الناس عنها فنتهامس فيما بيننا قائلين: أهؤلاء أصحاب الكهف ناموا طوال قرن ثم بعثوا ليردّوا هذه النغمات البالية؟ أو سمعوا بعد نغمات موسيقى العصر؟ أوه! دعونا منهم وذروهم في جهالتهم العتيقة يعمهون." <sup>367</sup>، كانت مبادئ وأفكار الثورة الفرنسية مجرد شعارات جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع وهدفها هو

<sup>365</sup> نفسه، ص: 135.

<sup>366</sup> نفسه، ص: 136.

<sup>367</sup> نفسه، ص: 136.

تتوهم الشعوب المستعمرة في العسل وترويضها حتى يسهل التّحكم فيها بكلّ يسر وأريحية  
وصدق من قال: الحرّية تؤخذ ولا تعطى.

يرى في روايته (هموم الشّباب) بأنّ حرّية المرأة عند الغرب تتمثّل في ممارسة  
الجنس بكلّ حرّية وطلاقة، يقول بدوي-متحدّثًا على لسان عاهرة ما يلي: " وفي الاجتماع،  
تركنا فكرة تحرير المرأة، كشيء فرغنا من أمره، وإنّ لذّ للشيوخ أن يجادلوا بعد فيه، وأيّ شيء  
لا يجادلون فيه-قاتلهم الله؟! - وانصرفنا نحن إلى الأفكار الشاذّة الخطرة: فذهب فريق منّا  
يطلب البركة في معبد الكاهن الأكبر، فرويد، محاولًا أن يردّ كلّ شيء إلى الجنس، مندفعًا  
يحدوه هذا التفسير الغريب إلى آفاق موهلة في الانحراف والبعد عن المألوف، جاعلا غذاءه  
الروحي كتبه وحوارييه... " <sup>368</sup>، فالحرّية الجنسية صارت مكفولة للجميع في الغرب بقوة  
القانون، وصار الجنس يمارس بكلّ طلاقة في الحقائق والسّاحات العامّة وصار العالم  
النّفساني فرويد (1856م-1939م) أكبر منظر له في العصر الحديث ووضع له  
قواعد علمية صحيحة.

يتصوّر في روايته (هموم الشّباب) بأنّ الشيوعية أثرت في السياسة وفي الاقتصاد  
في العصر الحديث خاصّة في الغرب وهذا بعد قيام الثورة البلشفية في روسيا سنة 1917م،  
يقول بدوي ما يلي: " وفي الاقتصاد، ارتبطوا بالسياسة خصوصا وقد وجدوها تقوم في هذا  
العصر على الاقتصاد إلى أبعد حدّ، بحيث لم يعد من الممكن التّفريق بين المذهب  
الاقتصادي والمذهب السياسي، وإن كان منهم فريق لا يجد حرجا في الجمع بين مبدأ  
سياسي معيّن ومبدأ اقتصادي لا يسايره، فيكون فاشيا شيوعيا معا. " <sup>369</sup>، لقد غزت الأفكار

<sup>368</sup> نفسه، ص: 137.

<sup>369</sup> نفسه، ص: 137.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

الشيوعية جميع أنحاء العالم وأثرت في السياسة وفي الاقتصاد وفي الفكر باسم حركة الأممية الاشتراكية العالمية التي أسسها لينين (1870م-1924م).

يعتقد في روايته (هموم الشباب) بأنّ الأدب اليوناني هو أدب خالد ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية التي تمجّد العقل على حساب العاطفة ومسرحها هو مسرح وثني يمجّد الآلهة ويجعلها هي البطلّة وحولها تدور الأحداث، يقول بدوي: "لهذا انصرفنا عنه، ولم ننتبه إلا متأخراً إلى الأدب الكلاسيكي الحقيقي، ونعني به الأدب اليوناني الخالد، فلما عرفناه امتلأنا حماسة له، ولو كانوا دلتونا عليه منذ البداية لما حملونا على الارتماء في أحضان الأدب الرومنتيكي الذي استهوانا إلى أبعد حدّ، سواء منه الفرنسي والإنجليزي والألماني".<sup>370</sup> فالأدب الرومنتيكي يمجّد العاطفة ويفنى فناء صوفيا في الطّبيعة ويتحدّ معها ويتماهى فيها ويدعو إلى النزعة الإنسانية وإلى النزعة التأمّلية وإلى النزعة التّفاؤلية، إنّ أدب راق يدعو إلى سهولة اللّغة وإلى الالتزام بالقضايا المصيرية للأمة وإلى التّسامي الروحي.

يرسم في روايته (هموم الشباب) دهاليز عالم الفنّ السّحري الذي يجعل الإنسان يخلّق بعيداً في أجواء عالم الفنّ، يقول بدوي متحدّثاً على لسان عاهرة مولعة بعوالم الفنّ العجيب ما يلي: "وفي الفنّ، بدأنا بمحاولات متواضعة في أوّل الأمر ما لبثت بعد أن اندفعت بعنف، ولم يكن لنا من التّقاليد ما يسمح لنا بالتوقّف عند ناحية معيّنة أو الارتباط بعمود محدود، فبقينا حيارى تتجادبنا التّيّارات المتباعدة: فمنا من أذهله الفنّ الكلاسيكي اليوناني، ثمّ الفنّ الإيطالي في عصر النهضة فنزع نزعة هادئة ولكنّها موقّعة، وكان هذا فريق المعتدلين..."<sup>371</sup>، إنّ فنّ ساحر عجيب يجعل النفوس تتطلّع إلى أسرار الإبداع الخالد الذي لا يضمحلّ مع الأيام واللّيالي، فالفنّ الخالد هو فنّ ذو نزعة إنسانية تدعو إلى المحبة وإلى الصّفاء الروحي وإلى التّفاؤل.

<sup>370</sup> نفسه، ص: 138.

<sup>371</sup> نفسه، ص: 139.

في رواية (هموم الشباب) يعرض علينا طرائق الدين الثلاث، فالطريق الأول هو طريق التجديف والإلحاد والطريق الثاني هو طريق العودة إلى السلفية والطريق الثالث هو طريق الوسطية والاعتدال، يقول بدوي: "وفي الدين، حرنا الحيرة الكبرى: ففريق أمعن في التجديف والإلحاد حتى لم يكذب يبق على شيء متأثراً خصوصاً بفولتير وعصر التنوير ثم برينان واشتروس، وخاضعاً لعوامل أجنبية أخرى من ماركسية ووثنية فكرية حضارية، وفريق تمسك بالدين وغالى إلى أبعد حدّ، محاولاً العود إلى الدين في صفائه الأول، متأثراً خصوصاً بنزعات التجديد التي شغلت العالم العربي في أواخر القرن الماضي، أو عائداً مباشرة إلى الكتاب والسنة مستمداً منهما كلّ شيء بلا واسطة من تفسيرات أو مذاهب، وفريق توسّط بين الطرفين المتباعدين يأخذ بطرف من الحرّية الفكرية في الدين مع إيمان بالأصول العامّة في العقائد الدينيّة، بيد أنّه ليس واضح الاتجاه، ولهذا فهو فريق لا لون له (ولا طعم أيضاً!)".<sup>372</sup>، فالحرية الفكرية عندما تقتحم قلاع الدين تجعل هذا الدين سمحاً ومعتدلاً، لأنّ الدين الذي يدعو إلى الحرّية الفكرية هو دين تنويري حدائثي يدعو إلى الحوار مع المختلف والتعايش معه في سلام، فالدين على مرّ العصور كان في حرب حامية الوطيس مع الفكر الجديد الذي ثار على كلّ قديم ونادى بالتّجديد وحاول قراءة الدين قراءة عصرية حدائثية تنويرية تساهم في الرّقي الفكري للإنسان المتديّن في ذلك العصر، فكلّ محاولة للتّجديد في الدين تعتبر ثورة كوبرنيكية على مستوى الفكر لأنّها تساهم في محاربة التّفكير الخرافي الذي سيطر على الدين قروناً طويلة.

كان في شبابه تائهاً بين الإيمان وبين الإلحاد، لقد عرف أولاً الإيمان ثمّ جنح بعد ذلك إلى الإلحاد، كان يعتقد بأنّ الدين وهم ومجرد خرافة ولم يكن يؤمن بوجود خالق، يقول بدوي في روايته (هموم الشباب) ما يلي: "عرفت الإيمان الملتهب حتى صرت جمرة تحترق بنار الحبّ الصوفي الإلهي، وعايّنت الإلحاد العرم فلم تفلت من سيفه البتار عقيدة ولا دين،

<sup>372</sup> نفسه، ص: 139.

حتى نعتني النَّاسَ حيناً بالولاية والقداسة، وحيناً آخر بالكفر الأكبر، وكنت في كليهما مخلصاً مندفعاً عنيفاً، كعادتي دائماً في كلِّ شيء.<sup>373</sup>، فالمؤمن الذي يطرح الأسئلة الجريئة يتحوّل في آخر المطاف إلى ملحد لأنّ عقله لم يستطع أن يستوعب الخرافة التي تلبّست بالدين بل صارت هي الدين في حدّ ذاته.

يشعر في روايته (هموم الشباب) بالقلق الوجودي الذي أدخله في دوامة الاكتئاب الحادّ وجعله يقتحم قلاع الأحزان، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "لذا كانت حالة القلق هي الحال العاطفية السائدة عندي في مجرى حياتي الباطنة كلّها، وكانت القشعريرة هي الاستجابة الوحيدة التي أردّ بها فعل الأشياء والأحياء في نفسي، وكان أثر هذا يبدو في الخارج على وجهي الشاحب الدائم الأحزان، وفي قوامي المرن المرهف كقوام المهر الزّول الأصيل، وفي ثيابي التي اتخذت لونا واحدا هو الكحلي أو الأزرق لم تحد عنه يوماً ما."<sup>374</sup>، ولكنّ الاكتئاب الحادّ الذي يسببه القلق قد يجعل الإنسان يحلّق بعيداً في أجواء الإبداع الفسيحة، فالإبداع يولد من رحم المعاناة والقلق الوجودي.

كان أرسنقراطيا وإنسانيا في نفس الوقت، لقد آمن بكلّ صدق بالأفكار الوجودية التي تأثّر بها وهو في ميعة الصّبا وشرح الشباب، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وأمنت بالأرسنقراطية المطلقة وبسرعة من القيم الإنسانية العليا لا تبقي إلا على عالم من الجباورة المتوحّدين والمردة الخالقين الذين لا يعرفون إلا كيف يخلقون ويسيطرون، وهفت نفسي إلى المساواة المطلقة والوحدة الكلّية للذرات الإنسانية المتشابهة في كلِّ شيء."<sup>375</sup>، كان من الطبقة الرّاقية في المجتمع المصري ولكنّه كان ذا نزعة إنسانية في تعامله مع النَّاس يقف

<sup>373</sup> نفسه، ص: 140.

<sup>374</sup> نفسه، ص: 140.

<sup>375</sup> نفسه، ص: 140.

مع الطبقة الكادحة وينافح عنها في شعره وفي رواياته الوجودية، كان ملتزماً بقضايا أمته كل الالتزام.

كان في شبابه نازياً معجبا بشخصية أدولف هتلر زعيم النازية في ألمانيا وكان في نفس الوقت مرهف الحس يتأثر بأي موقف بسيط يصادفه في حياته، يقول بدوي في روايته (هموم الشباب) متحدّثاً عن نفسه ما يلي: "وناديت بالقسوة على الوضعاء المتوسطين من الناس وحاربت الرّحمة في نفسي، بيد أنني كنت من رقة الإحساس وإرهاق الشعور بحيث كنت أبكي بدموع غزار على أقلّ زهرة تذبل أمامي، ولا أجرؤ على رؤية الدّم يسيل من أدنأ حشرة تؤذي الإنسان."<sup>376</sup>، كان مسالماً حتّى مع الطبيعة يهيم وجداً بها ويفنى فيها فناء صوفياً مطلقاً، لقد صار إنساني النّزعة يدعو إلى المحبة الصّافية وإلى العيش المشترك بسلام مع الآخر الذي يختلف معنا في اللّغة وفي الدّين وفي العادات والتقاليد وفي التّاريخ الإنساني المشترك.

كان بأمجاد العهد القديم يحلم ويريد أن يصبح بطلاً أسطورياً تتحدّث عن مآثره الأجيال كابراً عن كابر، كان يريد أن يصبح بطل حرب طروادة أو موقعة القادسية، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "وحلمت بالعهد القديم وكأنّني أحد أبطال مجدّو أو طروادة أو القادسية، فكنت أتغنّى بالفروسية الشّاردة والحياة المليئة بأروع الفعال، وبالأبطال الأماثل يذرعون الدّنيا سعياً وراء فكرة نبيلة، كما كنت عصرياً أنشبت أظفاري كلّها في لحم الحاضر وأحتسي من دمه الحارّ المتدفّق."<sup>377</sup>، كان يريد أن يجمع بين الأصالة وبين المعاصرة في فلسفته الوجودية التي حاول أن يقيم صرحها المعرفي في مصر أولاً وفي الوطن العربي ثانياً ووفّق في ذلك توفيقاً كبيراً.

<sup>376</sup> نفسه، ص: 141.

<sup>377</sup> نفسه، ص: 141.

كان في روايته (هموم الشّباب) يدعو إلى بناء حضارة عربية جديدة تسودها النّزعة الوجودية، يقول بدوي: " ووجدنا أنّ المسؤولية عن إيجاد الحضارة الجديدة إنّما تقع علينا. ونحن لم نرض أن نكون هذه المرّة أيضا وسطاء ورسلا بين الحضارة المتحضرة والحضارة الجديدة كما فعلنا من قبل في دور الحضارة العربية، بل امتلأنا حماسة ويقينا بأنّ دورنا هذه المرّة أن نكون خالقين، لا متمثلين ولا ناقلين ولا حارسين على النّور ألا ينطفئ".<sup>378</sup>، يجب علينا- كما يرى -تأسيس حضارة عربية تسودها القيم والمبادئ الوجودية التي تجعل الإنسان يشعر بالحرية ويتخلّص من القلق الوجودي الذي يؤرّق حياته ويهدّد كينونته الإنسانية.

يتضح لنا من خلال قراءتنا لرواية (هموم الشّباب) لبدوي بأنّ له حسّ وطني عجيب لأنّه آمن بقضايا أمته المصيرية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: " وكنا نتميّز غيظا من ذلك الموقف الأليم المهين لكرامتنا المهدر لشرفنا الذي نشاهده في الصّحراء الغربية وهي جزء من بلادنا العزيزة، وكلّما تواترت الأخبار عمّا في تلك المنطقة من معارك شائقة ازددنا أسفا على حالنا هذه البائسة، فلما تجمّع كلّ هذا الغيظ والحنق انقلبنا إلى قنابل مفرقة من النّورة على ما نحن فيه من تراخ وضعف وجبانة".<sup>379</sup>، كان متضامنا مع كلّ الشّعوب المظلومة التي تعاني من ويلات الاستعمار الغاشم، لقد جعل من قضية الشّعوب المظلومة قضيته الكبرى يدافع عنها في كتاباته الفكرية وفي ندواته الفلسفية.

يبدو أنّ النّفوس القلقة كما يتصوّرها تميل إلى كلّ ما هو جديد على مستوى الحياة، وتتفر من الرّوتين القاتل الذي يشوّه الوجه الجميل للحياة، يقول بدوي موضّحا هذه الفكرة ما يلي: " للنّفوس القلقة ميل غريب إلى كلّ ما هو شاذّ أو مرضيّ. فهي تحنقر المعتدل في كلّ شيء وتتفر من كلّ ما يسير وفقا للعادة المرعيّة أو تبعا للقاعدة المطّردة، فكما تحرص الأجسام النّهمة على توبلة غذائها المادي، كذلك تعنى الأرواح الشّاردة بأن تكون تجاربها

<sup>378</sup> نفسه، ص: 142.

<sup>379</sup> نفسه، ص: 144.

الرّوحية حريفة المذاق.<sup>380</sup> فالنفوس القلقة تحلم بالحريّة وتريد أن تعيش في سلام مع الآخر، هي تريد أن تعيش في دوحة الإنسانيّة لأنّ كينونتها الوجودية تتوق إلى ذلك.

رسم في روايته (هموم الشّباب) صورة سوداوية للمرأة حيث اعتبرها مؤثلاً للخيانة وموطناً للعواطف السّمجة، يقول بدوي: "فالفتاة خاوية من كلّ إحساس نبيل وعاطفة سامية، لهذا لا تفهم من الحبّ إلاّ أنّه مكيدة للزّواج، وهي خالية من كلّ إيثار ونبيل في الشّعور وإحساس بالمعاني الإنسانيّة الواسعة، فلا تفهم من الزّواج إلاّ أنّه مكيدة للظفر بالمال أو الجاه وبكلّ ما يرضي التّظاهر الزّائف لديها."<sup>381</sup>، كان يعاني من عقد نفسية اتجه المرأة، فهو لم يتزوّج طوال حياته وعاش راهبا متبتلاً في محراب الفكر الوجودي، يعتبر من أهمّ المفكرين الذين حاولوا قراءة نفسية المرأة قراءة وجودية.

كانت نزعة التّشاؤم تدعوه إلى مناجاة الموت، لأنّ الموت هو الذي يخلّص المتشائم من الحياة ويجعله يشعر بحريّته الوجودية، يقول بدوي في روايته (هموم الشّباب) ما يلي: "لبيك أيّها الموت، لبيك ! فما قيمة الحياة عندي، الآن وقد تحطّمت كلّ آمالي؟ لقد كان الرّجل الكبير صادقاً كلّ الصّدق حينما قال إنّ الأفضل للإنسان أن يعود إلى الحياة المعدنية الأولى، مطّرحاً هذه الصّورة الكاذبة: صورة الإنسانيّة الحيوانية، ألا ليتني استمعت إليه، إذا لكنت منذ زمن طويل أرقد ناعماً بين طيّات الصّخور."<sup>382</sup>، فالموت هو رحمة إنسانية لمن يعاني الاغتراب في هذا الوجود الكالح الذي يجعل الإنسان المعاصر يعاني من القلق الوجودي السّمج.

<sup>380</sup> نفسه، ص: 156.

<sup>381</sup> نفسه، ص: 148.

<sup>382</sup> نفسه، ص: 173.

يرى في روايته (هموم الشَّبَاب) بأنَّ الصَّدفة هي التي تصنع قدر الإنسان وهي التي ترسم له طريق حياته وتجعله يتناغم مع أسرار الوجود، يقول بدوي مخاطبا الإنسانية ما يلي: "أيتها الإنسانية البائسة! أتلك هي المكانة التي قدرتها لك هداتك؟ يخيل إليّ أنّ هذا العالم-وعلى رأسه الإنسان- لا تتحكّم فيه غير الصَّدفة العمياء. وكلّ يوم يزداد إيماني بهذه الحقيقة الرهيبة، وبودّي لو فقأت كلّ عين تتجاهل رؤية هذه الواقعة!"<sup>383</sup>، لقد لعبت الصَّدفة دورا هامّا في حياة الإنسان لأنّها هي التي ترسم له قدره وتجعله يسير وفق هديه في دروب هذه الحياة إلى أن يحين أجله ويغادر هذا الوجود بكلّ هدوء.

يعتقد في روايته (هموم الشَّبَاب) بأنّ قلعة الإنسانية لا تقوم إلّا على أساس النّزعة الصّوفية التي ساهمت في تحقيق الكينونة الوجودية للإنسان الذي وجد على ظهر هذه البسيطة، يقول بدوي في هذا الصّدّد-شارحا النّزعة الصّوفية شرحا وجوديا- ما يلي: "وهذه النّزعة الصّوفية -الغامضة في دقائقها، الواضحة لدينا في مغزاها العام- كانت تطبعنا جميعا بطابعها وتشملنا في وحدة كلّية حتّى كنا نحسّ أحيانا بأننا قلب العالم النّابض، فلا يكاد يصيب أطرافه شيء حتّى نستشعر صداه يخفق به هذا القلب المحيط."<sup>384</sup>، الذي تشرب رحيق الإنسانية من زهور النّزعة الصّوفية التي حاولت زرع الأمل في كلّ الدّوات الوجودية التي نثرها القدر في هذا الكوكب الأزرق، فالإنسان كائن صوفي وجودي جاء إلى هذه الحياة لكي يحقق كينونته الإنسانية أولا ثمّ كينونته الوجودية ثانيا.

يتصوّر في روايته (هموم الشَّبَاب) بأنّ الأزهار ترافق الإنسان في الحياة وفي الموت، وتعطيه في الحياة طاقة إيجابية وفي الموت مسحة جمالية، يقول بدوي مناجيا الأزهار مناجاة وجودية ما يلي: "إيه أيتها الأزهار الحبيبة العزيزة! أنتنّ وحدكنّ اللاتي وجدت عندهن الرّاحة في الحياة والصّدق في الإخاء والعزاء في البلواء. لقد أوشك كأس عمري أن

<sup>383</sup> نفسه، ص: 175.

<sup>384</sup> نفسه، ص: 180.

يتحطم، وهأنذا أغدّ في السّير إلى عالمي الأصيل الذي هبطت منه إلى هذه الأرض الجاحدة المنكرة لكلّ جميل بعد أن نزلت إليها وكليّ إيمان بإمكان إصلاحها، واليوم أيقنت تماما بالألّ سبيل مطلقا إلى هذا الصّلاح، وعمّا قليل سيخطّ النَّاس بالآمال الخائبة مضجعي، وسيصنعون لي أكفّافا من الأحلام التّائهة في ببداء المجهول، ثمّ يرقدونني في قبر من الهموم النّبيّلة.<sup>385</sup>، فعالم الأزهار عالم سحريّ عجيب يجعل النَّفس تسبح في لجة التّفاؤل وتمرح في مروج السّعادة المخملية، فالأزهار تجعل قلب الإنسان ينشرح ويقبل على حبّ الحياة.

الشّباب الشّهيد هو ذلك الشّباب الذي ضاع مع الهوى الكاذب، فالشّباب الشّهيد كان يجري وراء الغرام وسرابه، يقول بدوي وهو يرسل خطبة تآبينيه إلى شبابه المنصرم الذي أضحى شهيد الحبّ الهلامي ما يلي: "أمّا أنتنّ يا أخواتي من الأزهار، فانبتن على قبر هذا الشّباب الشّهيد كيما تكنّ رفاقي في هذا المثوى الأخير، واسألن أخاكنّ النّدى أن يهوى عليك بدموعه الحارّة الغزار، وأنتم أيّها الشّباب، يا من يضطرب في نفوسهم ما اضطرب في نفسي من هموم، لست أسألكم إلّا أن تذكروا حاجين قبر هذا الشّباب الشّهيد." <sup>386</sup>، الذي ذهب ضحية هذا الهوى الكاذب الذي يجعل الإنسان يجري وراء السّراب ويطلبه طالبا حثيثا، لقد ضاع هذا الشّباب وتاه في ببداء الهوى السّاذج حتّى أشرف على الهلاك، فرواية (هموم الشّباب) هي رواية وجودية، تحاول الإجابة عن الأسئلة الوجودية التي يطرحها الإنسان حول الحرّية والمسؤولية والالتزام بقضايا الأمّة المصيرية، كما حاولت أن تعالج مرض العصر الذي يعاني منه كلّ إنسان وجد على ظهر هذه الأرض ألا وهو القلق الوجودي، فهذا الخطاب الرّوائي تدثر بدثار المسكوت عنه ليوجّه للقارئ رسائل مشفّرة حتّى يفكّ رموزها ويحوّلها إلى منطوق.

<sup>385</sup> نفسه، ص: 182.

<sup>386</sup> نفسه، ص: 182.

## المبحث الثاني: استنطاق المسكوت عنه في رواية (الحر والنور) لعبد الرحمن

بدوي:

سنحاول هنا في هذا المبحث أن نستنطق المسكوت عنه في رواية (الحر والنور) لعبد الرحمن بدوي، لأنّه قدّم للقارئ العربي في هذه الرواية مجموعة من الرسائل المشفرة وهي كالآتي:

لقد أحبّ حبيبته سلوى بكلّ صدق وأمانة وإخلاص، كانت فتاة جميلة مثقفة تعرّف عليها عندما كان في لبنان، وتعلّق فؤاده بها، وعندما سافر إلى باريس وتركها هناك ثارت أشواقه إليها كما يثور البركان وأصابه ألم شديد في فؤاده، يقول بدوي في روايته (الحر والنور) مصوّراً حالته النفسية بسبب هذا الغرام ما يلي: "ليت شعري أيتسع لديك وجه العذر عن سفرتي المفاجئة إلى باريس بعد أن كنّا قد اتعدنا لبنان، بلدك الحبيب، مكان لقينا في هذا الصيف كيما ننمي نبتة الحبّ التي غرسناها معا تحت ظلال الأرز الخالد، لما أن تلاقينا لأول مرّة إبّان زيارتي القصيرة الخصبة معا في شتاء هذا العام؟ في سورة غرامك والتهاب إحساسك مايزيد مخاوفي من هذا الجانب، بيد أنّ لي في صفاء عينيك الزرقاوين ما يخفّف من اضطراب فؤادك، وفي رقّة عواطفك السّاجية ملجأ لغفرانك." <sup>387</sup>، صارت صورة حبيبته سلوى تطارده في كلّ مكان، صار يراها في كلّ مكان يذهب إليه، إنّّه حبّ خالد لا تمحوه الأيام ولا الليالي لأنّه حبّ صادق.

لقد تأثر بدوي بفكر الفيلسوف رينان (Renan) (1823م-1892م) ذي النزعة العقلانية الذي ثار على تقاليد الفكر البالية التي كانت سائدة في فرنسا، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "آه! كم كان لصيحته الهائلة هذه من أثر حاسم في توجيه كلّ كياني الرّوحي! لقد أبدلني مخلوقاً آخر لايهتدي بغير نور العقل، وإذا به ينهال على الأصنام العتيقة فيحطّمها

<sup>387</sup> عبد الرحمن بدوي: الحر والنور، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1951، ص: 03.

تحطّيا وبطّهر كعبة روحه من كلّ أثر عتيق، لهذا فإنّ الدّين الفادح الذي أدين به لهذا الرّجل العظيم هو من بين الدّوافع التي حملتني بهذه القوّة على زيارة فرنسا، كيما أحجّ إلى قبره وآثاره ومواطئ أقدامه. وآية ذلك أنّني لم أكّد أرخص النّوم عن جفوني مع أوّل صباح في باريس حتّى هرعت لزيارة مقاماته الرّوحية وآثاره.<sup>388</sup>، لقد عرف الفيلسوف رينان بنزعتة العقلانية التي ثارت على الفكر المتحرّج، يعتبر من رواد الحداثة في فرنسا دعا إلى عقلنة الفكر، لأنّ الأمم ترتقي بالحداثة وبالعقلانية وبالفكر الحرّ، ساهم بفكره النيّر في نهضة فرنسا الفكرية وفي رقيّها الحضاري وفي إشراقها الفلسفي.

بدوي في روايته (الحرور والتّور) يتحدّث عن زيارته لكنيسة سان سلبيس بباريس مخبرا حبيبته سلوى عن عجائب هذا المعمار الكنسي والفنّ القوطي، يقول بدوي: "وهأنذا أسلك سبيلي ضحى يوم الأحد الثالث والعشرين من حزيران (يونيه) إلى كنيسة سان سلبيس Saint-sulpice ومعهد الذي استيقظت فيه روحه المتوثبة المتمردة، الشّمس تبسم من خلال السّحائب الدّاكنة، ثمّ تسطع حيناً فتشيع الحرارة الجذلي في باريس، بعد أن قضت شهرين لا تزورها إلاّ غرارا وغب أمطار عنيفة، مع أنّ الوقت وقت الرّبيع، والطّرقات تكاد تكون خاوية إلاّ من النّسوة المسنات أو الغواني اللائي أمسكن بأكفّ بناتهن المتدنّرات بالأثواب الطّويلة النّاصعة البياض كأنّها أزياء الزّفاف، مقتادات إيّاهن إلى الكنائس لممارسة مرسم (التّناول)، وما أجمل منظر هذه الزّنايق المتفتحة على ضوء الشّمس ذات الجبين الوضّاح ! لقد أثار منظرهنّ في نفسي نشاطا طروبيا..."<sup>389</sup>، لقد راقه معمار هذه الكنيسة العريقة التي تعتبر تحفة فنّية فريدة من نوعها ولا يكرّرها الزّمن إلاّ لماما، كانت حبيبته سلوى مسيحية الدّيانة لذلك هو يحدّثها في رسائله إليها عن سحر ومتعة هذا الجمال الكنسي.

<sup>388</sup> المصدر السابق، ص: 04.

<sup>389</sup> المصدر نفسه، ص: 04-05.

يتحدّث بدوي في روايته (الحرور والنور) مخبرا حبيبه اللبنانية سلوى عن أهل تونس عندما زارهم في بلادهم وشاهدهم وهم يرطنون باللغة الفرنسية ولا يتحدثون بلغتهم الأمّ إلا وهي اللّغة العربية، فأهل تونس لهم توجّه فرنكوفوني عجيب، يقول بدوي متحدّثا لسلى عن عجائب وغرائب أهل تونس الذين لهم ولع شديد باللّغة الفرنسية ما يلي: "وقد غادرنا مطار الماظة في السادسة والنّصف صباحا وبلغنا باريس في السّاعة الثّامنة مساء دون أن نتوقّف في الطّريق، اللّهم إلّا في تونس التي بلغناها في السّاعة الثّانية عشرة والنّصف وغادرناها في السّاعة الثّانية، بعد أن أخذنا قسطا من الرّاحة والغداء في هذا البلد المسكين الذي وجدت أهله في المطار لا يرطنون إلّا بالفرنسية ويأبون أن يجيبوا عن سؤالي إيّاهم باللّغة العربية، مع أنّهم من غمار الشّعب. فيا لله! ما أحقّ هؤلاء بالرتاء!"<sup>390</sup>، لأنّهم تعلقوا بأحبال اللّغة الفرنسية تعلقا شديدا جعلهم ينسون لغتهم الأمّ ألا وهي اللّغة العربية، فهم يفضلون لغة الاستعمار على لغة بلادهم الأصلي، لقد تمكّن الاستعمار الفرنسي من فكرهم ومن لغتهم ومن عاداتهم ومن تقاليدهم واستحوذ على تراثهم المادي واللامادي وجعلهم تابعين له في كلّ شيء إلى يوم النّاس هذا.

لقد أغرق وأطنب في وصف كنيسة سان سلبيس بباريس لسلى بحكم أنّها تدين بالمسيحية، كانت هذه الكنيسة فريدة من نوعها من ناحية المعمار، يقول بدوي في روايته (الحرور والنور) مخاطبا حبيبه سلوى ما يلي: "وها هي ذي كنيسة الرّائعة تتبدى بكلّ جلالها وتكثّل معمارها، وقد تعاورها منذ إنشائها طرازان: يسوعي ساهم في إنشائها، ثمّ قديم يوناني وضع وفقا لتصميم سرفندوني Servandoni سنة 1732. وأول ما يسترعي النّاطر وهو في مواجهتها هذان الطّابقان اللّذان يكوّنان الواجهة، وقد تألّف السّفلي منهما من رباعات من الأعمدة الدّورية الضّخمة، بينما تألّف العلوي من رباعات من الأعمدة الكورنثية الصّغيرة،

<sup>390</sup> نفسه، ص: 05.

وقد أحاط بها من الجانبين الغربي والشرقي برجان شاهقان بنيا على الطراز التقليدي، حتى إذا ما استدار الناظر حول الكنيسة من شارع بلاتيه، تبدت له واجهة الجذع متكئة لا تخلو من الثقل بما لها من طراز يسوعي قليل النظر في غير باريس، ومن الجهة الأخرى المقابلة للواجهة، أعني عند القبة والمحراب، تتجلى مليئة حبلى بالفراغ الفسيح.<sup>391</sup> إنها كنيسة تحمل روح الحضارة الموغلة في القدم والتي أضفت مسحة جمالية وفنية على الدين المسيحي قديما وحديثا.

كانت كنيسة سان سلبيس في باريس ملتقى للعشاق الذين كانوا يغتنمون المناسبات الدينية ليأخذوا فرصتهم في الهوى والغرام، يقول بدوي: "وكان اليوم يوم احتفال بعيد، فكانت الكنيسة تملأ بالأفواج الزائرة من النساء والفتيات خاصة، ولما أن دخلت كانوا بسبيل قداس، فكانت الأصوات الناعمة الباغمة تتطلق من الكورس فتدوى بها أرجاء الكنيسة، ثم تتقطع حيناً لتخلي السبيل أمام القسيس وهو يقوم بمراسمه ويهدر بصوته الزهيب في هذا الصمت المفاجئ، إلى أن انتهت مراسم القداس، فتألف موكب جميل من الفتيات الصغيرات يتلوهن صببية في ملابس الكشافة، ثم جاء على أثرهم كواكب أتراب ينضح الجمال من وجوههن الناصعة البياض أو المضرجة بالحمرة الفاتنة وقد تدثرن بأثواب من التيل الرقيق الصافي، ومن ورائهن كتائب شباب في مقتبل العمر لا يخلون من العبث والمشاكسة فيما بين بعضهم وبعض، وأخيراً جاءت كوكبة من طلاب الكهنوت بقمصانهم البيض الطويلة ذات الأكمام المجللة أطرافها بالسواد."<sup>392</sup> عندما كان يقام القداس في الكنيسة كان هؤلاء الفتيان والفتيات يقومون بقداسهم الخاص ألا وهو قداس الهوى والغرام، لقد صارت هذه الكنيسة موئل العشاق في كل عيد يشهده الناس بسوادهم الأعظم، هنا كان يقدم العشاق مهجهم وأرواحهم على مذبح البطولة والوفاء تلبية لنداء ضمير الهوى الغلاب، هنا ولد الحب

<sup>391</sup> نفسه، ص: 05-06.

<sup>392</sup> نفسه، ص: 06.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

الصّافي وأشرقتم شمسه وغمر نورها قلوب الصّبايا التّائقات لهوى هؤلاء الفتيان حدثاء الأسنان ولمّا يبلغوا بعد مبلغ الشّباب.

كان يحبّ سلوى تلك الفتاة اللّبنانية المتّفئة والمتنوّرة والحدائثية في فكرها، يقول بدوي في روايته (الحرور والنّور) مناجيا سلوى في عالم المثل ما يلي: "وأنت يا سلوى! أتذكرين كيف كنّا نقرأ (ذكريات الطّفولة والشّباب) لرينان فنمتلئ حماسة وحرارة وإعجابا بما فيها من روح متوثبة توقن بأنّ المستقبل سائر قدما إلى الأبد في طريق التّثوير؟ وكنت أنا بين الحين والحين في اللّيالي القمرية الفاتنة على الشّاطئ المهجور ذي الخمائل الكثة أعيد عليك عن ظهر قلب بعضا من صفحاته، وبخاصّة تلك المقدّمة الرّائعة التي لا أكاد أجد مقدّمة تعدلها؟ ثمّ (الصّلاة على الأكربول)، هذه الصّفحات الخالدة في هذا الكتاب الفريد، أتذكرين كيف كنت أتمتلك أنت بعينيك الرّقاوين هذه الآلهة-أنتيه Athénée التي ناجاها رينان في تلك (الصّلاة)؟"<sup>393</sup>، إنّها فتاة جمعت بين الجمال وبين راحة العقل، تصوّرها آلهة الحكمة اليونانية التي تفيض فلسفة وحكمة وأنوارا وإشراقا، لقد اعترف لسلوى بحبّه لها عندما خاطبها في إحدى رسائله لها قائلا لها ما يلي: "بين شفّتيك دفء عطّره أريج الشّهوة الفاغم، فمن لي باسترواحه! ملمس أنا ملك المسترسلة، وهي تتساب على جيبيني الوسنان من فرط الهموم، ترد إليّ قشعريرة الحياة، فدعيني أحلم بكفّيك، أيامي مطيرة، والتّنج النّاصع يجلّل الصّنوبر ويزحف من القمم إلى مشارف الوادي، وليس ينمو غير الوحشة من حولي، فأين منّي الآن تلك الحرارة المشبوبة بين نهديك؟!"<sup>394</sup>، هنا يعبر عن نزعتة الإيروسية وعن شبقه الجنسي، لقد فتنه جسدها النّاعم لذلك حاول أن يكسر التّابو الجنسي الذي يعتبر من المسكوت عنه في الخطاب الرّوائي الجريء والصّريح والذي يتخفّى وراء النّسق المضمر.

<sup>393</sup> نفسه، ص: 06-07.

<sup>394</sup> نفسه، ص: 07.

لقد قرّر الذهاب إلى باريس لكي ينسى هموم هوى سلوى التي انصرم عنها وانصرمت عنه، وجد في باريس الحضارة والرقي الاجتماعي والرفاه الاجتماعي والملاذ الآمن، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: " لكن، إليك عنّي أيتها الذكريات العذبة، وأنت أيتها الأسئلة المكلومة! فما أتيت باريس إلّا لأخلو إلى نفسي طليقة من كلّ طائف أليم وذكرى أسيفة. وما أريد إلّا أن أشاهد بعيوني، وأمّتع البصر كثيرا والفكر قليلا، أريد الإحساس الحادّ الخالص من كلّ تأويل فكري، الإحساس المجرد الخالي من كلّ إدراك أو تعقّل. فقد سئمت التّعقّل والتّجريد، فلأدعهما إلى حين، وعندي أنّ هذه هي الميزة الكبرى للرحلات والأسفار النّائية، بل والدّانية." <sup>395</sup>، هي ترويح عن النّفس التي سئمت من ترّهات هذه الحياة، من يبتعد عن الحبيب ويفارقه جسدا سيشعر باللّوعة والحسرة والحزن ولكنّه مع مرور الأيام سينسى هذه الحبيبة وستبقى مجرد ذكرى عابرة وحزينة في نفس الوقت.

لقد اعتراه الحزن الشّديد بسبب فراقه لسلوى حبيبته التي هام وجدا بها وعشقا عشقا جنونيا، يقول بدوي في روايته (الحر والنور) ما يلي: " وحنايا عطفك وردفيك، بين اختلاج اللّمسة الحائرة وانكسار عينك اللّعوب، نفسي الفداء لمن يهيني رنوا إليها واستمتعا بها! أنا غريب، وفي غربتي تتلاقى مواكب الأيام فتسمّر كياني في لحظة خاطفة من لحظات الأبدية المتحرّكة! أنا وحيد، وفي وحدتي مصبّ لكلّ ما كان أو سيكون من أحزان النّاس، لأنّ سرّه ينبوع الأسرار! نعم! همومي تتحلّب من ثدي الوجود لتغذوني بمرارتها أنا الوليد الرّجيم." <sup>396</sup>، كانت سلوى فتاة أحلامه وهي التي كانت تلهمه في كلّ أوان وحين وعندما تفارقه ينطفئ مصباح الإلهام لديه.

لقد انبهر بالطقوس الكنسية العجيبة التي عرفت بها كنيسة سان سلبيس بباريس، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: " ولأعد إذن إلى الموكب وقد تقدّمه حارس شيخ يحمل

<sup>395</sup> نفسه، ص: 07.

<sup>396</sup> نفسه، ص: 07-08.

عصا معدنية ذات سنّ مدبّبة، فيها زخارف وألوان متعدّدة، وهو يحدو الموكب على ترنيمة ذات إيقاع خاصّ يحدّده بضرب الأرض بتلك العصا ضربات موزونة لا تخلو من الترويع، وبخاصّة إذا انضمّ إلى سماعها رؤية وجهه المتجدّد المتخدّد ومنظر ملبسه المزركشة. وفي مؤخر المركب كلّه حامل ضخم مكوّن من مربّع ذي أربعة قوائم يجرّه أو يدفعه كبار الحاضرين، ولا يمرّ أمام الواقفين حتّى يهرع هؤلاء الانحناء إجلالاً له، فكان الموكب كلّه لا يخلو من الرّهبة، بل قد كان رهيباً حقّاً إلى درجة مرهقة، لولا فراشات الأطفال وبسمات الغادات الحسان.<sup>397</sup>، إنّّه موكب كنائسي رهيب فيه العبادة الممزوجة بالفنّ الخالص الذي يجعل النّفس تتوق إلى عالم المثال الذي ترفرف السّعادة فيه.

لقد هام وجدا بجمال حبيبتة سلوى الفتان، لقد سحره ألقها وإشراقها البهي وصار عبداً متبتلاً في محراب جمالها الباطني السّاحر الأخاذ، يقول بدوي في روايته (الحرور والنور) واصفاً جمال سلوى العجيب ما يلي: "أتمس، في الوردة المجلّلة بأنداء الفجر، خديك النّاعمين يوم الوداع المشئوم ترفّ عليهما الدّموع من نوافذ القطار، الوردة الوحيدة التي أبقى عليها الصّقيع في بستان الدّنيا الحافل بالأوهام، وفي الحسّون المستضحى على أفنان الصّفصاف الجافّ، بدني المنهوك وقد ارتمى متاعساً على صدرك العامر متدنّثاً بشعورك الزّاهية المسترسلة أيتها الشّقراء!"<sup>398</sup>، إنّها فتاة حسناء عروب ولج حبّها إلى شغاف قلب بدوي فتمكّن منه واستقرّ هناك، كانت على قدر كبير من النّقافة وتحترم الدّين الإسلامي بالرغم من أنّها مسيحية وتجيد فنّ الحوار مع الآخر.

لقد عبّر في روايته (الحرور والنور) عن شوقه الشّديد إلى حبيبتة سلوى اللّبنانية التي فارقها عندما يمّم شطر باريس، يقول بدوي معبراً عن أشواقه الحارّة إلى حبيبتة ما يلي: "أحلامي من تهاويل الجحيم، وأنفاسي زفرات تنشقّ عن هاوية المجهول، لأنّ آمالي غرست

<sup>397</sup> نفسه، ص: 07-08.

<sup>398</sup> نفسه، ص: 08.

في الصخرة الموحشة على الذرى الشّماء. حملت همومي على كاهلي ذات صباح، وقد تفتح برعم الشّمس على فترة من التّلوج والأمطار، وسلكت الطّريق الرّائعة ذات الثّنايا على الشّاطئ الأليف، ورحت أتلفت عن يمين وشمال أفنّس عنك أيّها الحبيب." <sup>399</sup>، إنّي أعيش الآن على ذكراك وطيفك يطاردني في كلّ مكان أذهب إليه، صار يراها في كلّ صور الوجود، لقد تمكّنت من فؤاده العليل بهواها الذي عجز عن وصفه الشّعراء والأدباء في إبداعهم الإنساني، قال في سلوى غزلا نثرنا عفيفا وماجنا في نفس الوقت، يقول بدوي متغزلا بحبيبته سلوى ما يلي: "عيناك الواسعتان تمدان الظلّ إلى حفاقي الخلود، فاجعليني أعبّر بهما إليه ! فيهما زرقة، وفي زرقتهما ابتسامة، وفي ابتسامتهما نعمى المترفين." <sup>400</sup>، لقد صارت سلوى معشوقته وملهمته ومصدر إبداعه، وصارت هذه الرّواية (الحوار والنور) إنجيل المحبّين ودستور التّائهيين في بيدااء الغرام.

نلاحظ في الخطاب الرّوائي المضمّر والذي نستشفه بين ثنايا المتن الرّوائي (الحوار والنور) بأنّه راقه سحر الصّور الجدارية في كنيسة سان سلبيس في باريس والتي حاول قراءتها قراءة فنيّة، يقول بدوي: "ولقد طاف الموكب بالكنيسة مرّتين، وتابعته في كلا الطّوافين كيما أتجلّى وأتملى بهذه الصّور الجدارية (الفرسك Fresque)، التي طليت بها الجدران الدّاخلية للكنيسة، وهي من عمل طائفة من الفنّانين في القرن الماضي أشرف عليهم في هذا العمل دلاكروا Delacroix، الرّسام الرّومنتيكي المشهور: وفيها رسوم للقديس ميخائيل وهو يجندل النّنين (في قاع القبة)، وعلى الجدار الأيمن رسم هليودوروس مطرودا من المعبد، وقد كان وزيرا لملك سوريا وأراد أن يستولي على كنوز معبد أورشليم، فأتاه ثلاثة ملائكة وكلّ إليهم القصاص فجنّدوه، وعلى الجدار الأيسر يعقوب يناضل الملاك، وكلّها ذات طابع رومنتيكي عنيف، تمتاز بالانفعال وحدّة التّعبير وزهو الألوان. ثمّ توقفت قليلا عند

<sup>399</sup> نفسه، ص: 08.

<sup>400</sup> نفسه، ص: 08.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

محراب العذراء وقد تبدى ذا تأثير غير قليل.<sup>401</sup> كانت هذه الصّور الجدارية بمثابة تحف فنية خالدة ذات مسحة رومنسية حالمة متفائلة، لقد أرخت هذه الصّور الفنية لنضال القديسين الذين بشرّوا العالم بالسلام وبالمحبّة وبالإنسانية، فكان كلّ قديس هو المسيح وهو الفادي وهو المخلص لأتباعه الذين حملوا تعاليمه إلى كلّ أرجاء المعمورة قاطبة.

كان يعتريه الشّوق والحنين كلّما فارق حبيبته سلوى التي تعلّق بها تعلّقاً شديداً، لأنّها فتاة جميلة ومتفّقة جدّاً ومحاورة جيّدة وتقبل التّعاش مع الآخر، يقول بدوي في روايته (الحر والنور) معبراً عن شدّة حنينه إلى حبيبته سلوى ما يلي: " وفي الخضرة الكابية المتناثرة في حقول الثلج، آمالي المتبدّدة وقد تداعت في مبعث الذّكري، كلّما اهتزت تلك الأشجار تحت ابتسامة الشّمس في هذا النّهار الضّاحي. وفي الصّخرتين الذهبيتين النّافرتين النّاتئتين في صدر اليمّ، نهديك المنطلقين بنداء الأنوثة الخالدة في صمت صارخ، ولقد قيل عن هاتين الصّخرتين إنّهما تغريان العشق الخائب بالانفلات من طريق الحياة، وكم أتمنّى أنا لو انتحرت بين نهديك!"<sup>402</sup>، هنا يسفر عن نزعتة الإيروسية اتجاه المرأة وعن شبقه الجنسي اتجاه سلوى حبيبته، هنا كسر صنم التّابو الأخلاقي وتحدّث عن ميوله الجنسية بكلّ طلاقة فهو يعشق النّهد البارز الذي يستدعي الشّهوة التي تسري في الجسد سريان الكهرياء في المعادن.

عندما فارق سلوى أصيب باكتئاب حدّ جعله يفكّر في الموت والانتحار لعلّه يتخلّص من آلامه النّفسية التي أحدثها هذا الغرام الجارف، يقول بدوي في روايته (الحر والنور) وهو يصوّر حالته النّفسية كأنّه يرثي نفسه التي آثرت الانتحار الوجودي ما يلي: "أتوني بمجامر البخور، فنفسى تواقّة إلى عبير الموت! ردّوا عليّ فضل أنفاسي، فقد احترقت

<sup>401</sup> نفسه، ص: 08.

<sup>402</sup> نفسه، ص: 08-09.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

بلهيب القلق، خذوني إلى ينبوع القاني، لأنوح مع الباكيات الشاكيات! مرّوا بجنازة أيّامي، تتواكب فيها وفود الأحداث الرهيبة، أمام منازل غرامي، ثمّ ادفنوني في تراب اليأس عند السنديانة العتيقة التي عشّش فيها البوم والغربان.<sup>403</sup>، لقد صار الموت هو الحلّ الوحيد لكلّ مأسية العديدة التي أخرجها إلى العلن هذا الحبّ الساذج والعنيف في نفس الوقت، ولكن مع مرور الأيام عزف عن هذا الهوى الكاذب ورمى نفسه في بحر الفلسفة الوجودية الذي لا قرار له.

لقد وصف في روايته (الخور والنور) باريس بأنّها بلد الخلاعة السافرة بلا منازع، إنّها تحارب الفنّ والتاريخ، يقول بدوي: "والناس يقولون عن باريس إنّها بلد خليع متهتك، ولقد وجدت مصداق هذا القول في تهتكها في الآثار الفنيّة والذكريات الخالدة، فقد أطاحت بقداسة الزّمان، وراحت تجرّ بالجديد البراق على العتيق العميق ذيول النسيان."<sup>404</sup>، لقد صارت الحياة الاجتماعية في باريس مقرفة وصعبة جدّا يغلب عليها الرّوتين القاتل والسّداجة والميوعة والخلاعة، فهذه هي باريس بعيون بدوي.

يعترف في روايته (الخور والنور) بأنّ شبابه ضاع بين قلوب العذارى، فقلبه صار مؤنثاً لكلّ فتاة يصادفها على هامش هذه الحياة، لقد صار رهين سجن هوى العذارى، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "وفي يد الشّقاء مسبحة أيّامي وقد تبدّدت حبّاتها بين قلوب العذارى! تلقّفت الزّهرة من فم الصّبا، وما كدت أمسك بها حتّى دستها تحت أقدامي. طعم الحلال تعافه نفسي، وعلى شاطئ الحرام ألقيت مرساتي. نعتوني بالحماقة، وفي الحماقة وجدت عقلي، وصفوني بالضلال، وفي الضلال تلمّست هداي."<sup>405</sup>، هنا يعترف بشبّقه

<sup>403</sup> نفسه، ص: 09.

<sup>404</sup> نفسه، ص: 09.

<sup>405</sup> نفسه، ص: 09-10.

الجنسي نحو المرأة ويريد أن يخوض مغامرات عاطفية وتجارب جنسية مع نساء شتى، لقد حاول أن يكسر التابو الأخلاقي من خلال اقتحامه لقلاع الجنس الحسنة ووفق في ذلك توفيقا كبيرا.

لقد شعر في روايته (الحر والنور) بشرارة الكآبة التي أصابته في مقتل بسبب حبه الشديد لسلى التي كانت تبادله الهوى والفكر الحر، كان يخال نفسه عباس محمود العقاد ويخالها مي زيادة (1886م-1941م)، يقول بدوي واصفا حالته النفسية الكئيبة ما يلي: "شمسي تطلع في الليل، ومن فرط انفعالي تنفدح شرارة نعيمي، تناول الناس من قرباني، وأنا عند نفسي دنس الأدناس، فقدس الأقداس عند الناس هو عندي دنس الأدناس، أبصرت الصبح لما انفلق، فاستحال إلى غسق. من فمي زفرات تنطلق، وما تلامس شيئا إلا ويحترق."<sup>406</sup>، لقد حاول أن ينسى سلى وهواها، وحاول أن يشتغل بالفكر وبالفسفة وبالآدب لعله يسلى هذا الهوى الجبار ولكن سلى بقيت جاثمة على فؤاده هو يترجأها لكي ترجمه ولكن هيهات، يقول بدوي متوسلا سلى أن ترجمه من عذاب هواها ما يلي: "أحمل على كاهلي خطيئة لا تمحوها كفارة، وفي لحمي شوكة أعيت كل مبضع، وإلى مذبحك أحمل كلتيهما، فهل لي رجاء في الشفاء؟ كأين من مرة جثوت عند قدميك واستشرفت إلى عينيك ألتمس في سعتهما لنفسى الرحمة والغفران، فليت شعري ماذا أفاد خلاصي! أنت البراءة، والبراءة ممدودة حبل الرجاء، لذا طالما منيتي بالنجاة، ولوحت لي بأملها الخلب، لكن هل أكذب النفس؟! "<sup>407</sup>، لقد تعذب كثيرا بسبب هواه لسلى هو لا يريد أن يفارقها، ففؤاده تعلق بها تعلقا شديدا لأنه وجد فيها نموذج الفتاة المثقفة الجميلة، كأن روح مي زيادة حلت فيها، هي فتاة شرقية متحررة وجدت فيه ملاذها الأمن لأنه فتى من الشرق له ذكاء حاد وفكر نير جعله من أعظم الفلاسفة الوجوديين في مصر وفي الوطن العربي خاصة في هذا العصر عصر الحداثة والتنوير والرقي العقلي.

<sup>406</sup> نفسه، ص: 10.

<sup>407</sup> نفسه، ص: 10.

كانت سلوى تحنّ إليه حنانا دافقا لا يضاهيه أيّ حنان، لقد تعلّق فؤادها به وصارت لا تهوى سواه، كانت كلّما سافر إلى باريس تشعر بالحزن وبالكآبة وبالسوداوية، يقول بدوي في رواية (الحرور والنور) ما يلي: "آه لو عرفت كيف كنت أحرّق الأرمّ هذه الأيام الطّوال منذ فراقنا الموعود باللقاء الجديد، ولم أكن أستروح إبّانها العزاء إلّا في ترجمة معبودك رينان لسفر (نشيد الأناشيد)، فكنت أتملّ نفسي (شولميت) وأتمنّك ذلك الرّاعي الذي فرّق بينها وبينه أسرها عند سليمان، فأجد قليلا من السّلوى في عباراتها الملتهبة بأوار الحنين، ونبراتها الصّادرة عن أعماق الوجد الدّفين." <sup>408</sup>، لقد وجد في المطالعة سلوة له، لعلّه يسلو هوى سلوى ولكن هذا لن يكون أبدا، لأنّ الفيلسوف رينان هو الذي جمع بين قلبيهما وصار قلبا واحدا.

لقد حاولت أن تنتقد كتاب نشيد الإنشاد الذي ترجمه رينان، لأنّ رينان هو الذي جمع بين قلبيهما وجعل شلال الحبّ يتدفّق عليهما، فسلوى اعتبرت كتاب رينان هو كتاب يحمل روح لبنان الطّاهرة ويعبّر عن جمال طبيعتها السّاحر، يقول بدوي على لسان سلوى ما يلي: "وهل تستطيع أن تتصوّر -وأنت المعجب بهذا السّفر (نشيد الإنشاد) -أنّه يمكن أن يكتب في غير لبنان من بلاد الوحي والنّبوة؟ كلا! فكلّ ما فيه يعبق بذكر جبلنا الفاتن، وينبئ عن نضرة وجمال في الطّبيعة لا يتوافران إلّا في هذا الإقليم. وهذه حقيقة كان أحرى برينان أن يبيّنها، وهو الذي عرف بلادنا وأعجب بما فيها من فتنة وجمال. فليت شعري كيف ندّت عن وجدانه المرهف النفاذ!" <sup>409</sup>، فرينان لم يتفاعل وجدانيا مع جمال لبنان السّاحر بل التزم الدقّة والموضوعية في ترجمته للأحاسيس وللمشاعر التي يزخر بها سفر نشيد الإنشاد وهو كتاب فيه تعاليم توراتية وتصوّف مسيحي.

<sup>408</sup> نفسه، ص: 10.

<sup>409</sup> نفسه، ص: 10-11.

لقد أدخله حبّ سلوى في دوامة التشاؤم والمزاج السوداوي والاكتئاب، ولكنّ التّصوّف هو الذي سيخرجه من هذا السّجن التّفسي، يقول بدوي في روايته (الحر والنور) مصوّراً حالته التّفسية المتشائمة ما يلي: "تساقط حبّ وجودي على الصّخرة الرّعاء، وأخشى ألاّ يلتطني فالق الحبّ والنوى ليلقى بي في تربة أستطيع أن أموت فيها لأحيا. سماء أحلامي لا ترتقّ فيها إلّا الحمايم السّود، فأين روح القدس التي أتلمس عندها النّجاة! كم تفجّرت الدّماء بين أحشائي، وعبثاً انتظرت أن تنمو بريّها الزّهرة المقدّسة التي أرجيها!"<sup>410</sup>، لم يستطع أن يصبح متفائلاً بسبب تيّار هوى سلوى الذي سحبه إلى هاوية الكآبة والتشاؤم، ولكنّ التّصوّف سينقذه في آخر المطاف، سيجعل روحه حرّة طليقة تبحث عن العرفان بعيداً عن الأسئلة الوجودية التي تؤرّق الإنسان خاصّة في هذا العصر، عصر الحداثة والتّوير والفكر الحرّ الذي لا تحدّه حدود ولا تقيده قيود.

يعرض علينا في روايته (الحر والنور) رأي سلوى في الفلاسفة الوجوديين التي تراهم بأنهم مجرد مفكرين متلاعبين، فهم لا عهد ولا مبدأ لديهم، يبيعون الأوهام والأفكار الجاهزة المقولبة، لقد رأت سلوى في سفر بدوي إلى باريس نوعاً من الفرار منها، يقول بدوي على لسان سلوى مبيناً رأيها في الفلاسفة الوجوديين ما يلي: "أراني في حيرة رهيبية من أمر هذا الفرار. فإني أخاف عليك وأخاف منك، كما يلذّ لكم أن تقولوا-متلاعبين-معشر الوجوديين."<sup>411</sup>، فالفلاسفة الوجوديون يتقنون فنّ التلاعب بالأفكار ويتقنون فنّ الصّيد في مياه الفكر العكرة، فالفلسفة الوجودية هي عبارة عن موضة فكرية غزت المقاهي الأدبية في باريس وصارت تبيع الأوهام للناس في أسواق الفكر الكاسدة في كلّ زمان وفي كلّ مكان، وهذه الفلسفة راجت بعد الحرب العالمية الثّانية كمحاولة للإجابة عن أسئلة الوجود والعدم، كان كتوما وغامضاً في حبه لسلوى ولقد لاحظت ذلك واعتبرته مجرد نزعة وجودية فقط ولا بدّ للشاعر الوجودي العاشق أن يكتّم حبه، تقول سلوى: "وأنا أعلم أنّ هذه النّزعة إلى

<sup>410</sup> نفسه، ص: 11.

<sup>411</sup> نفسه، ص: 11.

(الاستسرار) هي نسيج وجدانك الطبيعي، وأعلم أيضا أنّ في أعماق نفسك ترقد هذه التزعة موجهة في الخفاء كلّ عواطفك وأفكارك، بيد أنّي أعلم كذلك أنّك تحاول جاهدا أن تستقيل من طبيعتك هذه، بل أن تقضي عليها القضاء الأخير، ومن هنا تحاول دائما أن تنزع إلى (التنوير) وأن تصطنع لنفسك وجدان النهار، لكن، هيهات، هيهات! <sup>412</sup>، كان في فكره متتورا، أمّا في حبه وفي مغامراته العاطفية فهو يفضل أن يبقى في الظلام (الخفاء)، كان شخصية غامضة وغير اجتماعي يفضل العزلة والوحدة وترهب من أجل الفكر الفلسفي ومن أجل الفلسفة الوجودية وبقيت سلوى مجرد امرأة أحبها على الورق فقط.

لقد طلب من سلوى أن تخلّصه من برائث هذا الحبّ الوجودي الذي وقع فيه وصار أثرا بعد عين وصرنا لا نراه إلا على الورق، وهذه الرواية (الحوار والنور) خير دليل على ذلك، يقول بدوي مناجيا طيف سلوى في عالم المثال ما يلي: "فبربك، وأنت القوية الإيمان، إلا تركتني أعضّ على خطيئتي حتى يأتي كلانا على أخيه، فلعلّ هذه هي سبيلي الوحيدة لذلك الخلاص المنشود، نعم لأنّ الخطيئة الصادقة شوكة دائمة التلداغ، وليست وسادة تترعّ عليها الطمأنينة المؤمنة كما يخيل إلى إخوانك في الإيمان." <sup>413</sup>، كان يترجى حبيبته أن ترحمه وتشفق عليه، لأنّ المرأة في نظره هي ملاك الرحمة لذلك يجب على سلوى أن تعطف عليه وترحمه وتعيّنه على نوائب الدهر.

كانت سلوى شديدة الغيرة على حبيبها خاصة عندما يذهب إلى باريس ويتركها وحيدة في لبنان تتجرّع غصّة لوعة فراق حبيبها، يقول بدوي على لسان سلوى ما يلي: "أخاف عليك من فتيات السّين Seine بوجوههنّ الجذابة الغدّارة، وقلوبهنّ القلب المنهارة، وشهواتهنّ الرّخيصة الحارة، في الشّرق أفئدة تعرف الحبّ مقداره، لكنّها لا تعرفه إلاّ متدثرا بأسراره، شأنه شأن كلّ شيء لديها: فالشرق لا يدرك الأشياء إلاّ محوطة بهالة من الأسرار،

<sup>412</sup> نفسه، ص: 11.

<sup>413</sup> نفسه، ص: 11.

ولا يعترف بوجود شيء لم يشارك في الاستمرار، إنّه يخشى وضح النّهار، لذا تراه دائما لائذا بالليل أو بالأسرار.<sup>414</sup>، كان كتوما في حبه يتعدّب في صمت، لأنّه رجل شرقي عرف معنى الحبّ وأسراره وأراد أن يخلّد هذا الحبّ الأسطوري في هذه الرواية الخالدة التي أرخت لهذا الحبّ البابلي المخملي وجعلت الأجيال القادمة تردّد أصداء هذا الحبّ الطاهر.

كانت سلوى هي وطنه ومنفاه الاختياري، كلّما ضاقت نفسه هرع إلى هذا الوطن الفسيح باحثا عن السعادة في هذا المنفى الاضطراري، كانت سلوى وطن حبه الحالم ومنفى هواه القصي، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "أعيش في وطني، ووطني منفاي! ترح الدنيا حولي وكأني أنا وحدي الذي أنوح! وقطرات العمر تنهمر على طبل كياني، فلا تردّد غير نغمات خرساء." <sup>415</sup>، لقد صار هذا الحبّ عملة نادرة كلّما تطاول عليه العمر، لأنّه يصبح من الذكريات الجميلة التي لا يستطيع أن ينساها الإنسان، فالحبّ الحقيقي هو الذي يخلد ويمضي مع التّاريخ ويخترق الجغرافيا ويعيش وحيدا على هامش هذه الحياة.

كانت سلوى تخشى أن ينسى غرامها وهو في باريس ويفتن بغواني باريس، كانت دائما في رسائلها إليه تذكّره بقصة غرامهما، تقول سلوى ناصحة له ومحدّرة إيّاه في نفس الوقت من أن ينسى غرامها ما يلي: "آه! كم أرثي لحالك وأنا أراك تقسر كيائك على هذا التّوجيه، فتتعلم وتتبدّد وتأتي من الحركات والخطرات ما يثير الشّماتة عند الأولين والعطف السّاخر عند الآخرين. لهذا كنت أتوجّس خشية من فتنة سافرة، كافرة، تأخذ بلبّك وفؤادك، تنسى فيها السّحر المتدفّق من وجوه غانيات بلادك." <sup>416</sup>، كانت شديدة الغيرة عليه لا تريده

<sup>414</sup> نفسه، ص: 11.

<sup>415</sup> نفسه، ص: 11-12.

<sup>416</sup> نفسه، ص: 11-12.

إلا لنفسها، هي حريصة على حبه وعلى هواه لا تريد أن تخسره، لم يكن وفيها لها بل كانت له مغامرات عاطفية في باريس وفي سويسرة وفي بيروجيا وفي ميونخ.

صرّح في روايته (الحر والنور) بأنه ملحد ويعتبر الديانات الإبراهيمية مجرد صناعة بشرية، ربّما كان يعتقد بوجود خالق أو مصمّم ذكي وكان يعتبر الملحد هو أكبر الموحدّين، يقول بدوي معلنا إلهاده ما يلي: "أنا موحدّ، وفي توحيدي حيوية الوثنية. بل أنا وثني، وفي وثنيتي صفاء التوحيد: توحيدي حرّية الخالق بإزاء المخلوق، أمّا غيري فتوحيده عبودية المخلوق للخالق، والخالق والمخلوق سواء! وثنيتي تقدّس اللّمس، وتفزع من طغيان البصر، وثنيتي تمجّد الجسد، وتهزأ بدعوى الرّوح، أجل! في كياني عصارة حياة لن أبتاع بها كوثر الأوهام؟"<sup>417</sup>، كان يعتبر الرّوح مجرد خرافة غرستها الأديان في أذهان النّاس، لذلك كان لا بدّ عليه أن يلحد لأنّه فيلسوف وجودي له نزعة مادية في نظرتة إلى الأشياء من حوله.

بدوي بحكم أنّه ملحد، كان مولعا ولعا صوفيا بالطبيعة وخاصة الطّبيعة اللّبنانية وقد لاحظت ذلك حبيته سلوى، تقول سلوى في إحدى رسائلها إليه ما يلي: "وأخاف عليك من روعة الطّبيعة في إقليم تبدّت فيه بكلّ صولتها وفتنتها، فأثارت عناصرها الأولى كيما تبهر الناظر بكلّ ما لديها من وثبات القوّة ونزوات الإدارة، أجل، لقد كنت دائما تحدّثني عن إعجابك بلبنان من بين بلاد الشّرق لأنّه أقرب بلاده إلى تلك الطّبيعة العرمة المهتاجة، وأنت الثّائر على السّكون، النّازع إلى الحركة والانفعال، الهائم بالتّجديد والزّوال."<sup>418</sup>، لقد عشق الطّبيعة عشقا صوفيا جاوز كلّ الحدود، صار ملتحما بكلّ ذرّات هذا الوجود، كان يرى الطّبيعة هي معبوده الذي صار يراه في كلّ الأشياء من حوله، كان يؤمن بإله

<sup>417</sup> نفسه، ص: 12.

<sup>418</sup> نفسه، ص: 12.

اسبينوزا Spinoza (1632م-1677م) وبإله انشتاين Einstein (1879م-1955م)، كان يعتقد بوحدة الوجود الخالية من دور الله وهي تناقض فكرة وحدة الوجود عند المتصوفة المسلمين (ابن عربي والحلاج أنموذجا)، فالله عنده يساوي الطبيعة، فوجوديته ذات نزعة ماركسية لا تؤمن بوجود الله.

كان متمردا في فكره، ولا يهادن أحدا، يسعى إلى التفوق والتّميّز، عرف بالصّرامة العلمية وبالصّراحة الفكرية يقول رأيه ولا يخشى ردّة فعل المتلقّي، ولقد لاحظت صديقه سلوى ذلك، وحاولت أن تنصحه في إحدى رسائلها إليه عندما قالت ما يلي: "أما ما أخافه منك، فتورة في النّفس تطيح بالوجدان، وتتعلّق بالخطر متجافية عن شاطئ الأمان، وتبلبل في خاطر يززع كلّ كيان، نعم، أنت ممّن يجنحون دائما إلى التّمرد والعصيان، ويظنّون أنّ أعدى أعدائهم الاطمئنان ولا يستسيغون الوجود إلاّ متناقض الأحوال والألوان".<sup>419</sup> كان متمردا إلى أقصى الحدود يرفض الفكر القديم والتقاليد البالية ويرحب بكلّ فكر جديد يساهم في إدخال الحداثة إلى المجتمعات العربية الإسلامية وتنويرها وإحاطها بركب الدّول المتطوّرة في جميع مجالات الحياة.

ترى سلوى في رواية (الخور والنور) بأنّ عالم باريس هو عالم مجهول من يدخله يشعر بالغرابة وبالاعتراب، تقول سلوى ناصحة بدوي ما يلي: "ثمّ أخاف منك نفورا متأبيا قد ينادى بك عن جانب الأفعال والأعمال، والانغمار في الواقع الجاري السيّال، وما ألفه النّاس في سلوكهم الرّتيب من أحوال. وحالة (النّفور المتأبّي) هذه من الظواهر الكثيرة الوقوع نتيجة للرحلات خصوصا لدى النّفوس المرفهة الشّديدة الانفعال، وتكاد تكون ضرورية الوقوع عند أمثالك من المتوحّدين المتبلبلين المتناقضين الذين يلذّ لهم دائما أن يحيلوا داخل نفوسهم إلى

<sup>419</sup> نفسه، ص: 13.

جحيم يجدون فيه ما تلذّ أعينهم وتشتهيه نفوسهم من نار انفعال يصلونها حامية، وحميم غساق يصبّ فوق وجدانهم المشبوب، وزقوم من التجارب الحيّة العنيفة التي تغلي كالمهل في حساسيتهم اللطيفة الوهاجة.<sup>420</sup> " فباريس هي مدينة الأحلام الضائعة والفرص النادرة لمن يعرف اغتنامها، وتشاء الصدّف أن يقضي بدوي بقية حياته في باريس ويموت فيها، لقد رحل رحيله الوجودي تاركاً مصر أرض الكنانة أمانة للأجيال القادمة.

لقد روى لسلى بعض أحداث مغامراته العاطفية لكي يثير غيرتها ولكّنها لم تحرك ساكناً، إنّها فتاة مثقّفة ومتسامحة ومتفتّحة على الآخر المختلف، تقول لسلى في هذا الصدّد ما يلي: " لقد طالما حدّثني عن أحواله المتناقضة وكيف تعروه النّزوات تلو النّزوات والغمرات بعد الغمرات، وهو في كلّ منها آية في الإخلاص ووفرة الشّعور وفيض الوجدان، أهو إذن ممثّل يلبس لكلّ حالة لبوسها فيخدع النّاس عن حقيقة مشاعره ومتوجّه بصائره، ويرى أنّ كلّ هذا ليس بضائره؟".<sup>421</sup>، كان يعتبر الحبّ مجردّ لعبة يتسلّى بها في أوقات فراغه لعلّه ينسى الفلسفة الوجودية وما تسبّب من متاعب فكرية تجعل العقل يبحث عن منفذ يتنفّس فيه أريج وعبق الحرّيّة الفكرية المتسامية.

كانت لسلى في إحدى رسائلها له تتوعّده بالانتقام إن هو خانها وأثر عليها فتاة أخرى، فهي تحبّه حبّاً جمّاً وتريده لنفسها، تقول لسلى في إحدى رسائلها إليه متوعّدة إياه إن هو خان حبّهما ما يلي: " عزيزي، إنّ كلّ ما أبديته نحوي حالا من تلك الأحوال، فاعلم إذن أنّك قد أتقنت المحاكاة وأجدت التّمثيل، وهنيئاً لك هذه البراعة والمهارة، لكنّك ستعلم كذلك كيف تعرف الانتقام لنفسها من لا تزال برغم هذا على موفور إخلاصها وحبّها".<sup>422</sup>، فالمرأة

<sup>420</sup> نفسه، ص: 13.

<sup>421</sup> نفسه، ص: 14.

<sup>422</sup> نفسه، ص: 14.

عندما تحبّ تحبّ بصدق وعندما تكره تكره بصدق، فهي لا تريد من الرّجل إلاّ الوفاء والإخلاص والتّضحية والفداء، ولكنّ الرّجل دائما يقابلها بالخيانة وبالمكر وبالخدعة، لذلك هي تقرّر الانتقام منه مهما كلفها الثّمّن دفاعا عن كرامتها المهذورة لعلّها تنتشي عندما تنتصر عليه في هذه الحياة.

يعاتب في روايته (الخور والنّور) حبيبته سلوى عتابا جميلا محذّرا إيّاها من أن تنسى هواه خاصّة عندما ذهبت إلى باريس، يقول بدوي مخاطبا سلوى ما يلي: "ماذا؟ أطاف بك مسّ من الحماسة المألوفة في بنات جنسك، أم هو ما عهدته فيك من افتتان في الدّلال؟ أنت ساذجة القلب، سخيّة الشّعور، فياضة العواطف، لكنّك سريعة الأحكام، لا أكاد أبعد عن تمّلق عواطفك لحظة حتّى تظنّي بي الظنّون، فتفسري أقلّ كلمة أو إشارة تفسيرات ما أنزل الحقّ بها من سلطان. لقد كنت أتوقّع منك تشجيعا حازّا على هذا التّرحل في البلاد الغربية النّائية، أليس النّكول عنه هو ما كنّا نأخذُه معا على أبناء بلادنا في هذه الأيام؟ فهل نسيت هذا كلّهُ؟ لكنّي لن أوأخذك بما نسيت، فما أنساك إيّاها إلاّ شيطان الغرام".<sup>423</sup> لأنّ الحبّ يفعل الأعاجيب في المحبّين ويجعلهم يخوضون مغامرة الحبّ بكلّ أريحية، لقد نطق الحبّ بكلّ صدق على لسانهم وكان شاهدا على غرامهم الأسطوري العجيب، هذا الحبّ هو حبّ وجودي وصادق بامتياز عجيب.

لقد قدّم في روايته (الخور والنّور) رسالة اعتذار إلى حبيبته سلوى لأنّه لم يأخذها معه إلى باريس خوفا عليها وعلى نفسه من الشّائعات التي تطاردهما في كلّ مكان يذهبا إليه، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى التي طبعها بطابع الاعتذار ما يلي: "نعم، قد تقولين إنّ ما أحزنك وأثارك ليس هو مجرّد التّنقل، وإنّما التّنقل وحدي-دونك أيتها الطّفلة الرّقيقة- لكن، أكان في وسعي أن أفعل غير هذا؟ أنت تعرفين حال بلادنا الأسيّفة، وماذا عسى أن تقولهُ ألسن السّوء-أعني كلّ الألسن في هذه البلاد-عن مثل هذه الرّحلة المشتركة وليس بيننا

<sup>423</sup> نفسه، ص: 15.

من الصلّة الاجتماعية ما يسمح عندهم بمثلها." <sup>424</sup>، فالشائعات كانت تطاردهما في كلّ مكان وألسن الوشاة طويلة جدًّا، لذلك طلب من سلوى أن تسامحه وتقبل اعتذاره بكلّ رحابة صدر، يقول بدوي لسلوى طالبا منها الصّفح والغفران ما يلي: "فاغفري لي إذن سفرتي مع نفسي وحدها، فهذا قضاء آثم قضت به علينا عصابة المتزمتين المنافقين في بلادنا المزيفة. إنهم لا يفهمون كيف أنّ سفرة معا كهذه ستزداد فوائدها أضعافا مضاعفة، فيجني منها كلا الطرفين الخير العميم لنفسه ولبلاده. ماذا أقول! بل هم يفهمونه بعقولهم وقلوبهم وتآباه أفواههم وتصف ألسنتهم الكذب الصّراح." <sup>425</sup>، لقد تمّ القضاء على هذا الحبّ الذي جمع بين قلوبهما من طرف الوشاة الذين حاربوا هذا الحبّ بكلّ وسائلهم المشروعة وغير المشروعة وصاروا يكيلون لهما المكائد بكلّ مكر وخبث ودهاء وهذا حتّى يشوّهوا هذا الحبّ الساذج والنّاعم والمثالي والأسطوري.

حاول في روايته (الحرور والنور) أن يتحدّى التقاليد البالية عندما صرّح بحبه لها وأعلن عن ذلك أمام النّاس، وحثّها على الجهر بحبّها لأنّ حبّها لن يموت، لقد ولد حبّها من رحم المعاناة وأشرق بنور الفلسفة الوجودية، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى ما يلي: "ولست أدري إلى متى نجفل نحن أمام هذه الأوهام التي فرضها علينا (النّاس) ولا نبددها وندعهم في حياتهم الميته هذه يتخبّطون، دعيني أقول لك إنّ علينا يقع الإثم في هذا كلّه- نحن أبناء هذا الجيل-فإننا من الجبانة بحيث لم نتحدّهم، وندعهم يقولون ما يشاءون، أي والله نحن جبنا... " <sup>426</sup>، لأننا لا نستطيع أن نواجه هذا المجتمع الذي يقف في طريق سعادة المحبّين ويحاربهم بكلّ وسيلة متاحة لديه، علينا أن نتحدّى أعراف هذا المجتمع

<sup>424</sup> نفسه، ص: 15.

<sup>425</sup> نفسه، ص: 16.

<sup>426</sup> نفسه، ص: 16.

ونكسر كل القيود التي فرضها علينا بقوة الحديد والنار، علينا أن ننشر الحرية الفكرية في أوساط هذا المجتمع المنغلق على نفسه بكل أريحية.

حاول في روايته (الحرور والنور) أن يقرأ شخصية سلوى قراءة وجودية حيث اعتبرها شديدة الغضب وشديدة الرضا في نفس الوقت، فسلى كانت تحبه حباً شديداً لذلك كانت تغار عليه غير شديدة لتثبت له حبها الأسطوري له، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى ما يلي: "أوه! لماذا استطردت كل هذا الاستطراد؟ الإقناعك وإرضائك، وما إرضائك بالشيء العسير الذي يحتاج إلى هذا الحجاج المعقد؟ كلا، بل لنذكر الغافلين ولنذكر أنفسنا أيضاً، وإن أقل ابتسامة لتكفي لتملق رضاك".<sup>427</sup>، كانت سلوى طيبة القلب إلى أقصى درجة ودائماً تعفو عن زلات حبيبها وتتجاوز عن حماقاته، كان حبها فريداً من نوعه، إنه حب وجودي يمتح من معين الصفاء الروحي والسلام الداخلي والتصوّف الفلسفي.

وصف في روايته (الحرور والنور) مدينة باريس بأنها مدينة ساحرة فيها الحضارة الراقية والفكر المتثور والأدب الرفيع، فباريس هي مدينة المجتمع المخملي الذي يحترم المرأة ويقدّس الفكر الحرّ، يقول بدوي وهو يحدث سلوى عن عجائب مدينة باريس ما يلي: "لكن، أين أنا الآن من باريس والشانزلييه بكستائه السامة وغاداته المتبرجة ونغماته الصاخبة، وما في نظرات فتياته من معان ستعلمين نبأها بعد حين!"<sup>428</sup>، فباريس هي مدينة الجمال الأسطوري والفن الكلاسيكي تشد إليها الرجال من أجل معانقة أسارير وجه الفن الضحوك، كانت وما تزال موطن الفن النبيل الذي أسس لحضارة الإنسان الجديد في هذا العالم الجديد.

<sup>427</sup> نفسه، ص: 17.

<sup>428</sup> نفسه، ص: 17.

في إحدى رسائله وهو في باريس ذكر لها بأنه يحنّ إلى باريس العتيقة ويحنّ إلى دروبها العتيقة وإلى كنائسها القديمة التي تحمل في جعبتها الفنّ الخالد، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى مصوّراً لها ملاح مدينة باريس العتيقة ما يلي: "عزيزتي سلوى! سأدع الآن باريس العصرية بألوانها الصّاخبة وروحها الهجين المدمّرة، كيما أفرغ قليلاً لباريس العتيقة، تلك التي طالما حلمنا بها قبل أن نراها، ظننا أنّنا ملاقوها، وكنا واهمين: فقد لفظت أنفاسها الأخيرة أو كادت."<sup>429</sup>، لأنّها فقدت بريقها الحضاري وعبقها التاريخي وصارت مدينة بلا روح وصارت مدينة تكاد تختنق بمن فيها، صار الرّوتين يطبع حياتها الاجتماعية وسيطر الفنّ الساذج على عمرانها في هذا العصر.

لقد رسم في روايته (الحرور والنّور) صورة مشرقة لكنيسة نوتردام بباريس واعتبرها نموذج الفنّ الخالد الذي يتحدّى الحضارات المتعاقبة عبر التّاريخ، لقد صارت هذه الكنيسة نموذج الحياة الرّوحية في الدّيانة المسيحية، يقول بدوي رسماً صورة مخملية لهذه الكنيسة العريقة ما يلي: "وكنيسة نوتردام تتواهب أبراجها وسهما نهايين فيوض النّور في سورة من الوجد المشبوب بجذوة العشق الإلهي، يحرسها الفارس الكبير شارلمان من فوق جواده الأصيل في غيره تجمع بين التّقوى والجبروت."<sup>430</sup>، لقد جسّدت هذه الكنيسة روح الفروسية التي كانت سائدة في القرون الوسطى، وجسّدت روائع الفنّ القوطي الذي رسم صورة برّاقة ذات بهجة للمعمار الكنسي في ذلك العصر، عصر النّهضة الأوروبية الذي شهد تطوّراً مذهلاً في جميع المجالات برمتها.

اعتبر تمثال القديس ميخائيل في ميدان سان ميشيل في باريس تحفة فنّية خالدة لأنّه يجمع بين القداسة الدّينية وبين القداسة العلمية، يقول بدوي في روايته (الحرور والنّور) ما يلي: "وهأنذا قابلة تمثال القديس ميخائيل في ميدان سان ميشيل: التّمثال قد أسند إلى جدار،

<sup>429</sup> نفسه، ص: 18.

<sup>430</sup> نفسه، ص: 19.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

ومن تحته نافورة تتواشب أمواها حتى تجذب إليها ذلك الجنّ الذي جندله القديس ميخائيل، ومن حوله أربعة أعمدة تحمل الفضائل الأربع الرئيسية، وكلّ هذا يؤذن، وأنت داخل هذا الحي، بما سيستقبلك فيه من قداسة: دينية وعلمية.<sup>431</sup> ، إنّه فضاء رحب يجعل النفوس تتوق إلى تذوق الفنّ القحّ الخالص، أضحت هذه التّحفة النّادرة مزارا للسياح الذين قصدوها من كلّ حدب وصوب من أجل التّمتع بجمال وأسرار الفنّ الأسطوري الخالد.

لقد راقته كنيسة سان سفران بباريس وجعلته يهيم وجدا بها واعتبرها تحفة فنّية نادرة وخالدة وأعجب بشخصية راهبها الذي كان زاهدا في الدّنيا وله كرامات عجيبة، يقول بدوي في روايته (الحرور والنور) ما يلي: "ثمّ بلغت كنيسة سان سفران الغارقة في مسوح القداسة الرّهيبية وهي تعود إلى القرن السّادس عشر حين نشأت هيكلًا صغيرًا أنشأه راهب متوحّد يدعى سفران، ظهرت كراماته في إبراء أبرص فاستطارت شهرته إلى كلوفيس فدعاه إلى بلاطه، وأجزل له العطاء لأنّه شفاه من هبوط قواه، بيد أنّ الرّاهب انصرف عن المال والدّنيا وقع بخلوته هذه على الضّفة اليسرى من السيّن.<sup>432</sup> ، وعاش في عزلة صوفية وجودية حتى أتاه اليقين وآثر الرّهبة والتّوحد على مخالطة النّاس، ووجد في ذلك راحته وسكينته الأبديّة، هكذا هي حياة القديسين حياة يجلّها التّصوّف وتكلّلها الرّوحانية.

لقد انبهر بسحر الأغاني الفرنسية القديمة التي كانت سائدة في باريس، وكان يهوى الاستماع إليها لأنّها كانت تأخذه إلى عوالم بعيدة تجعله يشعر بالسّعادة المخملية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ولنخط بضع خطوات إلى أمام قبيل كنيسة سان جوليان الفقير، فقبيلها فناء عن يمينه بيوت هرمة، أريد أن أفتادك اللّيلة معي إلى كهف فيها يدعى كهف الأوبلييت Caveau des oubliettes حيث نستمع إلى الأغاني الفرنسية

<sup>431</sup> نفسه، ص: 19.

<sup>432</sup> نفسه، ص: 20.

القديمة".<sup>433</sup>، إنها موسيقى وجودية حاملة تجعل المرء يحلّق عالياً في أجواء التّصوّف الإنساني الذي جاء لكي يحقّق وجودية هذا الإنسان الذي وجد صدفة على ظهر هذه البسيطة، لقد كان يرتاد الحانات ذات الطّابع الشّرقي في باريس لأتّه وجد فيها الأمسيات الدّمشقية واللّيالي القاهرية التي تجعل العربي يشعر بأصالته العربية وهو في ديار الغربية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "أظلم الحيّ وسكنت كلّ نأمة فيه، وكسته الظّلمة مسوحاً كمسوح الرّهبان. والحانات المترامية في الشّوارع المحيطة لا يكاد ينبعث منها إلّا شعاع ضئيل، كأننا في حيّ من تلك الأحياء القديمة في مدننا الشّرقيّة، وبخاصّة في القاهرة ودمشق، لولا أنّ الرّطانة الأجنبيّة المتصاعدة من بعض المارين العابرين تتبّهك إلى مكانك، فتنتزّعك من الأحلام الرّطبة التي كانت بسبيل الانحدار إلى أغوارها".<sup>434</sup>، لقد وجد في هذه الحانات الباريسية الطّابع الشّرقي الذي يؤهلّها لأن تكون فضاء رحباً للمثقّفين العرب الذين يرتادونها من أجل مناقشة أهمّ القضايا الفكرية التي تشغل ساحة الرّأي العام، لقد أضحت هذه الحانات بمثابة مقاهي أدبية ونوادي فلسفية وصالونات فكرية تروّج للتّوير وللحدّاث وللّفكر الحرّ.

لقد أعجب بجمال تلك المغنية التي كانت تغني الأغاني الفرنسيّة القديمة في كهف الأوبلييت في باريس، كانت فتاة ذات جمال عجري، يقول بدوي في روايته (الخور والنور) واصفاً جمال هذه الفتاة ما يلي: "فتاة في ثياب ريفيّة عتيقة، أرخت ذبولها الحمراء المخطّطة، ونهد صدرها الرّائع تحت دراعتها ذات الواجهة من القطيفة السّوداء، وقد صفّفت شعرها الذهبى على شكل هرمي في تناسب مع وجهها المستطيل، وفي عيونها الخضر نظرات تجمع بين الاستعلاء والإغراء، فتقدم ثمّ تحجم، وتحجم ولكنّها ما تلبث أن تقدم، وعلى شفة الرّائدين كلمة يودّ كلّ أن يقولها لها لولا نظرة باشق لا تعتم أن تردّ الكلم الآثم إلى

<sup>433</sup> نفسه، ص: 22.

<sup>434</sup> نفسه، ص: 22.

فمّ صاحبه، فلا يستطيع النطق به.<sup>435</sup>، إنها فتاة جميلة ذات موهبة أخّاذة جاءت من أدغال الحضارة الباريسية القديمة لكي تؤسس للفنّ العريق وللموهبة الجادّة، وكان لها صوت عذب رخم يشنّف الأسماع بعذب الألحان الشّجية، لقد راقه صوتها وكال لها كلّ أنواع المديح والإشادة وكان صادقا في ذلك، يقول بدوي واصفا صوت تلك القينة العجيبة ما يلي: "ولكن لسان حال الحاضرين طوال غنائها وتردّدها بين صفوفنا سعيًا وراء تقديم المشروبات وتقاضي الأثمان يقول: حنانيك، أيّها البلبل الورد معا ! أو لعلّ فمها هو البلبل وخدودها الأسيلة المستسلمة للنظرات الجامحة هي الورد، والعشق بينهما متبادل مشبوب، فيا شعراء إيران الذين طالما تغنيتم بعشق البلبل للورد، تعالوا هنا فتغنوا بالبلبل الورد!"<sup>436</sup>، كانت هذه المغنية صاحبة صوت ملائكي يجعل النفوس التّواقّة إلى الألحان الشّجية تحلّق بعيدا في أجواء الأحلام الوردية، كان صوتها العذب يهيج الرّوح، لقد عشق بدوي جسدها النّاعم وتمنّى لو رآها عارية وهي ترقص على إيقاع الأغاني الفرنسية القديمة التي كان يردها صدى كهف الأوبلييت الرّابض على تخوم مدينة باريس العريقة، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "فمن ذا الذي يبصر هذه الفتاة الرّائعة الجمال ولا يصرخ من أعماق نفسه وبكلّ قلبه راجيا-ولو في الخيال-أن يرى هذا الجمال صافيا (عاريا) في هذا الكهف الرّهب تحت الأضواء الشّيطانية التي تغمره فتدفع خلالها الأشباح والأرواح، وتتطلق في أجواز جوّ الكهف جيّات حوريات ترفرف بأجنحتها التّورانية على نفوسنا الغرثى !"<sup>437</sup>، لقد انبهر بجمال هذه المغنية التي كانت تجيد فنّ الغناء وتجيد فنّ الإغراء بكلّ أنواعه، كانت فتاة فريدة من نوعها جمعت بين جمال الصّورة وبين جمال الصّوت وصارت تحفة سنية نادرة الوجود على الإطلاق.

<sup>435</sup> نفسه، ص: 22-23.

<sup>436</sup> نفسه، ص: 22-23.

<sup>437</sup> نفسه، ص: 23.

لقد جمع الشيخ العارف بالله السهروردي (1154م-1191م) بين قلبيهما وجعلهما يقبلان على معرفة الله وبلوغ مقام الإحسان لأنّ من عرف نفسه عرف ربّه، يقول بدوي في هذا الصّد شارحا مقولة السهروردي ما يلي: (ارفع ذكر النور، وانصر أهل النور، وأرشد النور إلى النور!) أ ي سلواي! أتذكرين هذه (الآية) الرائعة التي كان السهروردي يتلوها مسبّحا في (هياكل النور)؟ ما من مرّة قرأناها معا إلاّ تحدرت على خدودك المشبوبة عبرات التآثر اللّهيّف، لأنّك، وأنت ابنة الظلمة، تتحرّقين شوقا إلى النور في تبثّل الآثم الصّارخ من أعماق هاوية اللّيل، لهذا كنت اليوم أترجى صحبتك حتّى تتعمي بهذا النّصر النبيل وتسبحي في فيضه الآتي وهو يحمل موكبا من الأسرار.<sup>438</sup>، الذي يجعل النّفس تقبل على معرفة الله وتعبده حقّ العبادة حتّى تصل إلى مقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنّك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك، هذا هو النّصوف الحقيقي والعرفان الحقيقي الذي تتوق إليه النّفوس المؤمنة والمتعطّشة للنهل من معين المعرفة الإلهية التي أصلها ثابت في فؤاد الإنسان.

تعتبر كاتدرائية كيلن (كولونيا) بألمانيا تحفة فنيّة نادرة لأنّها تمثّل الفنّ القوطي العتيق ونجت بأعجوبة من همجية النّازيين أثناء الحرب العالمية الثّانية، يقول بدوي في رواية (الحرور والنور) ما يلي: "وكم كنت أستشعر طوال سني الحرب وجلا على هذه التّحفة الفدّة الباقية من الفنّ القوطي العتيق، بعد أن كاد برابرة هذا العصر أن يصيبوا التّحفة القوطية الأولى، أعني كاتدرائية كيلن Kölen (كولونيا) ذات الأبراج المجلّلة بعرش الله!"<sup>439</sup>، إنّها تحفة فنيّة نادرة تجسّد الفنّ القوطي الذي كان سائدا في القرون الوسطى، لقد تحوّلت هذه الكاتدرائية مع مرور الزّمن إلى متحف الفنّ الخالد الذي يحلّق عاليا في سماء الإبداع الإنساني المترامي الأطراف.

<sup>438</sup> نفسه، ص: 25.

<sup>439</sup> نفسه، ص: 26.

عندما كان في باريس زار كاتدرائية شارتر بباريس وأعجب بمعمارها العجيب الذي كان شاهدا على إبداع الإنسان، يقول بدوي: "أما أنا فقد حججت إليها كيما أستعيد إيماننا بقدرة الإنسان الذي أبداع هذه الأسطورة المعمارية الرائعة التي تنهض شاهدا قويا على جلال الإنسان وآية تحمل على الإيمان به، ودليلا يهدي إلى معناه." <sup>440</sup>، كانت هذه الكاتدرائية تحمل اسم القديسة شارتر التي لها كرامات عجيبة في الشفاء، وهي تجسد الفن القوطي الأصل الذي له جذور تاريخية ضاربة في أطنا الحضارة الأوروبية القروسطية التي كانت شاهدة على الإيمان المسيحي الذي جسده الإنسان الأوروبي في ذلك العصر.

لقد حضر قداسا في كاتدرائية شارتر بباريس، وغمرته الفرحة عندما سمع تلك الترانيم الكنيسة العجيبة، يقول بدوي: "التواقيس تصلصل بنيرات عميقة تنشر ألحان التقوى فوق الرابية الخاشعة، مؤذنة في المصلين. وأنا في زحمة الوافدين وحيد يشارك في جوقة تلك النغمات التي تمجد الروح، وأطياف من الأحاسيس المشبوبة تلبي في أعماقي ذلك النداء في صفائه الأولي العاري عن كل أسماء وطقوس: إنه شعاع سارب في السرب المظلم للنفوس الإنسانية لم يخطئ فهمه إلا الذين اقتبسوا منه قبسا، ثم زيّفوا عليه إسما ثم ادعوه لأنفسهم في أثره بغیضة ظلت تؤكد نفسها بالمراسم والطقوس حتى نفرت عقول الأحرار." <sup>441</sup>، إنها ترانيم كنيسة تجعل الأرواح تسمو إلى العوالم العلوية الحاملة التي تجعل النفس تتحد وتنماهي مع المطلق، لقد أعجب بجمال معمار كاتدرائية شارتر بباريس التي جسدت الفن القوطي بكل أطيافه، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "عن يميني أرى بيت الناقوس القديم يصاعد في بساطة مقدسة: أعني تقدست عن كل وشي وزخرف، فتجلّى فيه جلال المعمار الرائع، كل هذا في غير تكثّل، بل في مرونة ورشاقة طائفة تأسر الناظر بنشوة طارئة تنشله في التوّ إلى الآفاق العالية. هنا حقّا مثل رائع لما يمكن أن نسميه (المعمار للمعمار)، ممّا يتجلّى في أروع نماذجه في فننا المصري القديم: ففي أهرامنا النموذج الأعلى المحقق لهذا

<sup>440</sup> نفسه، ص: 28.

<sup>441</sup> نفسه، ص: 28.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

النوع الصّافي من المعمار العالي...<sup>442</sup>، الذي يجسّد الفن الراقي والإبداع البهّي بكلّ أشكاله وبكلّ طقوسه، لقد اختصر هذا المعمار تاريخ الفنّ القوطي الذي واكب كلّ الحضارات التي مرّت على أوروبا منذ بزوغ فجر النّهضة إلى يوم النّاس هذا.

كان ملحدًا لا يؤمن بالديانة المسيحية بل لا يؤمن بالأديان الإبراهيمية

الثلاثة (اليهودية، المسيحية، الإسلام) ويعتبرها مجرد صناعة بشرية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وهأنذا قبالة واجهة هذه الكاتدرائية الفدّة في الميدان المستطيل الرّاعع أمامها، فوقفت أتأمّل برجّي النّاقوس وهما ينطلقان بسهميهما الحادّين في آفاق السّماء: ألا إنّهما ليستمدان الوحي من علّيين ويعبّران عنه للناس في تلك التّبرّات الهادئة الحزينة التي تنطلق بها نواقيسهما، أتراهما ينوحان في (وادي الدّموع)، في دنيانا الأسيّفة هذه، ويعلنان صراخ بني الإنسان إلى الرّفيق الأعلى؟ لكن لات من سميع مجيب." <sup>443</sup>، هنا ينكر وجود الله إطلاقًا ويعلن صراحة عن إلحاده، لأنّ الفلسفة الوجودية هي فلسفة تدعو إلى الإلحاد وتدعو إلى الإنسانيّة وإلى تأليه الإنسان، ومن هنا يتضح لنا بأنّ وجوديته ذات نزعة إلحادية لأنّها تمجّد الإنسان وتعلي من قيمته الوجودية وتدافع عن حرّيته وتخلّصه من قلقه الوجودي.

لقد كتب في روايته (الحر والنور) رسائل غرامية إلى حبيبته سلوى يطلب منها أن تبقى وفية لعهد هواهما، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى ما يلي: "أي سلواي العزيزة! وإن كنت عندي نموذجًا حيًا إنسانيًا لهذه التّحفة المعمارية نفسها: فأنت أينما حللت تسبحين في فيوض من النّور، وإن كانت نفسك كما قلت من فرط شفافها تستهويها العتمة، وأنت عيد من الألوان بتيابك الزّاهية وخدودك القانية المشبوبة كأنّها وهج الشّمس الغاربة فوق الأفق، وبعيونك الخضر الصّافية التي يستشفّ منها المرء أعماق القداسة الأولى ممزوجة بالبراءة الأنوس، وأنت الرّشاقة والتّصاعد والحنان مجتمعة حتّى ليسبق إلى وهم النّاظر العابر أنّك

<sup>442</sup> نفسه، ص: 29.

<sup>443</sup> نفسه، ص: 28.

سلسلة القيادة هيّنة المأخذ، مع أنّك صلبة القناة، فيك شماس وفيك عناد. أجل! إنّ كاتدرائية شارتر Chartres عيد النور والألوان في دنيا المعمار، وأنت يا سلواي عيد النور والألوان في دنيا العاشقين.<sup>444</sup> كانت سلوى هي فتاة أحلامه جعلته يقبل على حبّ الحياة ولذتها وجعلته يشعر بحقيقته الوجودية شعورا تامًا.

لقد أعجب بمقابر باريس إعجابا وجوديا جعله يفنى فناء صوفيا فيها لأنّها تحمل في جعبتها عقب التاريخ وأريج الحضارة، يقول بدوي في روايته (الحدور والنور) ما يلي: "لم يكن ثمت عاصم من أمر الجسد الذبيح إلا أن أعطف على المقابر، وما أروع المقابر في باريس! قد يكون في غيرها ما هو أرفع منها فنّا وأكبر عراقة وأصاله، كمقابر (جنوة) وأضرابها، لكن لا شيء منها يعدل مقابر باريس غنيّ بالذكريات والأشخاص الأعزّاء لدى كلّ القلوب، فهنا بساطة المقبرة وجلالة المقبور، وهنا أطياف الماضي القريب تتواهب أمام المخيلة عرمة بالحياة عامرة بالأنفاس الحارّة، القبر متواضع، لكنّه بني بحجارة من إعجاب، والأزهار قليلة، لكنّها تندى بدموع المحزونين وتسقى من قلوب العاشقين، والطّرات لزجة خشنة، بيد أنّها مرصوفة بأنبل الذكريات.<sup>445</sup> هذه المقابر الباريسية فيها كيمياء عجيبة تجذب الزوّار وتحثّهم على التأمّل في هذه الأجداث الرّخامية التي تؤرّخ لحياة الأبطال والشخصيات التي مرّت على هذا الكوكب الأزرق المليء بالمباهج والمسرات.

لقد تعرّض قبر الفيلسوف رينان للتهميش من طرف الغوغاء الجاحدين الذين يحسدون العظماء على عظمتهم التي خلّدها التاريخ، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى ما يلي: "آه! أين أنتم يا أصدقاء رينان؟ وكيف أغمضتم أجفانكم على هذا النسيان والطغيان؟ لماذا تركتم الظلمة العابسة تخيم على قبر هذا الذي حمل لكم جميعا مشعل

<sup>444</sup> نفسه، ص: 32.

<sup>445</sup> نفسه، ص: 33-34.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

النور، وعلى شفثيه بسمة رائعة سجدت لها أصنام الجاحدين".<sup>446</sup>، إنّه فيلسوف حدّثي دعا إلى التّوير وإلى الفكر الحرّ، لقد ساهم بقلمه في نهضة الفكر وفي بزوغ شمس الحداثة والتّوير في سماء أوروبا في العصر الحديث.

لقد وضع أكاليل الزّهور على قبر رينان وهذا لكي يعبر عن حبّه وتقديره وامتنانه لهذا الفيلسوف العظيم، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى ما يلي: "لم يكن في وسعي أن أقدم غير أزهارى اللّازوردية، عسى أن يكون فيها لنفسى ما يوهمني أنّها تلك الأكفان، فلتكوني إذن أيتها الأزهار شفيعا، بعض الشّفاة، لدى عزيزنا الأكبر هذا، فلقد سقيتها من عبرات الأسى والإعجاب".<sup>447</sup>، لقد كان فيلسوف رينان أيقونة الفكر في العصر الحديث وساهم في بلورة ركائز الفلسفة الحديثة ودعا إلى تمجيد العقل والدّفاع عن حرّية الفكر، ويعدّ من روّاد حركة التّوير في أوروبا في العصر الحديث.

بعد أن أنهى مراسم زيارة قبر الفيلسوف رينان توجّه مباشرة لكي يزور قبر الأديب الشّهير ألكسندر ديما الإبن Alexandre Dumas fils (1824م-1895م) صاحب رواية (غادة الكاميليا) التي كانت بائعة هوى في الحيّ اللاتيني في باريس، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يحدثها عن ظروف وملابسات زيارته الخاصّة لهذا الأديب اللّوذي الألمعي وهو يرقد في قبره بسلام ما يلي: "لذا لم أتلبّث أمام هذا القبر إلّا قليلا، وتلفتت إلى خلف عن يميني لزيارة الخالدين الآخرين، وأنا مشترك الخواطر أميد من الأسى، فرأيت قبرا يرقد فوق ناوسه تمثال منبسط لإسكندر ديما الابن، فتمهلت قليلا أستعيد ذكرياتي معه، فانبثقت في التّو (غادة الكاميليا) وقصّتها لا تزال تتبض بالدم في عروقي".<sup>448</sup>، إنّها رواية

<sup>446</sup> نفسه، ص: 35.

<sup>447</sup> نفسه، ص: 35-36.

<sup>448</sup> نفسه، ص: 36.

من روائع الأدب العالمي تحكي يوميات بائعة هوى في الحيّ اللاتيني بباريس، ويبدو أنّ كاتب الرواية وقع في غرامها وكان له معها مغامرات عاطفية جمّة تجسّد الحبّ الخارج عن القانون الذي يحمل في طيّاته أبعاد المعاناة الإنسانية.

يعرض علينا في روايته (الحر والنور) رأي ألكسندر ديما الأب Alexandre

Dumas (1802م-1870م) في رواية (غادة الكاميليا) لألكسندر ديما الابن الذي تعاطف كثيرا مع بطلة الرواية (غادة الكاميليا) التي وقع في غرامها كاتب هذه الرواية، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى ما يلي: "ولهذا فإنّ ألكسندر ديما الأب قال لابنه وهو يشاركه وجدانه: (لك الحقّ في العطف عليها، فإنّها فوق مستوى مهنتها بكثير)، يعني مهنة الخليفة ذات الأصل الوضيع".<sup>449</sup>، إنّها رواية تجسّد معاناة المرأة التي تعيش على هامش الحياة وتضطرّ لكي تبيع جسدها مقابل لقمة العيش، لقد تعاطف معها الكاتب ألكسندر ديما الابن تعاطفا كبيرا واعتبرها ضحية من ضحايا هذا المجتمع الظالم الذي يهين المرأة ويصيب كرامتها في مقتل.

لقد زار قبر غادة الكاميليا عندما كان في باريس لعلّه يتذكّر صورة حبيبته سلوى، وقف عند قبر غادة الكاميليا مستحضرا شخصيتها الأسطورية بين دقائق هذه الرواية، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يتحدّث عن قبر غادة الكاميليا ما يلي: "وقد دلفت إلى قبرها مليئا بهذه الذكريات، فوجدته قبراً ناصعا من المرمر الشفاف، ومن فوقه أواني زهر يناع وتاج من الزهر الرخامي، وكلّ ما فيه يشعر بأنّه لا يزال حيّا تسهر عليه عيون المعجبين، والعجب أنّه لم يكن بين هذه الأزهار زهرة الكاميليا التي نسب ديما إليها إعجابها وتعلّقها بها، ولعلّ السبب في هذه النّضارة والحياة اللتين شاهدتهما عند هذا القبر أنّه قد

<sup>449</sup> نفسه، ص: 41.

احتفل هذا العام (1947) بمرور مائة عام على وفاتها، فحجَّ إليها المعجبون، وتركوا عندها ذكرياتهم الخاصة التي تشارك في أحوالها، ولا أحسبك، أي سلواي، ستسأليني العلة في إطلتي الحديث عنها، فأنت أدري منِّي بها !!<sup>450</sup>، لأنها تمثل نموذج المرأة المتحررة التي تكافح من أجل ضمان لقمة العيش، لقد تحدت كل أعراف المجتمع وتصدت لكل تقاليده البالية وهذا حتى تحقق حريتها الفردية وطموحها الأزلي.

كانت سلوى كلما أرادت أن تسترجع ذكريات حبهما تذهب مباشرة إلى القصر الوردية في لبنان لكي تزوره وتستحضر ما سلف من ذكريات عابرة، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي ما يلي: "على أنني -وقد برئت من الغيرة كما تعلم- علما أخشى أن تسيء استخدامه، أيها الماكر العايب! - لم أنس، وأنا مارة بهذا القصر الوردية الزاقد على الربوة بين النخيل والصنوبر قبالة (الصخرة)، لم أنس أن أحبيه وأحيي من أمضت عمرها البكر فيه إرضاء لك ونيابة عنك!"<sup>451</sup>، كان هذا الرسم شاهدا على حبهما لأنه طلل الحب الخالد الذي يؤرخ للسعادة الوردية الحاملة.

لقد زارت سلوى ضريح الإمام الأوزاعي الذي يرقد في إحدى قرى مدينة بيروت كنوع من التسامح الديني بحكم أنها مسيحية الديانة وتكن محبة صادقة للمسلمين ولرموزهم الدينية، تقول سلوى: "ثم هرولت مسرعة على الشاطئ المهجور بين الموج الرقيق والصخور القاحلة والرمال المترامية عند أرياض مدينتنا بيروت، مارة بشواطئ استحمامها المندثرة الخاوية-والصيف لما يأت-حتى بلغت قرية صغيرة فيها ضريح الإمام الأوزاعي، وأنا أعلم أنك ستبتسم هنا ابتسامتك الماكرة التي يقول لسان حالها: وما شأنها بإمام من أئمة الإسلام

<sup>450</sup> نفسه، ص: 43.

<sup>451</sup> نفسه، ص: 46.

العظام، وهي اللبانية الأصلية...!"<sup>452</sup>، كانت سلوى مسيحية متسامحة تحترم الدين الإسلامي احتراماً تاماً وتعتبر الدين الإسلامي دين سلام ومحبة وحوار وتسامح مع الآخر، زارت ضريح الإمام الأوزاعي لتعلن من مرقدته هناك احترامها ومحبتها لهذا الرمز الإسلامي الكبير.

كانت سلوى ترى في الإمام الأوزاعي بأنه رمز للتسامح الديني لأنه بمثابة حلقة وصل بين المسلمين وبين المسيحيين خاصة عندما يزورون ضريحه يلتصقون منه البركات، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي وهي تحدّثه عن طقوسها وهي تزور ضريح الإمام الأوزاعي ما يلي: "فكيف لا يكون عليّ فرضاً-أنا وكلّ لبناني ولبنانية على اختلاف المذهب والدين-الحجّ إلى ضريح هذا العلم الشامخ الذي يجب أن نعدّه رمزنا واللواء الذي يجب أن نلتفّ جميعاً حوله؟!"<sup>453</sup>، لأنه رمز يوحدّ شمل المسلمين والمسيحيين المبدّد ويدعو إلى التسامح الديني وإلى الأخوة الدينية، بل كان يدعو في تعاليمه إلى النزعة الإنسانية التي يجب أن تسود كلّ أرجاء المعمورة لينعم الوري بالسلام الداخلي وبالمحبة الإنسانية في كلّ أوان وحين.

كانت سلوى تحترم جميع الأديان الموجودة على ظهر هذه البسيطة وكانت تمجّد دينها المسيحي وتحترم الدين الإسلامي وتحترم طقوسه الخاصة كزيارة الأضرحة على سبيل المثال لا الحصر، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي معربة عن تسامحها الديني ما يلي: "نعم، لقد أعدتني هذه الحمى الروحية التي تسري في كيانك، وتعبّر عنها في الصفحات المشبوبة التي تكتبها إليّ عن الكنائس والمعابد والقديسين الذين حجبت إليّ هياكلهم. نعم، أيقنت الآن تمام اليقين أنّ خير مبدأ أتخذه في حياتي الروحية هي أن: أشارك

<sup>452</sup> نفسه، ص: 46.

<sup>453</sup> نفسه، ص: 47.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

بقلبي في كلّ شعور عبّر عنه صاحبه بإخلاص، أيّا كان مذهبه.<sup>454</sup>، وهذه المشاركة هي بريد التسامح الديني الذي دعا إليه الإمام الأوزاعي في تعاليمه التي بثّها عبر الأثير وتلقّفها الورى وأداعوها بين النّاس إلى يوم النّاس هذا، كان بدوي وهو من خلفية إسلامية يحترم الدّين المسيحي ويقدّره ويبجّله، وكانت سلوى وهي من خلفية مسيحية تحترم الدّين الإسلامي وتقدّره وتبجّله وهذا ما يسمى بالتسامح الديني الذي يجب أن يعمّ كلّ أرجاء المعمورة لكي ينعم الأنام بالسلام والأمان الدّاخلي.

تسرد عليها سلوى في رواية (الخور والنّور) الظروف التي مات فيها الإمام الأوزاعي حيث أنّه مات مختنقا في حمّام بيته، تقول سلوى لبدوي: "بلغت قرية (حنتوس) والسّاعة ساعة الأصيل، والقرية لا تتجاوز الضّريح وبيوتا ضئيلة هزيلة وحمّامات متواضعة لا تزال تذكّرنا بحالها لما أن كان يعيش هذا الإمام الذي ذهب ضحية هذه الحمّامات."<sup>455</sup>، التي قتلتها وكانت شاهدة على نهايته المأساوية، ذهب ولكنّ فضله لم يذهب، كان أيقونة التسامح الدّيني في زمانه الذي لن يتكرّر أبدا.

حاولت سلوى في رواية (الخور والنّور) أن تصف ضريح الإمام الأوزاعي الذي يرقد في ضواحي لبنان، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي وهي تصف له ضريح الإمام الأوزاعي ما يلي: "وواجهه الضّريح إيوان ذو أعمدة، تدخل من باب صغير فتدع غرفة مغلقة عن يمينك وجدارا ممتدا عن يسارك يسكن فيه خادم الضّريح، ثمّ تجد نفسك في صحن مكشوف، وعن يمين الدّاخِل يقوم الضّريح نفسه، وهو مؤلّف من غرفتين: غرفة انتظار خارجية، وغرفة داخلية فيها مقصورته وقبره وقد غطي بكلّة خضراء."<sup>456</sup>، حيث يقصده

<sup>454</sup> نفسه، ص: 48.

<sup>455</sup> نفسه، ص: 48.

<sup>456</sup> نفسه، ص: 49.

الرَّوَّار من كلِّ حدب وصوب من أجل التَّبَرِّك بحكم أنّه وليّ من أولياء الله الصّالحين وعند أعتابه تقضى الحاجات.

لاحظت سلوى بأنّ ضريح الإمام الأوزاعي يعجّ بالطقوس الشّركية الخرافية التي ما أنزل الله بها من سلطان، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي وهي تحدّثه عن تلك الطّقوس الشّركية الخرافية التي يعجّ بها ضريح الإمام الأوزاعي ما يلي: " وفي هذه الغرفة الدّاخلية ألوان من النّذور والكتابات المعلّقة على الجدران. وليس فيها نقش قديم ولا ما يمكن أن يستدلّ منه على تاريخ إنشاء القبر، وقد غصّت الغرفة بالوافدين والوافدات ولكلّ نذره أو نذرها، أمّا النّسوة فنذورهنّ تدور حول الحمل على وجه التّخصيص: فهذه عاقر تلتمس النّسل بشفاعة هذا الإمام، وهذه مئناث ترتجي الذّكر".<sup>457</sup>، لقد سيطر الجهل على هؤلاء الناس وتغلغل في عقولهم الضّحلة، لأنّهم أرادوا طلب النّفع من الأموات الذين لا ينفعون ولا يضرّون ويا لها من حماقة!.

يسرد علينا بدوي في روايته (الحرور والنّور) مغامراته العاطفية مع تلك الفتاة العجربة التي تسكن في ضاحية وادي شفرير في باريس، يقول بدوي واصفا هذه المغامرة ما يلي: " سرنا بين الغابات فأطلنا السّير، وسالت بأعناق أحاديثنا تلك الأباطح الفاتنة، واستروحنا أنسام الطّبيعة والتّاريخ في كلّ موضع حللناه في هذا الوادي، حقّا لقد قضيت وقتا عامرا بألوان شتّى من الإحساس الغربية المتناقضة، ولا عجب فقد كنت مع جنية في واد يزخر بالأطياف الشّيطانية. ولعلّ في هذا ما يشيع الطّمأنينة في نفسك، فلم تكن صلتي بها إلّا ما تكون صلة إنسي بجنية!!"<sup>458</sup>، لقد كانت هذه الفتاة العجربة على قدر كبير من الجمال وسرعان ما وقع في غرامها عندما التقاها في ضاحية وادي شفرير في باريس، هناك استطاع قلبه وقلبها أن ينصهرا في بوتقة الحبّ، كان حبّهما فريدا من نوعه وتناغمت

<sup>457</sup> نفسه، ص: 49.

<sup>458</sup> نفسه، ص: 59.

أرواحهما فيه، كانت هذه الفتاة العجبية مثال الهوى الأسطوري الذي لا يكرّره التاريخ ولا يعيده، لذلك خلد ذكرها في هذه الرواية.

حاولت سلوى في رواية (الحرور والنور) أن تذكره بقصص حبّهما في رحلة في لبنان، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي مذكّرة إيّاه بقصص حبّهما في مدينة رحلة ما يلي: "غال ما شئت في وادي شفرينز، وأنعم ما طاب لك بجنياتك فما أحسبك تقصد إلى المقارنة والمفاضلة بينه وبين أوديتنا الفاتنة، وإلاّ، فهل نسيت وادي العرائش الذي ترقد رحلة بين ساقيه؟ وهل نسيت تلك الجنّة اللّعب ذات العينين الخضراوين وما كان لك فيه معها من مغامرات؟ أنسيت الينبوع الوحشي السّاحر الذي ينطلق من أعلى (صتّين) في صرخة رائعة تتساب بين أمواه نهر البردوني؟"<sup>459</sup>، لقد كان هذا الوادي شاهد عيان على حبّهما الذي ولد من رحم المعاناة وتحدى كلّ الصّعاب وواجه الوشاة ووقف شامخاً أمام القالين، لقد مارسا معاً كلّ طقوس الحبّ المقدّسة تحت أشجار ذلك الوادي المقدّس، تقول سلوى لبدوي وهي تذكره بتلك الطّقوس العجيبة التي جاد بها حبّهما ما يلي: "تعال إليّ، يا حبيبي، لنتقياً ظلال عريشة الكرم في ذلك المقهى المهجور: فهنا الوحدة التي نتمناها، وهنا السّيل فائر نائر، وما عهدتك إلاّ مؤثراً للثورة والفوران. ضمّ صدرك إلى نهديّ، وضع رأسك الواهن على كتفيّ، وتشربّ رحيق الحياة من شفّتيّ! بربّك هل اطلعت على أسرار الوجود في غير نظراتي؟ وهل أحسست بقشعريرة الوجد إلاّ في لمساتي؟ وهل تهدجت أنفاسك إلاّ من نفث زفراتي؟"<sup>460</sup>، لقد كان حبّاً رومنسيا والطّبيعة شاهد عيان على طقوسه العجيبة، كانا يتبدلان القبل والأحضان تحت ظلال ذلك الوادي المقدّس الذي كان موئلاً للعشّاق الذين يريدون أن يمارسوا طقوس الحبّ الممنوع، لقد استسلمت سلوى له استسلام المهزوم في معركة الحبّ وجعلته يسرح ويمرح في جسدها كما يشاء، تقول سلوى لبدوي في إحدى رسائلها إليه وهي تحدّثه عن طقوس حبّهما الممنوع ما يلي: "أنا ملك بين أناملي جمرات يكسوهنّ حرير،

<sup>459</sup> نفسه، ص: 60.

<sup>460</sup> نفسه، ص: 61.

وخذّي على خدّك ورد فاغم العبير، ودموعي من فرط حيائي أنداء العشق الغرير. بيسراك اهتصر غصني الأملود، وبنانك اعبث بشعري الجفّال الممدود، وبأطراف يمانك الشاردة تنقل بين النهود والخدود في غير قيود ولا حدود.<sup>461</sup>، كان ذا نزعة إيروسية يتحدث في روايته عن الجنس بكلّ طلاقة ويقتحم قلاع المسكوت عنه ويجعله يطفو على السطح ليراه القارئ ماثلاً أمام عينيه، لقد مارس الجنس ومقدّماته مع حبيبته سلوى التي صرّحت بذلك في هذه الرواية التي تعتبر من أدب الاعترافات الدّاتية.

وصفت سلوى نفسها له في رواية (الحر والنور) بأنّها جنّيته الرّوحية، لأنّ روحها التحمت مع روحه وصارت روحاً واحدة تسكن في جسدين، تقول سلوى لبدوي واصفة نفسها بأنّها جنّية الرّوح ما يلي: "فأنا جنّية الرّوح، لا جنّية الدّم، وهل توجد حقّاً هذه الأخيرة؟ إن هي إلاّ من إبداع خيال العجائز المربيات وهنّ يرهبن الأطفال أو يهددهنهم! أمّا جنّية الرّوح فهي الجنّية حقّاً. فتعال إذن لجنّيتك الحبيبة، فقلباها تفتّت من طول البعاد!"<sup>462</sup>، لقد اشتاقت سلوى إليه اشتياقاً حارّاً فهي له وامقة وتكاد الصّبابة أن تقطع وتينها، صارت سلوى تهواه هوى لا يضاهيه إلاّ هوى الشعراء والفرسان الغطاريف الذي دوّنته كتب الأدب.

حاول في روايته (الحر والنور) أن يقدّم لنا ملامح صورة نابليون Napoléon ler (1769م-1821م) وملامح صورة الفنّان رودان Rodin (1840م-1917م) كما رسمهما مخياله الخصب، يقول بدوي: "فقصاري أمر الأوّل أنّه طفل كبير أخذ الكرة الأرضية بين يديه ورسم عليها رسوما كرسوم الأطفال، لا تتجاوز خطوطاً عابثة لم تقدّرها الطّبيعة، بينما الآخر كان فنّاناً صنّاعاً صوّر الطّين وفقاً لناموس الحياة وعملاً بتصميم السّرّ الأكبر للخلق. لهذا كان عمل الأوّل مصيره إلى الفناء، هو وأضرابه من منشئي الإمبراطوريات، مهما يطل

<sup>461</sup> نفسه، ص: 61.

<sup>462</sup> نفسه، ص: 62.

أجلها، أمّا عمل رودان وأصحابه من أهل الفنّ فمصييره إلى الخلود، لأنّه قسمة من الحياة، والحياة دائماً في حياة." <sup>463</sup>، فنابليون كان شخصية ساذجة وباهتة إلى حدّ كبير، بل كان نرجسيا وله نزعة التّضخم في الأنا وأراد أن يحنّث العالم في رمشة عين ولكن سرعان ما قلب له التّاريخ ظهر المجنّ وصار أثرا بعد عين، أمّا الفنّان رودان فقد خلّده التّاريخ لأنّه عاش من أجل الفنّ وكرس حياته من أجل الفنّ، لذلك صارت الأجيال إلى يوم النّاس هذا تذكره بخير.

لقد كشف في روايته (الخور والنّور) لسلوى سرّ باريس الغامض المتمثّل في مظهرها السّطحي الزّائف الذي يستدعي النّفور وهنا مكن السرّ، يقول بدوي لسلوى شارحا لها هذا السرّ ما يلي: "وهذا هو سرّ باريس الغامض: بقدر ما تفرّ منها تتجذب إليها، وإنّي لأشهد هذا عن نفسي، أي سلوى! فأنت ترين في رسائلي إليك ما يفيض بالقلق والجزع من تلك المدينة المليئة بالأسرار والتّهاويل الضّارية في أعماق الأسطورة، بالرغم من مظهرها السّطحي الزّائف الذي يبهر وحده جلّ الوافدين إليها. لهذا فأنا أقبل عليها بقدر ما أشعر بالنّفور منها." <sup>464</sup>، إنّها مدينة التّناقضات العجيبة نرى في شقاءها الظّاهر السّعادة الكامنة، فباريس ظاهرها جحيم وباطنها نعيم، هي زهرة عبقة أحاطت بها الأشواك الضّارة التي أدمت الكثير من عشاقها ومريديها على مرّ العصور.

لقد انبهر بروائع الفنّان رودان وأراد من سلوى أن تشاركه هذا الانبهار الذي تحدّث عنه في روايته (الخور والنّور)، يقول بدوي لسلوى ما يلي: "ويشهد الله أنّي ما تمنّيت شيئا في اللّحظة التي كنت فيها قبالة هذه التّمائيل الأخيرة إلّا أن تكوني إلى جوارِي يا سلوى، فنتذوق في جمال هذه الآثار الرّائعة، التي لا يقدرها حقّ قدرها إلّا من كانت نفسه عامرة بالإحساس والعواطف الملتهبة التي تجمع أمثالها بين كلينا! فهل تتحقّق هذه الأمنية الجميلة

<sup>463</sup> نفسه، ص: 63-64.

<sup>464</sup> نفسه، ص: 66.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

الأثيرة لديّ فوق كلّ الأمانى، أمنية أن نلتقي هنا معاً، ونقف طويلاً حالمين أمام هذه الروائع الحيّة التي خلقها ذلك الخالق الآخر، أوجيست رودان Rodin! "465، إنّها تحفة فنيّة لا تقدّر بثمن جسّدت الإبداع الإنساني برمّته الذي صارت الأجيال تراه في كلّ أوان وحين.

لقد زار متحف اللوفر في باريس وانبهر بجمال تمثال (فينوس ميلو) الذي نحتته الفنّان رودان وجعله تحفة فنيّة لا تقدّر بثمن، يقول بدوي لسوى مبيّنا لها أسرار هذا التمثال العجيب ما يلي: " (مثل الجمال مثل الألوهية: بضعة منه هي بمثابة الجمال كلّه) هذه الفكرة الرّائعة التي امتثلها رودان هي التي قادتني صباح يوم عامر بالضباب والأمطار إلى حدائق التويلري، ثمّ إلى متحف اللوفر حيث ذلك التمثال الخالد، (فينوس ميلو)، يحجّ إليه من أقاصي الدّنيا أولئك الذين ينشدون صورة الجمال بالذات، فيأتون هنا يلقون عن قلوبهم أعباء زفرات تنشقّ من أعماق المعنى المغلّف بسرّ الحياة، أو يطهّرون ألوانا من الإحساس والشّهوة رانت عليها أبخرة الجسد في ليالي التّجديف الحيواني بقداسة الجنس." 466، فهذا التمثال الخالد الذي نحتته أنامل الفنّان رودان جسّد الجمال بكلّ أطيافه وجعله يتماهى مع أسرار الوجود، فالفنّان رودان له نزعة صوفية تأملية تحاول مساءلة الوجود من أجل تفكيك شيفراته، إنّه فنّ رمزي سريالي بامتياز.

لقد أحبّ الفنّ والجمال إلى درجة العبادة وصار راهبا متبتلا في محرابه، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى ما يلي: " لكن دعنا من هذا التّماحك، فقد بلغنا حضرة فينوس، وعندها كما عند عرش الله يختفي كلّ نزاع وشقاق، وينعم الكلّ بذلك السجوّ الخالد الذي يطوف بحضرة القدس. وقفت خاشعا، ولولا خوف النّاس-ولا يزال عندي هذا الاحتجاز الذي طالما ألفته فيّ يا سلواي! -لجثوت على ركبتي! ثمّ انقطع لساني لأتّي استحلّمت إلى زفرة كاملة استعجمت نبراتها في نفسي، فانثال القول، فاستعنت على الصّلاة بهذه المناجيات

465 نفسه، ص: 72.

466 نفسه، ص: 73.

الحارّة التي بثّها رودان أمام هذا التّمثال.<sup>467</sup>، فالفنّ له صلاته الخاصّة التي تجعل الإنسان يفنى فناء صوفيا في هذا الإبداع الإنساني الرّهيب الذي يحاول استنطاق الجماد وبثّ الحركة والرّوح فيه، كان الفنّان رودان نسيج وحده وفريد عصره قلّ أن يجود الزّمان بمثله على مرّ التّاريخ.

في رواية (الحر والنور) حاول أن يدخل في مناجاة روحية مع تمثال فينوس ميلو الذي نحته الفنّان رودان وحاول قراءته قراءة صوفية وجودية، يقول بدوي مناجيا تمثال فينوس ميلو ما يلي: "أنت يا من سواك البحر، مستودع القوى كلّها، أنت تأخذين بمجامع نفوسنا وتملكين علينا أمرنا بهذا اللّطف وذلك السّكون اللذين لا يملكهما غير القوّة، وتشعين فينا سجوك، هذا السّجو الذي ينتشر كسحر الأنغام القوية الحادّة."<sup>468</sup>، كان تمثال فينوس ميلو تحفة فنّية نادرة يجعل النّفوس تتوق إلى عالم المثل وتنمهي مع الوجود وتتحد معه، لأنّ للجمال سحره وألقه النّادر الذي يجعل النّفوس لا تشبع منه، هذا التّمثال قدّته أنامل فنّان موهوب له قدرة عجيبة على تصوير الأشياء في قوالب وأشكال جميلة تجعل الرّوح تسمو إلى مقامها الأسمى، يقول بدوي مواصلا مناجاته لهذا التّمثال العجيب ما يلي: "الإلهي فيك هو ذلك الحبّ اللانّهائي، الذي كان يحمله المثل الذي أبدعك، نحو الطّبيعة، كان أشدّ النّاس غيرة، وكان على الأخصّ واسع الصّبر أكثر من لداته، فاستطاع أن يكشف جانبا من النّقاب الثّقيل على أيديهم المتخاذلة العزم."<sup>469</sup>، كان الفنّان رودان على قدر كبير من الموهبة الخلاقة لذلك استطاع أن ينحت هذا التّمثال العجيب ويجعله تحفة فنّية نادرة لا تتكرّر على مرّ الزّمن لأن الفنّ الخالص المنقن أبدا لن يموت، فهذا التّمثال العجيب جعل من المرأة أسطورة خرجت من عالم الواقع إلى عالم الخيال، يقول بدوي مخاطبا التّمثال العجيب كأنّه يخاطب سلوى ما يلي: "أمّا أنت، فأنت تحيين، وأفكارك أفكار امرأة، وليست

<sup>467</sup> نفسه، ص: 74.

<sup>468</sup> نفسه، ص: 74.

<sup>469</sup> نفسه، ص: 75.

أفكار-ليت شعري-أي كائن (أعلى) غريب، خيالي، صناعي. أنت لم تصنعي إلا من الحقيقة ومن الحقيقة وحدها تستمدين كل قوتك-فلا شيء قويًا، ولا شيء جميلًا هو خارج الحقيقة. وحقيقتك في متناول الجميع: إنها (المرأة)، التي يخيل إلى كل إنسان أنه يعرفها، هذه الرفيقة المألوفة لجميع الناس، لكنّ أحدا لم يرها، لا العلماء ولا البسطاء! والأشجار، من ذا الذي ينظر إليها! أواه! ليس للنور نظاره يبصرونه." <sup>470</sup>، لقد حاول أن يقرأ تمثال فينوس ميلو قراءة وجودية تجعله يفكك شيفرات هذا التمثال ويحاول قراءة علاماته قراءة سيميائية ذات دلالة معرفية، لقد جسّد الفنّان رودان في منحوتاته كلّ تعاليم ومبادئ المدرسة الرمزية السريالية التي حاولت أن تجسّد المحسوسات في أيقونات وهذا لكي تقرب الفكرة إلى ذهن المتلقي، حاول أن يكون ناقدًا فنيًا موضوعيًا وهو يقرأ لوحات ومنحوتات الفنّان رودان قراءة فنية صوفية وجودية وهذا حتّى يعثر على السرّ الخالد الذي طوّق كلّ إبداعات هذا الفنّان العبقري الفذّ الذي لا يتكرّر أبدًا.

يرى بأنّ الفنّان هو الذي يفهم سرّ الطبيعة وهو الذي يحاول قراءتها قراءة وجودية صوفية كما فعل رودان عندما نحت تمثال فينوس ميلو، فالفنّ هو محاكاة لناموس الطبيعة الصّامته والنّاطقة، يقول بدوي لسلوى مبيّنًا لها سرّ الطبيعة الذي وعاه الفنّان ما يلي: "إنّ (القديم) و(الطبيعة) مرتبطان بسرّ واحد. و(القديم) هو الصّانع الإنساني وقد بلغ أوج المهارة. بيد أنّ (الطبيعة) فوق مستواه. فسّر (الطبيعة) أبعد غورا من سرّ العبقرية، ومجد (القديم) في أنّه فهم (الطبيعة)". <sup>471</sup>، وأعطاهما بعدا وجوديا صوفيا من خلال تلك المنحوتات التي أبدعتها أنامله، أراد محاكاة الطبيعة من خلال الفنّ، لأنّ الفنّ وجد من أجل سبر أغوار هذا

<sup>470</sup> نفسه، ص: 76.

<sup>471</sup> نفسه، ص: 78.

الوجود والوصول إلى أسراره الخفية التي وجدت مع وجود هذا الإنسان على ظهر هذه البسيطة، فأسرار الطبيعة باح بها الفنّ لخاصّة الخاصّة فقط.

لقد حاول في روايته (الحرور والنور) أن يقرأ تمثال فينوس ميلو الذي نحتته الفنّان رودان قراءة وجودية، لقد كان يرى في هذا التمثال صورة سلوى التي هام وجدا بها وسبح في لبحر غرامها حتّى كاد أن يهلك هلاكا صوفيا وجوديا، يقول بدوي وهو يخاطب تمثال فينوس ميلو كأنّه يخاطب حبيبته سلوى في لوح الخيال ما يلي: "أية روعة في قامتك الجميلة، المتربعة ثابتة على سيقانك الرّاسخة! وأية روعة في هذه الألوان الحقيقية التي ترقد على نهديك، على بطنك الفاتن الواسع سعة البحر! إنّه الجمال الواسع كأنّه بحر لا نهاية له، إنك أمّ الآلهة والنّاس".<sup>472</sup>، كان تمثال فينوس ميلو يجسّد الجمال البابلي الأسطوري الذي استطاع أن يتماهى مع الوجود ويتحد فيه، إنّه تمثال قدّ من مرمر الأسطورة.

كان القدماء يعبدون الجمال الموجود في التّمائيل المنحوتة كتمثال أدونيس Adonis عشيق فينوس Venus في لبنان، يقول بدوي: "ولقد كانت عبادتهم صادقة، أولئك القدماء، لأنّها تعبير عن التّوازن العميقة الحقّة المنطوية في أعماق النّفس الإنسانية، لذا كانت تتسم بالإخلاص والصدّق، أمّا العبادات الأخرى ففيها نفاق وخيانة: خيانة للأرض، أمّا الرّؤوم، وللجسد واللّحم، طينتنا الحقيقية، ونفاق أثيم لأنّنا لم نخلق للسير وراء مقتضياته".<sup>473</sup>، كانت عبادة القدماء يسودها طابع التّسليم للجمال المطلق الذي يتحدّى الأسطورة، فنهر أدونيس أو إبراهيم الموجود في لبنان هو شاهد عيان على الحبّ الأسطوري الذي جمع بين أدونيس وبين فينوس.

كانت سلوى ترى في بدوي أدونيسها وهي فينوسه، كان حبّها حبّا أسطوريّا بابليّا جسّد كلّ الأساطير البابلية على أرض الواقع، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي ما

<sup>472</sup> نفسه، ص: 78.

<sup>473</sup> نفسه، ص: 86.

يلي: "أما وأنت عني اليوم بعيد، فليس أمامي إلا أن أنزل إلى شفا النَّهر، نهر أدونيس-أو إبراهيم، كما يسمونه اليوم-لأمزج دموعي الدامية بمياهه القانية! فمن يدري لعلك قد صرعت خنزير بريّ في البلد الغريب الذي تعيش اليوم فيه، باريس، خنزير بريّ من أولئك الفتيات الماكرات الضاريات اللواتي تعجّ بأمثالهنّ تلك المدينة اللعينة!"<sup>474</sup>، فسلى تحذره من أضواء باريس الصاخبة التي ستعمي بصره وبصيرته على حدّ سواء، لقد شهد شجر الأرز الذي بلبنان على حبّهما الأسطوري الخالد، كانت لهما ذكريات جميلة في هذا البلد الطيب لبنان، تقول سلوى لبدي في إحدى رسائلها إليه وهي تحدّثه عن أدونيس وعن فيونس ما يلي: "لقد قيل إن أدونيس و فيونس قد تبادلوا القبلّة الأولى والأخيرة في هذه الظلال التي تحيط بمغارة أفقا، فخشيت أنا منذ اللّحظة الأولى أن أقتادك إلى هذه المغارة حتّى لا يكون مصيرك أليما كمصير أدونيس، ومصيري داميا كمصير فيونس، فأثرت أن يكون ذلك تحت ظلّ أرز الرّب، هذا الأرز الخالد، حتّى أتفاعل بخلوده ابتغاء أن يخلد ما بيننا من غرام، فليت شعري أوأهمة أنا في هذا التّفاؤل أم سيصدق ظني!"<sup>475</sup>، لقد أرادت سلوى من هذا الحبّ أن يخلد وتردّه الأجيال على مرّ التّاريخ، كان حبّهما صادقا يجلّله الإخلاص ويكلّله الوفاء، وهذا الحبّ ولد من رحم المعاناة وكان لا بدّ أن يسير على مهاد الإخلاص، كانت سلوى تحبّه إلى درجة العبادة وتمّ توثيق هذا الحبّ في هذه الرواية، لقد استطاعت هذه الرواية أن تحافظ على ماء هذا الحبّ العجيب والتّادر.

لقد تمّنى الفيلسوف رينان أن يرقد إلى جوار حبيبته هنريت في لبنان، لأنّ هذا المكان كان شاهد عيان على ميلاد حبّهما وتطوّره مع تعاقب اللّيل والنّهار، تقول سلوى في إحدى رسائلها إليه وهي تحدّثه عن الفيلسوف رينان ما يلي: "فلم يشأ إذن أن يرقد في مقابر فرنسا الكئيبة وتحت سماءها الملبّدة بالغيوم، الحزينة السّرور، وإتّما تمّنى لو رقد إلى جوارها تحت شمس لبنان المشرقة، وفي الثّور الباهر الفيّاض في جبالنا العزيزة، وبين المروج

<sup>474</sup> نفسه، ص: 87.

<sup>475</sup> نفسه، ص: 87-88.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

النَّاصِرَةُ البَاسِمةُ والنَّخِيلُ والكُرومُ الرَّائِعةُ على تلك الرِّبوةِ الفاتِنةِ في عَمَشِيت. " 476، لقد كانت لبنان موئل هذا الحبّ الذي جمع بين قلب رينان وبين قلب معشوقته التي ترقد في هذه الأرض التي شهدت ميلاد هذا الحبّ العجيب.

لقد زار كاتدرائية سنليس عندما كان في باريس، وحدث له شعور غريب وهو يزور هذه الكاتدرائية، شعور يشبه الإيمان المسيحي، في شبابه كان ملحدًا لا يؤمن بالمسيحية ولا بغيرها من الأديان، ويقال بأنّه في آخر حياته رجع إلى الإسلام ولكنّ هذا القول فيه نظر ويحتاج إلى دليل قويّ يعضّده، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يحدثها عن كواليس زيارته لهذه الكاتدرائية ما يلي: " عيوني حائرة بين هذه التّبرّات تستمع إليها في خشوع طالما استشعرته أمام هذه المعابد، وإنّ خلت روعي من كلّ إيمان بما ترمز إليه، لأنّها من السّعة بحيث تقوى على استيعاب كلّ تجربة عبّر عنها صاحبها بإخلاص، استيعابها كلّها بصدق ملوّه العطف الحارّ، وهذا الوصيد الرّائع ما هو؟ هو زفرة حارّة تسري فيها عذوبة ورقّة وحنان وجلال. " 477، كان متسامحًا مع الأديان كلّها ويحترمها حتّى وإن لم يؤمن بها، والدين في نظرة هو تجربة روحية تمرّ بها المجتمعات ووجدت مع وجود الإنسان على ظهر هذه البسيطة منذ أمد بعيد.

لقد تحدّث في روايته (الحرور والنّور) بإسهاب عن مريم العذراء وابنها يسوع المسيح، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يحدثها عن مريم العذراء وابنها يسوع المسيح ما يلي: " أمّا العذوبة ففي وجوه أولئك الملائكة الذين جاءوا يبعثون العذراء من مرقدها. ماتت البتول ووقف بين يدي جثمانها حواريون، ثمّ جاء ملكان فصعدا بروحها إلى العرش، وفي إثرهما صفوف من الملك أتوا يستخلصون بدنّها الطّاهر من القبر، على وجوه الحواريين أجمعين مسحة من الحزن السّاجي الرّقيق. وفي المساحة ذات القوس المنكسرة في هذا

<sup>476</sup> نفسه، ص: 97.

<sup>477</sup> نفسه، ص: 98-99.

الوصيد ترى الإبن يتوّج الأمّ، وها هي ذي تجلس عن يمينه، ناعمة بالحضرة الأبدية.<sup>478</sup> في حضرة ابنها يسوع المسيح الإله المتجسّد الذي جاء لكي يخلص البشرية من الخطيئة الأولى، أمّا مريم العذراء فبعد مرور ثلاثة أيّام عن موتها قامت من قبرها كما قام ابنها من قبل يسوع المسيح صاحب القبر الفارغ، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يحدثها عن قيامة مريم العذراء، بعد مرور ثلاثة أيّام عن موتها ما يلي: "ذلك موت العذراء، أمّا بعثها بعد ثلاثة أيّام فأشدّ روعة، الحواريون ساهرون حول القبر. والمسيح تجلّى في اليوم الثالث يحفّ به موكب من الملائكة ورؤساء الملائكة، فبعث فيها الحياة، وهرع الملائكة حولها: منهم من يضع التّاج على رأسها، ومنهم من يتهيأ لحملها إلى الفردوس، ومنهم من يخلع عنها أكفانها، أو يرفعها من أكتافها."<sup>479</sup> كان مطلعاً على الديانة المسيحية اطلاقاً واسعاً جعله يفتح حواراً حضارياً متسامحاً مع سلوى التي كانت لها ثقافة إسلامية واسعة بالرغم من أنّها مسيحية الديانة وهذا هو حوار الحضارات بعينه.

لقد رسم في روايته (الحوار والتّور) صورة ملائكية للسيدة مريم العذراء، كان يعتبرها ملكة الملائكة لأنّها والدة يسوع المسيح الذي يعتبر هو الإله المتجسّد عند المسيحيين، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يرسم صورة ملائكية للسيدة مريم العذراء ما يلي: "وجوه هؤلاء الملائكة كلّها جميلة. وفيها روعة التّعبير وسماحة الحركة وتوتّب الحياة: منها الحالم المتأمّل، ومنها الحادب العاطف، ومنها كذلك المشرق بنبيل الرّسالة التي يؤديها نحو العذراء، ملكة الملائكة."<sup>480</sup> لأنّ الله اختارها أن تكون والدة السيد

<sup>478</sup> نفسه، ص: 99.

<sup>479</sup> نفسه، ص: 99-100.

<sup>480</sup> نفسه، ص: 100.

المسيح الذي سينشر السّلام عبر العالم كما يعتقد أتباعه، والملائكة بشّرتها بأنّها ستكون إحدى سيّدات نساء العالمين وفعلا كانت جديرة بهذا اللّقب السّامي.

لقد كشف لسلوى السرّ الذي جعله يكثر من زيارته لمدينة سنليس الفرنسية لأنّها تذكّره بمدينة بيروجيا الإيطالية، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى كاشفا لها سرّ ولعه بمدينة سنليس الفرنسية ما يلي: " لكن دعنا من صخب هذه الأحداث، فما أتيت سنليس إلّا حاجًا لكعبة من كعبات الفنّ الرّفيع، ناشدا وحيّ الصّمّت بين مبانيها العتيقة، وخلال طرقاتها الشّائقة، أوه! لماذا أشعر بحنين الذّكري وأنا أجوس خلال هذه القرية؟ هكذا ساءلت نفسي النّشوى بعبير القرية الوادعة في ذلك المساء السّاجي، وسرعان ما وجدت الجواب في الشبه القويّ بينها وبين مرتع أحلامي النّاضرة الأولى، مدينة بيروجيا Perugia في إيطاليا.<sup>481</sup> كانت هذه المدينة تحفة فنّية نادرة، إنّها مدينة الفنّ بلا منازع، الطّبيعة فيها كأنّها متحف يكاد ينطق ويسبّح بحمد الجمال الخالد الأسطوريّ الذي دوّنته سطور هذه الطّبيعة الصّامتة، فمدينة بيروجيا هي مدينة الفنّ الخالد الذي لا تحدّه حدود ولا تقيدّه قيود.

يرى في روايته (الخور والنّور) بأنّ مدينة بيروجيا الإيطالية تشبه مدينة صيدا اللّبنانية خاصّة في الطّرقات، يقول بدوي لسلوى وهو يحدثها عن وجه الشّبه بين طرقات مدينة بيروجيا الإيطالية وبين طرقات مدينة صيدا اللّبنانية ما يلي: " وهي طرقات تذكّرني خصوصا بمدينة صيدا في لبنانكم الحبيب، يا سلوى! نعم في هذه الطّرقات ذات الطّابع من العصر الوسيط، شعر رائع، لأنّها تتلّف بأنعم الأحلام، وتتكتّفها ظلال موحية تغري بالتأمّل والصّلاة، وهل الشّعْر إلّا حلم وتأمّلات وصلوات؟!.<sup>482</sup>، فحقيقة الشّعْر هي وحيّ وخيال

<sup>481</sup> نفسه، ص: 105.

<sup>482</sup> نفسه، ص: 106.

يولد من قريحة شاعر حالم بالأمل يريد أن يصلّي في محراب الجمال، فالشعر يولد من رحم التجربة الإنسانية، بل هو حقيقة وجودية لكلّ إنسان وجد على ظهر هذه البسيطة.

لقد زار منازل رلكه في باريس فهو يعتبره شيخه الرّوحي، فركله شاعر نمساوي ذو نزعة وجودية، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يحدثها عن شيخه الرّوحي رلكه ما يلي: "(لك يا منازل في القلوب منازل)! نعم! ولأهل الفكر في قلوب المعجبين منازل لا تقلّ في تأثيرها روعة عن منازل الأحباب. وأيّ عجب في هذا! فالأمر أمر بواعث على التجارب الحيّة العميقة أيّا كان موضوعها. وأية ذلك عندي، يا سلوى، أنّي ما أدخل مدينة كانت بها منازل لأحد من شيوخ الرّوحيين هؤلاء إلاّ طفت بها في خشوع رهيب يواكبه إحساس عامر بأنبل الذكريات، وسعيت في آثارهم أتلّمس أنفاسهم الحارّة يعبق بها كلّ ركن أووا إليه، ولا أكاد أستشعر فارقا بين حجّي إليها وبين تطوافي بمنازل غرامنا المشترك، أيّها الحبيب النّاصع العينين." <sup>483</sup>، هنا يقف عند أطلال من يحبّ من النّاس ويذكرهم بخير عندما يستحضر صورهم أمامه، كلّما حنّ إلى الشّاعر رلكه حجّ إلى منزله الرّابضة في باريس لعلّه يدخل معه في مناجاة روحية لا يعكّرها كدر ولا حزن أبداً، وكلّما حنّ إلى حبيبته سلوى حجّ إلى الرّسوم والأطلال التي كانت شاهدة على هذا الحبّ الأسطوريّ الخالد الذي خلّدتها هذه الرّواية الرّائعة الماتعة التي وسمت بوسم الحور والنّور.

وصف في روايته (الحور والنّور) شعر رلكه بأنّ له روح جرمانية ممزوجة بنزعة صوفية مشرقة بأنوار الحضارة اللاتينية، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يحدثها عن أسرار شعر رلكه ما يلي: "هنا التقت الرّوح الجرمانية بعرامة نزعتها الصّوفية الموغلة في أتاويه الأسرار من وراء ضفاف المجهول، مع روح المدنية اللاتينية بنصاعة إشراقها وتفتّحها الزّاهر على سطح الحياة. وفي هذا التّعاض العنيف يقوم المعنى العميق في تجربة

<sup>483</sup> نفسه، ص: 107.

رلكه Rilke الباريسية.<sup>484</sup>، إنها تجربة وجودية فريدة من نوعها جعلت الشاعر رلكه يجسد الرّوح الجرمانية ذات النزعة الصّوفية في شعره الذي سافر إلى عوالم بعيدة جدًا عن عالمنا.

يرى في روايته (الحر والنور) بأنّ الموسيقي رتشترد فجنر Wagner  
Richard (1813م-1883م) بقي محافظا على روحه الجرمانية حتّى وهو في باريس، يقول بدوي: " والموسيقي رتشترد فجنر Wagner كان من العصبية الموحدة لروحه الجرمانية بحيث لم تقو روحه على تمثّل عصبية أخرى، لهذا غلّقت نوافذ روحه دون أيّ تأثر وانفعال.<sup>485</sup>، فموسيقاه ذات نزعة شوفينية جسّدت الرّوح الجرمانية ذات النزعة الصّوفية التي تمجّد الرّوح وتعلي من قيمتها، ولو تأملنا هذه الموسيقى قلبا وقالبا لوجدناها إنسانية الرّوح والجوهر.

يتصوّر في روايته (الحر والنور) بأنّ الشاعر رلكه كان منفتحا على جميع الثقافات الأوروبية لأنّه شاعر وجودي يؤمن بالاختلاف وبالتنوّع الثقافي في المجتمع الواحد وفي المجتمعات المختلفة، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يزور منازل رلكه في باريس ما يلي: " أمّا شاعرنا رلكه فقد كان جرمانيا صادقا في جرمانيته، لكنّه كان في الوقت نفسه ذا تقنّح لما عداها فلا جناح عليه أن يتأثر غيرها. كيف لا وهو ينتسب إلى تلك المدينة العالمية، (فيينا) وإلى تلك الإمبراطورية المتكوّنة من أخلاط متباعدة من العناصر والشعوب واللّغات!<sup>486</sup>، كان رلكه نموذج المثقّف المنفتح على الثقافات الأخرى الممتدّة على ضفاف البحر الأبيض المتوسّط، فتقافته الجرمانية هي التي جعلته يحمل هذا الفكر النير

<sup>484</sup> نفسه، ص: 108.

<sup>485</sup> نفسه، ص: 108.

<sup>486</sup> نفسه، ص: 108.

وهذا العقل المستتير الذي يبحث عن الحقيقة ويساهم في إرساء صرح الحداثة والتّوير في المجتمع الذي يعيش فيه.

لقد حاول في روايته (الحر والنور) أن يغري حبيبته سلوى بزيارة قبر الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محيي الدين بن عربي الذي يرقد جثمانه في عاصمة سوريا دمشق الفيحاء التي تبعد عن بيروت نحو مئة كيلومتر، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يحثها على زيارة ضريح محيي الدين بن عربي بدمشق ما يلي: "وبهذه المناسبة أغريك بزيارة هذا الضريح الذي كان له في نفسي أبلغ الأثر لما أن زرتّه لأوّل مرّة، وكان ذلك بعد أن تعارفنا وتلاقينا للمرّة الأولى في بلدك الحبيب. ومن يدري! لعلّي قصدت من هذه الزيارة أن تكون وسيلة لأتخذ من ذلك الشيخ الجليل العاشق (ترجمانا لأشواق) إليك بعد تلك اللّقا القصيرة!"<sup>487</sup>، لقد أحبّها حبّاً صوفيّاً وجودياً، وصار يرى صورتها في كلّ مكان وأضحى سراها شراباً، كانت هذه الرواية هي ترجمان أشواقه إليها، بل إنّ حبّها يشبه حبّ ابن عربي لنظام عند ما كان بمكّة المكرّمة، يقول بدوي لسلوى ما يلي: "ولعلّي كذلك شئت أن نتخذ منه وليّاً شفيعاً لغرامنا الطاهر المشبوب، ولا عجب فما أقرب الشّبّه بين حالنا نحن وبين حاله هو ومعشوقته التي تغنى بها في ديوانه (ترجمان الأشواق) ! على أنّي أطلت هنا الاستطراد، وكلّ ما أرجوه منك أن تبادري إلى زيارة شفيعنا هذا وتلتمسي منه البركة لعشقنا، وما أحسبه باخلا عليك بها، أيّتها العذراء الطهور."<sup>488</sup> لقد طلب من سلوى أن تزور ضريح محيي بن عربي وهذا لكي تتال بركته ورضاه وبيارك حبّها ويسجّله في ديوان العاشقين بمداد من نور يكون شاهداً على هذا الحبّ الأسطوريّ السرمدي الخالد.

لقد حنّ الشّاعر رلكه الذي أقام رحا من الزّمن في باريس إلى روسيا ذات العبق الصّوفي الذي يجلّل الرّوح السّلافية الكامنة في الدّوات الرّوسية، كان يرى في باريس بأنّها

<sup>487</sup> نفسه، ص: 110.

<sup>488</sup> نفسه، ص: 110.

مدينة الموت والرّهبة والخوف، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى ما يلي: "هنالك استشعر رلكه الحنين إلى روسيا. لأنّ هذه الصّور القاتمة الرّهيبية التي تتراءى أمامه في باريس تغزوه بشعور الاستسلام الصّوفي المذعن للمصير، وهو ما يمثل في الرّوح الرّوسية بكلّ قوّة. فكان عن هذا نداء الدّم، السّلافي في روح رلكه، وهو الذي كان نصف سلافي في تكوينه ومجلى آفاقه الرّوحية."<sup>489</sup>، فكلّ إنسان يحنّ إلى موطنه الأصلي وهكذا فعل الشّاعر رلكه عندما جسّد نزعتة الجرمانية ونزعتة السّلافية في شعره، كان في شعره يحنّ إلى روسيا حنيئا صوفيًا بخلفية وجودية بحتة.

حاول أن يقرأ شخصية الشّاعر رلكه وجعل من شعره منطلق هذه القراءة، يقول بدوي في روايته (الحرور والنّور) وهو يحاول أن يقرأ شخصية الشّاعر رلكه قراءة وجودية ما يلي: "كان وترا مرهف الإحساس، قرعته أنامل اللّيل الغليظة فراح يعوي، لكنّ عواءه عواء الطّير الجريح، أمّا الوتر فروحه الشّاعرة، روحه العذراء التي تلمست الحياة بين أسراب الأحلام المجنّحة بأكاليل الورد، الرّقافة في سباحات الفجر، المخضّلة بالأنداء الصّافية للوجدان الأسيان. فما مسّ شيئا، مهما يكن ثقيلًا كثيفا، إلّا استحال شعرا. أمّا تلك الأنامل الغليظة، أنامل (تلك اللّيلة الكبرى)، كما نعتها، فأنامل المدينة العظمى الممتدة بمخالبها الحادّة تتشبهها في لحم النّضارة الأولى، وإنّ طلتها وزينتها كالفاجرة الرّهيبية، مدينة باريس وقد هوى في أعماق هاويتها كالشّهاب السّاقط."<sup>490</sup>، لقد صار رلكه يبحث عن ذاته الوجودية التي تشظت بين فينا وباريس وروسيا، ويواصل بدوي قائلاً ما يلي: "هب يصرخ من تلك الأعماق، يشكوها إلى ربّ الفقراء والمساكين الذين تسحقهم تلك المدن الكبرى، فكان من شكواه تلك المزامير التي دعاها: (سفر الفقر والموت) كان عرقا من المعدن الصّافي دفينا وحيدا في أحضان الجبال، وكان مهجورا في هاوية لا نهاية لها ولا قرار، شريدا في ليل عميق نفرت منه الآفاق: فاستشعر كأنّ كلّ ما هناك يحتوشه، يحاصره، ثمّ يستحيل حجرا.

<sup>489</sup> نفسه، ص: 114.

<sup>490</sup> نفسه، ص: 116.

وخزته شائعة الألم وهو الغريب الضال في فم هذا التّنين الهائل الذي يسمّونه المدينة الكبرى، وخزه فطلب المزيد، لأنّ الألم الأعرق هو المحرّر الوحيد لهذه الحساسة المشبوبة.<sup>491</sup> يعتبر رلكه شاعر الموت والألم في عصره بلا منازع، لقد حاول أن يقرأ الموت قراءة وجودية تميّط اللثام عن هذا اللّغز الذي حيرّ العلماء والفلاسفة في عصره، فالموت هو قمة الألم كما يتصوّره لأنّه خاتمة الآلام كلّها في هذه الحياة، كان متشائماً في شعره ونجد في شعره نبرة الحزن والشّجن الدّفين، فشعره خرج من رحم المعاناة الإنسانية.

كان الشّاعر رلكه ينظر إلى الحياة نظرة سوداوية يسودها التّشاؤم، نجد في شعره مسحة الحزن طاغية ومسيطرة على حياته، لقد ولد الشّاعر رلكه من رحم الشّقاء وكان لا بدّ له أن يعاني في حياته، هكذا هم العظماء يحترقون في صمت رهيب، يقول بدوي وهو يواصل حديثه عن رلكه ما يلي: "أزعجتني (تلك اللّيلة الكبرى) فلتزد من إزعاجه، لتثقل عليه، بل لتسحقه، ولتضغط بكلّ يدها الثّقيلة الوحشية على نفسه اللّطيفة البريئة، حتّى يفنى فيها صارخا من أعماق الهاوية، اصطدم بقساوتها أينما حلّ، واستشعر الجزع حيثما سار، الجزع الكوني المنتشر عن أنفاس المدن الهائلة. هذه المدن، من ذا الذي يقدر على وصف ما فيها من حماقة وما لها من رهبة؟ برّيك أيّتها العاصفة الكبرى، هبّي واذريها واجعليها هشيمًا ينساق أمامك كالتراب".<sup>492</sup>، إنّها تفاهة الحياة التي يجب على الإنسان ألاّ يعطيها قيمة ولا ينساق وراء ترهاتها، فما الحياة إلّا حلم أو سراب لا غير.

يعرض علينا في روايته (الحوار والنور) فلسفة رلكه في الموت وهي تتمثّل في نظريته الوجودية للموت على اعتبار أنّه نهاية لكلّ إنسان وجد على هذه الأرض، يقول بدوي لسلي شارجا لها هذه الفلسفة ما يلي: "لكن هذا الموت، ويا حسرتاه! لا يظفر به أحد، فقبل أن تتضح هذه الثّمار تنتزّل ملائكة الموت كأسراب من الطّيور وتتخطف كلّ

<sup>491</sup> نفسه، ص: 116-117.

<sup>492</sup> نفسه، ص: 117.

هذه الثّمار وهي لا تزال فجّة خضراء.<sup>493</sup>، لقد قوى الموت نزعة الإيمان عند رلكه وجعله يقترب من الله ويتماهى مع ملكوته، يواصل بدوي حديثه قائلاً ما يلي: " لا خلاص عند شاعرنا رلكه إلا بالضّراعة والإنابة إلى الله حتّى يخلق إنساناً وليّاً عظيماً يهبه الله ليلاً لا نهاية لعمقه، يوغل فيه إلى أبعد ممّا أوغل حتّى الآن، ليلاً تتفتّح فيه كلّ البراعم، وينتشر العطر الفاغم. وما هو ذا يدعو الله إلى خلق ذلك الإنسان ومنحه في النّهاية تمام النّضوج، وجعله من السّعة بحيث لا يكاد الكون كلّه يكفي ليكون له رداء، والسّماح له بأن يكون وحيداً كالنّجم حتّى لا تفجّاه آية نظرة في السّاعة التي يتغيّر فيها وجهه، وليجعل زمان طفولته يبعث من جديد حيّاً في قلبه، وليفتح له دنيا العجائب، عجائب سنّيه الأولى العامرة بالأحلام، ليدعه يسهر حتّى السّاعة التي يلد فيها موته الخاصّ، موته الحقّ، مليئاً بالأصداء كالرّوضة الغنّاء، أو الرّحالة العائد من سفر بعيد..."<sup>494</sup>، إنّه شاهد عيان على لحظة الموت التي تعترى الإنسان في آية لحظة، فالموت والحياة هما وجهان لعملة واحدة ألا وهي تحقيق كينونة الإنسان وعدمه في نفس الوقت، فالعدم يسبق الوجود ويأتي بعده كذلك، كما أنّ الوجود يأتي بعد العدم، هناك وجودية مؤمنة ذات نزعة مسيحية وهناك وجودية ملحدة ذات نزعة إنسانية، لقد جعلت هذه الفلسفة من الإنسان موضوعها الأمّ.

كان معجباً بشعر رلكه لأنّه شعر فيه نزعة صوفية وجودية تجعل الإنسان يتماهى مع المطلق ويفنى فيه فناء صوفياً وجودياً، يقول بدوي وهو يسفر عن موقفه من شعر رلكه ما يلي: " في الشّعريّ العالي تتناوح أنسام الأوتار قبل الوجد المتقد بقبس من جنّبات القدس، أو الشّهوة الغارقة في حمأ مسنون يرسب في قاع الحياة، لكنّها في كلا الاتجاهين إنّما تعبّر عن قشعريرة الذات الخالقة في تجاوبها النّابض بدم الوجود. فالشّعريّ العالي يفتح على صوفية إلهية، لكنّها صوفية تأليه الأنا الفنّان وهو ينطق بكلمة (كن!) ليبدع ما تركه الفنّان الأوّل، أو ليجدّد شباب ما أبدع من قبل ثمّ سحب الرّزمان عليه طلاءه الباهت، أو ليخلع على

<sup>493</sup> نفسه، ص: 119.

<sup>494</sup> نفسه، ص: 120.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

الحاضر التآفه جلال القديم العتيق العريق.<sup>495</sup>، فـشعر رلكه يمتح من معين النّزعة الصّوفية الوجودية التي حاولت تأليه الإنسان لأنّه يحمل روح الله الكامنة فيه، فالوجود على الحقيقة هو وجود الله والإنسان حمل ماهيته انطلاقاً من هذا الوجود السّرمدى للذات الإلهية والإنسانية على حدّ سواء، ويواصل حديثه قائلاً عن شعر رلكه ما يلي: "تراه يتغنّى بإله الناس، بلغة النّاس، فتكون من أمره في التباس، ويدفعك الوسواس، إلى تلمس نوايا هذا الماكر الخنّاس، المتحدّث بلسان الإحساس، فلا تلبث أن تعود خائبا ترتدّ عنه مبهور الأنفاس، فصاحبنا رلكه، كم قد قطعت دون اكتناه أسرار شعره أعناق الشّراح ! أناب إلى الله في ابتهالات تخترق نبراتها حجب الأحذية لتتعم من وراء الرّسوم بعين الجمع، ونجاه بأناشيد تصاعد أنفاسها الحارّة لتذيب نقاب الحضرة الحديدي، ناشدا إيّاها في مشاهد الحسّ الصّارخ في كلّ مكان وزمان: أنا أنت !"<sup>496</sup>، هنا يفنى في الذات الإلهية فناء تاماً هو هنا متأثر بفلسفة وحدة الوجود الصّوفية التي اشتهر بها الحلاج في زمانه، يقول بدوي: "تلك صور ونعوت يخلعها رلكه على الألوهية في جراءة منقطعة التّظير تذكّرنا بشطحات الصّوفية المسلمين وبخاصّة بكلمات الحلاج بيد أنّها أروع في التّصوير وأمسّ رحماً بالشّعر الخالص، في غير تدلّل ولا ادعاء عريض من نوع ما هو مشاهد في تلك الشّطحات. وقد يخيل إلى النّاطر العابر أنّ فيها تجديفاً واضحاً، لكنّ المتأمّل المتعمّق يستطيع أن يستشفّ منها خير تعبير عن معاني الله في نفوس النّاس المؤمنین به حقّاً. فصاحبنا رلكه شاعر يريد أن يتلمّس معاني الله في نفوس المؤمنین الحقيقيين وليس رجل لاهوت."<sup>497</sup>، كان رلكه في شطحاته الصّوفية يحاول صياغة معاني الله في قوالبه الشّعريّة وقد وفّق في ذلك توفيقاً كبيراً، لقد تأثر بمدرسة الحلاج الصّوفية التي كانت تقدّم خطاباً صوفياً مشقراً لا يدرك فحواه إلاّ أهل الله

<sup>495</sup> نفسه، ص: 126.

<sup>496</sup> نفسه، ص: 126-127.

<sup>497</sup> نفسه، ص: 131.

العارفين به الذين جسّدوا الشّطحات الصّوفية في شعرهم وفي أقوالهم العرفانية، ففي شعره نجد شطحات صوفية مسيحية نادرة كالكبريت الأحمر .

لقد حاول في روايته (الحرور والنّور) أن يقدّم لنا صورة الله كما رآها الشّاعر رلكه في مخياله وهي صورة وجودية ذات طابع صوفي، لأنّ الله لا يرى إلّا في ضمير ووجدان الصّوفيين الحالمين بالحقيقة الإلهية التي جسّدتها الأديان السّماوية، يقول بدوي لسلوى وهو يرسم لها ملامح صورة الله عند الشّاعر رلكه ما يلي: " فإذا كان الله هو الشّعور الذي يعمر قلوب المؤمنين، وإذا كان الإيمان الحقّ هو إيمان المحرومين والأشقياء والمعذبين من كلّ الأنواع، فالله الحقّ هو ذلك المتمثّل في مشاعر هؤلاء، ولن يتمثّل لهم إلّا على أنّه من أشباههم، أفنعجب بعد هذا إذا رأينا رلكه يخلع عليه تلك النّعوت؟ ! " <sup>498</sup>، فالله يتجلّى لكلّ إنسان على حسب استعداده، فمن تخيل الله رآه على الحقيقة، فصوره الله تتطبع في قلب كلّ عارف لذلك يراه عندما يتجلّى له في كلّ الأحوال والمقامات، فكلّ إنسان يستطيع أن يرى الله بعين قلبه إذا أدمن الذّكر والتّفكّر في ملكوت الله.

يرى في روايته (الحرور والنّور) بأنّ شعر رلكه هو شعر صوفي بحثّ لأنّه يتغنّى بجمال الله المطلق في هذا الكون، فشعره هذا كان معرّجه إلى ملكوت الله فاتحد مع الله وهام به وجداء، لقد سكنت محبة الله في شغاف قلبه وتحوّلت إلى شعر صوفي ينطق بسرّ الله في ذاته وفي مخلوقاته، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يخبرها عن النّزعة الصّوفية الموجودة في شعر رلكه ما يلي: " فهو هنا يصوّر نفسه نسيما يسري في مناحي الخليقة في سفر صوفي إلى حضرة الحقّ، حاملا على أجنحته الوردية أولئك المعذبين في الدّنيا، الذين استطاعوا وحدهم أن يستشعروا الله حقّا، ذلك أنّهم هم مشاهد الألوهية على الأرض. " <sup>499</sup>

<sup>498</sup> نفسه، ص: 132.

<sup>499</sup> نفسه، ص: 134.

فكلّ شيء في هذا الوجود هو تجلّ من تجلّيات الله سبحانه وتعالى، وكلّ ما نراه في هذا الوجود هو تجلّ من تجلّياته جلّ في علاه، فالله تجلّى في الأضداد وفي الأشياء وهذا حتّى يحقّق مظهر الألوهية في الأرض وفي السّماء، ويبدو أنّ رلكه كان في شعره متأثراً بالتراث الصّوفي العربي الإسلامي وصار يمتح من معينه الصّافي كلّما سنحت له الفرصة.

لقد زار وهو في باريس قبر الأديب شاتوبريان Chateaubriand (1768م-)

1848م) رائد المدرسة الرومنسية في عصره ودخل معه في مناجاة وجودية هذه فحواها: "وقفت على قبرك خاشعاً جازعاً، تجثو عند حجرك الأسمر القاسي أفكاري وخواطري وهي تتساب في مجاري الأحزان، وتلتئم في إنابة المتبتّل الضّمان إلى كأس العدم، وتتحي طبقات كثيفة من الصّدأ الذي ران على جوهره الأصيل، جوهرني أنا الأحزان." <sup>500</sup>، هنا نلاحظ بأنّه دخل في اكتئاب حادّ وشديد بسبب بعده عن حبيبته سلوى التي تركها في لبنان، إنّه يريد أن يعود إليها في أقرب وقت ممكن حاملاً إليها أشواقه الحارّة التي بثّها في هذه الرواية الشّيقة، لقد أحبّها بكلّ وجدانه وصار حبّهما حبّاً وجودياً فريداً من نوعه لن يكرّره الزّمن أبداً.

لقد وصف في روايته (الحوار والنور) كاتدرائية الهيكل المقدّس في باريس وصفاً دقيقاً كأنّ له ولع غريب بهذا المعمار العجيب، يقول بدوي لسلوى في هذا الصّدّد ما يلي: "غادة، خليفة بالعبادة، هذه الكاتدرائية. لهي عذراء! أيّ نعم، بل أيّة سكينه يستشعرها الفنّان في أرجائها! كلّما دخل عليها المحراب وجدها عامرة بالجمال، وفي كلّ مرّة يرنو إليها تزداد في عينيه روعة، أيّ انسجام مأنوس بينها وبين النّفس! لا اضطراب ها هنا ولا عناء، ولا انتفاخ ولا غلواء، بل للأناقة العليا كامل السّلطان، وهذا السّهم الذّهبي، إلى أيّ هدف في السّماء ينطلق؟ وأيّة سورة في هذه الانتفاضة التي يرفع بها المعمار إلى أعلى عليين!" <sup>501</sup>

<sup>500</sup> نفسه، ص: 137.

<sup>501</sup> نفسه، ص: 139.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

إنّه معمار كنسي عجيب يجعل النفوس تتطلع إلى تذوق هذا الفنّ العجيب والسّاحر في نفس الوقت، وهذا الفنّ القوطي الأسطوري أبدعته أنامل سحرية وأتقنته إتقاناً تاماً.

لقد اتهم اليسوعيون (رجال الدّين في المسيحية) أصحاب مدرسة بوررويال بالإلحاد لأنّهم حاولوا إعمال عقولهم في النّصوص الدّينية المسيحية فوجدوا الطّوام الكبرى، يقول بدوي ما يلي: "أفاح اليسوعيون في مؤامرتهم الغادرة القادرة القائمة على الإفك، فانهاالوا على فرائسهم البريئة يكيلون لها التّهم الكاذبة: اتهموا أصحاب بوررويال-وقد أطلقوا عليهم إسم الجنسينيين Jansénistes فأصبح علما على كلّ ملحد فاسق، بأنّهم عقدوا العزم على هدم المسيحية ليستبدلوا بها نوعا عجيبا من التّأليه، وأنّهم ينكرون الطّقوس الدّينية وبخاصّة طقس تناول القربان المقدّس، وأنّهم لا يحترمون العذراء المقدّسة، وأنّهم متمردون على كلّ سلطة لا يريدون إطاعة ولي الأمر: البابا والملك-وفي هذه التّهمة الأخيرة يبدو خبثهم الوضيع: فهم يرمون من ورائها إلى تأليب السّلطتين الرّوحية والدّنيوية على هؤلاء الأبرياء." <sup>502</sup>، كلّ من يعمل عقله ويحاول أن يقرأ النّصوص الدّينية التّراثية القديمة قراءة حدائثة تنويرية يتهم بالكفر وبالإلحاد، بل حياته قد تتعرّض للخطر في أيّة لحظة وقد ينزل عليه البلاء نزول الصّاعقة في اللّيل البهيم، من طاف حول نار الحدائثة والتّنوير احترق بوهجها احتراقا شديدا.

لقد تعرّض قبر الشّاعر جان راسين Jean Racine (1639م-1699م) إلى الإهانة وهذا عندما تعرّض للتخريب على أيدي مجهولين، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وكم لقي الشّاعر العذب من مهانة في قبره! فانتزعوا الحجر الذي غطّى القبر، وعليه كانت مرثية بوالو الرّقيقة، ومحو اسم الشّاعر بالحديد، فيا لقساوة قلوب أولئك الأشرار!" <sup>503</sup>، كلّ من يغرد خارج السّرب ويتبنى الأفكار الجديدة والجريئة يدفع الثّمّن في العاجل وفي الآجل، والتّاريخ مليء بالأحداث الأليمة التي تعرّض لها هؤلاء عندما تجرّؤوا وفكّروا.

<sup>502</sup> نفسه، ص: 155-156.

<sup>503</sup> نفسه، ص: 160.

لقد ظلم اليسوعيون الشّاعر العظيم راسين، وشوّهوا تراثه الشّعري عندما درّسوه في معاهدهم، يقول بدوي لسلوى وهو يحدثها عن الظلم الذي تعرّض له الشّاعر راسين من طرف اليسوعيين ما يلي: " صنع الله للزبانية اليسوعيين! وهل كان في تاريخ المسيحية كلّها شاعر مؤمن مثل راسين: عمقا في الإيمان، وطلاوة في العبارة، وعذوبة في الموسيقى، وإخلاصا في العاطفة الدّينية المشبوبة! فيا للحجود ويا للكفران! ومع هذا تراهم لا يحجمون عن تدريس آثاره الرّائعة لتلاميذهم وتمثيل مسرحياته في مسارحهم الهزيلة الرّائفة. فيا لوحاقة وجوههم الكالحة! نعم! ألا كلّ تدريس لآثار هذا الشّاعر العظيم في معاهد اليسوعيين لهو تدنيس فاجر لذكراه المقدّسة." <sup>504</sup>، إنهم لم يقدّروا أبدا قيمته الأدبية الرّفيعة لذلك شوّهوا تراثه الشّعري المسرحي وجعلوه مجرد تمثيل مسرحي هزيل وباهت وساذج.

تحدّث في روايته (الخور والنور) عن مغامراته العاطفية في مدرسة دير بورروبال بباريس حيث تعرّف على فتاة هناك، كانت رائعة الجمال، يقول بدوي لسلوى وهو يحدثها عن هذه الفتاة محاولا إثارة غيرتها ما يلي: " أمّا صاحبتني فقد مضت إلى الموضع الذي كان يسمى باسم (الخلوة)، ويقوم على حاشية خميلة جميلة عند شاطئ جدول ينبع من (المستنقع) Etang، حيث كانت الرّاهبات يجتمعن ويغزلن، ويستغرقلن في أحلامهنّ السّاجية، ويتلقن حول صليب خشبي يقوم على نشز من الأرض، ليتأملن في المعاني التي يثيرها المصلب في نفوسهنّ الورعة، حتّى يكون جوهنّ عامرا بالذكرى الصّافية والتّسبيح، مضت صاحبتني إلى هذا الموضع وصلت طويلا لأرواح هؤلاء الشّهداء الذين صرّعهم بغي اليسوعيين." <sup>505</sup>، فجرائمهم لا تعدّ ولا تحصى وكلّ من عارض أهواءهم دفع الثمن في القريب العاجل وطريق حرّية الفكر والرّأي محفوف بالأشواك والمكاره.

<sup>504</sup> نفسه، ص: 160.

<sup>505</sup> نفسه، ص: 162.

لقد حمل هوى سلوى في فؤاده وصار يراها في كل مكان يذهب إليه، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يعبر عن ولعه بها وشوقه لها ما يلي: "على أننا عزينا أنفسنا بأننا سنأتي إلى هذا القصر الفندق مرة أخرى ونقيم فيه ملاوة من الدهر في غرفة ممتازة، مصحوبين بمن نهوى، وما كنت أفكر إلا فيك، أيتها الحبيبة البعيدة، وما كنت أتمنى آنذاك أمرا أعز من أن نقضي في الغرفة الفخمة الكبرى في هذا القصر المنيف دهرا حافلا بمعسول الأمانى ومشبوب الإحساس. فمتى يتحقق الحلم الجميل؟!"<sup>506</sup>، وهو في ديار الغربة حن إلى حبيبته سلوى التي تركها في لبنان وهي تتجرع غصة لوعة الفراق الذي حال بينها وبين حبيبها وفارس أحلامها بدوي ذلك المفكر الوجودي الشاب الذي دعا إلى تأسيس وجودية عربية في مصر أولا ثم في الوطن العربي ثانيا.

يرى الأديب لامرتين Lamartine (1790م-1869م) بأنه رائد أدب الرحلات في فرنسا وكانت له رحلة عجيبة دونها في كتابه التّحفة الذي عنوانه (الرحلة إلى الشرق)، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يحدثها عن الأديب لامرتين ما يلي: "تلحن علي في أن أصف لك مزارات لامرتين ومجالي غرامه الطاهر في قلب إقليم السافو الرائع الجمال، وأسألك عما يستهويك فيها فتلوذين بالدلال اللعوب الذي طبعت عليه زاعمة أنك أحببت هذا الشاعر لأن قلبه عامر بالإيمان، متقد بالحنان، فهو أقرب ما يكون إلى قلبك المشبوب بكليهما، ولأنه زار جبلك الحبيب، لبنان، وتغنى بأرزه وأودائه، وطوّف في أرجائه، ووصف أحواله وصفا دقيقا لا يقتصر على ما رأى بل تنبأ فيه بما سيقع، وكان صادقا النبوة شأن المؤمنين المخلصين."<sup>507</sup>، لقد كان لامرتين شاعرا وأديبا من رواد المدرسة الرومنسية في العصر الحديث، وكان له ولع عظيم بالشرق الذي زاره وهو في شرح الشباب وميعته، لقد

<sup>506</sup> نفسه، ص: 168.

<sup>507</sup> نفسه، ص: 164.

دعا في شعره إلى التَّغْيِي بأمجاد الطَّبيعة التي صارت هي محرابه الذي يتعبد فيه ويسبِّح بعظمة هذا الجمال الذي نطقت به سطور هذه الطَّبيعة الصَّامته الماثلة أمامنا، ونحن نقرأ كتابه المانع (الرحلة إلى الشَّرق) نجده يصرِّح بحبه لألفيرا التي أحبَّها في صمت كما أحبَّ بدوي سلوى ودون ذكرها الخالدة في هذا السَّفر الخالد، كان يرى نفسه لامرتين ويرى سلوى ألفيرا، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى محاولا عقد مقارنة بينه وبين لامرتين وبينها وبين ألفيرا ما يلي: "بحدِّك هذا، أو تتدلِّين؟ أليس من بين هذه الدَّوافع أن أحيا وإياك في كلِّ مزار من هذه المزارات، لأنَّك، وأنت في ريق الصِّبا الرِّيان، تحسبين نفسك ألفيرا-أي جوليا شارل-وتحسبيني رفائيل-أي لامرتين الفتى العاشق في سنِّ العشرين؟"<sup>508</sup>، لقد وقع لامرتين في غرام ألفيرا في سنِّ العشرين ونفس الشيء حدث لبدوي مع سلوى، ولكنَّه تذكَّر غرام سلوى عندما هاجمت عليه جيوش الكهولة والشَّيخوخة وأحكمت سيطرتها عليه، فما كان عليه إلا أن يرفع راية الاستسلام راضيا بقدره ومصيره الوجودي، يقول بدوي لسلوى مذكِّرا إيَّها بحبها له ما يلي: "أنت رقيقة القلب، سخية الحنان، وهذا هو ما يبقي على حبِّك لهذا المخلوق التَّعيس الذي تعلمين مصيره عن يقين، ولكنَّ نبالة ضميرك تكتمني ما تشعرين، إشفاقا عليّ، أو إمعانا في البراءة المقدَّسة التي لا تعدم الآمال ولا تحيا إلا بالرجاء."<sup>509</sup>، لقد صار حبُّها نادرا كالكبريت الأحمر بل صار أسطورة ترويهما الأجيال كابرا عن كابر، إنَّه حبٌّ نخبويٌّ من الطَّراز الرِّفيع جمع بين فيلسوف وجودي وبين مثقِّفة متمكِّنة من علم مقارنة الأديان.

لقد وصف في روايته (الحوار والنور) كاتدرائية صانص بفرنسا وصفا دقيقا جعله يفنى في جمالها وفي إبداعها الخالد فناء صوفيا وجوديا، يقول بدوي لسلوى وهو يحدثها عن جمال وروعة هذا الإبداع العجيب ما يلي: "كانت كاتدرائية صانص Sens تتبدى في فرحة المغيب حورية شقراء تسبح في اليمِّ الكابي، بينما الجنادب تستقبل المساء بترانيم رتيبة هي الأساس

<sup>508</sup> نفسه، ص: 164.

<sup>509</sup> نفسه، ص: 165.

Fonds الموسيقي للنعيمات البلّورية التي تردّها نواقيس الكاتدرائية والكنائس المجاورة.<sup>510</sup>، لقد حملت هذه الكاتدرائية في جعبتها نواميس الفنّ الخالد جلّلتها أهازيج الموسيقى الكنسية التي يصدح بها المكان عندما يحين وقت طقس الصلّاة، إنّها تحفة معمارية خالدة والفنّ فيها خالد لا يموت لأنّه ولد في أحضان هذه الكاتدرائية.

لقد زار تمثال لامرتين بباريس عدّة مرّات وزار تلك الأطلال والمنازل التي كانت شاهدة على ذلك الغرام الذي جمع بين قلب لامرتين وبين حبيبته أليفرا لعلّه يتذكّر أيام وليالي غرامه مع سلوى، يقول بدوي لسلوى وهو يحدثها عن ملابسات وظروف زيارته لتمثال لامرتين بباريس ما يلي: " فتركت صاحبي يعنى بأمر السيّارة وما تحتاج إليه لمواصلة السّفَر، ووقفت أمام تمثال لامرتين المطلّ على نهر السّون ورحت أفشّش في ذاكرتي عن صحائفه، استعدادا لمناسك الحجّ الأكبر في مدينة إكس لي بان وبحيرة البورجيه ومنازل غرام رفائيل وإليفير.<sup>511</sup>، إنّها ذكريات غرامية لا تنسى، أصبح هذا المكان شاهدا عليها ويؤرّخ لأحداثها من جيل إلى جيل، كان هذا التّمثال رمزا للحبّ الأسطوري الذي ولد في أحضان هذه الرّبوع الطّاهرة، عندما زار هذا المكان حنّت أشواقه ولواعج غرامه إلى حبيبته سلوى فخاطبها بهذه الكلمات الصّادقة والمعبرة قائلا ما يلي: " أراني امتحنت صبرك فلأدع المناظر الرّائعة التي حفل بها إقليم السّافو، جنّة الله على الأرض، لأدع بحيرة ننتوا Nantua، النّاعمة المستقرّة في أعلى الجبل يحيط بها إطار لازوردي غارق في الأحلام، بينما الغواني العاريات يسبحن في أمواها الصّافية البلّورية، ويتلاعبن بكرات القلوب ومجامع الإحساس. أوه! كم أودّ أن أقضي عمري شريدا وحيدا-لأنّي يائس من الظّفّر بك، أيّها الملك العالي! -على ضفاف هذه البحيرة الوادعة.<sup>512</sup>، لقد بدأ يخشى من أن يفقد هوى سلوى حبّ حياته الأبدي، لأنّها صارت بعيدة عنه في مكان قصيّ، هو في باريس وهي في بيروت، وحاول مرّات ومرّات أن

<sup>510</sup> نفسه، ص: 166.

<sup>511</sup> نفسه، ص: 169.

<sup>512</sup> نفسه، ص: 169-170.

يعيد حبّهما إلى سالف عهده ولكن للأسف الشديد كلّ محاولاته باءت بالفشل، لقد صار هوى سلوى في ضمير ووجدانه مجرد سحابة صيف سانحة سرعان ما زالت مع أوّل يوم جديد لاحت شمسها على كوكبنا البديع.

يرى في روايته (الحرور والنور) بأنّ المناظر الجميلة توحى للشاعر بقصائد جميلة، لأنّ بصمة الفنّ السّحرية هي التي تصنع الشّعر الخالد، فالإبداع الشّعري دائماً يتدفّق من شلال الفنّ الذي لا ينضب معينه أبداً، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى ما يلي: "أدع هذه المفاتن كلّها لأنّ قلم النّائر لا بدّ أن يخلي مكانه ها هنا لوعي الشّاعر: فالمناظر كلّها ألوان وموسيقى، والشّاعر هو وحده الذي يجمع بين فنّ الألوان وفنّ الألحان، وعمّا قليل أقرأ عليك بعض ما أوحى إليّ به من قصائد."<sup>513</sup>، لقد ساهم الفنّ الرّاقى في تفتّق ملكة الشّعر لديه وساهم في نضوج ملكة الشّعر لديه، كان شاعراً وجودياً له نظرة صوفية للأشياء من حوله، لقد مزج في تجربته الصّوفية بين النّزعة الوجودية وبين النّزعة الصّوفية فجاء شعره فريداً من نوعه في الشّكل وفي المضمون.

لقد صار متحف الشّاعر لامرتين بباريس أثراً بعد عين، فالزوّار هجروه وصاروا لا يزورونه إلّا لماماً، وهذا المتحف النّادر يشهد على عظمة هذا الشّاعر اللّودعي الألمعي، يقول بدوي لسلوى وهو يحدثها عن متحف لامرتين الذي تعرّض للتهميش ما يلي: "لم أستشعر شيئاً غير الانقباض في هذا المتحف، الذي لا يغنى شيئاً. والمتاحف عندي مقابر الذّكريات. فالفرار، الفرار، لأنّي أتيت لأحيائها، لهذا ما عتمت أن غادرت المقبرة الثّقيلة، وانطلقت مسرعا إلى البحيرة ألتمس فيها مذابح الذّكري الحية."<sup>514</sup>، لقد صار هذا المتحف سمجاً باهتاً يطبعه الرّوتين القاتل الذي يجعل الحياة سانحة ومملّة، ولكنّه كلما زار هذا المتحف كلّما ازداد شوقاً وحبّاً إلى حبيبته سلوى، يقول بدوي وهو يناجي سلوى عندما وقف

<sup>513</sup> نفسه، ص: 170.

<sup>514</sup> نفسه، ص: 181.

عند أطلال متحف لامرتين بباريس ما يلي: "وقفت طويلاً أمام الينبوع المتقطّع أمزج عبراتي بأمواه الصّافية، باكياً على خطّ (رفائيل) الجديد الذي فرّقت تكاليف الحياة وألسنة السوء بينه وبين جولياه، وتنقلت بين الكهف الذي زعموه (مأوى إلفيرا) وبين الدّير ومقابره التي يرقد في ترابها أمراء بيت سافويا، ونعيت حظّي إذ أتجولّ وحدي في هذه الرّبوع التي لم تخلق إلاّ لتجوال العاشقين."<sup>515</sup>، لأنّ المحبّين تروق لهم الطّبيعة الصّامتة والطّبيعة المتحرّكة، والحبّ الحقيقي هو ذلك الحبّ الذي يولد في أحضان الطّبيعة ويكبر ويفطم هناك، فأشجار الأرز في لبنان (بيروت) كانت شاهدة على ميلاد ذلك الحبّ الخالد الذي جمع بين قلبيهما، إنّهُ حبّ ولد في أحضان الطّبيعة اللّبنانية السّاحرة لذلك أصبح خالدًا على مرّ التّاريخ.

يرى في روايته (الحرور والنّور) بأنّ الفنّ الصّادق لا يموت، لأنّه جاء لكي يعبر عن كلّ الأحاسيس الصّادقة التي عشّشت في وجدان كلّ فنّان عرف سرّ الفنّ الخالد الأسطوري الذي لا يتلاشى مع الزّمن، يقول بدوي هو يخاطب سلوى ما يلي: "وداعاً إذن أيتها الرّبوع الدّراسة، وسلام عليك أيتها الأطلال الماحلة، وعزاء لك يا سلوى في مناسك حجّك العافية ! لكن استمدّي العوض في آثار صاحبك الخالدة، فكلّ ما عليها فان، ويبقى وجه الفنّ الصّادق ذو الجلال والدّوام!"<sup>516</sup>، فالفنّ الخالد هو فنّ أبدعته أنامل فنّان صادق حاول التّعبير عن مشاعره وأحاسيسه بكلّ أريحيّة وبكلّ عبقرية، لقد أخلص للفلسفة الوجودية وللأدب الوجودي لذلك كتب وسمه بأحرف من ذهب في سماء الإبداع العربي والإبداع العالمي وصار أيقونة الفكر الوجودي في مصر وفي الوطن العربي.

لقد وقفت سلوى عند آثار لامرتين في لبنان لأنّ هذا الشّاعر يعتبر فارس الرومنسية في فرنسا، وكان له ولع عجيب بالشرق وبحضارة الشرق جعله يهيم به هيما

<sup>515</sup> نفسه، ص: 183.

<sup>516</sup> نفسه، ص: 187.

صوفيا وجوديا، تقول سلوى لبديوي وهي تصوّر له مشاعرها عندما وقفت عند آثار لامرتين في لبنان ما يلي: "لست أسعد منك حظاً في اقتفاء آثار لامرتين في هذا الجبل العزيز! آثاره التي تعينني وتعنيك لأنها تنبض بالحياة وتتبئ عن معاني الرّوح الملائكية العالية التي كانت لهذا العبقرى المظلل بغمامة الأحزان، أينما حلّ وحيثما سار، ولعلّ مأساته في لبنان لا تقلّ ترويعاً ورهبة عن مأساته التي بدأت في إكس-لي-بان"<sup>517</sup>، فأثار لامرتين في لبنان تدلّ على عشق هذا الشّاعر لهذا البلد الجميل لبنان الشّامخ بأرزّه، لقد أحبّ بكلّ صدق وإخلاص صفيته أليفاً وحمل حبّها في قلبه وهو في لبنان عندما زار الشّرق فحبّها صار يتبعه كظله أينما ذهب، تقول سلوى لبديوي وهي تحاول أن تقرّأ شخصية الشّاعر لامرتين الأدبية قراءة نقدية ما يلي: "لامرتين هو الذي تغنّى (بأليفاً) و (بحيرة) البورجيه، و (الوادي) و (المثل الأعلى)، وناح على (الشّاعر المحتضر)، واحترق قلبه بغرام (جرتسيلا) ورسم بريشته الشعريّة خليج نابلي وسورنته، وعمّر قلبه الوحيّ العالي وهو في وادي حمانا وأمام خليج جونيّه"<sup>518</sup>، فلامرتين يعتبر أيقونة الرّومانية في فرنسا وهو أحد المؤثّرين الفاعلين في الأدب العالمي وفي الأدب الإنساني، لقد ساهم بقلمه الفيّاض في نهضة الأدب العالمي وإدخاله إلى حضيرة الإنسانيّة.

لقد اعتبرت سلوى جبل لبنان هو جبل مقدّس لأنّه يوجد في أرض مقدّسة، وسبق للشّاعر لامرتين أن زار هذا الجبل ووقف عند قمّته مستحضراً ذكريات حبّه مع أليفاً، يقول بدوي على لسان سلوى ما يلي: "من يزر الأرض المقدّسة فليخلع نعليه، وليبحث على قدميه، وليتوّج رأسه بإكليل الشّوك، وليحمل صليبه على كتفيه، وليدم بسهم الخشوع والخضوع والتّنبّل جنبه وقدميه وراحتيه-والأقلّعة الله الكبرى عليه! وحسبي هذا التّقرّيع، فأولى فضائلنا المغفرة، والرّجل الذي طالما افتخر بأنّه نشئ في حضن تقوى أمّه خليق بالغفران."<sup>519</sup>، إنّه

<sup>517</sup> نفسه، ص: 188.

<sup>518</sup> نفسه، ص: 189.

<sup>519</sup> نفسه، ص: 191.

مكان مقدّس له روحانيته الخاصّة لأنّه صار مؤنثاً للعاشقين وصرحاً للمحبّين، لقد كان هذا الجبل المقدّس شاهد عيان على الصّفاء الرّوحي والطّهر القدسي الذي انثال من أفئدة الوالهيّين الذين آمنوا بقدسية الحبّ وبصفائه الرّوحي وطهارته.

لقد كان الحبّ الذي جمع بينهما حبّاً أسطوريّاً لأنّه قام على أساس الوفاء والإخلاص والمودة والتّضحية، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي ما يلي: "هكذا وقع لجوليا لامرتين، هذه الزّهرة اليانعة الرّائعة، وهكذا وقع لهنرييت رينان، هذه النّفس العالية الملهمة، ومن قبلهما في القديم الأسطوري وقع للفتى أدونيس، ربّ الجمال، وأنت، يا حبيبي، إن كنت من أهل الحضوة وممن اصطفاهم الآلهة لإعزازهم، فسيكون مصيرك مصير هذه الأرواح السّامية، فخذ حذرك من هذا الجبل الحبيب الرّهب !!"<sup>520</sup>، إنّه جبل شهد ميلاد حبّهما على أرض لبنان الطّاهرة بلد أدونيس إله الصّيد في الأساطير اليونانية، كانت سلوى كلّما اشتاقت لبدوي يمتّ شطر منازل لامرتين لأنّ هذه المنازل تذكّرها بحبيبها بدوي الموجود الآن بين غانيات باريس، تقول سلوى: "يئست إذن من الظّفر بمنازل لامرتين، ولكن هذه الرّابية التي تدعى محلة الأشرفية قد صارت كلّها حبيبة إلى قلبي، أوتّرها بالزيارة كلّما هزّني الشّوق إلى منازل لامرتين، أو هزّني الشّوق إليك أنت أيّها الحبيب العزيز الذي يحمل لهذه الرّابية الرّائعة في قلبه وعقله أنبل الذّكري، ولئن كانت قدم الإنسان (والعمران) المدمّرة لكلّ طبيعي جميل تغدّ السّير في هذه البقعة الطّاهرة العامرة بالبساتين والأشجار الباسقة، فسنبقى على حبّها أبداً"<sup>521</sup>، لقد كانت أشجار الأرز شاهدة على ميلاد هذا الحبّ الأسطوريّ الخالد الذي خرج من رحم المعاناة الإنسانيّة، فسلوى هي فتاة لبنانية مثقّفة من خلفيّة مسيحية، أمّا بدوي فهو شاب مصري مثقّف من خلفيّة إسلامية، فحبّهما كان حواراً بين ثقافتين متناقضتين وهما كالأتي: ثقافة عربيّة مسيحية وثقافة عربيّة مسلمة.

<sup>520</sup> نفسه، ص: 191.

<sup>521</sup> نفسه، ص: 193.

عندما زار لامرتين الشّرق وعرّج على لبنان انبهر انبهارا شديدا بشجرة الأرز المقدّسة، لأنّها شجرة مباركة استطاعت أن تلمّ شمل المحبّين وتكون شاهد عيان على كلّ حبّ طاهر مقدّس يحترم نداء الحب ويحترم طقوسه العجيبة، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي وهي تحدّثه عن الشّاعر لامرتين وعن شجرة الأرز المقدّسة في لبنان ما يلي: "لم يمسه لامرتين بيده إذن أشجار أرز الرّب، والشّجرة التي نقش عليها اسمه واسم ابنته لم يلمسها لامرتين ولم يقترب منها ولم يقف تحتها. فمن أين هذا النّقص؟"<sup>522</sup>، الذي يبقى شاهدا على ذكريات الحبّ الذي أرخت له هذه الشّجرة المباركة التي يقدّسها اللّبنانيون خاصّة عندما تهبّ على قلوبهم رياح الحبّ العاتية وتثور أمواجه ثوران البركان الهادر، إنّه جبل مقدّس لا يقبل على صرحه إلّا كلّ طاهر وطاهرة جعلوا من العفاف دثارا لهما.

يبدو أنّ الأسطورة في نظر سلوى هي أفضل من الحقيقة التّاريخية ولقد لمست ذلك من خلال زيارة لامرتين لجبل الأرز المقدّس في لبنان، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي وهي تعقد مقارنة بين الأسطورة وبين التّاريخ ما يلي: "نعم! الأسطورة أجمل وأثمن وأغنى وأجدي من كلّ تاريخ! لكن، أتراني أجرؤ على تناسي هذه الحقيقة التّاريخية، فأقوى على حمل نفسي إلى أرز الرّب مرّة أخرى، وهو الآن على مقربة منّي؟ أرجو هذا، وإلّا فسأمسك بمخنقك وأضغط عليه بكلّ عنف ومرارة حتّى تقيء إلى وجدانك وتنبذ عقلك معي..."<sup>523</sup>، لأنّ حبّهما تحوّل إلى أسطورة وتسأل هاربا من قنطرة التّاريخ الذي يكتبه دائما المنتصر حسب هواه.

لقد وصف في روايته (الحرور والثور) سلوى وصفا أسطورياً وأطنب في ذلك إطنابا كبيرا، يقول بدوي: "عيونك أصفى من ينبوع بكفيا، وذراعاك أنصع من زهرة الجردينا،

<sup>522</sup> نفسه، ص: 198.

<sup>523</sup> نفسه، ص: 200.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

وقوامك أمشق من سرو شتوره، ونحرك الذي لوحتة شمس الشاطئ يرفّ قانيا بنيًا كالتراب الطهور بين المعلّقة وبعلبك، وشفنك اللّساوان أشهى من تفّاح إهدن وتين صيدا، وشعرك الجفّال العاطر المّفوّف بالأزهار أزهى من بساتين اللّيمون في مشارف أنطلياس، ونهداك الواثبان على صدرك الرّيان كأنّهما حرمون وصنّين، وأنفك المسنون أشمّ من القرنة السّوداء.<sup>524</sup>، لقد تحوّلت سلوى في ضميره وتصوّره إلى فتاة هاربة من أدغال الأساطير، لأنّها ظهرت في حياته فجأة كأنّها ومضة برق خاطف ثمّ سرعان ما اختفت كأنّها سراب في صحراء قاحلة ولولا هذه الرّواية التي ألّفها ما كنّا لنعرف معشوقته سلوى التي أحبّها بكلّ صدق.

لقد كانت سلوى فتاة رائعة الجمال، كأنّها عشتار تبحت عن أدونيسها، يقول بدوي: "في نبراتك تسمّعت إلى خريز الينبوع في مغارة قاديشا، وأغاريد الكرامات وهنّ يعصرن الخمر في روابي كساره وزحله، والأمواج السّاجية في خليج جونية، والشّحارير المغرّدة في بساتين القاسمية، وفي بسماثك توسّمت الانعكاسات العنبرية على وريقات الزّيتون بين الحدث وصيدا، والألوان الزّاهية في وادي الدّامور من أعلى المطير في عبيّ حتّى دير القمر والمختارة في أعالي الشّوف، وفي تثنيات قوامك الرّقيق الخيزراني لمحت طريق الأرز بين الدّيمان وبشري، وبين ساقيك حلمت بوادي جمانا والقطعان الشّاردة في المرعى الخصيب، وفي خفر نظراتك أبصرت حمرة السّيل في نهر إبراهيم-أدونيس..."<sup>525</sup>، إنّها فتاة هاربة من أدغال الأساطير البابلية وجاءت إلى لبنان لكي تبحت عن أدونيسها القادم من الحضارة الفرعونية المصرية القديمة باحثًا عن فتاة أحلامه وحواء أوهامه سلوى.

لقد أعرب في روايته (الخور والنور) عن حبّه الشّديد للبنان لأنّ حبيته سلوى تسكن هناك، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يصوّر لها حبّه الشّديد للبنان ما

<sup>524</sup> نفسه، ص: 202.

<sup>525</sup> نفسه، ص: 202-203.

يلي: "نعم! في لبنان روجي تستشعرينها في كلّ مكان: في فم الشّحور وهو يصدح فوق السّنديانة العتيقة مسبّحا بجمال الوادي الظّليل، وفي الينابيع المتدفّقة من سفوح صنّين إلى البردوني، وعلى شفاه القيان الرّحلاويات وهنّ ينشدن مقاطع الميجانا، وعلى سفوح الدّامور والشمس المطفلة تطبع قبلتها الحارّة على كفر متّى، وبين أحرّاش الصّنوبر بين عاليه وعيناب.<sup>526</sup>، فلبنان هي بلد الفنّ والجمال والأدب الرّفيع السّامق وكانت سلوى هي خلاصة حضارة لبنان الشّرقية، ويواصل بدوي قائلا: "نعم! روجي تستضحى الشمس الدّافئة في المقهى المطلّ على صفا اليمّ (الروشييه)، وتتجوّل بين الأشباح الخاطئة المرنقة فوق جبل الشّيخ، وتنزلق مع المنزلقين والمنزلاقات على تلّوج ظهر البيدر، وتسعى بين القديسين والأبرار في وادي قاديشا، وتلتمس الكرامة مع العافرات المتوسّلات الحائثيات التّراب على رؤوسهنّ أمام ضريح الأوزاعي، اللّهمّ أحييني بأنفاس لبنان، وأرقدني في تراب لبنان، واحشني في زمرة الأرواح الشّاردة المطوّفة على قمم لبنان! دعاء هتفت به من أعماقي، وأنت يا سلوى خير من يعلم صدقي فيه"<sup>527</sup>، لقد أحبّ لبنان بكلّ صدق وإخلاص وكان يطبع كتبه الفلسفية بها وسبق له التّدريس فيها بإحدى جامعاتها، ووجد في لبنان حواءه التي كان يبحث عنها، كانت فتاة جميلة ومتفّقة ومتسامحة مع الآخر وتحترم ثقافة وديانة الآخر، لأنّها إنسانية التّفكير ولها ولع شديد بحوار الحضارات والأديان المختلفة، فسلوى لها فكر حدائثيّ تنويريّ يطرح الأسئلة الجريئة.

لقد حاول في روايته (الحرور والنّور) أن يصف لنا بحيرة لوتسرن بسويسرة، وصفا وجوديّاً دقيقاً لعلّه يقف عند أسرار هذه الطّبيعة العجيبة ويحاول سبر أغوارها وتفكيك شيفرات وجودها، يقول بدوي وهو يحاول أن يصف لنا هذه البحيرة العجيبة وصفا وجوديّاً ما يلي: "بين محارف الرّيزفون في موكب الأصيل السّاجي، وعلى شاطئ بحيرة (لوتسرن) ذات الخصر التّحيل والصّدّر التّبيل والقوام الطّويل، تهيمن علينا أفاريز من الأجبال المتلقّعة

<sup>526</sup> نفسه، ص: 203.

<sup>527</sup> نفسه، ص: 203-204.

بالسحاب، وخمائل من سامق الأشجار والأزهار تتحدر في لهفة وانبهار إلى صفحة الماء الساكنة في أنغامها الرّقاء، وأسراب من البلشون النَّاصع تختال في عرض البحيرة بجلال واعتدال-أيّ إطار بديع يتبدّى الآن أمام العيون!"<sup>528</sup>، إنّها لوحة طبيعية تتطق بروعة وبجلال وبأسرار الجمال الطبيعي السّاذج الذي يتحدى الزّمن في عقر داره، كانت هذه البحيرة أيقونة المتحف الطبيعي الخالد الذي يرقد على تخوم أرض سويسرة السّاحرة، لقد ألهمت هذه البحيرة كلّ الأدباء والشّعراء والفنّانين الذين زاروها واستوحوا من نغمات شلالها الخالد إبداعات لا تخطر على بال، ويواصل بدوي حديثه العذب وقد أطنب في وصف هذه البحيرة السّاحرة إطناباً شديداً عندما قال ما يلي: "وهنا ترى البحيرة قد انطوت على نفسها وكأنّ شائعة من الخجل الحيّ قد سرت في كلّ أعطافها، فراحت تتثنى في دلال غيور محاولة إخفاء تلك المفاتن الشّهوانية المغرية، فترى الجبال على طول ساحلها المتعرّج ترسم صورا من الظلال الكابية التي تكاد تخفي معالم البحيرة، والأعضاء الحساسة منها بخاصّة، كأنّها فتاة فوجئت في عريها طوال النّهار في غفلة من الرّقباء فراحت تخفي بغلالتها الرّقيقة ما تبدّى من مفاتن بدنّها اللّدن الرّهيف."<sup>529</sup>، هنا يشبّه هذه البحيرة العذبة السّاحرة كأنّها فتاة جميلة فاتنة وصار جمالها متاحاً لكلّ النّاظرين الذين يبحثون عن درر ونفائس الفنّ السّاحر الخالد الذي ترسمه الطّبيعة في أحضان هذا الوجود الذي صار متحفاً نراه رأي العين ونقرأ سطره الساكنة قراءة فنيّة وجودية تجعل الرّوح تسمو إلى المعالي وتمتخ من معين النّصوّف الإنساني، حقّاً إنّ مدينة لوتسرن السويسرية هي مدينة عجيبة تحتوي على متحف طبيعيّ نادر، يقول بدوي: "أمّا في لوتسرن، التي لا شيء فيها يمكن أن ينتسب إلى روح الجموع الوضيعة، بل كلّ ما فيها يدعو إلى السّموّ بالرّوح إلى أعلى آفاق النّبيل والجمال والقداسة،

<sup>528</sup> نفسه، ص: 216.

<sup>529</sup> نفسه، ص: 217.

فهذا هو العجب الذي يستنفد كلّ عجب: أن تمتدّ عدواها إلى هذه البقعة الطاهرة.<sup>530</sup> إنّها مدينة ساحرة عجيبة صارت مؤثلاً لكلّ الشعراء والأدباء والفنّانين يأتونها من كلّ فجّ عميق.

لقد حاول في روايته (الحرور والنور) أن يصف لنا الطّبيعة السّاحرة في سويسرة والمتمثّلة في بحيرة ليمان ذات الأخاديد العجيبة، يقول بدوي واصفاً لنا جمال الطّبيعة السّاحرة في سويسرة المتمثّل في بحيرة ليمان ما يلي: "بحيرة ليمان Léman عند ساحل أو شيء تنتشر عبرها الأزرق فوق سفوح الجبال الحاملة في شوق المغيب، وبين يديّ (الأم الفتى فترتر) أفتحها لأقرأ فيها الرّسالة الثّانية، لأنّ في وصفها للسجورّ الجميل خير تعبير عن حالي الآن، وما من عجب بعد أن أومن، في أمثال هذه الآونة السّاجية، بوحدة الوجود الشّاملة التي تفنى فيها الأعيان لتتحدّ بالكلّ المنتظم للزّمان والمكان، بيد أنّ وحدة الوجود لديّ فوق كلّ تعيين أو حدّ، وما هي إلّا استرخاء الوجد الحالم في الوجود الغارق في العدم الأصيل"<sup>531</sup>، لقد عشق هذه البحيرة عشقا وجوديّاً صوفيّاً حالماً وفنى في هواها فناء تامّاً حتّى وصل إلى مرحلة النّرفانا فصار هو والعدم يسيران في سبيل واحد وهو النّصوّف الفلسفي الوجودي الرّوحاني.

لقد وصف في روايته (الحرور والنور) مدينة لوزان السّويسرية وصفاً دقيقاً بلغ درجة الإطناب والشّطط، يقول بدوي واصفاً مدينة لوزان السّويسرية ما يلي: "وهأنذا أعود إلى مدينة لوزان فلا يكاد يأخذ إعجابي منها شيء، فهي مدينة عصرية بكلّ ما لهذا اللفظ من معنى غير كريم، وإن كان غير أثيم، والشّيء الذي يسترعي الخاطر منها حقّاً هو مرتفعاتها ومنخفضاتها، المتعانقة المتعدّدة، وطرقاتها الملتوية الصّاعدة الهابطة في غير اكتراث ولا

<sup>530</sup> نفسه، ص: 222.

<sup>531</sup> نفسه، ص: 226.

تحذير بيد أنّ لها في كاتدرائيتها الرائعة ما يعوّض الكثير. " <sup>532</sup>، إنّها مدينة الحضارة والعلم والتّاريخ والثّقافة الغربية الأوروبية المجيدة التي تمتح من معين المعرفة الإنسانية.

يعتبر مدينة بازل السّويسرية مدينة رومانية ولها جمال طبيعي صوفي خلّاب، وزادها نهر الرّين الذي يعبرها رونقا وجمالا، يقول بدوي واصفا مدينة بازل السّويسرية ما يلي: " بازل بلد خليق بالإعجاب: فالرّين الوقور ينساب خلالها في روعة وجلال يتناسبان مع ما عاناه من آلام وما مرّ به من محن وخطوب، وعلى ضفافه البهيجة تمتدّ الأبنية المتراصّة عن يمين وشمال في استواء لا يبذل من رتوبه إلاّ بروج كالسّهام تجلّل بعضها بالأخضر الرّمدي، وهو اللّون الأكثر شيوعا في بيوت هذه المدينة وجسورها. " <sup>533</sup>، إنّها مدينة الأحلام الوردية والسّعادة المخملية، لقد تغنّى بجمالها الشّعراء وغازلها الأدباء في نثرهم كما تغازل الغادة الحسناء، وفي رحم هذه المدينة السّاحرة ولد الإبداع الإنساني الخالد على مرّ التّاريخ.

يرى في روايته (الحرور والنّور) شاطئ الرّين هو شاطئ الهموم والأحزان، لأنّ الإنسان إذا عرّج على هذا الشّاطئ ويمّم شطره اعترته الخواطر السّوداوية وانهاالت عليه الهموم من كلّ حدب وصوب، يقول بدوي لسّوى وهو يصوّر الحالة السّوداوية التي اعترته وهو يتجوّل على ضفاف هذا النّهر ما يلي: " أنا جالس على شاطئ الرّين امتدّ ببصري اللّهيف عبر هذه الأجيال التي يقوم من ورائها بلد الحبيب: فتنثال عليّ الخواطر السّود، ومن حواليها تنهمر الدّموع. ولقد تجاوب مع هذه الخواطر السّود منذ الصّباح جوّ قاتم ملبّد بالغيوم ذو مطر مدرار استمرّ طوال الطّريق من برن حتّى بازل وشطرا من إقامتي بهذا البلد الأخير. " <sup>534</sup>، كان هذا الشّاطئ يذكّره بكلّ الهموم والأحزان التي صادفته في حياته تمرّ أمام

<sup>532</sup> نفسه، ص: 228.

<sup>533</sup> نفسه، ص: 229.

<sup>534</sup> نفسه، ص: 228.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

عينيه كأنها شريط سينمائي، لقد صار هذا الشاطئ أيقونة الحزن والكآبة والسوداوية التي تقود الإنسان إلى الانتحار، ليته لم يزر هذا الشاطئ الكئيب الذي يجعل الإنسان يكره هذه الحياة برمّتها ويتمنى لو أنه صار لمحّة من العدم.

لقد شعر أثناء إقامته بسويسرة بحنين جارف إلى بلده الأمّ مصر جعله يصوّر هذا الحنين الدافق تصويراً وجودياً في روايته التّحفة (الحرور والنّور)، يقول بدوي لسلوى وهو يصوّر حنينه الجارف لبلده الأمّ مصر ما يلي: "الرّطب الوضيء هو ذلك الذي تحسّين به في إشراقة الفجر على ضفاف النّيل في قرانا المصرية في شمال الدلتا، وهو ذلك الذي نتلمّسه على خدّ الطّفلة الممتلئة وهي تبسم للدّنيا في مطع الحياة، وهو الذي يدركه العاشق وهو يربت على الحبيبة وهما جالسان على العشب في سكون الغاب الجبلي".<sup>535</sup>، لقد اعترته حالة من التّوستالجيا وهو في ديار الغربية في سويسرة تذكّر نهر النّيل والحضارة الفرعونية وتذكّر أمجاد مصر القديمة، صارت مصر هي فتاته التي أحبّها بكلّ صدق وبكلّ إخلاص، وحبل حبّهما سرعان ما انصرم لذلك هو يحنّ إليها بين الفينة والأخرى، هو يتمنى أن يعود إلى مصر كسالف عهده لكي يحقّق سعادته المخملية على أرض الواقع.

لقد حاول في روايته (الحرور والنّور) أن يقرأ جمال الغابة السّويسرية قراءة وجودية لعلّه يعثر على البعد الصّوفي فيها، يقول بدوي: "أنا وحدي مع الغابة وحدها. وكلّ ما حوالي يدعو إلى السّكون الرّهيب، لولا هذه الابتسامات الوضّاء التي تتثال علينا-الغابة وأنا-من القمم الغربية، فتشيع في جوّنا بهجة ساحية، ولولا هذه الأزاهير الصّغيرة المتعدّدة الألوان، تتطبع عليها قبلات الشّمس راحلة أو بسبيل الرّحيل".<sup>536</sup>، إنّها تحفة طبيعية خالدة تجعل

<sup>535</sup> نفسه، ص: 233.

<sup>536</sup> نفسه، ص: 234.

النفس تفنى في سبحات جمالها الأسطوريّ الخالد، ولوحة وجودية نقرأ في سطورها كتاب الطبيعة الرومنسية السّردية.

لقد أراد في روايته (الحر والنور) أن يصف بحيرة سلز في سويسرة وصفا وجودياً يجعل الأنفس تتشرب جمال هذه البحيرة وتتماهى معها تماهياً صوفياً سوربالياً، لقد ولد جمال هذه الطبيعة الصّامتة من أحشاء هذه البحيرة السّاذجة ذات الجمال الأخاذ، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يصف هذه البحيرة السّاحرة وصفا وجودياً دقيقاً ما يلي: "تركنا بحيرة سان موريس ومضينا منها إلى بحيرة سلز، فترأّت أمامي صور متوالية من الجبال العاتية المتوجة بعمائم الثلج، ومن الأمواه الرّقاء الصّافية في البحيرة الرّاقدة، ومن الوعرة المتحدية في انقباض المجهول".<sup>537</sup> فهذه البحيرة لها في الشّتاء سحر عجيب ولها جمال خاصّ يسحر الألباب عند أوان الصّيف، أمّا في الرّبيع فيغمرها الفرح والسّرور والحبور، وأمّا في الخريف فتتناثر على سطحها أوراق الأشجار، ويبدو أنّ الفصول الأربعة المتعاقبة هي التي تصنع جمال هذه البحيرة وتجعلها أسطورة من أساطير الطبيعة التي لا تتكرّر.

لقد زار منزل نيتشه في سويسرة ووقف عند كلّ كبيرة وكلّ صغيرة تخصّ هذا الفيلسوف العظيم، كانت هذه الغرفة هي محرابه الخاصّ ومنها خرجت كلّ إبداعاته الفلسفية التي قدّمتها للإنسانية قاطبة، يقول بدوي لسّوى وهو يصف لها أسرار غرفة نيتشه العجيبة ما يلي: "ولا تزال الغرفة على حالها كعهد نيتشه بها، اللهمّ إلاّ الأثاث: فلم يبق منه بعد غير خزانة ملابس مقطوعة في الجدار المغطّى بالخشب، إن جاز لنا أن نسمّي هذا أثاثاً، لذا بقيت أنظر في الغرفة بكلّ إمعان، عسى أن أعثر على أثر -مهما يكن ضئيلاً- لفيلسوفنا المتوحّد في هذه الغرفة".<sup>538</sup> لقد كان معجبا بالفيلسوف نيتشه ومعجبا بفلسفته العدمية وألف

<sup>537</sup> نفسه، ص: 235.

<sup>538</sup> نفسه، ص: 236.

كتابا عنه وعن فلسفته هذه التي مهّدت لظهور الفلسفة الوجودية في نهاية القرن التاسع عشر، بل لقد زار الصخرة التي ألهمت نيتشه تأليف كتاب (هكذا تكلم زرادشت)، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وإذا كان (زرادشت) كلّ قد كتب تحت وحيّ هذه الصخرة العاتية، فلا شيء فيه أدقّ في التعبير عمّا توحى به الصخرة من هذه القصيدة البالغة العمق، التي ترنّ أصداؤها في كلّ نغمة تصدر عن هذا المكان الشعريّ الفتان".<sup>539</sup> وتحت ظلال هذه الصخرة كتب نيتشه كتابه الشهير (هكذا تكلم زرادشت) وفيه عرض على القارئ تصوّره الخاصّ حول الفلسفة العدمية التي تعلن موت الله الذي سيحلّ محلّه الإنسان الأعلى، لقد ألّهمت هذه الفلسفة الإنسان وجعلته مصدر كلّ شيء، بل جعلته أيقونة المعرفة الإنسانية برمّتها، ومن هنا يتبيّن لنا بأنّ فلسفة نيتشه العدمية ذات نزعة إلهادية تتكرّر وجود الله وتعتبر الأديان مجرد خرافة صنعها الإنسان عندما عجز عن تفسير بعض الأشياء الغيبية.

لقد استطاع في روايته (الخور والنور) أن يصف وصفا دقيقا لبنان واللبنانيين، واعتبر لبنان بلد الحضارة والتاريخ العريق، لأنّ الشعب اللبناني شعب محبّ للحياة وللترف ويقدّس المبادئ الإنسانية، يقول بدوي في إحدى رسائله إلى سلوى وهو يحدثها عن بلدها لبنان وعن اللبنانيين أبناء بلدها ما يلي: "واللبناني بطبعه لا يعرف التوسّط، بل ينشد الأطراف، فإمّا ثراء فاحش، وإمّا فقر مدقع، ولو قدر له أن يشارك في ميدان الرّوح مشاركته في ميدان المادّة لكان من أبنائه رجال مثل الحلاج والقديس فرنسيسكو الأسيري ونيتشه: هؤلاء المغامرون العماليق في ميدان الرّوح، ولأنت منه معجزة ثالثة إلى جانب المعجزتين اليونانية والأوربية. لكنّ لبنان هو يونان بلا روح، وهو أوربا بلا عقل، ولك بعد هذا أن تختار التّعت المطابق لحقيقة هذا المخلوق العجيب".<sup>540</sup>، فمدينة لبنان هي مدينة التّوير والحدّاتة والفكر الحرّ، لأنّها جمعت بين روحانية الشّرق ومادّية الغرب، وصارت هي بلد الأنوار والفكر الجديد والعقل الحرّ الذي دعا إلى بثّ روح التّجديد في الحياة الاجتماعية والثّقافية

<sup>539</sup> نفسه، ص: 238.

<sup>540</sup> نفسه، ص: 239-240.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

للإنسان اللبّاني في العصر الحديث والمعاصر، كانت لبنان هي قبلة المفكرين والمصلحين الثوريين الذين ثاروا على كلّ التقاليد البالية.

يصف في روايته (الحرور والنور) لبنان بأنه بلد وجودي لأنه عبّر عن حياة الإنسان المعاصر الذي صار يعاني من القلق الوجودي ومن اليأس ومن السّوداوية، يقول بدوي على لسان سلوى معربا عن حبّه الوجودي لبلده الثاني لبنان ما يلي: " ذلك وطني، ولهذا أحببته وعبدته، ولعلّ هذا سرّ تعلقك به، فأنت الولوع بالمتناقضات، المحبّ للمفارقات، لأنّ فيها ذلك التوتّر الحيّ الذي ترى فيه أنت سرّ الوجود الحقّ، أيها الوجوديّ المليء بالمفارقات! <sup>541</sup>، لقد كان ينظر إلى الأشياء نظرة وجودية عميقة، ويطرح الأسئلة الوجودية حول الموضوعات التي تستفزّه وتشغل ذهنه وتجعله يخوض في كلّ المشكلات الوجودية الصّعبة التي عجزت الفلسفة عن حلّ لغزها الصّعب، هو فيلسوف وجوديّ صعب المراس، يقول رأيه بكلّ جرأة وبكلّ حرّية، وهذا ما جعله يتفوّق في فكره وفي فلسفته على جميع المفكرين العرب المعاصرين قاطبة.

يعتبر وادي قاديشا في لبنان وادا مقدّسا في لبنان، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ذهبنا إذن إلى قريتنا التي فيها ربّينا نحن وأجدادنا، وأنت تعرفها، تعرف قرية (حدث الجبّة) التي مررت بها مرارا في طريقك إلى الأرز الخالد، ومن شرفاتها أشرفت على وادي القديسين، وادي القديسين، وادي قاديشا العامر بالأرواح: الجنّية والملائكيّة على السّواء." <sup>542</sup>، هو واد مقدّس مليء بالأسرار والأنوار والفتوحات، وفي أحضان هذا الوادي المقدّس ولدت الأساطير والخرافات والحكايات الشعبيّة التي تناقلتها الأجيال كابرًا عن كابر.

<sup>541</sup> نفسه، ص: 240.

<sup>542</sup> نفسه، ص: 240.

في رواية (الحر والنور) نجد بطلّة الرواية سلوى تفتخر بأصلها السّوري وبأصلها الفنيقي الموغل في الأصالة وفي العراقة، يقول بدوي على لسان سلوى وهي تفتخر بأصلها السّوري الفنيقي ما يلي: "لو بقيت في قريتي هذه، حدث الجبّة، منذ ميلادي، لكان ثمّ رجاء في أن أكون سليلة عشتروت وإحدى بواكي أدونيس، وإن كان عصرنا لا يمتّ إلى العنصر الفنيقي بأدنى نسب، لأننا وردنا جميعاً من قلب سوريا، وردنا مهاجرين لاجئين، وكلّ ما يربطنا بفينيقيّا هو أنّنا نسكن دياراً سكنوها، شأننا شأن سواحل سوريا وشواطئ قورينا من ليبيا حتّى الجزائر".<sup>543</sup>، إنّها فتاة لبنانية من أصل سوريّ تحمل في جيناتها روح الحضارة الفنيقية الأصيلة التي ساهمت في تكوين إنسان ذلك العصر تكويناً حضارياً راقياً، كانت سلوى فتاة بابليّة ساهمت عشتروت في رسم ملامحها الشخصية بل جعلتها أسطورة تمشي على قدمين في مجتمعها الذي تعيش فيه، لقد صارت سلوى من أعيان الثقافة في لبنان وصار يشار إليها بالبنان.

لقد خطفت المدينة سلوى من قريتها والتهمتها كأنّها تتّين، وصارت سلوى تترنّح بين قريتها الأصلية وبين المدينة التي احتضنتها وأوتها، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي وهي تصف واقع حالها عندما رمت نفسها في بحر المدينة ما يلي: "نعم! لو بقيت في قريتي لكان في الجوّ والصّخر والجبل والينابيع والأرز الخالد ما ينفخ في روعي من روح عشتروت. لكنّ نداء المدينة، هذا التّنين الرّهيب ذي الأنياب اللانهائية، ما عتم أن اختطفني من حضن أمّي، أعني من حضن هذا الجبل المقدّس وهذا الوادي العامر بأرواح الأبرار، وألقى بي في أتون المنازع الرّخيصة، ورمى بي إلى السّباع الكاسرة ذات النّيوب الوحشية. فيا ويلى ممّا اقترفت!"<sup>544</sup>، عندما انتقلت سلوى من القرية إلى المدينة تسنّى لها أن ترمي النّقاليد البالية التي تشرّبتها من معين قريتها في جبّ عميق لا قرار له، وتدنّرت بدثار الحداثة

<sup>543</sup> نفسه، ص: 242.

<sup>544</sup> نفسه، ص: 242-243.

والتّوير والعقلانية والفكر الحرّ، ففي القرية يوجد الجمود والتّخلف وفي المدينة يوجد الفكر الحرّ والرّأي الحرّ والنّقد والازدهار والرّقي العقليّ.

كانت سلوى امرأة مثقّفة من الطّراز الرّفيح مطلعة على الشّعْر الأوربيّ من مصادره الأصليّة، ولها باع طويل في الأدب العالميّ، تقول سلوى لبدوي وهي تصف ثقافتها الموسوعية ما يلي: "نعم! شاركت في الثّقافة الرّفيعة، وأصبحت أقدر على التّأثر بمناظر الطّبيعة وأكثر وعياً لما فيها من فتنة وجمال وجلال، وعرفت الشّعْر الأوربيّ العالِي، وبلوت العواطف الحادّة التي يعنى بها أهل الأدب العالميّ، وعدت أقدر على تحليل مشاعري بالعقل المرهف، واطلعت على الحيوانات الإنسانيّة الخارقة، وعانيت في داخلي تجاربها الرّوحية بالفكر والخيال".<sup>545</sup>، كانت سلوى مثقّفة عضويّة تدافع عن قضايا أمّتها بكلّ أريحيّة، وتجيد فنّ الحوار مع الذي يخالفها في الرّأي لا تداهن ولا تتملّق أحداً وتقول كلمة الحقّ ولا تلوي على شيء.

لقد عبّرت سلوى-كما أخبرنا في روايته (الحرور والنّور) - عن كلّ أحلامها الوردية النّاعمة التي رافقتها منذ الطّفولة المبكّرة إلى أن صارت فتاة يافعة لها جمال أخذّ ولها ثقافة موسوعية نادرة، تقول سلوى في إحدى رسائلها إلى بدوي وهي تحدّثه عن أحلامها الضّائعة التي انصرفت من حياتها ولن تعود إلى حياتها أبداً ما يلي: "أريد أن أفرح مع الأيّل في البرية، وأن أسابق المنابع والسيول في منحدراتها، وأن أملأ رثتيّ بعطور النّبات النّضير الغضّ، وأن أنفخ في الشّبّابة التي طالما هدهدنتي نغماتها النّاعمة الحزينة في طفولتي الشّاردة بين قطعان الماعز على خدّ الجبل وتحت الصّنوبر"<sup>546</sup>، لقد حنّت سلوى إلى طفولتها السّاذجة التي قضت أيّامها ولياليها في تلك القرى الرّابضة على تخوم جبل الأرز المقدس، لقد عاشت سلوى طفولتها وهي تسابق الرّيح والمطر وتطارّد النّجوم في اللّيالي

<sup>545</sup> نفسه، ص: 243.

<sup>546</sup> نفسه، ص: 243.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

اللّيلاء، وتعتبر سلوى ابنة الطّبيعة بامتياز، ودائماً تستحضر روح الشّاعر لامرتين عندما تتاجي الطّبيعة في صمتها الرّهيب، وتواصل سلوى واصفة أحلامها المؤجّلة لبدوي قائلة ما يلي: "أريد أن أستلهم معاني القداسة في الوادي المقدّس، قاديشا، لأسمع فيه الأصوات النّبويّة، بدلا من تلك الأصوات الغليظة الغيبيّة، أصوات الكاتدرائيات Stupide des cathédralesLa voix، كما قال لامارتين نافرا من نداء الكاتدرائية، مأخوذا بالصّوت الصّافي المتصاعد من مغاني لبنان والأرض المقدّسة إبّان رحلته في الشّرق" <sup>547</sup>، كانت سلوى تحلم بالسّلام العالميّ الذي بشرت به المسيحية، وحاولت أن تجسّد هذا المبدأ في حياتها العامّة وفي حياتها الخاصّة، لقد أحبّت سلوى الطّبيعة اللّبنانية السّاحرة حبّا صوفيّا ذا مسحة مسيحيّة، وأحبّت مراتع الصّبا حبّا وجوديّا جعلها تنسى ذاتها العارفة التي شربت من ماء حياة هذا الحبّ وسكرت حتّى بلغت حدّ الثّمالة، وأحبّت الرّسوم والتّخوم حبّا رومنيّا جعلها تتخذ الطّبيعة ملاذها الآمن، وهذا لكي تتنافس الأطيّار في شدوها والرّياح في عزفها الشّجيّ، لقد ألقت سلوى صخور أحلامها من على قمّة جبل الأرز لعلّ وسمها يكتب في سجّل الخالدين، تقول سلوى في هذا الصّدّد ما يلي: "أريد أن أصغي إلى نداء الأرز وهو يهتف: اعملوا للخلود ! وأن أقيم مذبحا تحت الأرزة الكبرى التي نقش عليها إسم لامارتين، أحنتل فيه كلّ صباح بالقدّاس، قدّاس الذّكرى والشّكر لمن جمع بين قلوبنا، وأن أحرق البخور وأنثر العطور وأنذر النّدور حتّى تعود أو يجتمع شملنا معا من جديد" <sup>548</sup>، سلوى تتمنّى أن يعود إليها حبيبها الذي سرّقه مدينة باريس من أجدانه وخلّانه، لقد جمعها حبّ الشّاعر الفرنسي لامرتين وهو الذي فرّق بينهما، هي بقيت في لبنان تبكي عند أطلاله وهو ذهب إلى باريس يبحث عن أطيّافه.

لقد كانت سلوى وفيّة في حبّها له وبقيت مخلصّة له طوال حياتها وعقدت العزم على ألاّ تخونه، لقد تربّع على عرش قلبها وصار حاكما في مملكة حبّهما، تقول سلوى في إحدى

<sup>547</sup> نفسه، ص: 243.

<sup>548</sup> نفسه، ص: 244.

رسائلها إلى بدوي وهي تعرب له عن ودّها الخاصّ له ما نصّه: "وأنت يا حبيبي! ماذا صنعت بغصن الأرز الذي أقسمنا عليه يمين الوفاء في ذلك اليوم المشهود تحت أرزة لامرتين؟ لقد زعمت لي أنك حملته معك إلى باريس، ولكنّي أعلمك كارها لهذه التذكّرات المادّية، مؤثّرا الابتسامة النّاعمة والنّظرة النّاعسة والالتفاتة الجميلة على كلّ هذه الأدوات والذّخائر التي اعتاد العاشقون تبادلها، وهل أنسى ساعة أن رفضت قبول خصلة الشّعري منّي، لمّا أن هممت بجزّها نكرى لهذا الإعجاب المفرط الذي طالما أبديته أنت بغدائري الذهبية المفرطة الطّول! أما أنا فقد حملته معي إلى قريتي، بعد أن صنعت منه صليباً سأحمله على نحري حين أصعد إلى الأرز الذي كان خير شاهد على يمين الوفاء في حبّنا.<sup>549</sup> لقد تأسّس حبّهما على المودة والوفاء والإخلاص، وولد في أحضان بيروت وترعرع في مناكبها وفطم وأسدل الستار عليه في باريس، كان حبّهما أسطوريّاً وشاعريّاً ووجوديّاً وصوفيّاً وإنسانيّاً إلى أقصى حدّ، لقد رفض الزّواج بعد أن فقد حبّ سلوى إلى الأبد وصارت مجرد ذكرى عابرة ليس إلّا، وهذا الحبّ الذي جمع بينهما صار يذكّرنا بقصّة الحبّ التي جمعت بين جبران خليل جبران وبين ميّ زيادة، وهو الذي جعلها تكتشف عالم جبران الأدبي والإنساني، تقول سلوى في هذا الصّدّد ما يلي: "في ذلك اليوم اكتشفت جوهر جبران خليل جبران، واكتشفت خصوصاً جوهرك أنت من خلال حديثك عن جبران وما انطوى عليه هذا الحديث من إعجاب وما رنّ فيه من رنّات مؤثّرة تنمّ عن الحبّ العميق لهذه الرّوح الخالدة الشّاردة التي بزغت في لبنان وسطعت ضياءً حارّاً في أنحاء المعمورة. اجتمعنا على حبّ جبران، واختلفنا على بواعث هذا الحبّ، فكان لك جبرانك ولي جبراني."<sup>550</sup> لقد رأت سلوى في جبران صورة حبيبها بدوي، أمّا بدوي فقد رأى في جبران منافساً شرساً له في هوى سلوى التي أثّرت غيرته من خلال حديثها عن أدب جبران.

<sup>549</sup> نفسه، ص: 244.

<sup>550</sup> نفسه، ص: 245.

لقد وجدت سلوى في زيارة متحف جبران وقبره سلوى للهموم لأنها هامت وجدا في روائع جبران الأدبية، تقول سلوى: " هكذا أمضي سحابة نهاري في أحلامي وأوهامي، في ذكرياتي وزفرااتي، بين الكروم الرقافة وأحراش الصنوبر وتحت ظلال التوت والخروب، وبالأمس ارتحلت إلى بشريّ لزيارة متحف جبران وقبره، للمرة العشرين أو الثلاثين لست أدري.<sup>551</sup>، لقد كانت تمدّها هذه الزيارة بطاقة روحية تجعلها تبذل في عوالم الأدب الممكنة، كان جبران هو الباب الذي ولجت منه سلوى إلى دروب الشعر الفسحة، كان هو معراجها الروحي إلى فضاء الإنسانية الرّحب لذلك أحبّت سلوى كلّ إنسان وجد على ظهر هذه البسيطة اقتداء بملهمها جبران.

كان معجبا بشخصية جبران خليل جبران الأدبية ويعتبره أيقونة الرومنسية في لبنان وفي الوطن العربي، ويعتبر من رواد الأدب المهجري في أمريكا الشمالية، وبالضبط في الولايات المتحدة الأمريكية، أسس الرابطة القلمية لكي تكون فضاء حرا للإبداع العربي الأصيل، دافع في كتاباته الأدبية عن النزعة الشرقية وعن النزعة الروحية المتأصلة في الإنسان العربي، يقول بدوي وهو يرسم ملامح صورة جبران خليل جبران الإنسانية ما يلي: " جبرانك روح شاردة متمردة حرة، تحطم التقاليد وتفضح النفاق المتدنّ برداء القداسة. أما جبراني فروح ملائكية يغزوها الحنان والرّحمة، وتعمر قلبها المحبة والتقوى والإيمان.<sup>552</sup>، لقد ثار جبران على كلّ التقاليد والأعراف الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره، وحطم كلّ الأصنام الفكرية التي راجت في ضمير الناس وساقنتهم كالقطيع وهم لا يعلمون، ويواصل بدوي واصفا لنا صورة جبران كما تصوّرها في ضميره ووجدانه قائلا ما يلي: " جبرانك سيل يندفع إلى أحضان الوادي ليحمل الخصب فيما يجرف من تراب الصّخور وينبت أشجارا باسقة (حبلى بثمارها)، ولا يعرف الحدود ولا القيود، بل يطغى على ما يلقى في طريقه فيحطّمه، لأنّ نظرته دائما إلى الأمام في المستقبل السائر قدما نحو الغاية الكبرى للإنسانية.

<sup>551</sup> نفسه، ص: 244-245.

<sup>552</sup> نفسه، ص: 245.

أمّا جبراني فنسمة رقيقة عاطرة يزفر بها الأرز في مشارف بشريّ، تهبّ على النفوس الفقيرة والقلوب الكسيرة، فلا (تكسر جناحا) ولا (تعصف) بالعقول، بل تقف عند حدود جبلها وتتألم لما يصيب أهلها الأقربين، إن (ماتوا على الصليب)<sup>553</sup>، نجد في أدب جبران النزعة الدنيوية المسيحية التي جسدها في كتابه (يسوع ابن الإنسان)، وكان يعتبر المسيح رسول السلام إلى بني الإنسانية، أمّا في كتابه (النبي) فهو يبشّرنا بدين جديد إسمه الإنسانية الذي يجعل من الإنسان محور كلّ شيء في هذا الوجود، كما نجد في أدب جبران النزعة التأملية التي تجعل الإنسان يغوص في أعماق الأشياء ويتوغّل في دهاليزها العجيبة، يعتبر جبران فارس الرومنسية المتشائمة في لبنان وفي الوطن العربي، وأبداع إبداعا خلّاقا في فنّ الرسم وفي فنّ التصوير ونجد في فنّه النزعة السوداوية في أبهى حلّتها وهي تتماهى مع أذواقنا الوجدانية، يقول بدوي: "جبرانك مصوّر ينافس الألوهية في خلق الصّورة، ويرسل (النبي) الجديد المبشّر برسالته المتكلّم بلسان وحيه، كما تكلمّ زرادشت بوحي نيتشه، أمّا جبراني فهو المعنى المتألم في الصّور الحزينة، وهو العبد الناطق بلسان الإنجيل، وهو الواعظ المبشّر بموعظة الجبل".<sup>554</sup>، لقد تأثر جبران بالإنجيل وصار يتكلّم به في كتاباته الأدبية كأنّه كاهن أو قسيس، كأنّ روح يسوع المسيح حلّت فيه وصارت تتكلّم على لسانه في كلّ أوان وحين لا تلوّي على شيء.

تتميّز لغة جبران الأدبية باللمسة الشاعرية الحاملة التي تجعل المتلقّي يفنى فناء صوفياّ وجودياّ وهو يغوص في أعماق النّصّ الجبراني الجميل، كان شاعرا وجودياّ بامتياز تسري في شعره الرّوح الصّوفية الطّاغية التي تجعل النّفس تنوق إلى المطلق وإلى عالم المثل، كان أمّة وحده ويعتبر نسيج وحده وفريد عصره بزّ أقرانه وتفوّق على أتراه، يقول بدوي وهو يخاطب صورة جبران الماثلة أمامه والتي استدعى فحواها من لوح الخيال ما يلي: "جبرانك علم تنضوي تحته الأمم، وتختفي في حضرته المراسم والطّقوس والشّارات

<sup>553</sup> نفسه، ص: 245.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

المميّزة، فلا لغة إلا لغة الرّوح المطلقة في ملكوت الإنسانية العليا، ولا هتاف إلا هتاف القلوب المتعالية عن الأوضاع والأصقاع. أمّا جبراني فعلم تسوده شجرة الأرز، وتلوذ بحضرته مفاخر الوطن، فلا أفهم من لهجاته إلا لهجة الضيّعة التي أقطنها، ولا أستجيب إلا لندائه الصّاعد من أعماق وادي قاديشا بين تراتيل مار أفرام وأناشيد ومواعظ يوحنا الدّهبي الفمّ. لك جبرانك، ولي جبراني" <sup>555</sup>، كان جبران إنساني الرّوح ويدعو في كتاباته الأدبيّة إلى المحبّة وإلى السّلام الدّخلي وإلى الإنسانية وبشرّ بدين جديد إسمه المحبّة، كان ملتزما بقضايا أمّته المصيرية كالحقّ في الحياة وفي الحرّية وفي العيش بسلام مع النّاس، كان في كتاباته الأدبية ينتقد الأشياء التي لا تعجبه في الدّيانة المسيحيّة باعتباره مسيحي من الدّرجة الأولى، ولقد سبّب له هذا الأمر مشاكل كثيرة مع رجال الدّين المسيحيين، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "جبرانك هو الذي طرد الرّاهبة والخوري لما أتته حشجة الموت، وطوّف في الدّنيا حاملا مشعل الإنسان، وصرخ في وجه الطّغاة الأفاقين الذين يستغلّون أنبل المشاعر الإنسانية طمعا في زخرف الدّنيا. أمّا جبراني فهو الذي تغنّى (بالمجدلية)، وسعى يبشّر بـ (يسوع ابن الإنسان)، وركع في الهياكل المزدانة بالشموع تحت قدمي العذراء، وانتشى بالبخور المتصاعد من مجامر النّقى". <sup>556</sup>، كان جبران في شبابه وفي بداياته الأدبية متحمّسا لدينه المسيحي ينشر تعاليمه في كتاباته الأدبية الأولى ولكن عندما تقدّم به العمر وأشرف على النّهاية لاذ بجدار الإلحاد والتزم الصّمّت الأبدي المطلق والرّهيب، لقد تأثر وهو يبني صرحه الأدبي بالفنّان والنّحات رودان، وهذا لكي يتسنّى له رسم الأشياء بالكلمات كما يشاء، وتأثر كذلك بالفيلسوف العدمي نيتشه الذي جعله يجنح إلى الإلحاد، وتأثر كذلك بتراث الأنبياء الذي جسّده يسوع المسيح، يقول بدوي: "جبرانك تلميذ رودان و نيتشه، أمّا جبراني فقبس من نور الأنبياء، وتلميذ مخلص للمسيح". <sup>557</sup>، هكذا تكلم جبران

<sup>555</sup> نفسه، ص: 246.

<sup>556</sup> نفسه، ص: 246.

<sup>557</sup> نفسه، ص: 246.

في كتاباته الأدبية كأنّ روح المسيح حلّت في ضميره ووجدانه، لقد تأثر بالتراث الديني المسيحي ووظفه في كتاباته الأدبية توظيفا أسلوبيا جماليا نكاد نلمسه ونستشقه بين ثنايا نصوصه الماتعة.

كان أدبيا ألمعيا متأثرا بالمدرسة الرومنسية المتشائمة، في كتاباته الأدبية نلمس في جبران روحه المتمردة التي ثارت على كلّ شيء ورفضت التقاليد البالية التي سيطرت على المجتمع الذي كان يعيش فيه، كان فنّانا ذائع الصيت وسيطرت على لوحاته نزعته الدينية المسيحية، يقول بدوي وهو يضع الرتوشات الأخيرة لصورة جبران كما تصوّرها في ضميره ما يلي: "جبرانك هو الذي كتب (النبي) و(الأرواح المتمردة) و(حفار القبور) و(وعظتني نفسي) و(المخدرات والمباضع)، وترنّم بأغاني (المواكب)، أمّا جبراني فهو الذي رسم بريشته (يد الله) و(المجدلية) و(الجائعة المستعطية)، وزفر أحرّ الزّفرات التي صاغها في (دمعة وابتسامة)، وناح على (الأجنحة المتكسرة)، ومجدّد (يسوع ابن الإنسان). لك جبرانك إذن، ولي جبراني!"<sup>558</sup>، جبران كاتب سبق عصره إلى أقصى حدّ ودعا إلى دين جديد إسمه الإنسانية ونجد في كتاباته الأدبية روح التمرد، ويعتبر من رواد أدب الالتزام في عصره ودافع عن قضايا أمته بكلّ أريحية وكلّ شجاعة أدبية، ولكن للأسف الشديد نرى قبر جبران الآن بقربة بشريّ اللبانية يعاني الإهمال والتهميش، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "دخلت القبر- المتحف الذي أعدّه القوم لجبران بعد أن عاد جثمانه إلى أرض الوطن الحبيب في 21 آب سنة 1931، فوجدت ناووسه يحيط به سور صغير من الحديد المصنوع، وعليه أزهار بعضها ذابلة وبعضها نضرة، وشاهدت الجدران عامرة بالأكاليل وعليها البطاقات التي تخبر عن مقدّمها، ورأيت بعضا من الذكريات التافهة المتصلة بجبران معلقة على جدران كالحة أبعد ما تكون عن أن تليق بمقام هذا المصوّر الشاعر العظيم، ولولا عناية الحارسة التي تقوم على القبر- المتحف لاستحال هذا الموضع الطاهر مزبلة وخرابا يعشّش فيه الطيور في

<sup>558</sup> نفسه، ص: 247.

الشتاء.<sup>559</sup>، ولكنّ روح جبران مازالت تترف وتخلّق حول هذا المكان المقدّس الطاهر تزفّ تعاليمه للزائرين وللمريدين، تقول لهم: جبران مازال حيّاً في قلوبكم وفي ضميركم بالمحبّة التي سوف تسود العالم بأسره، ولا بدّ من ردّ الاعتبار له وهذا من خلال المحافظة على متحفه النادر الذي يشهد على تاريخه وماضيه الأدبي، يقول بدوي: "إنّ جبران أثنى درّة في تاج هذا الجبل الأشمّ، ولكنّ بني الإنسان اعتادوا أن يلقوا بالدّرّ أمام الخنازير، فيا ويلتاه لقومي! أي أصحاب جبران، وما أكثرهم! هلمّوا نوّد بعضاً من ديننا لهذا الذي ملأ نفوسنا بالنور، ووضع البلسم الشّافي على قلوبنا الجريحة، وأنبت الرّيش في أجنحتنا المتكسّرة، ثمّ أودى في السّابعة والأربعين صريع داء تليّف الكبد وطلائع السّل!"<sup>560</sup>، لقد مات جبران ولكنّ تراثه الأدبي لم يمت بل بقي خالداً يتحدّى الزّمان ويشهد له بالعظمة في كلّ أوان وحين، هو عبقرية أدبية نادرة لن تتكرّر وفنّان موهوب لن يتكرّر، وبموته أقلّ نجم لامع من نجوم الأدب في العالم العربي والذي بزغ نجمه في القرن الماضي.

يبقى جبران حيّاً في قلوب مرّديه لأنّه ساهم في بثّ الوعي والحماس في أفئدة محبّيه، من يقرأ أدبه يجد فيه مسحة الحزن الممزوجة بالأمل والتّفاؤل، كان من رواد الأدب التّحرّري الذي ساهم في بناء الوعي والرّقي الحضاري للإنسان الذي سيقراً تراثه الأدبي، يقول بدوي: "نعم! لجبران في قلوبنا قبر حيّ بدمائنا، ويظلّه دوح وسقيّ بعبرائنا، وتنتثر على ترابه أزهار عطورها أنفاس (الأرواح المتمرّدة) وتترف عليه (الأجنحة المتكسّرة)، وتطوف به (عرائس المروج)، وتحجّ إليه (المواكب) السّائرة على درب المثل الأعلى، وتتناوبه كلّ (دمعة وابتسامة) انطلقت من أرواح المساكين والبائسين والمظلومين والمحرومين."<sup>561</sup>، لقد ساهم جبران بقلمه في تحرير عقل الإنسان العربي من الجمود والتّخلف الذي فرضه الاستعمار بمختلف أشكاله على الشّعوب المقهورة، كان أسطورة في حدّ ذاته وانقسم النّاس في شأنه

<sup>559</sup> نفسه، ص: 248.

<sup>560</sup> نفسه، ص: 249.

<sup>561</sup> نفسه، ص: 250.

وفي تقدير شخصيته على الصّعيد الأدبي والإنساني انقساماً عظيماً، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: " هنا أيقنت أنّ جبراني من صنع خيالي أنا والحالمات السّاذجات من أمثالي، وأنّ جبرانك هو جبران الحقيقي: فهمته أنت فكان لهذا معبودك، وفهمه أصحاب الأهواء والسّلطان من أهل الدّين والدّنيا فرأوا فيه عدوّهم الأكبر، فحاربوه وحرّموه. والآن! يخيل إلي أنّي أسير قدما في طريق الإيمان بجبرانك أنت وأطرح جبراني، وأنّنا سنهتف يوماً معا صارخين في وجوه المتخلفين والواهمين: لكم جبرانكم، ولنا جبراننا!"<sup>562</sup>، كان جبران دائماً في كتاباته الأدبية يحفر في أعماق النّفس البشريّة باحثاً عن سرّ السّعادة الكامنة في كلّ إنسان وجد على ظهر هذه البسيطة، إنّه فيلسوف السّعادة بلا منازع لأنّه ساهم في بثّ النّقاؤل في قلوب كلّ المكّومين، هذا هو جبران كما تصوّره بدوي في حلّه وترحاله الأبديّ.

تعتبر إسبانيا هي فردوسنا المفقود الذي ضاع ممّا على حين غفلة ممّا لأنّنا نجد في إسبانيا أنفاس روحنا العربيّة، يقول بدوي: " وهذا (الجحيم العزيز) الآخر هو إسبانيا، إسبانيا التي ملكت عليّ كلّ قلبي، واستشعرت فيها هرّة جديدة لم أحسس بمثلها من قبل: إذ نبّهتني إلى جلال أصولي، فأمنت لأول مرّة بجلال الرّوح العربيّة التي أبدعت روائع هذا البلد العجيب، أو بالأحرى جدّدت هذا الإيمان بعد أن فقدته أو كدت، فهنا أنفاس الرّوح العربيّة تهبّ في كلّ جليل وجميل."<sup>563</sup>، هنا يستحضر روح حضارة بلاد الأندلس التي أفل نجمها في القرون الغابرة، لقد ضاعت بلاد الأندلس واستولى عليها الصّليبيون وجعلوها تابعة لمملكة قشتالة، وصارت مجرد ذكرى جميلة عابرة كلّما استحضرتها نرفنا عليها الدّموع السّجام.

<sup>562</sup> نفسه، ص: 250.

<sup>563</sup> نفسه، ص: 254.

يعتبر من دعاة التّوير في مصر وفي الوطن العربي، حيث دعا في كتاباته الفكرية والفلسفية إلى قراءة التّراث العربي الإسلامي قراءة حدائثة تنويرية تواكب العصر الذي نعيش فيه وتساهم في تجديد الفكر العربي المعاصر الذي سيبلّغ للأجيال القادمة رسالة التّوير، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "نعم! ستقولين إنّ هذه منّي نكسة، بل خيانة لرسالة التّوير التي أخذت على عاتقي التّبشير بها، وإنّها أثر من آثار الرّواسب اللاشعورية العتيقة التي لم أستطع ولن أستطيع التخلّص منها أبداً." <sup>564</sup>، فرسالة التّوير رسالة شاقّة ومتعبة من حملها حمل الهموم والمتاعب على كتفيه، عانى كثيراً من خصومه واتهم بالإلحاد لأنّه تبنّى الفكر الوجودي وبنّاه في مصر بل وفي الوطن العربي برمّته.

لقد أبدع في وصف أسبانيا القديمة (قشتالة) فردوسنا المفقود واعتبرها جنّة أرضيّة فيها الطّبيعة السّاحرة والمروج الخضراء والنّسيم العليل، يقول بدوي وهو يصف أسبانيا القديمة وصفا شاعرياً ما يلي: "جمر في الأفق، وحمرة زاهية في الصّخر والقرميد تصطفق، وجفاف يلهب السّهل المطلق-فليت شعري هل قشتالة تحترق! أهذا ما وعدتم معشر الشّعراء؟ أين المروج، وأين البنفسج والورود؟ أين الثّمار، وأين الينبوع؟ أين مجالي الوجد المشبوب، وأين ملهفات الوتر المفتون؟" <sup>565</sup>، تعتبر الطّبيعة الأندلسية عنوان الجمال الأزليّ الأخاذ، بل تجسّد في مدينة مدريد العريقة التي صارت موئلاً السيّاح يأتونها من كلّ مكان قصي، يقول بدوي وهو يصف جمال مدينة مدريد ما يلي: "وتبدّدت الجفوة الأولى أو كادت لما أن عدت في ساعة الأصيل أمشي في طرقات المدينة، وكانت قطع السّحاب القرنفليّ تتراءى في السّماء ناحية الغرب، وجموع متواصلة من المازّة تسير في الطّرق في رقّة وتخطّر ودلال: عيون نجل سود، وشعور ناصعة شقر أو كستنائية، وخدود متورّدة علتها نضرة النّعيم،

<sup>564</sup> نفسه، ص: 255.

<sup>565</sup> نفسه، ص: 256.

وبشرات ناعمة بضّة تتفتّح من براعمها البكارة والطّهارة، وابتسامات بريئة، لا لعوب ولا متكارهة، شأن تلك التي ضقت بها ذرعا في باريس، بل تتبع من أنس باطن لغادات انتفضت فيهن هزة الحياة.<sup>566</sup>، تعتبر مدريد عاصمة الفنّ والجمال وهي الآن عاصمة أسبانيا التي تذكّرنا بالأندلس جنّتنا الأرضية الضائعة، مازلنا نجد الآن في مدريد أصداء روح حضارتنا العربية الإسلامية الغابرة التي أثرت في الموريسكيين إلى يوم الناس هذا، لقد كانت بلاد الأندلس هي القاطرة التي قادت حضارتنا العربية الإسلامية إلى الأمام وجعلتها تتنافس الحضارة الأوروبية في عقر دارها بل وتتفوق عليها.

يرى في روايته (الحرور والنور) بأنّ أسبانيا هي معهد الموسيقى الغجرية والأندلسية، فنجد في الموسيقى الغجرية روح التمرد الطاغية التي تحاول أن تتحدّى الأعراف السائدة من خلال الثورة على التقاليد البالية، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وهنا تذكّرت أنّ أسبانيا وطن الموسيقى النورية (الغجرية) والأندلسية (والكلمتان عند القوم مترادفتان)، ولطالما مجّدت هذه الموسيقى الناعمة التي تشتاقتها نفسي، خصوصا حينما تبهظ كاهلي الموسيقى الرّفيع، موسيقى موتسارت وبتهوفن وفجنر وباخ، آلهتي في عالم الصّوت الرّثان"<sup>567</sup>، كان من عشّاق الموسيقى الكلاسيكية لأنه كان له ذوق رفيع في الاستماع إلى الفنّ الرّاقى، كما أنّه كان من عشّاق الموسيقى الغجرية والموسيقى الأندلسية ووجد فيهما ملاذ الآمن، وكان يرى بأنّ الموسيقى الأندلسية هي موسيقى تجديدية مرموقة، يقول بدوي: "فقلت في نفسي وأنا نشوان بهذه الألحان: إن شئنا لموسيقانا الشّرقية المزعومة ومنها الخلاص، فمن هنا الطّريق ! فهذه الألحان الأندلسية بمختلف أنواعها هي الأصول الحيّة القويّة التي لا بدّ من الاستناد إليها في كلّ تجديد موسيقي مرموق، وهي من بنات روحنا

<sup>566</sup> نفسه، ص: 257.

<sup>567</sup> نفسه، ص: 258.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

العربية الأصيلة التي ما عرفت كيف تزدهر حقّ الازدهار إلا في هذه التربة الخصبة، تربة الأندلس، لأنّها ذات رحم ماسّة بها بطبعها.<sup>568</sup>، إنّها موسيقى عربية الروح غريبة المنبت، نشأت وترعرعت في أرض الأندلس الخصبة ذات المروج الخضراء التي تسرّ الناظرين.

لقد انبهر عندما زار مدريد بجمال موقع دير الأسكوريال الذي صار فتنة للناظرين، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "استدر قليلا ناحية اليسار بعد أن تنزل في الطّريق الصّغيرة الهابطة إلى الدير. هنا مدارج صفت فيها ألوان الأشجار السّامقة كأنّها بستان وهي تتحدّر إلى الوادي كأنّها سرّوال متماوج مزركش لأمزونة من تلك الأمزونات الأشبيلية من أتراب كارمن كما يتخيّلها مديرو الرّخرف في المسارح. حقًا، كم أغبط الرّهبان، بل أحسدهم على المواقع الفاتنة التي ينتقونها لتشييد دياراتهم! ومع هذا-وما أعجب منطقهم في كلّ شيء! -يهولون بصوامعهم وكأنّها أفاحيص القطا أو سراديب الخلد!"<sup>569</sup>، كان هؤلاء الرّهبان يعيشون في عزلة صوفية وجودية حاملة تجعلهم ينغمسون في الطّقوس الرّومانية التي تفرّضها عليهم الأديرة التي يتعبّدون فيها، كانت هذه الأديرة الرّابضة عند تخوم مدينة مدريد هي بمثابة تحف فنّية نادرة شيّدت على أساس متين، نجد في هذه الأديرة الأسبانية روائع الفنّ القوطي الذي كان سائدا في أوروبا في القرون الوسطى الغابرة.

يرى بأنّ فكر القرون الوسطى مازال يسيطر في أسبانيا إلى الآن، لأنّ أسبانيا لم تتفتح بعد على الحداثة والتّنوير بل بقيت تعيش في جلاباب الفكر القروسطي، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "ولا عجب، فإنّ أسبانيا لم تعرف عصر النّهضة وإحياء العلوم، وظلّت موصدة الأبواب دون هذه (النّهضة) وما أتت به من روح جديدة. ماذا أقول! بل إنّ الفكر الأسباني لا يزال حتّى اليوم، ويا للأسف الشديد، يستمدّ وجوده وشكوله ومقولاته من الفكر

<sup>568</sup> نفسه، ص: 260.

<sup>569</sup> نفسه، ص: 266.

## الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي

الوسيط!"<sup>570</sup>، بقيت أسبانيا تسبح في لجة الماضي السحيق الذي لا يبشّر بخير، لم ترد أسبانيا أن تنهض من كبوتها وتلحق بركب الدول التي تبنت الحداثة والتّوير في فكرها وفي سياستها وفي نظامها الاجتماعي، ولكن للأسف الشديد بقيت أسبانيا رهينة ماضيها الحضاري الذي توقّف عند محطة الفكر القروسطي الذي كان سائدا في أوروبا.

لقد استولى الأسبان على المخطوطات العربية النفيسة في الأندلس، وهذا الاستيلاء كان نعمة كبرى على العلم وعلى التّراث العربي لأنّ هذا التّراث المدفون أخرج المستشرقون إلى العلن وأذاعوه بين النّاس، يقول بدوي موضّحا هذه الفكرة ما يلي: "وعندي أنّ هذا الاستيلاء كان نعمة كبرى على العلم والتّراث العربي، فلولا ذلك لضاعت هذه التّفاس بين أيدي من يؤودهم حفظها، أو في القليل ظلت محرّمة على أهل العلم، بينما هي اليوم في مكان أمين يقوم على شأنها حفظة بررة، ألا ليت كلّ هزائم العرب كانت من هذا الطّراز!"<sup>571</sup>، لقد ساهم المستشرقون الأسبان في الحفاظ على تراثنا العربي الإسلامي وصيانتته من الضياع لكي لا يندرس ويذهب هباء منثورا.

لم ينبهر وهو في مدريد بالكنائس الأسبانية بل اعتبرها مجرد معابد لا روح فيها، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "ما من كنيسة زرتها من قبل في إيطاليا أو فرنسا- وكتاهما كاثوليكية- إلا واعتزاني إحساس ديني رهيب فيه حنان وخشوع، وفيه نشوة روحية تشعني بضرب من المشاركة الوجدانية مع هذه المعابد، فكان كياني كلّ يهتّر وإياها، فما بالي ها هنا لا ينتابني مثل هذا الشّعور! إنّما إحساسي هنا مزيج من الانقباض وعدم الاكثرات بل والإرهاق الممض"<sup>572</sup>، لم تكن في الكنائس الأسبانية مسحة جمالية ولا فن راق بل هي أماكن للعبادة فقط، عندما زارها شعر بالقنوط وبالسأم وبالكآبة لم يجد فيها الجمال الوجودي الذي كان يبحث عنه في تلك الكنائس التي هام بها وجدا وغراما وصباية.

<sup>570</sup> نفسه، ص: 270.

<sup>571</sup> نفسه، ص: 271.

<sup>572</sup> نفسه، ص: 274.

لقد انبهر بشخصية القديس فرنسيسكو الأسيزي François d'Assise (1182م-1226م) عندما شاهد صورته في كنيسة بأسبانيا، كان هذا القديس رجل دين متسامح وله نزعة روحية نورانية، يقول بدوي وهو يرسم ملامح صورة هذا القديس كما تصوّرها في ضميره ووجدانه ما يلي: "لقد طالما عرفت القديس فرنسيسكو في مغانيه: ملكا هائما ناعما، فيه رقة تأخذ بمجامع القلوب، وقداسة حبيبة تهفو إليها النفس في غير قهر، وألفته روحا نورانية ترتق في سماء من البلور، الشمس أخته، والنور غذاؤه، والطبيعة الصافية الزاهية فراشه"<sup>573</sup>، كان كلما ذهب إلى أسبانيا إلّا وزار كنائسها واستحضر أرواح كلّ القديسين الذين مرّوا من هناك، كان بالرغم من نزعته الإلحادية يحترم جميع الأديان السماوية والأديان الأرضية.

لقد عرفت أسبانيا منذ القدم بلعبة مصارعة الثيران، وهي لعبة ورياضة تعتمد على القوّة وعلى الذكاء وعلى الدهاء، بل هي رياضة ولعبة شعبية توارثتها الأجيال في أسبانيا كابرا عن كابر، يقول بدوي: "حلبة مصارعة الثيران، ورذاذ من المطر الغليظ يساقط على هذا الحشد الهائل من النظّارة، فينثر قلائد الدرّ على وجوه الحسان اللواتي انتظمن هذا المكان ذا المعمار الأندلسي الرّشيق، تتحدر مدارجه في سرعة أو تصاعد حتّى علوّ شاهق، وتتوجّه الطّنف الدّائرية نوات الأقواس العربية والأعمدة النّحيلة والتّيجان المزخرفة بالأرس ك الأزرق والأحمر من القرميد النّاعم."<sup>574</sup>، في هذه الحلبة كان يصارع الرّجل الثور بذلك المنديل الأحمر حتّى يسهل عليه خداعه وترويضه ومخاتلته وهذا الأمر يتطلّب ذكاء حادًا وبصيرة نافذة، وقد حاول بدوي في روايته (الخور والثور) أن يقدّم قراءته الوجودية لفنّ مصارعة الثيران في أسبانيا، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "لكم أن تقولوا عن هذه المصارعة إنّها وسيلة لتصريف الهموم المكبوتة في هذا العصر، وعند الأسبان بخاصّة،

<sup>573</sup> نفسه، ص: 275.

<sup>574</sup> نفسه، ص: 280.

هموم الدّم والقسوة والخسّة والخديعة والمغامرة، وكأنّ فيها عملية تطهير أرسطية ولكم أن تعدّوها ذكرى هزلية لعهد الفروسية الزّاهر، وفي نفوسكم جميعا حنين غامض إليه، بله إلى عودته وإن كذب لسانكم." <sup>575</sup>، يمثّل فنّ مصارعة الثّيّران في أسبانيا الصورة التي كانت سائدة للفروسية في القرون الوسطى في أوروبا وهي في صورتها المجملّة تعتمد على البطل الأوحد الذي يجسد التّزعة الفردانية التي عرف بها الإنسان الأوروبي في القرون الوسطى، لقد أثّرت الفروسية العربية التي نقلها أجدادنا إلى الأندلس في الفارس الأسباني الذي برع في فنّ مصارعة الثّيّران وبدّ فيه أقرانه.

كانت رياضة مصارعة الثّيّران في أسبانيا مدعاة للفخر وللتباهي وليس لها علاقة بالفروسية لا من قريب ولا من بعيد، يقول بدوي: "ولكم أن تتشدوا في الحفل معرضا للتباهي بالأزياء والألوان: الغواني بفتنتهنّ المثيرة، والتي تزداد إثارة على منظر الدّماء، وهندامهنّ الأنيق، ومراوحهنّ الزّاهية الرّائعة الألوان، ونظراتهنّ المتشوّفة بلهفة إلى الرّجولة الشّامخة ممثّلة في أولئك المصارعين، والرّجال بألوان السّيّجار الضّخم الطّويل الذي أصابني بكلّ دوّار، وبالقبّعات الزّاهية، وبالدم الفائر التّائر مع الفارس حيناً ومع الثّور حيناً آخر، لكم هذا كلّه ولا تثريب عليكم، فدواعي الهموم النّفسية من التّعقيد بحيث تتلمّس كلّ مجال، لكنّي أستحلفكم بالله ألاّ تعدّوا مصارعة الثّيّران من الفروسية في شيء، أعني من الشّجاعة والشّهامة والشّرف." <sup>576</sup>، كان فنّ مصارعة الثّيّران في أسبانيا فنّ نبيل لا يمارسه إلاّ النّبلاء ووجهاء القوم، إنّه فنّ راق أصيل يساهم في صناعة حضارة ذلك الإنسان في ذلك العصر الذي اتّسم بالشّهامة وبالأصالة وبالفروسية وبالنبالة.

تعتبر مدينة طليطلة الأسبانية هي موطن أجداده لأنّه ينحدر من أصول أندلسية، فعائلته فرّت من محاكم التّفتيش التي أقامها الأسبان من أجل القضاء على المسلمين

<sup>575</sup> نفسه، ص: 283.

<sup>576</sup> نفسه، ص: 283-284.

وطردهم من أسبانيا، يقول بدوي: " دخلت طليطلة بين مواكب الألوان ومواكب الأشجان. سهوب من الرّمْل القاني تتراءى كأنّها أمواج من الجمر المتقدّ، تتخلّلها أفواف من الصّفرة الكايبية في مجراها يسبح الحصى الرّقيق. اتّقي يا سهوب، فقلبي عامر بفرحة الماضي العريق! واصفري يا رمال، فذكرى آبائي الأمجاد تشيع الحسرة في حاضري الحزين! " <sup>577</sup>، هنا يتذكّر أسلاف أجداده الذين مرّوا على بلاد الأندلس وأناخوا بها ردحا من الزّمن، كما أنّه زار كنيسة عريقة في مدينة طليطلة الأسبانية واستحضر أرواح أجداده الذين مرّوا من هناك، لقد وجد في مدينة طليطلة عقب التّاريخ والحضارة والمجد والسّودد، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: " ومضيت أضرب في طرقات المدينة السّاكنة أفّتش عن آثار أجدادي. فمررت أوّل ما مررت بكنيسة سنتيا جود ل أرابال Santiago Del Arrabal، وهي كنيسة عتيقة، من طراز عربي خالص في بنائها وبرجها ورواقها الخارجي: فهذه النّوافذ، وبخاصّة نوافذ البرج، عربية خالصة، وهذا البرج عربي النّجار، وإن عبثت به روح مدجّنة. " <sup>578</sup>، عندما زار هذه الكنيسة انبهر بجمالها الأسطوري الخالد، هي تحفة فنّية في حدّ ذاتها نكاد لا نراها إلاّ في بلاد الأندلس التي ضاعت منّا على حين غفلة منّا.

يعرض علينا في روايته (الحرور والنور) واقع الفنّ في طليطلة ويعتبره فنّا راقيا أسطوريّا يمتح من معين الإبداع الخلاق، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: " فلم يعد الفنّان يعنى بالتشابه الحقيقي بين الأيقونة وبين الشّخص الذي تمثّله، بل كلّ همّه أن يقدّم صورة تتسم بالقداسة الصّارمة والتّهاويل الخارقة، فإنّ الأشخاص رموز والحقيقي هو المعنى المنطوية عليه، وهذا المعنى ينبع عندها من أوهام الفردوس الذي تخيلته لنفسها، وعندنا في الفنّ القبطي المصري خير نموذج لهذا الفنّ البيزنطي المسيحي الذي غادرت حياة الأرض

<sup>577</sup> نفسه، ص: 285.

<sup>578</sup> نفسه، ص: 288.

وجرت في عروقه دماء السماء.<sup>579</sup>، إنّه فنّ خالد لا يموت لأنّه خرج من رحم الإبداع  
الإنساني وصار تحفة نادرة تتناقلها الأجيال كبرا عن كابر.

عندما عرّج على مدينة طليطلة الأسبانية زار كنيسة القديس توما Thomas  
D'aquin (1225م-1274م) وحاول أن يستحضر أنسام القديسين الذين مرّوا من هناك،  
يقول بدوي: " فانطويت على نفسي أتنفّس كوامنها المشبوبة، ويممت شطر كنيسة القديس  
توما Santo tomé، مخترقا طرقا تلعّفت بالأسرار وعلتها شرفات تنثر عليك ورد الشوق  
إلى الغواني اللواتي ألهبت أجسادهنّ حرارة الحبّ العامر بالإيمان. ولكم تمنّيت أن أقطن هذه  
البلدة السحرية وأن أحمل القيثارة كلّ مساء لأعزف عليها مقطوعات الأماسي Serenatas،  
للعيون النّجل السّود التي مرّقت فؤادي في هذه الشرفات!"<sup>580</sup>، إنّها تحفة نادرة صنعتها يد  
الإنسان، وزار كذلك كاتدرائية طليطلة فوجدها ظاهرة فنيّة عجيبة، يقول بدوي: " الحقّ أنّ  
كاتدرائية طليطلة خليط عجيب يكشف عن اضطراب نفسي هائل وفقدان الإحساس بالنّسب،  
حتّى ليخيّل إليّ أنّها فسيفساء تجمّعت مواده من كلّ مكان لا تميّز ولا اختيار، ولهذا لم  
يسترع اهتمامي فيها إلّا بقايا الفنّ العربي الغرناطي في بعض مناحيها: في ضريح يوجد في  
كابلة سان يوجنيو Capilla de San Eugenio، وفي الأقواس القائمة في القسم الأعلى  
من متقاطع Transept، الكاتدرائية."<sup>581</sup>، ففي مدينة طليطلة نجد عبق حضارة الأندلس  
العريقة، كان مولعا بماضينا التّليد الذي تركناه وراءنا ظهرًا في أسبانيا، لقد حنّ إلى أصوله  
الأندلسية لذلك سافر إلى مدينة طليطلة وزار الأماكن التي تذكّره بأجداده وبماضي حضارة  
الأندلس الغابر.

<sup>579</sup> نفسه، ص: 291-292.

<sup>580</sup> نفسه، ص: 296.

<sup>581</sup> نفسه، ص: 299.

من خلال ولوجنا لدروب مباحث هذا الفصل نكون قد خرجنا بالنتائج الآتية وهي كما يلي:

- 1- كانت روايته (هموم الشَّبَاب) عنوان الصّراحة والبوح والاعتراف الذاتِي.
- 2- لقد عبّرت روايته (هموم الشَّبَاب) عن نزعتة النّازية المتمردة على كلّ شيء.
- 3- نجد في روايته (هموم الشَّبَاب) أصداء أدب الهامش الذي يقنّح قلاع المسكوت عنه والمتمثّل في الحديث عن الجنس بكلّ حرية دون خوف من الرّقيب.
- 4- في روايته (هموم الشَّبَاب) نجد نقدا لاذعا لظاهرة الدّعارة التي انتشرت في مصر خاصّة في عهد الإنجليز.
- 5- كانت روايته (الحرور والنّور) هي السّيرة الذاتية له وهي التي أرّخت لغرامه السّادر الذي جعله يصاب بعقدة أوديب ويكره المرأة كرها شديدا.
- 6- حاول في روايته (الحرور والنّور) أن يقرأ جمال فن المعمار الكنسي القوطي قراءة وجودية طافحة بالحمولة الصّوفية.
- 7- لقد عبّرت روايته (الحرور والنّور) عن التّسامح الدّيني الذي يجب أن يكون بين الدّين الإسلامي وبين الدّين المسيحي خاصّة في مصر وفي لبنان.
- 8- كانت روايته (الحرور والنّور) رواية وجودية تحاول الحفر في أعماق الذات الإنسانية التي أرّقها الاكتئاب والقلق الوجودي.

في الفصل الثّالث سنحاول استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السّير ذاتي عند عبد الرّحمن بدوي وهذا من خلال الحفر في سيرته الذاتية والغوص في أعماقها لعلّنا نعثر على المسكوت عنه ماثلا أمامنا كالشّمس في رابعة النّهار، هذا ما سنراه في الفصل الآتي.



## الفصل الثالث:

استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي

عند عبد الرحمن بدوي

## توطئة:

سنحاول في هذا الفصل أن نستنطق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي وهذا من خلال الوقوف عند الكلمات المفتاحية التي تدلنا على المعنى الكامن في النص وهو المعنى الحقيقي الذي أراد الكاتب أن يوجّهه إلى المتلقي (القارئ)، فكاتب السيرة الذاتية يتخفى وراء الأنساق المضمرّة لكي يوجّه رسالة ما إلى قارئ معين، يمتلك آليات القراءة التي تمكّنه من الحفر في أعماق النصوص والغوص في ثناياها العديدة، والمسكوت عنه هو ما لم يقله الكاتب في نصّه السير ذاتي المليء بالأنساق المضمرّة وبالرسائل المشفّرة وبالخطاب المستنقذ الذي يتطرق إلى التابوهات بمختلف أنواعها كالتأبؤ الديني والتأبؤ السياسي والتأبؤ الاجتماعي والتأبؤ النفسي والتأبؤ التاريخي، فكاتب السيرة الذاتية يتحرى الصدق والصراحة في كتاباته حتى يتسنى له تكسير كلّ التابوهات بمختلف أنواعها ويقترح كلّ قلاع الفكر الحصينة وهذا ما فعله بدوي في خطابه السير ذاتي الخاصّ به.

كتب سيرته الذاتية الموسومة بـ: (سيرة حياتي) في جزئين في سنة 2000م، وهو في خريف عمره لكي يعلن عن مراجعاته الفكرية حول مشروعه الفلسفي المتمثّل في إقامة فلسفة وجودية في مصر وفي الوطن العربي، لقد آمن بمشروعه الفلسفي ودافع عنه في كتاباته الأدبية والفكرية والفلسفية، كان من أهمّ المدافعين عن الفلسفة الوجودية في مصر وفي الوطن العربي بل يعتبر من أهمّ روادها ومن أهمّ منظريها، لقد حاول في خطابه السير ذاتي أن يكون صريحا إلى أبعد حدّ، لا يتملّق ولا يداهن المتلقي بل يصدمه ويقلقه ويثير فيه الأسئلة الجريئة، قدّم لنا في سيرته هذه الذاتية حقائق صادمة قد لا تروق المتلقي (القارئ) ولكن لا بدّ منها حتى يتسنى لنا استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عنده،

يعتبر من أهمّ المفكرين العرب المعاصرين الذين دونوا سيرتهم الذاتية وهم في خريف العمر، لقد كتب سيرته الذاتية بأسلوب أدبي جميل لا يكاد يخلو من عاطفة جيّاشة وهذا يدلّ على تمكّنه الجيّد من ناصية اللّغة العربية، فهو يعتبر من أرياب الفصاحة ومن فحول الشعراء الذين لهم باع طويل في هذا المجال، لقد ساهم بمؤلفاته الأدبية والفكرية والفلسفية في رقيّ الفكر العربي وفي تأنيث العقل العربي وتثويره بل ساهم في البناء الحضاري للإنسان العربي المعاصر، تكلم في سيرته الذاتية بلسان عربي وجودي مبين ليخاطب الأجيال على مرّ العصور والدّهور بشطحات صوفية وجودية لا يدركها إلاّ العارفون (النقاد)، فالمعنى لا يخفى عليهم لأنّه ظهر في ثوب المسكوت عنه.

### المبحث الأوّل: هكذا تكلم عبد الرحمن بدوي في سيرته الذاتية

كان يرتاد المقاهي الألمانية من أجل ملاقاته خلّانه وأترابه، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "وكان ملتقانا في مقهى يسمّى مقهى لويتبولد Luitpold café، وكان مقهى ضخما قريبا من ميدان أوديون-في شارع مكسمليا ن. وكان على نمط المقاهي الألمانية العريقة في فرانكفورت، أعني أنّه كان مقهى وقاعة موسيقية، تعزف فيها فرقة موسيقية أنغاما كلاسيكية وحديثة. لكننا كنّا في الغالب نجلس على شرفتها الواسعة. وهنا يوافينا زملاء مصريون آخرون لفؤاد عسل، أذكر منهم طبيبين هما سرّي، والجندي، وطببيا بيطريا يدعى راغب كان يقضي فترة تدريب لمدة عام، وكان ذلك في هامبورج" <sup>582</sup>، فهذه المقاهي الأدبية كانت تتناقش أهمّ القضايا السّياسية والفكرية التي تشغل السّاحة والرّأي العامّ، لقد ولدت التّيّارات الفكرية والمذاهب السّياسية في هذه المقاهي الأدبية العريقة والموغلة في القدم.

<sup>582</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج1، ص: 84-85.

كان كلّ مساء خميس من كلّ أسبوع يذهب مع شلّة من خلّانه إلى حانة هوفبروي وهي حانة من الطراز الرّفيع، يقول بدوي: " وفي مساء الخميس من كلّ أسبوع كنّا نذهب معا إلى حانة هوفبروي وهي حانة ضخمة جدًا مؤلّفة من ثلاثة طوابق وتقدّم فيها أقداح ضخمة يسع كلّ منها لترا، من البيرة، ومدينة منشن أشهر بلاد ألمانيا، بل العالم كلّ، يصنع البيرة، وفي يوم الخميس بخاصّة كانت حانة هوفبروي تقدّم فراخا مشويّة على السيخ.<sup>583</sup> " كان يريد أن يستمتع بشبابه الذي قضاه في العريضة والمجون، لقد راقه شرب الخمر وهو في ميعة الصبا وشرخ الشّبّاب، يقول بدوي وهو يصوّر عالم هذه الحانة العجيب ما يلي: " وكان منظر عجيبا أن ترى الفتيات والسيدات اللواتي يعملن في هذه الحانة وهنّ يحملن في المرّة الواحدة عشرة أو أكثر من أقداح البيرة الضخمة، وصار ذلك من المعالم البارزة في هذه الحانة. ويعجب المرء لقدرة هؤلاء الألمان على شرب البيرة: لقد شاهدت بنفسي وأمامي على المائدة التي نتشارك فيها رجلا ألمانيا في منتصف العمر وقد تجرّع في أقلّ من ساعتين اثني عشر قدحا- أي اثني عشر لترا من البيرة، وهو جالس هادئ جدًا لا يكاد يبدو عليه أي أثر لذلك. كلّ ما هنالك أنّه يقوم بين الحين والحين ويذهب إلى دورة المياه، ومع احتساء البيرة تعزف موسيقى صاحبة كلّها آلات نفخ نحاسية وطبلة ضخمة. ويقدر عدد الحاضرين أحيانا بعشرة آلاف شخص في الوقت الواحد.<sup>584</sup> " نلاحظ هنا بأنّ الشعب الألماني له قدرة عجيبة ورهيبة على احتساء الخمر، ولقد تأثر وهو في ألمانيا بهذه العادة السيئة وصار من رواد الحانات ويحتسي الخمر بشراهة مبالغ فيها، أراد أن يتحدّى كلّ الأعراف الاجتماعية والدينية لكي يدخل قلعة التابو الاجتماعي والديني.

<sup>583</sup> المصدر السابق، ص: 85.

<sup>584</sup> المصدر نفسه، ص: 85.

لقد اشتهرت هذه الحانة دون سائر الحانات في ألمانيا لأنّ الرّعيم النّازي أدولف هتلر وأنصاره كانوا يتردّدون على هذه الحانة، وفي كواليسها تمّ تأسيس الحزب النّازي الذي سيغيّر مجرى التّاريخ ليس في ألمانيا وحدها بل في العالم بأسره، يقول بدوي في سيرته الذاتيّة وهو يتحدّث عن سبب شهرة حانة هوفبروي بألمانيا ما يلي: "وقد اشتهرت هذه الحانة بالذات-دون سائر الحانات- لأنّ هتلر وأركان الحزب النّازي كانوا يلتقون فيها كلّ مساء خميس قبل وصوله إلى السّلطة في 30 يناير سنة 1933. كما أنّ هتلر كان يختارها أحيانا لعقد اجتماعات الحزب النّازي وفيها حدثت معركة للحزب في 1921/11/04".<sup>585</sup>، لقد تأسّس الحزب النّازي في هذه الحانة التي شهدت سجالات حادّة بين أنصار الحزب وبين خصومه الطّبيعيين، كان تستهويه اللّيالي الحمراء في حانة هوفبروي بألمانيا، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وكان السّهر في هذه الحانة يمتدّ حتّى مطلع الفجر. ولما كنت لا أحتسي مشروبات كحولية آنذاك، فقد كنت أكتفي بأكل الدّجاج المشوي، وطلب قدح واحد من البيرة طول الوقت يشربه أحد الزّملاء عند عزمنا على الرّحيل. لكنّ الجوّ العامّ للحانة كان يمتعني: الموسيقى الصّاخبة، وتشابك الأذرع بين الجالسين على المقاعد الطّويلة التي قد تمتدّ خمسين مترا مع الحرص على أن يكون جلوسي بين فتاتين جميلتين إن أمكن!"<sup>586</sup>، كان وهو في ميعة الصّبّا غارقا في بحار اللّهُو والمجون يبحث عن اللذّة ويطلبها طلبا حثيثا، وفي سيرته الذاتيّة هذه أعرب عن نزعه الإيروسية بكلّ أريحيّة.

يبدو أنّ الشّعب الألماني في نظر بدوي هو شعب مؤدّب ومسالّم ويحترم حقوق الإنسان، يقول بدوي: "وكانت معاملة الشّعب الألماني غاية في الأدب وحسن المعاملة، والرّغبة في المساعدة. ولم أشكّ في أيّة لحظة من أيّ تصرّف يصدر عن الألمان، حتّى في الحانات الصّاخبة. ولم أشعر أبدا طوال الشّهر ونصف الشّهر في منشن بأيّ أثر للشرطة الألمانية أيّا كان نوعها: الشرطة العادية، أو الشرطة السّريّة. ولم أشعر بأيّة رقابة كائنة ما

<sup>585</sup> نفسه، ص: 85.

<sup>586</sup> نفسه، ص: 85.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

كانت مسلّطة على أحد ممّن أعرف.<sup>587</sup>، فألمانيا هي بلد الحرّيات وهي معروفة باحترامها لحقوق الإنسان، لقد وجد في ألمانيا خلاصه وملاذه الآمن لذلك اعتنق المذهب الوجودي الذي وجد آثاره في ألمانيا، كان مولعا بالحضارة الألمانية وبالآداب الألماني وبالفلسفة الألمانية وهو الذي عرّفنا على هذا الكنز الذي لا يقدر بثمن.

حاول في سيرته الذاتية تفنيد اضطهاد هتلر لليهود الألمان، وهذه الأكذوبة روج لها الإعلام الأمريكي الغربي المتصهين، يقول بدوي: " ولم أسمع أثناء مقامي، ولا من أصحابي المصريين هؤلاء عن أيّ أعمال عنف ضدّ اليهود، إذن فما معنى هذه الأكاذيب التي أذيعت في شتّى أنحاء العالم-خصوصا في أمريكا وفرنسا وإنجلترا- عن اضطهاد مزعوم لليهود في ألمانيا حتّى سنة 1937 على أقلّ تقدير؟ ثمّ إنّ الكثيرين من العلماء والفلاسفة والمستشرقين اليهود بقوا في ألمانيا، وظلّوا ينشرون مؤلّفاتهم، ويواصلون العمل في الجامعات حتّى سنة 1939-لم ينلهم أيّ أذى، أذكر منهم مؤسس مذهب الظاهريات إدموند هسرل Hesserl (1859-1938) الذي بقي في فرايبورج-إن بريسجاد-وكان أستاذا في جامعتها-حتّى وفاته في أبريل سنة 1938.<sup>588</sup>، فهتلر لم يقم باضطهاد اليهود الألمان الذين بقوا بعيدين عن السياسة ولم يدخلوا في خصومة سياسية مع النازيين، يقول بدوي: " أمّا حملات النازية على اليهود فكانت جزءا من حملات النازية على من كانوا خصوم النازية في الفترة السابقة على تولّيها الحكم في 1933/01/30. فكانت إذن عملا سياسيا محضا لا تفرّق فيه بين يهودي وغير يهودي. ولا شكّ في أنّ اليهود في ألمانيا في عهد ما يسمّى بـ (جمهورية فيمار)، أي من سنة 1920 حتّى سنة 1933 كانت لهم قوّة ضخمة في الحياة السياسية والاقتصادية والفنّية الألمانية.<sup>589</sup>، فحملات النازية على اليهود في ألمانيا هي عمل سياسي محض ليس له أيّ علاقة بكلّ الصّراعات العرقية التي تحدث في كلّ العالم، لذلك حاولت النازية التقليل

<sup>587</sup> نفسه، ص: 86.

<sup>588</sup> نفسه، ص: 86.

<sup>589</sup> نفسه، ص: 87.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

من نفوذ اليهود في ألمانيا، يقول بدوي: "فبأي حقّ، وفي أيّ شرع يجوز أن يتحكّم نصف مليون يهودي في أكثر من ستّين مليون من الألمان؟ إنّ أبسط قواعد العدالة والواجب كانت تقضي على كلّ ألماني حرّ الضّمير أن يتخلّص من سلطان هذا النّصف مليون. وهذا ما فعلته النّازية تدريجياً وبالطرق القانونية السّليمة. فتركت لهم الحرّية التّامة في مغادرة ألمانيا هم وممتلكاتهم، وسهّل لهم ذلك كونهم يحملون جوازات سفر ألمانية، وكان حامل جواز سفر ألماني له الحقّ في دخول معظم دول أوروبا بدون فيزا (تأشيرة الدّخول). ولم يمنع الحكم النّازي أيّ يهودي من الرّحيل خارج البلاد طوال حكم النّازية.<sup>590</sup> " لقد أثبت التّاريخ بأنّ اضطهاد هتلر لليهود الألمان هو مجرد أكذوبة صنعها الإعلام الأمريكي الغربي المتصهين وهذا من أجل وضع يده على فلسطين وجعلها وطناً قومياً لليهود وهو ما تمّ بالفعل في قادم الأيام.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ النّازية وضعت قواعد جائزة ضدّ اليهود وهذا من أجل تكميم أفواههم والحدّ من نشاطهم السّياسي داخل ألمانيا والمتمثّل في نشاط الحركة الصّهيونية الذي بدأ في النّمسوا وامتدّ حتّى جاوز تخوم ألمانيا، يقول بدوي: "والقوانين التي أصدرتها النّازية لتنظيم شئون اليهود في ألمانيا-وقد صدرت في 15 سبتمبر سنة 1935 في نورمبرج وعرفت باسم (قوانين نورمبرج) لم تشتمل إلّا على ما يلي من القواعد الأساسية: تحديد من هو (اليهودي)، منع الزّواج بين اليهودي والمسيحي-وهو أمر تفرضه الكنيسة الكاثوليكية نفسها في قوانين الزّواج المسيحي-والاتصال الجنسي بين اليهود وغير اليهود كان يعتبر تدنيساً للجنس Rassenschande، ويحتمل العقاب، منع استخدام اليهود لخدمات ألمانيات غير يهود.<sup>591</sup> " لقد تعاملت النّازية مع اليهود من منطلق إيديولوجي بحثّ، فاليهود يعتبرون أنفسهم هم شعب الله المختار والنّازية تعتبر الجنس الآري أفضل الأجناس وأنقى الأعراق، ولكنّ اليهود هؤلوا من القواعد التي وضعتها النّازية لهم خاصّة في وسائل الإعلام التّابعة

<sup>590</sup> نفسه، ص: 88-89.

<sup>591</sup> نفسه، ص: 89.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

لهم، يقول بدوي: "فماذا في هذه القواعد من (شدوذ) يجعل اليهود في سائر أنحاء العالم يقيمون الدنيا ويقعدونها متهمين واضعياً بالفظائع والمنكرات والجرائم ضدّ الجنس البشري؟! إنّ المرء يعجب كلّ العجب من وقاحة هذا الافتراء، ومن غفلة من يصدّقونهم ! ولكنّها الوقاحة في الكذب، والسّيطرة على وسائل الإعلام هما السّبب الأوّل في هذا الأمر العجيب."<sup>592</sup>، لقد جعل الإعلام الأمريكي المتصهين من أكذوبة اضطهاد النازية لليهود في ألمانيا قضية رأيّ عامّ ملأت الدنيا وشغلت الناس.

لقد هام وجدا بجمال الطّبيعة في قرية شرباص، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "والمنظر الطّبيعي في شرباص رائع الجمال: في الصّيف أو في الشّتاء، فما أجمل حقول الأرز إبّان الصّيف طوال النّهار، وما أبدع نقيق الضّفادع فيها إبّان اللّيل كأنّها تسابيح كورس مصحوب بنغمات الأرغن، وعجبي منها كيف لا تملّ هذا التّسييح الرّتيب، وماذا يحملها عليه، خصوصا حين يسطع القمر! لهذا لا يشعر المرء بالوحشة آناء اللّيل، كذلك يؤنّسك في اللّيل صوت النّواعير بنغماته الحادّة، وكأنّه لحن الأنشولو في أوبرات فجر".<sup>593</sup>، إنّها طبيعة صامتة تشرح الفؤاد وتسلب اللّبّ وتجعل النّفس تسمو إلى المعالي وتمتّح من معين ذلك الصّفاء السّرمدى الذي يتماهى مع المطلق وينساب أثيره اللامتناهي في ذواتنا الوجودية التي فنت فناء صوفيّا واتحدت مع الطّبيعة اتحادا تامّا ومطلقا.

لقد اندمج مع الطّبيعة اندماجا تامّا وراقه جمال الطّبيعة في الشّتاء وفي الصّيف، يقول بدوي: "وفي الصّيف أيضا يرفّ نوار القطن بألوانه الزّاهية: الأحمر والأصفر والبنفسجي، بينما صفوف الثّيل المحيطة بكلّ قطعة من أرض القطن تزدهي بأزهارها السّمنية اللّون في كبرياء وشموخ. فإنّ جنحت الشّمس للمغيب أخذ النّوار في الانطواء على نفسه احتماء من ظلام اللّيل، فترى في ساعة الأصيل ما لا تراه في ساعة الصّباح الباكر أو في رائحة النّهار:

<sup>592</sup> نفسه، ص: 89.

<sup>593</sup> نفسه، ص: 11.

ألوان تتجدد، وأشكال تتغير آناء الليل وأطراف النهار، ونبات الأذرة، وما أدراك ما نبات الأذرة! أوراق عريضة طويلة خضراء تتفرّع على طول ساقى القصبه. حتّى إذا أثمر برزت الكيزان عليه وتدلّت منها خصل من الشّعْر البنيّ، وما أروع عيدان الأذرة حين يستظلّ المرء بها في الهاجرة! أمّا في الشّتاء فحقول البرسيم الأخضر الغامق، وحقول القمح الخضراء في الشّتاء، المصفارة في أوائل الرّبيع، الذهّبية في أيّار. فلها سحرها هي الأخرى وإن يكن أقلّ فنتة من سحر مزروعات الصّيف.<sup>594</sup>، لقد حاول أن يقرأ كلّ السّطور التي يحتويها كتاب الطّبيعة الخاصّ بقرية شرباص، وراقه كذلك ذلك الكورس العجيب المتكوّن من الطّيور والحشرات، وراقه جلال وعظمة النّيل الخالد، يقول بدوي: " وأنواع الطّير لا حصر لها: من العصافير والزّراير والحمام حتّى الهداهد والحدأة والصّقور. وكلّها بأصواتها المتباينة تملأ الجوّ بالعديد من الألحان: المطرب منها والنّاشز. والوفرة الهائلة من الحشرات الطّائرة والزّاحفة والماشية تجعل المرء يعجب من خصوبة البيئة في إنتاج الأحياء وتفنّنها في الخلق. ومنها المؤذي للإنسان كالزّنابير، والمؤذي للنبات كالنّطّاط ودود القطن والحفّار، ومنها الجميل المنظر البريء السلوك مثل الفراشات بأنواعها غير المتناهية. ناهيك بالنيل وانحناءاته الرّشيقه عند شرباص، وما يتفرّع عنه من ترع وقنوات، وما تنتهي إليه مياه الرّيّ من مصارف كبيرة وصغيرة يعلو مياهها الساكنة النّيلوفر بأوراقه المستديرة المنبسطة وجذوره المتشعّبة على سطح الماء. وبفضل مناظر حقول القطن والأرز والأذرة عرفت جمال الطّبيعة وصرت أتذوق الألوان وأطرب إلى الألحان. وبفضل اتساع الفضاء في الرّيف أصبحت أميل إلى الوحدة وأنشد العزلة وأتشرّب وحدة الوجود وأنتفّس أنسام المروج الكلّية السّارية في الطّبيعة. وكانت أجمل السّاعات عندي هي ساعة الأصيل: فكنت أطوف في الحقول متأمّلاً أشعة الشّمس وهي تلقي بومضاتها الأخيرة على نوار القطن والنّيل، وينساب ضوءها المتوهّج على أزهار عبّاد الشّمس المتراصّة صفوفًا حول كلّ فدّان، والزّنابير تطنّ طنينها الرّتيب

<sup>594</sup> نفسه، ص: 11.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

المتناغم.<sup>595</sup>، كانت الطَّبِيعَةُ الشَّرْبَاصِيَّةُ هي معبده الأمان الذي يخلو إليه كلِّما اعترته الهموم وطاف عليه طائر الكآبة منغصا عليه حياته، لقد وجد في الطَّبِيعَةُ الشَّرْبَاصِيَّةُ السَّعَادَةَ السَّرْمَدِيَّةَ والرَّاحَةَ المَخْمَلِيَّةَ، إنَّها جَنَّةٌ أَرْضِيَّةٌ أبداعها الخالق وجعلها موئلا للشعراء الحالمين ووطنا للصوفية العارفين وكهفا للفلاسفة الوجوديين.

يرى في سيرته الذاتية بأنَّ الصِّراعَ على السُّلْطَةَ اشْتَدَّ وطيسه بين الأُسْرَ في قرية شرباص وهذا لكي يحصلوا على الوجاهة الاجتماعية وما تحقَّقه من نفوذ سياسي وغير سياسي، وكانت أسرته في قرية شرباص لها وجاهة اجتماعية مرموقة ولها نفوذ سياسي مرموق، يقول بدوي في هذا الصِّدَدِ ما يلي: "وكما أنَّ في الدَّوْلَةَ صِراعًا على السُّلْطَةَ بين الأحزاب، فإنَّ في القرية صِراعًا على السُّلْطَةَ بين الأُسْرَ، السُّلْطَةُ المِتمنَّلةُ في منصب العمدية، بما تمثَّله من وجاهة اجتماعية وما تعنيه من نفوذ سياسي وغير سياسي، وقد تولَّى والذي منصب العمدية في أكتوبر سنة 1905 خلفا لأبيه الذي شغل هذا المنصب عشرات من السنين حتَّى وفاته سنة 1905.<sup>596</sup>، كان والده من وجهاء القوم وله شخصيَّة قويَّة ساهمت في تكوين شخصيته الفكرية والسياسية، كان شديد التعلُّق بوالده وشديد الإعجاب به ولا نجد ذكرا لأمه في سيرته الذاتية ربَّما كان له عقدة نفسية اتجاهاها، لقد تحدَّث كثيرا في سيرته الذاتية عن والده وبإسهاب أمَّا عن والدته لم يتحدَّث عنها إلاَّ لماما أو عفو الخاطر.

كان يرى بأنَّ الصِّدْفَةَ هي التي تصنع قدر الإنسان وهذا على طريقة الملحدين، كان ملحدا لا يؤمن بأيِّ دين، ويرى بأنَّ الصِّدْفَةَ هي التي تصنع قدر الإنسان وهي التي تصنع أحداث العالم من حوله، يقول بدوي: "ولو فتشَّت تاريخ حياة أيِّ إنسان، لوجدت أنَّ نوعا من الصِّدْفَةِ هو الذي تسبَّب في ميلاده: صدفة في الزَّوْجِ، صدفة في الالتقاء بين الحيوان المنوي في الرَّجُلِ والبويضة في الأنثى، إلخ إلخ. وواهم إذن من يظنُّ أنَّ ثَمَّ ترتيبا، أو عناية

<sup>595</sup> نفسه، ص: 12.

<sup>596</sup> نفسه، ص: 07.

### الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

أو غاية، إنّما هي أسباب عارضة يدفع بعضها بعضاً فتؤدّي إلى إيجاد من يوجد، وإعدام من يعدم.<sup>597</sup> فالصدفة هي التي ترسم خطّ القدر الذي يجب أن يسير عليه الإنسان من لحظة ولادته إلى أن يحين أجله ويوضع في الرّمس، فكلّ شيء في هذا الوجود بني على الصدفة لأنّها هي التي تتحكّم في صيرورة الأشياء، فوجودنا في هذا العالم جاء صدفة فنحن لم نوجد أنفسنا ومغادرتنا لهذا العالم ستجيء صدفة كما يقول بدوي: "وبالصدفة أتيت إلى هذا العالم، وبالصدفة سأغادر هذا العالم! وآية ذلك أنّه لو لم تتطير ورقة وتتساقط على الأرض فينحني والذي لالتقاطها، لكان قد ودّع الحياة في ذلك اليوم من شهر أكتوبر سنة 1913."<sup>598</sup> هنا الصدفة هي التي رسمت قدره وهي التي رسمت حياته وموته، هنا عبّر عن مذهبه الوجودي الإلحادي الذي لا يؤمن بأيّ دين، بل يؤمن بقانون الصدفة الذي يتحكّم في كلّ شيء ويسير كلّ شيء .

لقد صور والده في أحسن صورة وأعطاه بعدا إنسانيا رهيبا، كان والده قويّ الشخصية وله منزلة عظيمة بين قومه في قرية شرباص، إذا قال يسمع لقوله وينقذ بلا مناقشة، كان والده حادّ الذكاء وله عبقرية خارقة للعادة وله ذاكرة حديدية كأنّها ذاكرة فيل، يقول بدوي وهو يرسم صورة مخملية وبرتقالية عن والده ما يلي: "وكان والدي قويّ الشخصية إلى أقصى حدّ، مرهف الذكاء، ذا حافظّة جيّارة، مستقيم السلوك والرأي، لا ينتقل من رأي إلى رأي حسب الظروف، ولا يناور ولا يداور، ولا يقبل الضيم من أحد مهما كان مركزه: في السياسة كان من حزب الأمة ثمّ حزب الأحرار الدستوريين الذي خلف حزب الأمة، واستمرّ على هذا الموقف حتّى انهار حزب الأحرار الدستوريين سنة 1950. وفي تعامله مع الفلاحين كان كأنّه واحد منهم: يأكل من طعامهم إذا لم يوافه الطّعام من المنزل، ويجالسهم أو يحادثهم حين يكون في الحقل، ويشاركهم في العمل عندما تقتضي الحاجة."<sup>599</sup> كان

<sup>597</sup> نفسه، ص: 06.

<sup>598</sup> نفسه، ص: 05.

<sup>599</sup> نفسه، ص: 15.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

والده متواضعا مع جميع الناس يعرف للكبير قدره ويعطي للصغير حقه، كان اجتماعيا إلى أقصى حدّ يجلس مع عليّة القوم ومع الوجهاء ويجلس مع الفلاحين يحادثهم ويسامرهم إلى هزيع اللّيل الأخير، يأكل من طعامهم ويغدق عليهم من ماله الخاصّ، كان والده مثقفا وله إلمام بالقراءة وبالكتابة وبالحساب وهو خريج مدارس التّعليم العتيق في قرية شرباص المصرية، يقول بدوي عن والده ما يلي: "أمّا التّعليم الذي تلقّاه فهو التّعليم المتوافر في القرية: حفظ القرآن، والإلمام بالحساب، والقراءة والكتابة. لكنّه كان يديم الاطلاع على بعض الكتب الدّينية، وعلى بعض الصّحف اليومية."<sup>600</sup>، كانت له ثقافة ساذجة ولكنها ساعدته في حياته السّياسية وفي حياته اليومية، كان والده قويّ الإيمان ويؤدّي الفروض الدّينية في وقتها وكان متسامحا مع إخوانه النّصارى، يقول بدوي: "وكان والدي قويّ الإيمان شديد الحرص على أداء الصّلاة في مواعيدها، والزّكاة في مواسمها، وحجّ إلى بيت الله الحرام في مكّة في شتاء سنة 1937. لكنّه في الوقت نفسه كان واسع التّسامح الدّيني: فكان طبيبه المعتاد في المنصورة قبطيّاً، وكان في الأمور الاقتصادية كثيرا ما يتعامل مع نصارى من كلّ المذاهب."<sup>601</sup>، فعلى الإنسان أن يكون متسامحا مع الآخر يحترم مذهبه ويتعامل معه بمنطق: لك دينك ولي ديني وحرّيتك لا يقيدّها رأيي ورأيك لا يقيدّ حرّيتي.

يرى في سيرته الدّاتية بأنّ دعائم المجتمع الرّيفي في مصر قائمة على أعيان الرّيف الذين يمثّلون نخبة المجتمع الرّيفي فالإيهم يتوجّه الناس في الملمّات لأتّهم أهل الفضل والإحسان والجود والكرم، لقد ساهموا في النّهضة الزراعيّة وفي النّهضة العمرانيّة لمجتمعهم الرّيفي، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وفي القرن الممتدّ من سنة 1850 إلى 1950 كان في كلّ إقليم من أقاليم مصر عدد من أعيان الرّيف كانوا دعائم المجتمع الرّيفي: إليهم يهرع الناس في الملمّات، ومنهم يشيّع الإحسان، وبهم يقندي أولوا الفضل، وعلى أيديهم يتمّ التّقّدّم الزراعي والعمراني، وكانت علاقاتهم مع الفلاحين علاقة عضوية أسريّة تسودها

<sup>600</sup> نفسه، ص: 15.

<sup>601</sup> نفسه، ص: 17.

المحبّة وتبادل المنفعة والتآخي والتكافل الاجتماعي." <sup>602</sup>، لقد ساهم أعيان الرّيف في ازدهار المجتمع الرّيفي في مصر وهذا من خلال المساهمة في نهضته الاقتصادية والاجتماعية.

كانت قرية شرباص هي مهد الطّريقة الشاذلية، وكان معظم سكّان هذه القرية من مريدي هذه الطّريقة المباركة، يقول بدوي: "أمّا قرينتنا-شرباص- فلم يكن فيها من أهلها إلّا المسلمون. ولم ينتشر فيها من الطّرق الصّوفية إلّا الشاذلية، لكن لم تكن لهم زاوية خاصّة بهم، بل كانوا يتخذون من إحدى الزّوايا-وهي المساجد الصّغيرة-ملتقى لهم في ليلة الجمعة (مساء الخميس) -وهناك يقومون بالذّكر وتلاوة بعض الأوراد، وكلّ ذلك في هدوء وسكينة." <sup>603</sup>، ففي الطّريقة الشاذلية يحاول المريدون التّقرب إلى الله بالأذكار والتّوافل بل منهم من يدخل الخلوة ويذكر إسم الله المفرد على يد شيخ عارف بالله يقيه في طريقه المهالك ويدلّه على الله، هكذا كان حال المريدين مع شيخهم في قرية شرباص وهم يبتهلون إلى الله ويتقرّبون إليه.

أخبرنا في سيرته الذاتية بأنّ ضريح الشّرصاصي هو ضريح وهمي لا أساس له من الصّحة، يقول بدوي: "وقد تبين لنا بالبحث أنّ ما يعرف ب(ضريح الشّرصاصي) الذي لا يزال قائما في قرية شرباص إنّما يضمّ رفات رجل صالح يدعى إبراهيم أبو خليل، الذي كان يعيش في القرن الماضي، ولا شأن له إذن بالحروب الصّليبية التي جرت في القرن الثّالث عشر الميلادي، ولا بدّ من تحقيق تاريخي من هو ذلك (الشّرصاصي) المدفون في ضريح بحيّ الشّرصاصي في دمياط." <sup>604</sup>، لقد صار الوطن العربي الإسلامي يعجّ بالأضرحة التي تعبد من دون الله، بل صار الوطن العربي الإسلامي مؤثلا للخرافة وللدّجل وللشعوذة، لقد عشّشت الخرافة في عقول النّاس بسبب هذه الأضرحة الوهمية التي صارت تعبد من دون الله وتتخذ كوسائط ابتغاء القربى من الله.

<sup>602</sup> نفسه، ص: 16.

<sup>603</sup> نفسه، ص: 17.

<sup>604</sup> نفسه، ص: 18.

يتصوّر في سيرته الذاتية بأنّ الأرض الزراعيّة مرتبطة بالإنسان لأنّها هي روحه وحياته وتدلّ على نبله ومكانته الاجتماعيّة بين قومه، يقول بدوي: "إنّ الأرض الزراعيّة هي بالنسبة إلى أصحابها الحقيقيين روح وحياة، وليست مجرد سلعة للتاجر، أو رأس مال للاستغلال. ومن هنا ارتبطت التّباله بالأرض الزراعيّة في كلّ تاريخ بني الإنسان، ولم ترتبط أبداً بالمتاجر ولا بالمصانع. ولا نقصد بـ (التّباله) هنا نظاماً اجتماعياً وسياسياً معيّناً، بل نقصد نبالة الإنسان بما هو إنسان." <sup>605</sup>، لقد صارت الأرض الزراعيّة هي شرف الإنسان وعرضه لذلك هو دائماً يزود عن حياضها بكلّ ما أوتي من قوّة وعزم وإصرار.

لقد حاول في سيرته الذاتية أن يقرأ شخصية الفلاح المصري قراءة نفسية واعتبر التّعامل مع الفلاحين هو صعب إلى أقصى حدّ لأنّهم يتقنون فنّ الخداع والمراوغة ولهم باع طويل في المكر والكيل بمكيالين وأغلب الفلاحين في مصر هم دهاة، يقول بدوي وهو يرسم صورة نفسية للفلاح المصري ما يلي: "وكان التّعامل مع الفلاحين مزيجاً من الألفة بحكم المعاشرة، ومن الاحتياط والرّيبة بسبب مكرهم ودهائهم. إنّ الفلاح المصري -وربّما كلّ فلاح في العالم- مزاج من طيب النّفس والخبث، من الشّهامة والخبث، من البساطة والتواء الحيلة. ولا بدّ لمالك الأرض من أن يحسب حساباً لهذا الازدواج في طبيعة الفلاح. وإلاّ التّاث عليه الأمر وضاع ماله وساءت علاقاته بهم." <sup>606</sup>، لقد جسّد الفلاح المصري في حياته اليوميّة كلّ صور وأنواع المكر والخداع وأراد من وراء ذلك السّيّطرة على الغوغاء وتوجيههم كما يريد وفق ما تملّيه عليه مصلحته الشّخصية ومكانته الاجتماعيّة.

لقد دمّر البيداغوجيون التّعليم في مصر من خلال إصلاحاتهم المزعومة، لأنّهم حاربوا تعليم اللّغة العربيّة في عقر داره ولم يشجّعوا التّلاميذ على تعلّم لغة أجنبيّة جديدة، يقول بدوي في هذ الصّدّد ما يلي: "والى جانب تدميرهم لتعليم اللّغة العربيّة، قضوا قضاء

<sup>605</sup> نفسه، ص: 23.

<sup>606</sup> نفسه، ص: 23.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

تأمًا على تعلّم اللّغات الأجنبية. إنّ اللّغة مفتاح لعالم بأسره. ومن لا يعرف لغة أجنبية حديثة ذائعة الانتشار حافلة بالمؤلّفات العلمية الجيدة لا يعرف شيئًا، وليس جديرًا بأن يعيش".<sup>607</sup> فتعلّم لغة أجنبية جديدة يجعل الإنسان يكتسب ثقافة جديدة، تجعله يفتح على الحضارات الأخرى المجاورة والمتاخمة لحضارته العربية الإسلامية، فعلى الإنسان أن يحافظ على لغته الأمّ ويقبل على تعلّم لغات أجنبية جديدة تجعله يكتسب معارف جديدة لا حصر لها.

عندما عاقبه ناظر الثأنوية ظلما، أخذ بدوي من الإنسان موقفا واعتبره سافلا بطبعه، يقول بدوي: "وكان لهذا الحادث أثر عميق في نفسي. وصرت أتذكّره بعد ذلك كلّما حلّ بي ظلم دون أيّ ذنب ارتكبته. وأقنعني بسفالة الإنسان، وحماسة تصرفاته، وولعه الشديد بالقسوة على الأبرياء، والخوف من الأقوياء، وأيدت الأحداث بعد ذلك فيما سيحدث لي طوال حياتي صدق هذا التّصوّر للطبيعة الإنسانية، وإنّ اللّوم والخسة والنّذالة والولوع بالأذى-هي الصّفات المميّزة للإنسان. وسيرى القارئ في هذا الكتاب الشّواهد العديدة على هذا التّقويم".<sup>608</sup> فالنّذالة والخسة من طبع الإنسان ولا بدّ من التّعامل بحذر شديد مع أيّ إنسان نصادفه في هذه الحياة.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ الطّالب المصري هو طالب مشاغب وبليد وشرير، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "والطّالب المصري-وربّما سائر الطّلاب في العالم-إذا كان بليدا فإنّه شرير مشاغب منحطّ السلوك مع هذا النوع من المدرّسين. لا يتورّع عن شتم معلّمه الطيّب السّاذج وإيقاع مختلف صنوف الأذى به: مثل رشقه بقطرات الحبر في ظهره، ووضع الدّبابيس على مقعده، والنّداء عليه من بعيد بأفحش العبارات-فضلا عن إحداث

<sup>607</sup> نفسه، ص: 26.

<sup>608</sup> نفسه، ص: 44.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الضجيج والصّفير في الفصل إبان الدّرس".<sup>609</sup>، فالتّعامل مع المراهق من أصعب الأمور وما زال أساتذة الثّانوية إلى يوم النّاس هذا يعانون من هذا الأمر.

ما زال الأساتذة-وخاصّة في الطّور الثّانوي-يعانون من ظاهرة التّتمّر إلى يوم النّاس هذا وصار الأستاذ لا يحترم من طرف طلابه مثلما حدث للشيخ عبد الرّحيم، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ومن سوء حظّ الشيخ عبد الرّحيم هذا أن شاهده أحد الطّلاب في إحدى المدارس وهو يحمل (فراخا) قد اشتراها من السّوق ومضى بها إلى أهله. وإذا بهذا الطّالب يخبر سائر التّلاميذ في فصله في اليوم التّالي، فيطلقون عليه إسم: (الشيخ فراخ!) وظلّ تلاميذ تلك المدرسة ينبذونه من بعيد بهذا اللّقب حين يمرّ في الطّرقات وهو ذاهب إلى الفصل. ثمّ نقل الشيخ عبد الرّحيم من تلك المدرسة إلى مدرسة ثانوية أخرى فأبلغ تلاميذ المدرسة الأولى تلاميذ المدرسة الأخرى بهذا اللّقب، فانقل اللّقب معه! وهكذا ظلّ هذا اللّقب ينتقل مع الشيخ عبد الرّحيم أينما انتقل، وصار لقمة ملازمة له لم يخلص منها طوال عمله في التّدريس، وربّما إلى آخر عمره أيضا!"<sup>610</sup>، فظاهرة التّتمّر عند طلاب الثّانوية تحتاج إلى دراسة نفسية عميقة تجعلنا نقف عند أسبابها ونعالجها معالجة نفسية بيداغوجية، لا بدّ من القضاء على ظاهرة التّتمّر بين طلاب الثّانوية ورميها في البحر وهذا من أجل المحافظة على كرامة الأستاذ وردّ الاعتبار له، فالأستاذ هو بمثابة الجندي المجهول الذي يبني صرح وطنه ويساهم في تربية الأجيال وصناعة رجال الغد ونساء المستقبل.

يحدّثنا في سيرته الذاتيّة عن انعدام المقرّئية في المكتبات الأجنبيّة في مصر، حيث صار القارئ المصري لا يطالع إلّا نادرا، يقول بدوي: "أمّا في الوقت الحاضر، فما أتعب ما صارت إليه حال كلّ المكتبات ذات الكتب الأجنبيّة في مصر! لقد صارت في حكم

<sup>609</sup> نفسه، ص: 42.

<sup>610</sup> نفسه، ص: 42.

المعدومة أو تكاد. وهو مقياس دقيق أيضا لما صارت إليه حال الثقافة بعامة في مصر الآن، ولا يقولنّ أحد إنّ السبب في ذلك هو زوال الجاليات الأجنبية من مصر، فهذا فقط واحد من عدّة أسباب، لأنّ المصريين الذين كانوا يتردّدون على هذه المكتبات الأجنبية لا يقلّ كثيرا عن عدد الأجانب.<sup>611</sup> " لقد صارت القراءة هي آخر شيء يفكر فيه الإنسان العربي بل صار يفكر في لقمة العيش ليس إلّا.

من الحقائق الصّادمة التي قدّمها لنا في سيرته الذاتيّة والمتمثّلة في اعتبار الشّيخ محمد عبده مجرد عميل للاستعمار البريطاني في مصر وليس بمصلح ديني، يقول بدوي: " ومع ذلك كان -وظلّ حتّى اليوم- لمحمد عبده أنصار ومعجبون وممجّدون مغالون !! وإذا سألتهم: ماذا يعجبكم فيه: أهذا التّواطؤ على طاغية الاستعمار البريطاني في مصر؟ لم يجدوا جوابا لأنّ الوقائع تدفعهم، بل لانوا بدعوى (الإصلاح الدّيني) وزعموا أنّه كان (مصلحا دينيّا). فنسألهم: أيّ إصلاح ديني قام به؟ لم يستطيعوا أن يذكروا إلّا تفاهات شكلية، مثل تحليل لبس القبّة، وكأنّ هذا أمر خطير جدّا به يكون المرء (مصلحا دينيا) كبيرا! وهكذا الأمر في كثير من أمر الشّهرة في مصر والبلاد العربيّة والإسلامية! لقب يطلقه مخدوع أو خادع، فيتردّد بين النّاس في عصره، وينتقل من جيل إلى جيل، ولا أحد يتحقّق من صواب إطلاق هذا اللّقب وخلع هذه الشّهرة !!"<sup>612</sup>، نحن من نصنع الألقاب ونصنع الأصنام الفكرية ونقدّم لها كلّ فروض اللّواء والطّاعة، صار في البلاد العربيّة والإسلامية كلّ الأقزام عمالقة في الفكر والإصلاح الدّيني، هؤلاء العلماء الذين صنعهم الاستعمار لكي يطيلوا مكوثه في بلادنا العربيّة والإسلامية، هم من جعلوه يستنزف خيرات بلادنا، هؤلاء العلماء العملاء ستتعلمهم الأجيال القادمة وسترميهم في مزبلة التّاريخ، فالنّاريخ لا يرحم من خان بلاده وباعها للاستعمار بثمن بخس دريهمات معدودة.

<sup>611</sup> نفسه، ص: 38-39.

<sup>612</sup> نفسه، ص: 51.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ الفاشية التي أسّسها موسوليني Mussolini (1883م-1945م) في إيطاليا هي حركة تافهة باهتة ليس لها مبادئ سامية، يقول بدوي: "أما الفاشية ومؤسسها موسوليني Mossolini، فلم يثيرا في نفسي أيّ إعجاب، لأنّه لم يكن وراء الفاشية مبادئ سامية تصلح أن تكون نماذج إنسانية تحذى".<sup>613</sup>، فالفاشية هي حركة إرهابية كانت تعتمد على القمع الوحشي من أجل ترهيب المعارضين وإدخالهم إلى الصّف، أمّا موسوليني مؤسس هذه الحركة فكان رجلا نرجسياً إلى أقصى حدّ وبضاعته في الثقافة كاسدة أوصلت إيطاليا إلى الهلاك.

كان شديد الإعجاب بشخصية هتلر لأنّه كان يملك الكاريزما والشخصية القويّة التي ستقهر اليهود، يقول بدوي: "لهذه الأسباب الثلاثة سرى الإعجاب في نفسي لتولّي هتلر الحكم في ألمانيا، خصوصا وأنّ الأحزاب السياسيّة التي توالى على الحكم في ألمانيا سنة 1919 حتى سنة 1933 كانت أحزابا ضعيفة يسيطر عليها الشيوخ واليهود ودعاة الانحلال والفوضى والاستسلام".<sup>614</sup>، لقد تأثر بنازية هتلر واعتبره زعيما عالميا من الطراز الرفيع ولكن سرعان ما خاب أمله في هتلر بعد نهاية الحرب العالميّة الثانيّة لأنّه كان مجرد زعيم من روق ليس إلا سرعان ما تبخّر.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ الأحزاب السياسيّة في مصر أثناء الحرب العالميّة الثانيّة كانت عميلة للإنجليز وكان يرى في انتصار ألمانيا في الحرب هو انتصار لمصر ضدّ العملاء، يقول بدوي: "وكنّت أرى في ذلك الحين أنّ هذه هي السبيل الوحيد لطرد المستعمر البريطاني من مصر، ولتكوين دولة قوية ذات مستوى حضاري رفيع يعيد إلى مصر مكانتها الأولى في عهد الفراعنة. ولم تكن الأحزاب القائمة آنذاك قادرة على تولّي المهمّة، بل كانت

<sup>613</sup> نفسه، ص: 54.

<sup>614</sup> نفسه، ص: 54.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

غابتها الوحيدة تولّي الحكم لتحقيق مآربها الشخصية. وكان الجيش المصري آنذاك غير مؤهل للقتال بل اقتصرت مهمّته على الاحتفالات الاستعراضية وقمع الشغب حين تعجز الشرطة. ومن الخيانة أن يدعو المرء إلى السلم ووطنه يحتله غاصب يسومه أشدّ أنواع الدّلّ والهوان.<sup>615</sup>، كلّ الأحزاب السياسية في مصر والتي كانت عميلة للإنجليز أثناء الحرب العالمية الثانية ستلعبها الأجيال في كلّ أوان وحين، فالتاريخ لا يرحم من خان وطنه وباع أمته في سوق النخاسة السياسية، وبألها من تجارة نافقة.

كان متحمّسا لانتصار ألمانيا في الحرب العالمية الثانية وكان يرى انتصارها في الحرب هو انتصار لمصر، يقول بدوي: "وهذه الحماسة لألمانيا وترجي انتصارها في الحرب العالمية الأولى ترجع إلى عدّة عوامل: منها أنّها كانت حليفة لتركيا، ونحن كنا في مصر لا نزال متعلّقين بتركيا بوصفها مقرّ الخلافة الإسلامية، تماما كما حدث عند المسلمين في الهند في نفس الوقت، ومنها أنّ عدونا الحقيقي هو إنجلترا، لهذا كنا نتمنّى لها الهزيمة، ومن الذي كان عليه أن يهزمها آنذاك إلاّ ألمانيا؟-وهو نفس السبب الذي جعل المصريين بعامة أثناء الحرب العالمية الثانية يبتهجون لانتصارات ألمانيا ويتمنون لها النصر الأخير." <sup>616</sup>، ولكن للأسف الشديد ألمانيا انهزمت في الحرب، وانتصرت إنجلترا وحلفائها وقدموا فلسطين لليهود على طبق من ذهب، لقد تعلّق العرب وعلى رأسهم مصر بالأوهام وبالسرّاب وخاب ظنّهم في ألمانيا، لم يكن يوما ما هتلر زعيما عالميا بل كان بطلا من ورق والدعاية الألمانية طوّقت شخصيته الهلامية بهالة القداسة، كان هتلر نرجسيا ومعقّدا نفسيا وقاده تهوّر السياسي إلى الهلاك، أشعل فتيل الحرب العالمية الثانية واكتوى بنارها، وكانت حربا عالمية ثانية أشدّ ضراوة من الحرب العالمية الأولى.

<sup>615</sup> نفسه، ص: 53-54.

<sup>616</sup> نفسه، ص: 53.

كان معجبا بشخصية هتلر القوية الذي قهر اليهود في عقر دارهم، وكان معجبا بفكره المتطرف، يقول بدوي وهو يقرأ شخصية هتلر قراءة وجودية ما يلي: "ثمّ كان أن تولّى هتلر الحكم في 30 يناير سنة 1933، فأثار هذا الحدث دويًا هائلًا في أنحاء العالم وأخذت الصحف تكتب عن مبادئ (الحزب الوطني الاشتراكي الألماني) NSDP المعروف اختصارًا بالحروف الأربعة الأولى من الكلمة الأولى منه Nazi (النّازي)، وعن حياة زعيمه أدولف هتلر، وتلخّص فصولًا من كتابه: (كفاحي) Mein Kampf، فرحت أنا أقرأ ما تنتشره الصحف والمجلاّت العربية، ثمّ تطلعت إلى المزيد فوجدته في الصحف الإنجليزية وكنت قد بدأت في قراءتها."<sup>617</sup>، كان في مرحلة شبابه الأولى متأثرًا بفكر هتلر النّازي واعتبره هو من سيخلّص مصر من الاستعمار البريطاني ولكنّ هذا الحلم لم يتحقّق للأسف الشديد وسرعان ما تبخّر.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ حزب الوفد الذي يتزعمه مصطفى كامل (1874م-1908م) قد شوّهه الأتباع لأنّ الأنانية غلبت عليهم وسيطرت عليهم، يقول بدوي: "قلت إنني بدأت أعجب بمصطفى كامل وأقرأ أخباره وآثاره، لكنّ الحال التي وصل إليها الحزب الوطني الذي كان هو مؤسّسه في سنة 1907-كانت لا تحمل أبداً على الانضمام إلى هذا الحزب في تلك الأيام (سنة 1932 وما تلاها): فقد كان رجال الحزب في تلك السنوات: إمّا شخصيات لامعة جيّدة الثقافة مثل حافظ رمضان وعبد الرّحمن الرّافعي وفكري أباطة، ولكن لا طاقة لهم بالعمل السّياسي والاتصال الحيّ بالجماهير وتنظيم مؤسسة الحزب في مستوى القاعدة، وإمّا ثرثارين مهيجين متّجرين بالدين مثل عبد الحميد سعيد، وإمّا أعياننا لهم نفوذ في مناطقهم دون أن يصحب ذلك ثقافة وفهم سياسيّ مثل عبد اللّطيف واكد وعبد العزيز

<sup>617</sup> نفسه، ص: 52.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الصّوفاني".<sup>618</sup> ، هؤلاء الأتباع هم الذين حطّوا هذا الحزب الفتيّ وقضوا على أحلامه الواعدة التي قدّمتها للشباب الصّاعد في ذلك الوقت، كان حلما جميلا سرعان ما أفل نجمه.

لقد وجّه في سيرته الذاتية سهام النّقد إلى الإنتاج الفكري للشيخ محمد عبده واعتبره إنتاجا باهتا، يقول بدوي: "ولو كان لمحمد عبده من الإنتاج الفكري ما يشفع له في نيل هذا اللّقب، لانتسح وجه العذر، ولكنّه كان ضئيل الإنتاج جدّا، إذ ليس له إلاّ كتاب صغير هو (رسالة التّوحيد)-وهي دروس ألقاها في بيروت بعد خروجه من مصر، وهي متن في علم التّوحيد واضح العبارة، حسن الأسلوب، لكنّه من حيث المادّة خجل بسيط لا يفيد إلاّ المبتدئين في هذا العلم، وما عدا هذه (الرسالة)، ليس له إلاّ تعليقات لغوية بسيطة على (مقامات) البديع الهمداني و(البصائر النّصيرية للسّاوي) و(نهج البلاغة) المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب".<sup>619</sup> ، فالشيخ محمد عبده داعية صنعتها الدعاية الإنجليزيّة وجعلته رجل دين من الطّراز الرّفيع، هو لم يقدم شيئا لأمتّه بل ساهم في تخذيرها وتثويتها تثويما مغناطيسيا حتّى تبقى خاضعة للاستعمار الإنجليزي، فبضاعته في العلم كاسدة ومؤلفاته العلميّة تعدّ على الأصابع، ويعتبره مجرد عميل للاستعمار الإنجليزي باع ضميره بأبخس الأثمان مقابل المال والشّهرة والصّيّت الحسن.

كان الشيخ مصطفى عبد الرّازق يدرّسه علم المنطق في جامعة فؤاد الأوّل بالقاهرة، وكان في تدريسه لعلم المنطق يسلك منهج الشيخ محمد عبده في التّدريس، يقول بدوي: "وكان الشيخ محمد عبده يدرّس هذا الكتاب (البصائر النّصيرية) في الرّواق العبّاسي بالأزهر، ويغلب على الظنّ أنّ الشيخ مصطفى عبد الرّازق حضر دروس محمد عبده في المنطق استنادا إلى هذا الكتاب الذي نشره بالطبع محمد عبده وعلّق عليه بعض التّعليقات، وربّما كان هذا هو الذي يفسّر اتخاذه لهذا الكتاب أساسا لتدريس المنطق لنا. وهو الذي أشار

<sup>618</sup> نفسه، ص: 51-52.

<sup>619</sup> نفسه، ص: 51.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

علينا باقتنائه، فاقتنيتيه منذ ذلك الحين، وصار مرجعا أساسيا في المنطق عند العرب.<sup>620</sup> كان الشيخ مصطفى عبد الرزاق يملك منهجية علمية في تدريس العلوم خاصة علم المنطق الذي يعتبر أساس العلوم، لقد زود طلابه بآليات التفكير العلمي الدقيق الذي سيساعدهم على قراءة التراث العربي الإسلامي قراءة حدائثة تنويرية تواكب العصر .

يبدو أنّ طه حسين قد تراجع عن أقواله التي بثّها في كتابيه: (في الشعر الجاهلي) و(الأدب الجاهلي)، يقول بدوي: "ثم إنّ طه حسين في سنوات 1935 وما تلاها ليس هو طه حسين عامي 1925-1926، و1926-1927، لما كان يلقي على الطّلاب في الجامعة المصريّة الجديدة محاضراته (في الشعر الجاهلي) و(الأدب الجاهلي) والتي تمخّض عنها هذان الكتابان. ذلك أنّ دروسه في عام 1935 وما تلاه كانت على نوعين: شرح نصوص شعريّة، وتاريخ أدب أموي وعبّاسي.<sup>621</sup> لقد تعرّض طه حسين للاضطهاد الفكري على يد شيوخ الأزهر لذلك تراجع عن أقواله وهو لا يزال في كهولته الفكرية.

لقد قاطعه والده بسبب دراسته للفلسفة، يقول بدوي: "ودخلت كآلية الآداب في الجامعة المصريّة على غير رغبة والدي، بل وعلى مغاضبة منه لي ومقاطعة استمرّت طوال العام الدّراسي الأول في كآلية الآداب. فسلم بالأمر حينئذ لأنّه رأى ألاّ وسيلة تثنييني عن عزمي هذا، وقد بلغ من مغاضبته لي في هذا الشأن أن رفض دفع المصروفات المدرسيّة، فلم أجد بداً من الالتجاء إلى الشيخ مصطفى عبد الرزاق أستاذي في المنطق في تلك السنّة الأولى، لتزكية طلبي للمجانبة بدعوى تفوّقي، فيما كان يسمّى آنذاك: (مجانبة التفوّق)، بعد أن رفض العميد آنذاك-منصور فهمي هذا الطّلب بحجّة أنّ والدي من الأثرياء. وفعلا استطاع الشيخ مصطفى عبد الرزاق أن يجعل العميد يوقّع بالموافقة على منحي مجانبة

<sup>620</sup> نفسه، ص: 58.

<sup>621</sup> نفسه، ص: 57.

التّفوّق".<sup>622</sup>، كان والده يعامله بقسوة شديدة وكان يريد أن يلج كلية الحقوق لكي يصبح قاضيا أو محاميا، فبدوي أراد دراسة الفلسفة لكي يصبح فيلسوفا أو مفكرا كبيرا وهذا ما تمّ له في قادم الأيام، وكان أستاذه الشيخ مصطفى عبد الرزاق وأبوه الرّوحي نعم السند له في أوقات المحنة والأيام العصبية، لقد أزره وساهم في بناء شخصيته الفكرية حتّى صار من كبار المفكرين العرب المعاصرين خلال هذا القرن.

قرّر دراسة الفلسفة وهو في طور المراهقة وأحبّ هذه المادة حبّا جمّا، لقد وجد في مادة الفلسفة كلّ الأشياء التي يبحث عنها خاصّة مسألة وجود الإنسان، لقد آمن بكلّ المبادئ التي دعت إليها الفلسفة بل اتخذ الفلسفة منهجه في هذه الحياة، من أراد أن يدرك سرّ الحياة ويعرف كنهها عليه بالفلسفة وعلومها العديدة، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "لكنّ عزمي كان قد استقرّ منذ السنة الثالثة الثانوية على دخول كلية الآداب، لدراسة الفلسفة بالذات. وفي السنتين الرابعة والخامسة ازداد عزمي هذا رسوخا، وازداد إيماني وثقتي باختياري هذا، بحيث لن يستطيع أحد زعزعة رأبي هذا".<sup>623</sup>، لقد أحبّ الفلسفة بكلّ كيانه ووجدانه ووهب حياته من أجلها وساهم بقلمه في الدّود عن حياضها، ويعتبر من أهمّ المؤرّخين الذين ساهموا في التّاريخ للفلسفة العربية والغربية القديمة والحديثة والمعاصرة.

كان والده يريد منه أن يدخل كلية الحقوق لكي يصبح قاضيا أو محاميا بل أراد أن يراه في مستقبل الأيام وزيرا يشار إليه بالبنان، ولكنّه أصرّ على دراسة الفلسفة بالرغم من معارضة والده لهذا الأمر، ولكنّ مع مرور الأيام رضخ والده لرغبته هذه وتصالح معه وصارت هذه الحادثة الأليمة نسيّا منسيّا، يقول بدوي: "وكان والدي يريد لي أن أدخل كلية الحقوق، لأنّها الكلية التي تخرّج فيها الوزراء، وهو كان يأمل لي أن أصبح وزيرا ذات يوم، أو في القليل رئيسا لمحكمة التّقض خلفا لعبد العزيز فهمي الذي كان والدي شديد الإعجاب

<sup>622</sup> نفسه، ص: 56.

<sup>623</sup> نفسه، ص: 56.

### الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

به.<sup>624</sup>، فوالده كان يريد أن يكون من وجهاء القوم الذين لهم مكانة مرموقة في المجتمع الذي يعيشون فيه، كان يريد أن يراه محاميا أو قاضيا أو وزيرا ولكنه ومن خلال دراسته للفلسفة سيصبح نجما لامعا في سماء الفكر العربي المعاصر.

كان في بداية شبابه معجبا بحركة مصر الفتاة لأنها كانت حركة فتيّة تدعو إلى الفكر الحرّ وإلى الحداثة والتّوير، يقول بدوي: "فكان بيني وبين هذه الحركة، حركة مصر الفتاة، تعاطف من خارج، إذ لم أنضمّ إليها عمليًا، ولم أتصل بأحد من القائمين بها. لكنني كنت أدافع عنها ضدّ خصومها إذا هوجمت، وأواصل قراءة جريدتها دون انقطاع. واستمرّ هذا الوضع من يناير سنة 1934 حتّى يناير سنة 1938.<sup>625</sup>، كان متعاطفا مع كلّ حركة تدعو إلى الحداثة وإلى التّوير في مصر وفي الوطن العربي، ووجد في حركة مصر الفتاة ضالته المنشودة.

انتقد في سيرته الذاتية طريقة التّدرّس التقليديّة التي كانت سائدة في الجامعة، يقول بدوي: "ولهذه الطّريقة في التّدرّس مزية وعيب: مزية التّعّمق في فهم النّصوص أيّا كانت، وعيب التّمسك بأهداب معلومات عفى عليها تطوّر العلم. إنّ طريقته هذه مفيدة في التّدريب على فهم النّصّ والتّمرس بالأساليب العربيّة القديمة التي تجور بها لغتها العسرة المفرطة في الإيجاز عن الفهم السّهل، ولكنّ التّوقّف عندها وحدها مضرّ بتحصيل الجديد في العلم وبالإبداع فيه وبخلق عادة التّفكير المستقلّ. وقد آليت أنا على نفسي بعد هذا أن أجمع بين كلتا الطّريقتين ما استطعت: فأتعمّق فهم النّصّ القديم أو الحديث وأحفره حتّى أعرق أعماقه، وفي نفس الوقت أتحرّر ممّا فيه من آراء فلا أسمح لها بأن تعوق انطلاق تفكيري المستقلّ. ولست أدري إلى أيّة درجة أفلحت في هذا التّزّوج بين كلتا

<sup>624</sup> نفسه، ص: 55-56.

<sup>625</sup> نفسه، ص: 55.

### الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الطريقتين.<sup>626</sup> وهذه الطريقة أخذها بدوي من شيخه مصطفى عبد الرزاق وهي طريقة جيدة وفعالة تساعد القارئ على التوغل والحفر في أعماق النصوص من أجل الوصول إلى المعنى الكامن في بطن الكاتب، وكان الشيخ مصطفى عبد الرزاق يشجع طلابه على الحوار وعلى جرأة السؤال، يقول بدوي: "كان الشيخ مصطفى عبد الرزاق شديد التمسك بالمتون العربية القديمة، يشرحها فيتعمق في الشرح إلى درجة مفرطة أحيانا، ويدافع عما فيها رغم مخالفتها للتطور الحديث في هذه العلوم التي تتناولها تلك الكتب العربية القديمة. وحينما كنت أعترض بالسؤال استنادا إلى هذا التطور الحديث، كان هو يبتسم ولا يلقي بالا لأي اعتراض حديث."<sup>627</sup>، كان الشيخ مصطفى عبد الرزاق يفسح المجال لطلاب له لكي يعارضوه معارضة فكرية ويقبل ذلك بصدر رحب، يقول بدوي واصفا شخصية شيخه مصطفى عبد الرزاق ما يلي: "لكن الجانب العلمي لم يكن أقوى جوانبه، بل الجانب الإنساني، لقد كان النبيل كله، والمروءة كلها. كان دائما هادئ الطبع، باسم الوجه، لا يكاد يغضب، وإن غضب لم يعبر عن غضبه إلا بحمرة في وجهه وصمت كظيم: لقد كان آية في الحلم والوقار. لكتفه وقار عفو الطبع، لا تكلف فيه ولا تصنع. وفي حالات الأناجس بمحدثيه من الأصدقاء أو التلاميذ كان ودودا محبا للسخرية الخفيفة. وإذا أراد التقرير لجأ إلى التهكم اللاذع. وكان آية في الإحسان إلى الآخرين. ما لجأ إليه مظلوم إلا حاول إسعافه، أو صاحب حاجة إلا بذل ما استطاع حتى ولو كان من ماله. وكم له من أياد بيضاء على بعض طلابه الذين سألوهم المساعدة، رغم أنهم لا يستحقونها، كما تجلّى في سلوكهم فيما بعد!"<sup>628</sup>، كان الشيخ مصطفى عبد الرزاق رجلا من ذهب قل أن يجود الزمان بمثله، كان يشجع طلابه على البحث العلمي ويقف إلى جانبهم في محنتهم ويأزرهم، ولكن للأسف الشديد تنكروا لفضله ونسوا إحسانه، ولكن فضل الرجال سيذكره التاريخ طال الزمان أو قصر.

<sup>626</sup> نفسه، ص: 59.

<sup>627</sup> نفسه، ص: 59.

<sup>628</sup> نفسه، ص: 61.

لقد تعرّض الشّيخ مصطفى عبد الرّازق لمكائد الأزهريين بسبب الآراء الجريئة التي صدمت سدنة المعبد الذين عارضوا أفكاره الإصلاحية التي حاول من خلالها إصلاح التّعليم الدّيني في جامعة الأزهر، كما كان الشّيخ مصطفى عبد الرّازق من دعاة التّحرّر الاجتماعي في مصر، يقول بدوي: " وهذا التّحرّر الاجتماعي هو الذي كان هدف هجمات الأزهريين عليه، خصوصا حين صار شيخا للأزهر في ديسمبر سنة 1945. ولم يكن الدّافع الحقيقي لهذا الهجوم من جانب شيوخ الأزهر لوجه الدّين أو غيره على التّقاليد الإسلامية، بل لأنهم كانوا يطمعون في تولّي هذا المنصب، وشيوخ الأزهر بطبعهم طمّاعون حاقدون يأكل الحسد قلوبهم، وفي سبيل نيل أيّ منصب ذي شأن لا يتورّعون عن استخدام أخسّ الوسائل: من وقية ودسّ ووشاية واختراع الأكاذيب." <sup>629</sup>، فشيوخ الأزهر دائما يحاربون الفكر الحرّ التّويري الحدائي الذي ساهم في نهضة وتطورّ المجتمع العربي الإسلامي، لقد عانى الشّيخ مصطفى عبد الرّازق كثيرا من مكائد شيوخ الأزهر في حياته وبعد مماته، يقول بدوي عن ذلك ما يلي: " وأذكر أنّي حين علمت بتعيينه شيخا للأزهر ذهبت إليه في مساء ذلك اليوم في منزله بشارع المأمون في منشية البكري بشمالي القاهرة وأبديت أسفي لقبوله لهذا المنصب، وحاولت تحذيره من دسائس كبار مشايخ الأزهر، لكنّ على عادته تلقّى كلامي بابتسامة رقيقة. ومع الأسف تحقّق سوء ظنّي، فتوفي الشّيخ مصطفى في أصيل يوم من فبراير سنة 1947. بعد جلسة عاصفة لمجلس الأزهر ظهر ذلك اليوم، عانى فيها الكثير من تطاول هؤلاء المشايخ عليه وسفالاتهم." <sup>630</sup>، لقد هاجمه هؤلاء الشيوخ وحاربوه حربا لا هوادة فيها بسبب آرائه الجريئة التي واجه بها حراس المعبد وسدنته، حاول بكلّ جهده إصلاح واقع التّعليم في الأزهر الشّريف ولكنّ للأسف الشّديد كلّ محاولاته الإصلاحية قد باءت بالفشل الوبيل، لقد ذهب الشّيخ مصطفى عبد الرّازق ضحية آرائه الجريئة ومواقفه الإصلاحية.

<sup>629</sup> نفسه، ص: 61-62.

<sup>630</sup> نفسه، ص: 62.

كان تلميذا لأندريه لالاند وهو الذي بثّ في فكره النزعة العقلية وعرفه على المناهج البحث العلمي الحديث وهو لا يزال طالبا عنده في الجامعة، يقول بدوي: "أيّ تأثير كان للالاند عليّ؟ بثّ النزعة العقلية في تفكيري، وتوجيه عنايتي إلى مناهج البحث العلمي، وإلى الحرص على الدقّة في تعريف المصطلحات الفلسفية (ولا عجب، فهو صاحب أهمّ معجم فلسفيّ). ثمّ إنّي كنت أفزع إليه في الحصول على معلومات دقيقة عن الفلاسفة الفرنسيين الذين عرفهم عن قرب، والاسترشاد بأحكامه عليهم." <sup>631</sup>، كان الفيلسوف أندريه لالاند موسوعة فلسفية تمشي على قدمين، وهو الذي ساهم في التكوين الفكري والعقلي لفيلسوفنا العظيم بدوي، كان يملك ثقافة عربية إسلامية أصيلة وله في نفس الوقت ثقافة غربية حديثة تنويرية معاصرة.

يعرض علينا في سيرته الذاتية رأيه في أستاذه أندريه لالاند، كان يراه ذا نزعة عقلية في تفكيره، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وكان ذا نزعة عقلية صريحة داعية إلى المزيد من توحيد العقول في كلّ الميادين: العلميّة والسياسيّة والأخلاقية. ولهذا كان خصما لتطورية هربرت اسبنسر القائلة بأنّ التطور يسير نحو مزيد من التفاضل والاختلاف والتفريق. والغاية التي سعى إليها هي توحيد الناس تحت سلطان العقل، وتحرير النفوس وفقا لقوانين العقل وحده. لهذا كان ينفر من برجسون والبرجسونية لأنّها لاعقلية، ومن النزعات الفلسفية ذات الاتجاه الديني، مثل فلسفة بلوندل وماريتان." <sup>632</sup>، يعتبر الفيلسوف أندريه لالاند من رواد الفلسفة العقلية في أوروبا ومدرسته هي امتداد لمدرسة ديكرت العقلية.

لقد تأثر وهو طالب في الجامعة بأستاذه كوبريه الذي أشرف على رسالته للماجستير، يقول بدوي عن أستاذه كوبريه ما يلي: "كذلك كان لكوبريه عليّ فضل عظيم،

<sup>631</sup> نفسه، ص: 63-64.

<sup>632</sup> نفسه، ص: 62-63.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

لأنه كان يجمع بين النزعة الميتافيزيقية والنزعة العلمية، وكان يهتم بالتيارات الصوفية (يعقوب بيمة، فالنتان فايجله، إلخ) قدر اهتمامه بتاريخ العلم الحديث (جالليو، نيوتن، كبلر). وله إنتاج غزير في كلّ الميادين، وفيها يحاول أن يربط بين النظرة الصوفية للكون، وبين النظرة العلمية للكون في نفس الفترة، فيرى مثلا أن قول الصوفية الألمان في القرن السادس عشر بأنّ الكون لانهائي، هو الذي اقتضى من الفزيائيين أن يتصوّروا الكون لانهائيا.<sup>633</sup> كان كوبريه في تصوّفه يجمع بين النزعة الدّينية المسيحيّة وبين النزعة المادّية في نظرتة إلى هذا الكون، ولقد أفاد بدوي كثيرا في الفلسفة الألمانية، يقول بدوي: "وتمّ ميزة أخرى لكوبريه أهدت منها كثيرا وهي معرفته الجيدة باللّغة الألمانية، لأنّه وإن كان روسي الأصل (ولد في Tagaurog، في سنة 1892، وتوفي في باريس سنة 1964)، فإنّه تلقّى دراسته في جامعة جتجن الشهيرة بألمانيا في الفترة ما بين سنة 1908 إلى 1911، حيث تتلمذ على هسرل Husserl مؤسس مذهب الظّاهريات، وعلى هلبرت الرّياضي الفيلسوف، لهذا وجدت فيه عزما كبيرا في تفهيمي مذهب الظّاهريات، وتوجيهي في ميدان الفلسفة الوجودية وقد كان على علم دقيق بها على عكس لالاند."<sup>634</sup>، فلالاند كان هو مشرفه الأول على رسالته للماجستير وبعدها سافر إلى باريس ليتولّى الإشراف عليه الأستاذ كوبريه وكان أفضل من لالاند لأنّه كان على اطلاع واسع على الفلسفة الوجودية الألمانية على عكس لالاند الذي كانت بضاعته في الفلسفة الوجودية الألمانية كاسدة، لقد استطاع بفضل أستاذه كوبريه أن يطلع على أسرار الفلسفة الوجودية الألمانية التي عالجت مشكلة الموت، وكان موضوع رسالته للماجستير هو كالاتي: (مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية)، وهذه الرّسالة الهامّة للأسف الشّديد لم تطبع في كتاب مستقلّ حتّى يستفيد منها القارئ العربي.

لقد ساعده كثيرا أستاذه كوبريه الذي أشرف عليه في رسالته للماجستير، وعرفه على آراء الفلاسفة الوجوديين في مشكلة الموت، يقول بدوي عن أيادي أستاذه كوبريه عليه ما

<sup>633</sup> نفسه، ص: 64.

<sup>634</sup> نفسه، ص: 65.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

يلي: "ومن هنا أفدت من إشرافه عليّ لتحضير رسالة الماجستير لما أن تولّى الإشراف عليها ابتداء من أكتوبر سنة 1939 بعد سفر لالاند، لسعة اطلاعه على الفلسفة الألمانية، ولأنه لم يعترض على توسّعي في القسم المتعلّق منها بالموت عند الفلاسفة الوجوديين-وبهذا استعدت خطتي الأصليّة وهي أن تنصبّ الرّسالة في مجموعها على آراء الفلاسفة الوجوديين في مشكلة الموت بحيث كان ثلثا أو 3/4 الرّسالة في هذا الباب." <sup>635</sup>، لقد شهد إعداد هذه الرّسالة ميلاد فيلسوف وجوديّ عبقريّ اسمه عبد الرّحمن بدوي، وهذه العبقرية الفدّة ستجلب له أعداء كثر من بينهم عميد الكليّة أحمد أمين الغنيّ عن التعريف.

حاول عميد الكليّة أحمد أمين أن يوقف مسيرته العلميّة بكلّ الحيل الأكاديمية مستغلّاً فرصة سفر أستاذه كوبريه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ولما أتممت الرّسالة وأمر هو بطبعها على الآلة الكاتبة، كتب تقريرا مبدئيّاً عنها من أجل تحديد موعد مناقشتها ثمّ كان ما كان ممّا حال دون مناقشتها في ذلك الوقت (فبراير سنة 1941) لأسباب شكلية سخيّة تتعلّق بميعاد وتسجيل الرّسالة، وهو ما سنذكره في حينه فيما بعد. وأذكر أنّه كان مستاء لهذا التّأجيل كلّ الاستياء، لأنّه لن يقوم هو بمناقشتها، لأنّه سيغادر مصر في الشّهر التّالي (مارس سنة 1941) متجها إلى الولايات المتحدة الأمريكية." <sup>636</sup>، كان أحمد أمين يغار كثيرا منه لأنّه كان متفوّقا في كتاباته الفكريّة والفلسفيّة، والحسد أعمى بصيرة هذا العميد الحقود، يقول بدوي: "وشعر بمرارة شديدة لتصرّف هذا العميد الحقود أحمد امين، وراح يواسيني قائلا: (أنت أصدرت كتابين حتّى الآن، وهذا هو كتابك التّالث: ألا فلتعلم أنّ كلّ كتاب تصدره هو بمثابة خنجر تطعن به الرّملاء العاجزين الحاقدين مهما بلغت مرتبتهم في الوظيفة!)، وكان لكلمته القوية هذه أثر بالغ في نفسي، جعلني بعد ذلك طوال حياتي لا أحفل بحقد أيّ حاقد، وأمضي في طريقي في الإنتاج العلميّ متحدّيّا كلّ حاقد أو حسود، مهما بلغ قدره في المنصب، ومهما يكن

<sup>635</sup> نفسه، ص: 65.

<sup>636</sup> نفسه، ص: 65.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

عمره، ومهما يكن نفوذه العلمي في شؤون الدنيا. لقد ازدادت إيماننا بصواب السلوك الذي اخترته لنفسه في الحياة، والذي يتلخص في كلمة واحدة: التّحدّي!"<sup>637</sup>، وبالفعل استطاع أن يثبت وجوده خاصّة في ميدان الفلسفة الوجودية، واستطاع أن يتحدّى الصّعاب التي واجهته في مسيرته العلميّة والأكاديميّة حتّى وصل إلى برّ الأمان، فطريق النّجاح محفوف بالأشواك وأصعب الأمور بداياتها ولكن من سار على درب النّجاح وصل إلى المجد واعتلى صرحه وكتب اسمه بأحرف من نور في سماء الإبداع الإنساني الذي معينه لا ينضب أبدا.

كان شديد الإعجاب بالمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ويعتبره مدرسة هامة في الاستشراق الغربي، وهو أول من عرفنا على التّراث الصّوفي للحلاج ودرسه دراسة عميقة حاول من خلالها الوقوف عند الأسرار الروحية الموجودة في شعر الحلاج وطلامسه العرفانية، يقول بدوي: "عيّن كراوس مدرّسا في الكليّة في أوائل العام الدّراسي 1936-1937، فوصل إلى مصر في شهر أكتوبر سنة 1936. وجاء تعيينه بتوصية من الأستاذ لويس ماسينيون العظيم. وأتيح لي أن أقرأ هذه التّوصية بوصفها ضمن مذكرة تعيين باول كراوس. وقد أفاض ماسينيون في الإشادة بمناقب كراوس. وكنت أنا آنذاك من أشدّ المعجبين بماسينيون منذ أن حضرت له محاضرة عامّة ألقاها في الجمعية الجغرافية عن (تخطيط مدينة الكوفة) وذلك في يناير سنة 1935."<sup>638</sup>، لقد خدم المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون بتأليفه العديدة التّراث العربي الإسلامي خدمة جليّة، وهو الذي عرفنا على تراثنا الصّوفي المنسي الذي يمثّله المتصوّف الشّهيد الحلاج الذي كان مغضوبا عليه من طرف الفقهاء الذين كفّروه ورموه بالزندقة والإلحاد فكان مصيره الصّلب على رؤوس الأشهاد.

<sup>637</sup> نفسه، ص: 65-66.

<sup>638</sup> نفسه، ص: 67.

كان الشّاعر الإنجليزي لورانس بينيون Laurence Binyon (1869م-1943م)

متواضعا إلى أقصى حدّ ليس فيه صلف ولا كبرياء الإنجليزي، كان يلقي محاضرات في كآية الآداب بجامعة القاهرة في أكتوبر سنة 1934، وكان بدوي يغشى مجالس هذا الشّاعر العظيم، يقول بدوي: "وكانت أولى هذه المحاضرات التي استمعت إليها خمس محاضرات ألقاها الشّاعر الإنجليزي Laurence binyon، كان يلقيها بهدوء وببطء فكنت أفهمها جيّدا. وكان الرّجل دمث الطّبع، ليس فيه شيء من شكليات الإنجليزي ولا كبريائهم الجوفاء. فكنت أتحدّث معه بعيد كلّ محاضرة." <sup>639</sup>، كان هذا الشّاعر واسع النّفاة وله اطلاع واسع على الفلسفة وعلى علومها وعلى فروعها المعرفية العديدة، ولقد استفاد منه كثيرا، وهذا الأخير جعله يكتشف عوالم الأدب الإنجليزي العجيبة.

لقد زار المعالم الأثرية في أثينا والمتمنّلة في زيارة الأكروبول وهو معبد يوناني وزار سجن سقراط، يقول بدوي: "فسافرنا إلى أثينا بالقطار. وقمنا بزيارة الأكروبول وما حوله، وحرصت خصوصا على زيارة ما يسمّى بـ (سجن سقراط) وهو غرفة من الحجر الجيري ذات مدخل عليه ستارة من الحديد، وطبعا لا علاقة له بالسّجن الحقيقي الذي أودع فيه سقراط، بل عمل من أعمال ترويج السيّاحة." <sup>640</sup>، وكما نعلم فاليونان هو بلد سياحي بامتياز ويروج لسياحته من خلال التعريف بثقافته وبحضارته التي قامت على أساس الفلسفة السقراطية.

لقد حاول في سيرته الدّاتية أن يرثي معبد الأكروبول في أثينا، لقد فعل كما يفعل الشّاعر الجاهلي الذي كان يقف على الأطلال ويزرف دموعه الشّعرية على هذه الرّسوم الدّارسة، وهنا ذرف دموعا نثرية على معبد الأكروبول في أثينا عندما قال: "البكاء على الأطلال هو الانفعال الوحيد أمام هذه المعابد الثّلاثة. وهكذا كان شعوري وأنا أشاهدها، وهأنذا أعبر اليوم-بأخرة- عمّا كنت أشعر به آنذاك: لهفي عليك يا آثار الجمال والخير

<sup>639</sup> نفسه، ص: 67-68.

<sup>640</sup> نفسه، ص: 70.

والحق! ليت شعري بأيّ مشاعر شاهدك أفلاطون وأرسطو وزينون الرواقي وأبيقور<sup>641</sup>، كان هذا المكان مؤثلاً للعبادة، يقصده الناس في أثنائنا للتقرب من الآلهات المتعددة التي صارت تماثيل زينت هذا المعبد الأسطوري، يقول بدوي: "لقد شاهدوا أعمدتك الدورية من المرمر البنيتلي الناصع البياض، واستمتعت عيونهم بنحت فيدياس، وتنفسوا جوّ القداسة الإلهية بين أحضانك، واتسعت صدورهم لتعدّد الآلهة فعبدها كلّها على سواء أو في القليل لم يتعصبوا لأحدها ضدّ الآخر لأنّهم يمتلئون أوجها عديدة للحقيقة الإلهية الواحدة. صارت قلوبهم قابلة لكلّ صورة، كما سيقول محيي الدين بن عربي، فأراحوا نفوسهم من مباحكات شكلية وطقوس رمزية، وشارات وهمية: إنّها مثل هذه المعابد: تتسع لأكبر عدد من الآلهة، ويجري فيها شتى ألوان العبادات، وترنّ في أرجائها نغمات العديد من الأناشيد. ولكم طافوا بصحبة تلاميذهم حولك ليدلّوهم على نماذج الفنّ الرّائع، ويبصّرونهم بمعايير الجمال، ويرهفوا حساسيتهم الغضة".<sup>642</sup>، لقد حاول في سيرته الذاتية أن يرسم لوحة وجودية لهذا المعبد الأثيني الخالد الذي خرج من رحم الأسطورة وصار تحفة فنية خالدة لا يشقّ لها غبار أبداً، لقد حاول في سيرته الذاتية هذه أن يقرأ هذا المعبد الأثيني قراءة صوفية تتماهى مع المطلق وتتحد فيه، لقد حاول وهو يقرأ معالم هذا المعبد الأسطوري الأثيني قراءة سيميائية أن يستحضر روح رينان الذي استطاع أن يكتشف أسرار وطقوس هذا المعبد الخالد، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ورحت أقارن بين (صلاة) رينان على الأكروبول وبين ما أشاهده أمامي فامتلت نفسي خيبة أمل: فليس فيما أراه ما يوحي بأيّ حرف ممّا قاله رينان، مع أنّ الأكروبول كما شاهدته هو بعينه على الحال التي كان عليها عندما شاهدته رينان قبل سبعين سنة".<sup>643</sup>، لقد صار هذا المعبد الأثيني يلهم كبار الشعراء والأدباء والمفكرين على مرّ التاريخ، وصار يوحي إليهم بعذب القصائد ويمدّهم بالأفكار النيّرة والخواطر الرّنانة التي

<sup>641</sup> نفسه، ص: 71.

<sup>642</sup> نفسه، ص: 71.

<sup>643</sup> نفسه، ص: 70.

تسري في الضمير لأنها تخاطب الوجدان في كلّ أوان وحين، لقد وقف على أطلال معبد الأكروبول في أثينا مستحضرا روح الحضارة اليونانية الغابرة التي أثرت في الحضارة العربية الإسلامية.

لقد استطاع رينان أن يفكّ شيفرة هذا المعبد الأسطوري الذي يؤرّخ لآلهات شتى مرّت على أرض أثينا الطاهرة، ويبدو أنّه هو الذي حفّزه على زيارة الأكروبول الموجود أمام معبد البارثنون، كان بدوي قارئاً نهما لمؤلفات رينان خاصّة كتابه (ذكريات الطفولة والشباب)، يقول بدوي: " ووقفت على الأكروبول أمام معبد البارثنون، ورحت أطوّف بنظري في المسرح الكبير المقام إلى جوار هذا المعبد. واستعدت في ذاكرتي (الصلاة على الأكروبول) لرينان، وكنت أكاد أحفظها كلّها عن ظهر قلب منذ أن قرأتها في (ذكريات الطفولة والشباب) لرينان وكان هذا الكتاب من أحبّ الكتب إلى نفسي وقد قرأته في سنة 1935، وأعدت قراءته عدّة مرّات بعد ذلك، لجمال أسلوب رينان." <sup>644</sup>، كان رينان له باع طويل في الأدب والفلسفة ومطلع على الأساطير اليونانية التي تقوم على تعدّد الآلهة، لقد زار رينان معبد الأكروبول وهذه الزيارة ألهمته تأليف كتاب (الصلاة على الأكروبول) وهي صلاة صوفية بحثة تقوم على المناجاة، لقد كان معبد الأكروبول ضحية للنصارى الذين حولوه إلى كنائس وضحية للمسلمين الذين حولوه إلى مساجد، لقد حاول في سيرته الذاتية أن يدافع عن معبد الأكروبول الذي يعتبر تحفة فنيّة نادرة وعجيبة من عجائب الدّنيا السبع، يقول بدوي: " لماذا حولك النّصارى البيزنطيون إلى كنائس، والمسلمون الأتراك إلى مساجد؟ ولماذا لم يشيّدوا هم من الكنائس أو المساجد ما ينافسك، بدلا من أن يستولوا بغير حقّ على ما ليس لهم، لو كانوا قادرين على منافستكم ل فعلوا، لكنّهم كانوا عاجزين فاغتصبوك ونهبوك وشوّهوك." <sup>645</sup>، لقد حاول البيزنطيون والأتراك القضاء على هذه التّحفة المعمارية النّادرة ولكنّهم لم يوفّقوا في ذلك وجنوا الخيبة والخسران في الأخير، وبقي هذا المعلم الأثري الخالد صامدا أمام أعداء

<sup>644</sup> نفسه، ص: 70.

<sup>645</sup> نفسه، ص: 71.

الحضارة والتاريخ، وهنا تظهر نزعة بدوي الإلحادية التي لا تعترف بأيّ دين وتعتبره مجرد صناعة بشرية، لقد آمن بالفلسفة والفنّ فقط وكرّس حياته من أجل الترويج للفلسفة الوجودية في مصر وفي الوطن العربي، لقد صار معبد الأكروبول كما يرى تحفة فنية ومعمارية هائلة لا يكرّرها التاريخ ولا تذيبها الأسطورة، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "في تصميماتك المعمارية يتجلى ميزان العقل والمنطق، واعتدال فضائل النفس، وتوافق الأنغام. ليس فيه جنون المعمار القوطي، ولا ثقل المعمار الروماني، ولا تكثّل المعمار المصري، ولا زخرفة المعمار العربي، ولا سماجة المعمار الباروكي، ولا بلاهة المعمار الأمريكي المعاصر!"<sup>646</sup>، لقد جسّد هذا المعبد الأسطوري معالم الفنّ اليوناني الأصيل الذي يمتح من معين الأسطورة اليونانية التي تعتبر من أسرار الحضارة اليونانية الموهلة في الأصالة والقدم، من يزور هذا المعبد تعتريه الأسرار الروحانية ويسبح في لجة الجمال الأسطوري الخالد الذي لا نظير له في هذا الوجود.

### المبحث الثاني: عبد الرحمن بدوي يقرأ في سيرته الذاتية الفنّ والسياسة والحبّ قراءة وجودية

يرى في سيرته الذاتية بأنّ معبد البارثون بأثينا هو معبد الحكمة والإشراق الرّوحي الصّوفي لأنّ المعارف الإنسانية والإشراقات الرّوحية الصّوفية تنتزل في هذا المعبد الرّوحي الذي تغذى بالفلسفة اليونانية الإشرافية الرّوحية الخالدة، يقول بدوي وهو يناجي معبد البارثون بأثينا مناجاة روحية ما يلي: "أيها البارثون (في اليونانية: غرفة الفتيات)! كم من فتيات نبيلات رائعات الجمال أقمن فيك لأداء الشعائر في عيد الإلهة أثينا! ولكم وددت أن أعيش في ذلك العهد الذي مزج بين الجمال والقداسة، بين الإنسانية والألوهية، بين الشّهوة والنّقوى! آنذاك كانت تستمتع كلّ نوازع الإنسان، وتقتاب كلّ الحواس، ويتوافر على التّكوين جماع العواطف والإرادات: فلا تحريمات تحدّ من تطلعات الجسد، ولا قيود على انطلاق

<sup>646</sup> نفسه، ص: 71-72.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الغرائز".<sup>647</sup>، لقد جسّد هذا المعبد كلّ الأسرار الروحانية التي تعترى الإنسان عندما يتذوّق الجمال الأسطوري الخالد، وعندما زار معبد الأكربول ومعبد البارثون بأثينا ألهمته هذه الزيارة لكي يعرّج على مدينة أثينا لعلّه يستلهم الحكمة من معين معرفتها الإنسانية الصّافي، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "لكنّ عزائي عن العيش في أيام مجدك، أي أثينا، وأنت تجسّد الحكمة، إنّي جعلت رسالتي في الحياة خدمة الحكمة، فأنا أقوم على خدمتك أيّتها الإلهة، في كلّ يوم، لا في عيدك فحسب مثلما كانت تفعل أولئك الفتيات، أيّتها العذراء، ثمّ أفقت من أحلامي هذه ومناجياتي، لمّا أن استحتّني زميلي في السّقر، حتّى نعود إلى ميناء بيريه للحاق بالسّفينة".<sup>648</sup>، كان يستلهم من آلهة الحكمة أثينا الأنوار والأسرار كما يستلهمها المرید من شيخه، فصار عارفا بالحكمة اليونانية وأشرقت معرفته كتباً في هذا المجال، فكتب عن الحكمة اليونانية وعن معلّمها الأوّل سقراط وتلميذه أرسطوطاليس وأفلاطون، وهذه المعرفة بالفلسفة اليونانية الخالدة أهّلته لأن يكون فيلسوفاً وجودياً فريداً من نوعه في مصر وفي الوطن العربي.

لقد صدم عندما زار إيطاليا وشاهد الآثار الرومانية التي عمّها الخراب، فقال هذه الكلمات متحسّراً: "ولكن ما الفائدة من ذكر هذه (الأثينات) إذا كانت كلّ هذه العمائر العظيمة قد صارت أنقاضاً أو شبه أنقاض؟ الحقّ إنّ المشاهد لهذه الآثار الرومانية لا يشاهد ببصره، بل بذاكرته. وهذا أشدّ ما يؤلم النّفس وهو يشاهد هذه البقايا المتهدّمة".<sup>649</sup>، لقد صارت هذه الآثار الرومانية أثراً بعد عين وذرف عليها عندما زارها دموعاً وجودية كأنّه يريد أن يستحضر أمجاد الحضارة الرومانية الغابرة التي عفا عليها الزّمن وصارت أثراً دارسة. كان معجباً بالفنّ الباروكي الخاصّ بفنّ النّحت لأنّه فن يحمل في أعماقه مسحة الجمال والإبداع الإنساني، يقول بدوي: "أمّا عبد القادر رزق فقد كان يصحّبني في زيارتي

<sup>647</sup> نفسه، ص: 72.

<sup>648</sup> نفسه، ص: 72.

<sup>649</sup> نفسه، ص: 74.

للمتاحف والكنائس، أحيانا وحده وأحيانا في صحبة فنّانين مصريين آخرين، لأنّهم رأوا اهتمامي الشّدِيد بمشاهدة الآثار الفنّية، ومعرفتي الواسعة بتاريخ الفنون، وقد رحبت بصحبتهم، وكنا نتناقش كثيرا في قيمة ما نشاهد من أعمال النّحت، لأنّني كنت آنذاك معجبا بالطراز الباروكي، بينما كانوا هم من أعدائه.<sup>650</sup> كان عاشقا للفنّ الباروكي ومتنوّقا له، بل كان ناقدا فنّيا أتقن قراءة الفنّ الباروكي الذي زيّن اللّوحات في المتاحف ونمّق التّماتيل في الكنائس إتقاناً وجودياً صرفاً.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ الزّائر لآثار روما ليس كمن قرأ عنها، لأنّ ليس الخبر كالمعاينة ومن يرى ليس كمن يسمع، لقد شاهد جمال الفنّ الرّوماني الخالد بأبّ عينيه، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وهكذا لم أقض في روما غير ستّة أيّام، في أثناءها كنت في شبه ذهول بسبب هذه الرّوائع الفنّية العديدة التي شاهدتها في روما. إنّ هذا الفيض الوافر من الانطباعات قد هزّ كياني كلّهُ هزّاً عنيفاً حتّى كدت أنهار تحت وطأته. نعم، كنت قد قرأت الكثير قبل ذلك عن عصر النهضة في إيطاليا، وكان كتاب (الحضارة في عصر النهضة) تأليف يعقوب يوركهرت ريفيقي طوال شهرين، ولم أسمع باسم فنّان: مصوّر، أو نحات، أو معمار، وأنا في روما لم أكن قد سمعت به بل وعرفت نبذة عن حياته وأعماله من قبل. لكن فارق هائل جدّاً بين أن تكون قد عرفت هذه الأسماء بالقراءة، وأن تشاهد أعمالها الفنّية ماثلة أمام عينيك. وكانت هذه الانطباعات من الوفرة والقوّة بحيث لم تدع لي أيّة فرصة لتبيّن مشاعري وتمييز أحكامي عليها." <sup>651</sup> هنا يدعونا لكي نشاهد الفنّ الخالد ليس على الورق فحسب، بل نشاهده رأي العين على مسرح الحياة، فالفنّ وجد لكي يرى ويشاهد حتّى تتحقّق المتعة الفنّية لمن يحسن تذوّقه تذوّقا راقياً، فلا مكان هنا لعالم الكتب.

<sup>650</sup> نفسه، ص: 75.

<sup>651</sup> نفسه، ص: 76.

عندما زار النمسا هام وجدا بجمال طبيعتها الساحرة الناعمة، لقد رأى عرش الجمال ماثلا أمامه، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "ومع إطلالة الفجر سرّحت بصري في المناظر أمامي وأنا في النمسا: تجلّى أمامي مشهد لم أر مثله من قبل: جبال الألب في إقليم التيرول وقد كستها غابات شاسعة من الصنوبر والشوح والشربين، والقمم والأودية تستعدّ لاستقبال أشعة الشمس في لهفة وقشعريرة، وقطرات الندى تتلألأ على الأوراق الإبرية (التي تشبه الإبر) كأنها عقود متوالية من للالئ الصافية".<sup>652</sup>، كانت الطبيعة في النمسا تحفة فنية نادرة صنعتها يد الخالق وأتقنت صنعها، فصارت متحفا طبيعياً مفتوحاً على الهواء مباشرة نرى عرش الجمال ماثلا فيه، لقد عشق جمال الطبيعة النمساوية الساحر عشقا صوفياً وجودياً دونه في سطور سيرته الذاتية هذه.

حاول في سيرته الذاتية أن يعقد مقارنة بين الفلاح النمساوي وبين الفلاح المصري، ورأى بأنّ الفلاح النمساوي متحضّر في سلوكه وكسول في عمله ولا يتقن عمله إتقاناً جيّداً، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وفي إحدى المحطّات التي وقف عليها القطار في النمسا صعد فلاح يلبس حلّة خضراء نظيفة، ومحيّاه جميل جدّاً ببياضه وحمّته، ورأيت يحمل على كتفه منجلا كبيرا، وهذا ما جعلني أعتقد أنّه فلاح. فرحت أقارن بين هذا الفلاح الفاتن الجمال النظيف الثياب، وبين الفلاح المصري بوجهه المعوجّ وثوبه الأغبر المتمزّق، وقلت لنفسي: إنّ بين الفلاح النمساوي والفلاح المصري ألف سنة من الحضارة فأنتى للثاني أن يقطعها!"<sup>653</sup>، هنا يرسم لنا صورة كاريكاتورية عن الفلاح المصري الذي ما زال يعيش في كهوف التخلف ويبدو أنّ شمس الحضارة لم تشرق بعد في أرضه الخصبة الصالحة للزراعة وللحضارة أيضاً، أمّا الفلاح النمساوي فقد هبّت عليه نسائم الحضارة والرّقي والتّطور الزراعي الهائل، وها هو الآن يرفل في أثواب النّعيم السّرمدى مستمتعا بعمله اليومي في أرضه الناعمة.

<sup>652</sup> نفسه، ص: 77.

<sup>653</sup> نفسه، ص: 77.

تعتبر مدينة منشن الألمانية هي مهد الموسيقى العالمية ومن رحمها خرج أعلام الموسيقى الكلاسيكية العالمية من أمثال فجنر وغيره من العباقرة الخالدين في ضمير التاريخ، يقول بدوي: " وفي الموسيقى لمنشن شأو عظيم. فمنذ سنة 1901 يقام فيها سنويًا احتفالات لعرض الأوبرات، وبعضها أوبرات لفجنر. وتقام في مسرحين: المسرح القومي National Theater، ومسرح الرّزیدنس، Residens Theater، "654، كانت الموسيقى الكلاسيكية العالمية في ألمانيا تتناغم مع جمال الطّبيعة السّاحر في منشن محدثة جوقا وجوديا صوفيا حالما، يقول بدوي: " وفي نطاق منشن كانت المناظر الطّبيعية آية في الجمال، فكان المجال واسعا أيّام الأحاد للقيام بالرحلات، ومن أهمّ الأماكن للنّزهة بحيرتان: بحيرة Kiensea وبحيرة الملك Konigsea، والأخيرة هي الأجل، وتحيط بها جبال تجعل ترداد الصوت بالبوق ساحرا، ولهذا كان هناك زوارق للنّزهة في البحيرة، وعند نقطة معيّنة منها كان أحد البحّارة ينفخ في البوق، فيتردد الصدى ساحرا عميقا. "655، كانت الطّبيعة في منشن بأعاجيبها الخلّقة كأنّها كورس موسيقيّ عجيب يقوده موسيقار ومايسترو عبقرّي نحتته الطّبيعة من صخر الوجود الأبدي، فجمال الطّبيعة في منشن يسرّ النّفس ويثلج الفؤاد ويجعلنا نرى السّعادة في مرآة الوجود، كان كلّما زار ألمانيا عرّج على مدينة منشن لكي يستمتع بجمال طبيعتها الخلّاب ويتبّئل في محرابها الأسطوري مردّدا ترانيم وجودية كأنّها أصوات قادمة من السّماء.

عندما زار ألمانيا في الثلاثينات من القرن الماضي كان معجبا بقوة شخصية هتلر وبتقافته، كان هتلر قوي الشخصية إلى حدّ كبير، يملك من الكاريزما ما يؤهّله إلى قيادة ألمانيا بقوة الحديد والنّار، وكان له ثقافة موسوعية، وكان متأثرا بفلسفة نيتشه، يقول بدوي عن هتلر ما يلي: " ولأوّل مرّة أشاهد أدولف هتلر وهو واقف يخطب على مسافة لا تزيد عن خمسين مترا من المكان الذي كنت أقف فيه، وكانت خطبته حافلة طويلة وكان قويّ

<sup>654</sup> نفسه، ص: 79.

<sup>655</sup> نفسه، ص: 79-80.

### الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الصوت، جليل الأداء، يضغط بقوة على العبارات التي يريد توكيدها وكان الموضوع الأصلي هو الدعوة إلى الفن الألماني الأصيل، والتخلص من الفن (المنحل) الذي ساد ألمانيا في العشرينات.<sup>656</sup>، كان هتلر يريد الرقي الحضاري والرقي الثقافي لأمته حتى تلحق بركب الأمم المتطورة، وكان يرى في تيار السريالية والدادائية بأنهما فنان منحلان يجب على ألمانيا التخلص منهما لأنهما لا يساهمان في البناء الحضاري لألمانيا التي غلب عليها البؤس الثقافي وأصبح الفن فيها مبتذلا إلى أقصى حد، يقول بدوي: "ولهذا الغرض أقاموا معرضا مجاورا وضعوا فيه نماذج من هذا الفن (المنحل) كي يبينوا للمشاهدين فساد هؤلاء الفنانين وانحلال نفوسهم، خصوصا وقد كان السائد فيه هو تيار السريالية والدادائية، ومما قاله هتلر ساخرا من هذه التيارات: ( هل شاهد أحد سوي العقل هذه الصور والأشكال في الطبيعة؟ ! إن هؤلاء (الفنانون) يزعمون أنهم يرون الناس بهذه الأشكال الممسوخة فإني أحيل أمرهم إلى وزير الداخلية ليعالجوا العلاج المناسب !!.. وهو يقصد: وضعهم في مستشفيات المجانين، باعتبارها تتبع وزارة الداخلية.<sup>657</sup>، كان هتلر رساما فاشلا ويبدو أن له عقدة نفسية من هؤلاء الفنانين الذين ينتمون إلى المدرسة السريالية وإلى المدرسة الدادائية التي كانت سائدة في ألمانيا وهيمنت على الساحة الفنية هناك، كان هتلر عدو الفن الحقيقي.

لقد وقع في غرام فتاة ألمانية جسمها بضّ وقوامها رشيق يجعل الحليم حيرانا والصّاحي سكرانا، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: " وفي زحمة موكب الفن العظيم قدر لي التّعرف إلى فتاة في السادسة عشرة من عمرها: كانت قصيرة القامة، بضّة الجسم، كلّها نضارة وحرارة. عيناها زرقاوان زرقة السماء في ذلك اليوم الصّاحي في منشن، ووجهها غاية في البياض المشرب بالحمرة، وشعرها الذهبي غير الطويل يحيط رأسها بهالة صفراء

<sup>656</sup> نفسه، ص: 82.

<sup>657</sup> نفسه، ص: 82.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

ناصعة. وعلى رأسها قبعة كحلية اللّون، وفتانها أبيض ومنقّط بنقط بنية، فأخذت بلبي وسحرتني فعلا. لهذا ألححت على المكوث إلى جوارها طوال مرور الموكب." <sup>658</sup> ، لقد سحرتة هذه الغادة الشّابة ذات الكعب النّاهد وتغلّغت إلى ضميره وإلى وجدانه وتملّكت عقله وفؤاده وصارت ليله ويومه الطّويل، لقد حاول الاقتراب منها لعلّه يتبوأ عرش قلبها ويقتحم قلاعه الحصينة، صار يغرف من معين كأس خمرة هذا الحبّ المخملي لعلّه يسكر ولا يصحو أبدا، لقد وجد في مدينة منشن الحبّ النّاعم الذي يحقّق للإنسان السّعادة الأبديّة النّائمة في العسل.

هنا يستحضر ذكريات حبّ هذه الفتاة الألمانية الجميلة التي ملكت عقله ووجدانه، كان كلّما اشتاق إليها دعاها إلى حفلة صاحبة يجلّها الحبّ الأسطوري، يقول بدوي: " فلما انقضى الموكب دعوتها إلى تناول شراب في مقهى قريب، وببراءة ناعمة لبّت الدّعوة، ورحت أتملّق غرورها، وأقسم لها أنّي أحببتها حباّ كأنّه ضربة صاعقة. وبعد ساعة أو يزيد رغبت في العودة إلى أهلها، فأوصلتها إلى بيتها، بعد أن تواعدنا على اللّقاء أو العشاء بعد ثلاثة أيّام" <sup>659</sup> ، لقد تعلّق قلبه بهذه الفتاة تعلّقا شديدا وصار يطلب رؤيتها كلّ يوم وهذا لكي يتجدّد حبّهما ويورق ويزهر، فالحبّ عندما يسيطر على القلوب يفعل الأفاعيل العجيبة ويفرض قانونه الخاصّ على المحبّين ويتمرّد على كلّ الأعراف السّائدة، يقول بدوي مواصلا قصّة غرامه مع هذه الفتاة ما يلي: " ووقّفت بوعدها، وجاءت إلى مقهى رجبينا في شارع مكسمليان. وتناولنا العشاء، ثمّ أخذنا في المشي في الطّرقات في الظّلام. ودخلنا (الحديقة الإنجليزيّة)، وجلسنا على مقعد تحت زيزفونة ضخمة نتساقى أحاديث الغرام وملاطفات الهوى، حتّى انتصف اللّيل وعزمت على العودة إلى بيتها، فمشينا في الطّريق الطّويل ببطء مقصود، وكان عناق حارّ وتقيل طويل ومزيد من الوعود، لكنّي لم أرها بعد ذلك أبدا. فيالك من حبّ ما كان أقصر منك عمرا! ويا لها من تجربة سريعة لكنّها عميقة حافلة بالأحاسيس الحارّة،

<sup>658</sup> نفسه، ص: 82-83.

<sup>659</sup> نفسه، ص: 83.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

والوجدانات العرمة، والخيالات الزّاهية!"<sup>660</sup>، لقد صار هذا الحبّ الجارف الذي عصف بقلبه مجرداً من الأحاسيس والعواطف الجيّاشة لأنّه أصبح مجرد ذكرى عابرة تلوّكها الألسن وتستحضرها الذّكريات في لوح الخيال العابر، لقد أصيب بصدمة عارمة بسبب هذا الحبّ العاصف، وهذه الصّدمة سبّبت له عقدة نفسيّة عنيفة جعلته يكره المرأة كرها شديداً ويضرب عن الزّواج حتّى فاته قطار العمر الذي يمضي بسرعة كأنّه برق لامع، لقد حاول أن يلقاها ولو في الأحلام ولكن للأسف الشّديد كل محاولاته من أجل استرجاع هذا الحبّ الغابر قد باءت بالفشل الرّهيب، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "حاولت بكلّ سعي أن ألقاها، لكنّها وأهلها كانوا قد ذهبوا إلى الرّيف، حسبما أخبرتني إحدى السّاكنات في البيت الذي أوصلتها إليه، ولا أحد يدري متى يعودون. وإقامتي في منشن لن تطول إلّا لأسبوعين بعد لقائنا هذا. وكنت أعزّي نفسي بالسّير في الطّرق التي سرنا فيها. وإذا مرّت فتيات كنت أقول في نفسي ما كانت تقوله شولميت في سفر (نشيد الأناشيد): (يا بنات منشن، هل رأيتم حبيبتني؟!)"<sup>661</sup>، لقد صار يبكي بكاء مرّاً على أطلال هذا الحبّ الغابر الذي مضى ولن يعود أبداً، أصبح مجرد ذكرى جميلة ترويها القصص وتنشدها الأشعار الرّتانة التي تطرب الأذواق التي تحنّ إلى زمن الحبّ الجميل، لقد اختفت هذه الفتاة من حياته كما يختفي البدر عند طلوع النّهار، وصارت مجرد أسطورة بابليّة يرويها التّاريخ للأجيال القادمة، ويبقى هذا الحبّ الذي جمع بينهما على حين غفلة من الدّهر حبّاً فريداً من نوعه لأنّه بكلّ بساطة لم يعمر طويلاً.

لقد قام في سيرته الذاتيّة برثاء مدينة منشن الألمانية التي سقطت في يد الأمريكيان وهذا خلال الحرب العالميّة الثّانية، لقد تخلّصت من همجية هتلر ومن نازيته المقيتة ووقعت في وحل همجية الأمريكيان، لقد جعل من إسم حبيبتيه الألمانية يوهنا جابلر رمزاً لمدينة منشن التي داستها أقدام الأمريكيان وهو يدوّن مرثيته هذه، يقول بدوي: "رحماك يا يوهنا جابلر

<sup>660</sup> نفسه، ص: 83.

<sup>661</sup> نفسه، ص: 83.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

Yohanna!، وكان الله معك في هذه المحنة الرهيبة! إنَّ برابرة هذا العصر-هؤلاء الأمريكيين الذين خلوا من كلِّ وازع إنساني وخلقِي-يصبّون على بلدك الجميل نار عذاب دونه نار الجحيم. وليس في إجرامهم هذا أيّة شجاعة، لأنّ الدِّفاع الجوّي عن منشئ لم يعد له وجود، وهؤلاء الجبناء قد استغلّوا ذلك لتدمير منشئ بوصفها عاصمة الحركة النّازية، لا لارتباط ذلك بأيّ نصر عسكري. بودّي لو كنت بجانبك أشاركك بعض هذه المحنة! لكنّ هيهات، هيهات!"<sup>662</sup>، كان الأمريكيان أكثر همجية من هتلر حاولوا بكلِّ ما يملكون من قوّة عسكرية أن يدمّروا مدينة منشئ بقوة الحديد والنّار، فالأمريكان هم أعداء الحضارة الحقيقيين. كان موسوليني زعيم الفاشية في إيطاليا يريد أن يجسّد إمبراطورية روما الكبرى على أرض الواقع ولكنّ حلمه ذهب أدراج الرّياح، يقول بدوي: "وافتح موسوليني بنفسه هذه الجامعة بإلقاء محاضرة عن (روما على البحر)، وذلك في مايو سنة 1926. وكانت المحاضرة استعراضا تاريخيا لروما لما كانت تصل إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط في عهد الإمبراطورية الرّومانية. وهو ما سعى موسوليني إلى إعادته من جديد بالطريقة الواسعة الفخمة التي امتدّت من طرف روما إلى أوستيا Ostia على ساحل البحر المتوسط. وفي خلال الأربعين سنة الأخيرة امتدّ العمران حتّى اتصلت بروما بأوستيا، وأصبحت (روما الكبرى) على البحر المتوسط فعلا."<sup>663</sup>، لقد حاول موسوليني أن يعيد أمجاد الحضارة الرّومانية الغابرة ولكنّ الظروف لم تسعفه وانهمز هزيمة نكراء في الحرب العالمية الثّانية وتمّ إعدامه هو وزوجته في السّاحة العامّة في روما.

لقد وجّه في سيرته الدّاتية سهام النّقد إلى أنصار موسوليني من النّخبة المثقّفة الذين انقلبوا عليه وصاروا يعادونه ويكيلون له كلّ أنواع التّهم، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "حتّى إنّ بعض الأساتذة الإيطاليين الذين كنت أعرفهم جيّدا والذين شاهدت بعضهم في سنة

<sup>662</sup> نفسه، ص: 84.

<sup>663</sup> نفسه، ص: 97.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

1937 يلبس (القميص الأسود) الفاشستي.. وجدتهم يعلنون بكل وقاحة أنهم لم يكونوا أبدا من الفاشست بل ولا من أنصار موسوليني !! والله في خلقه شؤون!"<sup>664</sup>، وبطبيعة الحال فالتاس أتباع من غلب، عندما كان موسوليني في ذروة مجده العسكري مسيطرا على إيطاليا برمتها كان له نخبة مثقفة تؤيد مشروعه التوسعي الزامي إلى إقامة إمبراطورية روما الكبرى على ضفة البحر الأبيض المتوسط، وعندما انهزم في الحرب انقلبت عليه هذه النخبة المثقفة المزيفة وصارت من ألد أعدائه الطبيعيين ووضعت على هامش التاريخ كأنه لم يكن شيئا مذكورا.

كان مولعا بشعر ليوبردي Leopardi (1798م-1837م) الإيطالي لأنه وجد فيه مسحة الحزن الموجودة في أعماق النفس البشرية التي تمتح من معين الإنسانية المليء بالمحن النفسية، كان شعر ليوبردي يدعو إلى التشاؤم والسوداوية ويجعل المرء يفقد طعم الحياة ورونقها وبهجتها، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وكنت أنا مولعا بشعر ليوبردي، طابعه الحزين، ولما فيه من فلسفة عميقة. وكنت أحفظ معظم قصائده Canti في نصّها الإيطالي منذ سنة 1935 وكنّت قد بدأت تعلّم اللّغة الإيطالية في سنة 1934 في المدرسة الإيطالية ببولاق (أمام الإسعاف، ولا تزال قائمة حتى اليوم)"<sup>665</sup>، نرى في بدوي قدرة عجيبة على تعلّم اللغات الأجنبية وهذا حتى يقرأ عيون الآداب العالمية في لغتها الأصلية، وهذا ما حدث له مع اللّغة الإيطالية التي تعلّمها في ظرف قياسي وصار يقرأ ويكتب ويحاضر بها.

كان وهو في إيطاليا مولعا بالطّالبات الألمانيات والنّمساويات وكان يصادفهنّ في الجامعة، يقول بدوي: "أما الطّالّب في (جامعة الأجانب) هذه فكانوا في ذلك العام من 28 جنسية وكنا نحن اثنين من مصر. والعدد الأكبر منهم كان من ألمانيا. ولحرضي على تعهدّ

<sup>664</sup> نفسه، ص: 98.

<sup>665</sup> نفسه، ص: 98-99.

### الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

لغتي الألمانية فقد كان معارفي من الألمان خاصّة. فكنت أقضي معظم أوقات فراغي مع طالبات ألمانيات أو نمساويات، وكنّ جميعا بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين.<sup>666</sup> كان يتواصل معهنّ من أجل تعزيز معرفته باللّغة الألمانية لكي يتقنها إتقاناً جيّداً ويتمكّن من معرفة أسرارها الظاهرة والخفية.

كان عفيفاً في حبّه للفتيات الألمانيات والنمساويات وهو في إيطاليا، لأنّه كان يقدّس المرأة ويحترم الحبّ الذي يجمع بينهما، يقول بدوي: "كنت أعرف الكثيرات من هؤلاء الفتيات الألمانيات والنمساويات في وقت واحد، ولكنني كنت أوتر واحدة منهنّ بالنزّهة الخلوية في الرّوابي المحيطة ببيروجوا والتي تكثر فيها أشجار الكروم والتّفاح والكمثري، فنقضني المساء حتّى ساعة متأخّرة من اللّيل، وفي اللّيلي القمرية تستمرّ النزّهة حتّى مطلع الفجر، وكان العفاف أقوى رقيب علينا، فلا نتبادل أكثر من لمسات الأيدي أوالمخاصرة في المشي، وحرّمنا على أنفسنا ما يتجاوز ذلك، حتّى القبل الخفيفة. وكان يحجزني في ذلك الوقت عفاف غريب، الباعث إليه هو تقديس المرأة والسّموّ بمعنى الحبّ. وكنت أعتقد أنّ القبل وما بعدها تدنّس الحبّ، وتسقط المحبوبة في عيني، ولا شكّ أنّ قراءتي للشّعراء الرّومنتيك هي التي ملأتني بهذه الفكرة عن الحبّ الحقيقي. فيالها من سداجة مقدّسة!"<sup>667</sup>، كان مثاليّاً في حبّه للفتيات الألمانيات والنمساويات، وكان يتعامل مع المرأة على أنّها كائن إنساني يجب أن يحترم ويقدّس، وكان ينظر إلى الحبّ نظرة شاعريّة وجوديّة ذات نزعة صوفية حالمة، لقد نظر إلى الحبّ نظرة طوباوية لذلك فشل فشلاً ذريعاً في جميع مغامراته العاطفية وفقد بوصلة العثور على جزيرة الطّرف الآخر.

لقد وقع في غرام فتاة نمساوية وهو في إيطاليا، وهذه الفتاة كانت على قدر كبير من الجمال والفتنة يسبب حسنها عقول الشّباب، يقول بدوي وهو يتحدّث عن ملابسات هذا

<sup>666</sup> نفسه، ص: 99.

<sup>667</sup> نفسه، ص: 99.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الغرام ما يلي: " واستقرّ قلبي في منتصف شهر سبتمبر على إحداهنّ، وكانت تدعى أوجستا برونر Augusta bronner، وهي نمساوية من فينا، كانت فارعة القوام، بيضاء البشرة، زرقاء العينين، سوداء الشّعر، وكانت رباّ النّهدين، بضّة الرّدفين، أسيلة الخدّين، تعقبتّها ذات مساء بعد الخروج من الجامعة، لما أن شاهدتها تسير وحدها في تريث، وكانت قد لفتت انتباهي لما أن شاهدتها في أثناء محاضرة عامّة فرحت أرمقها بنظري دون أن تردّ هي على نظرتي بنظرة، وبعد ذلك بيومين شاهدتها وحدها في الحديقة الصّغيرة أمام مبنى المحافظة Podesta، التي منها يستشرف المرء إلى آفاق إقليم الأومبريا." <sup>668</sup>، لقد وقع في غرام هذه الفتاة النّمساوية وهو في إيطاليا يستمتع بسياحته العلمية هناك، كانت هذه الفتاة حسناء ممثلة الجسم جمعت في شخصيتها بين الثّقافة وبين الجمال لذلك أحبّها حبّا جنونيّا وصار يلتقيها كلّما سنحت له الفرصة وهذا لكي يستمتع بجمالها الأخاذ، يقول بدوي: " ومضينا في الطّريق الممتدّ حوالي بيروجا طوال كيلومترين. ثمّ أنبأتني أنّها تريد العودة إلى مسكنها لتناول العشاء. فقلت لها: وأنا بدوري قد حان وقت العشاء في البيت الذي أقيم فيه، فلننّفصل الآن، وموعدا في التّاسعة مساء في حديقة المحافظة. والتقينا من جديد في التّاسعة. وتجاذبنا أطراف الحديث بيننا حتّى منتصف اللّيل، يحاول كلّ منا أن يتعرّف أحوال الآخر وعواطفه ونوازعه. ثمّ اتفقنا على أن يكون لقاءنا في مساء كلّ يوم عقب انتهاء المحاضرات العامّة في السّاعة السّادسة مساء." <sup>669</sup>، هذا الحبّ للأسف الشّديد لم يدم طويلا كان عمره قصيرا وسرعان ما ذهب مع الأيام واللّيالي، لقد أحبّ هذه الفتاة النّمساوية بكلّ إخلاص وبكلّ وفاء، ولكنّ هذا الحبّ العفيف الطّاهر لم يكلّل بالزّواج بل صار مجرد ذكرى عابرة ومؤلمة في نفس الوقت، من اقترب من الحبّ اكتوى بناره وهذا ما حصل معه، لقد عدّبه غرام هذه الفتاة النّمساوية وجعله يسبح في بحار الأحزان السّرمدية.

<sup>668</sup> نفسه، ص: 99-100.

<sup>669</sup> نفسه، ص: 100.

يرى في سيرته الذاتية بأن مدينة فيرنتسه الإيطالية هي موئل الفنّ والجمال، لأنّها بمثابة متحف مترامي الأطراف، يقول بدوي: " وفي يوم الأحد التّالي لتعرّفي إلى أوجستا، سافرنا معا إلى فيرنتسه، وقضينا بها نهارا كاملا وطرفا من اللّيل، إنّ مدينة فيرنتسه متحف بكاملها، لكن كان علينا أن نتوقّف طويلا في كلّ موضع فتّي. " <sup>670</sup>، كان له قدرة عجيبة في قراءة شيفرات الفنّ والجمال في متاحف إيطاليا، وكان معجبا بالفنّ الباروكي الذي واكب النّهضة الأدبيّة والفنّيّة في إيطاليا في القرن الخامس عشر ميلادي، وهو فنّ يجسّد النّزعة الكلاسيكية في الفنّ لأنّه يريد إحياء تراث الحضارة الرّومانية القديمة من جديد.

لقد انبهر بجمال الكنائس في مدينة فيرنتسه الإيطالية، وكانت هذه الكنائس تحمل طابع الفنّ الباروكي الذي ظلّ صامدا عبر التّاريخ، يقول بدوي: " إنّ كان يومي هذا في فيرنتسه حافلا جدّا، مليئا بالإحساسات الجمالية العميقة. لقد كنت طواله منتشيا بنشوة فنّيّة لا يبلغ مداها التّعبير. ولما عدت في العاشرة مساء إلى بيروجيا، رحّت أفكّر في هذه المدينة- المتحف، فيرنتسه، وكيف استطاعت أسرة آل مدتشي أن تحيلها إلى مستودع لروائع الفنّ في فترة قصيرة تقلّ عن قرن واحد. " <sup>671</sup>، فالفنّ الخالد لا يموت ومع مرور الزّمن يتحوّل إلى تحفة نادرة تحوم حولها الأساطير، فهذه الكنائس الإيطالية ساهمت في الحفاظ على الفنّ الباروكي النّادر وقدمته إلى الأجيال المتعاقبة.

لقد أعجب وهو في مدينة بيروجيا الإيطالية بالموسيقى الدّينية الكنسية عندما استمع إلى ترانيمها العذبة، يقول بدوي: " وعقب سماعي لهذه الموسيقى الدّينية كنت أسأئل نفسي: ما أروع هذه الموسيقى! ولماذا لم يكن للإسلام موسيقى من هذا الطّراز؟! لماذا اقتصرنا في هذا الباب على تجويد القرآن! وهو يناظر نوعا من موسيقى الأصوات غير المصحوبة بنغمات الآلات؟ صحيح أنّ الصّوفية المسلمين، وبخاصّة الطّريقة المولوية، قد عنوا

<sup>670</sup> نفسه، ص: 101.

<sup>671</sup> نفسه، ص: 105.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

بالموسيقى، وجعلوا منها مصاحبا مهماً في حلقات الذكر، لكنهم لم يستخدموا في العزف غير الناي، والصنج، والطبل وهي آلات أولية لا تكفي لتأليف موسيقى فني، وتلك بداية، ولكنها لم تستمر. وهي بداية تشبه بداية موسيقى الكنيسة المسيحية: فقد بدأت بالإنشاد بواسطة الأصوات الإنسانية، لكنها أدخلت منذ القرن الثامن الأورغن في أول الأمر كوسيلة لتسهيل تعلم الأناشيد في الأديرة، ثم صار يستخدم في طقوس العبادات للتناغم مع الأصوات الإنسانية.<sup>672</sup>، فالموسيقى الدينية الكنسية تشبه في جوهرها الموسيقى الصوفية عند المسلمين، فالأولى تطورت وواكبت العصر أما الثانية فبقيت موسيقى تافهة باهتة لم تتطور بعد، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وابتداء من القرن الرابع عشر صاحبت الموسيقى صلوات القُدّاس، واستمرّ التطوّر في اتجاه المزيد من الآلات في موسيقى الكنيسة، حتّى كثرت الآلات نوات الأقفاس Archet وآلات النفخ والرّيح. وبلغ هذا التطوّر أوجه في القرن الثامن عشر على يد يوهان سبستيان باخ J. S. Bach، وواصله هايدن وليشت وبروكنر Bruckner- لكنّ السّبب في عدم تطوّر الموسيقى الدّينية عند الصّوفية المسلمين هو نفس السّبب الذي جعل الموسيقى الدّنيوية في الدّول الإسلاميّة أوليّة- أعني عدم ظهور عبقرّي في الموسيقى في العالم الإسلامي. فالحال في الموسيقى كالحال في الفلسفة الإسلاميّة: نضوب في الإبداع." <sup>673</sup>، هنا لا أوافق بدوي في رأيه هذا والمتمثّل في عدم تطوّر الموسيقى العربيّة الإسلاميّة، لأنّ عالمنا هذا شهد في القرن الماضي نهضة موسيقية عربيّة رهيبّة تمّت على أيدي عباقرة قلّ أن يجود الرّمان بمثلهم من أمثال سيّد درويش (1892م-1923م) والنّهري الخالد موسيقار الأجيال محمد عبد الوهّاب (1898م-1991م) وبلبل المنصورة ريّاض السّنباطي (1906م-1981م) وملك العود فريد الأطرش (1910م-1974م) والموسيقار محمّد فوزي (1918م-1966م) ملحنّ النّشيد الوطني الجزائري وكلّهم جدّدوا في قالب الموسيقى العربيّة وأعطوها بعدا عالميا وخلّدوا

<sup>672</sup> نفسه، ص: 107.

<sup>673</sup> نفسه، ص: 107-108.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

أسماءهم ودونوها بأحرف من ذهب في سجّل الحضارة العربية الإسلامية التي أقامت صرحها على أساس الموسيقى العربية الحديثة.

لقد أحسّ بحزن شديد عندما فارق حبيبته أوجستا وخاصةً عندما غادر بيروجيا الإيطالية، لقد أحبّ هذه الفتاة بكلّ إخلاص وبكلّ صدق، ولكن الظروف حالت بينهما وبين هذا الحبّ الذي جاء صدفةً كأنه لحظة الميلاد وانتهى صدفةً كأنه لحظة الموت، يقول بدوي: "ثمّ كانت ليلة الوداع بينها وبينني، إذ عزمت على السفر في يوم 29 سبتمبر، فكانت ليلة حافلة بأحرّ العواطف، وأعمق التّهدّات، ففضيناها حتّى مشرق الشّمس على الرّوابي المحيطة ببيروجيا، حيناً نمشي، وحيناً نجلس على الرّمّل أو الصّخر، متبادلين الأقسام على الوفاء في الحبّ، وكان القمر في ليلاليه الأخيرة قد طلع عقب منتصف اللّيل، فاستحلفناه أن يكون شاهداً على هذه الأيمان." <sup>674</sup>، كان هذا الحبّ حبّاً وجوديّاً يجمع بين قلبين في لحظة شتات ويؤلّف بين القلوب التي ابتليت بهذا الداء الوبيل الذي صار قدر الإنسان على هذه الأرض، فالحبّ كأس وكلّ النّاس ستشرب منه وترتوي حتّى تبلغ الثّمالة لأنّها سكرت وعريدت بسبب تلك الطّوقس العجربة التي شوّهت هذا الحبّ العفيف.

كان يرى في موسوليني زعيم الفاشية في إيطاليا بأنّه مجرد بطل من ورق ليس له السّمة التّاريخية التي يتمتّع بها الأبطال والزّعماء عبر التّاريخ، ولأنّ التّاريخ يكتبه المنتصر أصبح من أعلام القرن كلّ من هبّ ودبّ من أمثال موسوليني وهتلر وغيرهم، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وواهم إذن كلّ زعيم يدّعي (الشّعبيّة) أو يصدّق ما تتصيحّ به الجماهير وهو في عنفوان سلطانه! إنّ هذه الجماهير نفسها هي التي ستصبّ عليه-أو على ذكراه- أبشع اللّعنات حين يزول عنه هذا السّلطان." <sup>675</sup>، فالإعلام المأجور والدّعابة الكاذبة هي

<sup>674</sup> نفسه، ص: 108.

<sup>675</sup> نفسه، ص: 109.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

التي تصنع البطل والزعيم المزيّف، فكلّ هذه الأصنام السّياسية صنعتها ظروف اجتماعية معيّنة سرعان ما انقلبت عليها في مدّة وجيزة تماثل سرعة الضّوء، فنجد في سجّل التّاريخ وفي كتاب الحضارة الإنسانيّة زعماء سيّاسيين كانوا همجيين ولكنهم دخلوا التّاريخ من بابه الواسع ليخرجوا من النّافذة بعد ذلك.

لقد منحت مدينة بيروجا الإيطاليّة لبدوي نظرة جديدة إلى الحياة وإلى العالم لأنّها مدينة جسّدت الحضارة الإيطاليّة تجسيدا حقيقيا، يقول بدوي: "وانتهت إقامتي في بيروجا في صباح 4 أكتوبر، حيث سافرت إلى روما، مليئا بأعمق الأحاسيس، مزوّدا بقدر وافر من العلم باللّغة والثّقافة والفنّ الإيطالي، وبنظرة جديدة إلى الحياة والعالم، ونزعة إلى التّسامي في ميدان الفكر".<sup>676</sup>، لقد استطاع أن يمتح من معين الحضارة الإيطاليّة ويتغذّى من ثقافتها محاولا أن ينظر إلى العالم وإلى الحياة من حوله نظرة جديدة تحمل في أعماقها النّزعة الوجودية التي تجعل الإنسان يقبل على حبّ الحياة ويستمتع بحياته الوجودية على هذه الأرض.

يرى في سيرته الذاتيّة بأنّ اللاتينية لم تعد اليوم لغة العلم كما كانت في القرون الوسطى، بل أصبحت لغة فجّة وركيكة لا تواكب روح العصر، يقول بدوي: "ألا رحم الله ذلك العهد الذي كانت فيه اللاتينية لغة العلم، وكان يتقنها الطّلاب في المدارس الثّانوية في فرنسا، أمّا اليوم فما أبأس حالها، حتّى عند رجال الدّين في الكنيسة الكاثوليكية نفسها! لقد صار القدّاس نفسه باللّغات المحليّة! وتلك بليّة أخرى من بلايا المجتمع الفاتيكاني الثّاني - وما أكثر بلاياه!"<sup>677</sup>، لقد اندرست اللّغة اللاتينية ولم تعد اليوم لغة العلم والتّكنولوجيا بل

<sup>676</sup> نفسه، ص: 110.

<sup>677</sup> نفسه، ص: 116.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

أصبحت لغة الكنائس القديمة في روما وغلب عليها الطابع اللاهوتي الذي جعلها لغة بسيطة وباهتة.

لقد انضمّ إلى الجبهة القوميّة التي طالبت باستقلال مصر عن الإنجليز وهو في بداية شبابه، يقول بدوي: "ومنذ هذا الحادث قرّر الطّلاب أن يتولّوا أمر تحرير مصر بأنفسهم، فكوّنوا ما عرف باسم (الجبهة القوميّة) وعزموا على ألاّ تستغلّ هذه الجبهة لصالح أيّ حزب من الأحزاب، بل عليها أن تعمل في استقلال تامّ عنها جميعاً. وكان هدفها التكتيكي الأول جمع كلّ الرّعاء-على اختلاف أحزابهم ومشاربهم-في جبهة واحدة للتفاوض مع الإنجليز لاستقلال مصر التامّ، وإلغاء جميع التّحفظات الأربعة الواردة في تصريح 28 فبراير سنة 1922، ووحدة السّودان مع مصر. واستطاعت (الجبهة القوميّة) للطّلاب! إرغام أولئك الحزبيين على التّجمّع في جبهة واحدة للتفاوض مع الإنجليز على تلك المطالب، وإن كان كلّ واحد من هؤلاء السّياسيين يضمّر في نفسه غير ما يظهر، ويتربّص بخصمه." <sup>678</sup>، فالاستقلال لا يؤخذ إلاّ بالقوة التي تجعل المستعمر يخرج من بلادنا صاغراً مدحوراً، فالحرية ثمنها الدّماء التي سالت فداء لهذا الوطن المفدى، أمّا العملاء الذين خانوا وطنهم فمصيرهم ينتظرهم في مزبلة التّاريخ، فتحيّة خالصة وخاصة إلى كلّ مجاهد حقيقيّ ضحّى بنفسه وبماله في سبيل تحرير وطنه.

لقد انتقد في سيرته الذاتيّة عميد الأدب العربي طه حسين انتقاداً لاذعاً واعتبره مجرد عميل يكتب التّقارير السّرية عن نشاط بعض الطّلاب في كليّة الآداب، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ومن مظاهر تصرّفات الدكتور طه الحزبية المحض أنّه كان يبلّغ رجال البوليس عن زعماء الطّلبة المعارضين في كليّة الآداب-مستعينا في ذلك ببعض الجواسيس

<sup>678</sup> نفسه، ص: 120.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

المتزلفين إليه من الطّلاب فكنا نسمع في اليوم التّالي أنّ البوليس قبض على فلان وفلان من هؤلاء الرّعاء. فيتملك الغضب زملاءهم، ويهجمون بالضرب الموجه على المشبوهين من هؤلاء الجواسيس." <sup>679</sup>، كان طه حسين عدواً للفكر الحرّ ويصادر كلّ رأي جريء، زرع عيونه في كلّ مكان لكي يراقب الطّلبة الذين لهم نزعة الثّورة والتّمرد في فكرهم التّويري الحدائي الذي أزعج السّلطة كثيراً.

يرى في سيرته الدّاتية بأن من اقترب من السّياسة احترق بنارها، لأنّ طريق السّياسة محفوف بالأشواك ومليء بالأخطار التي تحاصر الإنسان من كلّ جانب وتضيّق عليه الخناق، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ومن رأيي أنّ من يتولّى منصبا حكومياً- غير منصب الوزير- ويسلك مسلكاً حزبياً أو سياسياً أن يوطّن نفسه على أن يكون هدفاً لأيّ هجوم أو إهانة لأسباب سياسية وألاً يعتقد أنّ منصبه أو مكانته العلميّة تحصّنه ضدّ أيّ هجوم أو إهانة. إنّ عليه أن يتحمّل وزر مسلكه السّياسي الحزبي." <sup>680</sup>، فللسّياسة أسرارها وطقوسها، وما على المرء الذي أراد أن يتقن فنّ السّياسة سوى معرفة هذه الأسرار وهذه الطّفوس العجيبة حتّى يتسنّى له أن يكون سياسياً حاذقاً وماهراً في فنّه.

لقد صار العمل السّياسي لبدوي وهو طالب شغله الشّاغل، لأنّه في صباه تأثر بنضال والده في الحياة السّياسية، كان من أهمّ المفكرين العرب المعاصرين الذين كتبوا كثيراً في السّياسة ومن أهمّ المنظرين لأحزابها، يقول بدوي شارحاً لنا هذه الفكرة ما يلي: " ولم يكن في وسعي، وقد خضت غمار السّياسة العمليّة في حركة الطّلاب القوميّين طوال شهري نوفمبر وديسمبر أن أتوقّف عن كلّ نشاط سياسي. فليس هذا من طبيعة الأشياء." <sup>681</sup>، لقد

<sup>679</sup> نفسه، ص: 124.

<sup>680</sup> نفسه، ص: 124.

<sup>681</sup> نفسه، ص: 125.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

مارس فنّ السياسة وهو طالب يافع في الجامعة يمتح من معين المعرفة الإنسانية التي وجدت مع وجود هذا الإنسان على ظهر هذه البسيطة، لقد ساهم بقلمه وبنضاله وبالالتزامه بقضايا أمته في التأسيس للنضال السياسي في مصر وفي الوطن العربي، كان من أهمّ الفاعلين في المجال السياسي في القطر المصري وفي جميع الأقطار العربية.

لقد وجّه في سيرته الذاتية سهام النقد إلى بعض الأحزاب السياسية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني، حيث أصبحت هذه الأحزاب السياسية من العوامل التي أطالت في عمر الاستعمار وجعلته يمتدّ في جسد مصر كالورم الخبيث الذي لا علاج له أبداً، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "ومن ناحية أخرى، رأيت أنّه لا مجال لي في العمل مع الأحزاب: لا مع حزب الأحرار الدستوريين، رغم تعاطف أسرتي معهم، ولا مع حزب السّعديين الجديد الذي أنشأه أحمد ماهر والنقراشي لأنّي أبغضه وأبغض رجاله أشدّ البغض، ولا مع الحزب الوطني برئاسة حافظ رمضان، لأنّه كان في عداد الموتى"!.<sup>682</sup>، لقد ساهمت هذه الأحزاب السياسية في مصر التي كانت عوناً للاستعمار الإنجليزي في تخلف المجتمع المصري وانحطاطه إلى الدرك الأسفل من الهمجية والارتكاس الحضاري، كانت هذه الأحزاب السياسية بمثابة الواجهة السياسية للاستعمار البريطاني يوجّهها كما يشاء وكما يريد وفق أجندة معيّنة تخفي أطماعه الخفية في الاستحواذ على خيرات بلاد أرض الكنانة.

لقد انضمّ في بداية شبابه إلى حركة مصر الفتاة، وهي حركة فنية تدعو إلى نهضة مصر في جميع المجالات الفكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وهي حركة تدعو إلى الحداثة والتّنوير والفكر الحرّ، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: "تمّ إنّي كنت متعاطفاً مع حركة مصر الفتاة منذ ثلاثة أعوام أو يزيد: أتابع تحركاتها وأقرأ مجلّتها:

<sup>682</sup> نفسه، ص:125.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

(الصّرخة)، ثمّ (مصر الفتاة)، وأنفعل بكتابات أحمد حسين وفتحي رضوان ومحمّد صبيح. لهذا رأيت في شهر فبراير سنة 1938 أن أتصل بزعماء مصر الفتاة اتصالا مباشرا، دون أن أنضمّ إلى أيّ تنظيم من تنظيّماتها: مجلس الجهاد أو القمصان الخضراء، بل اقتصر الأمر على التّعرف إلى أولئك الثلاثة وغيرهم من البارزين من أعضائها.<sup>683</sup> لقد حملت حركة مصر الفتاة في الثلاثينات من القرن الماضي لواء الإصلاح في مصر وساهمت في النهضة الفكرية والسياسية للمجتمع المصري حتّى صار مجتمعا يتوق إلى الحداثة وإلى التّنوير وإلى الفكر الحرّ.

لقد حاول في سيرته الذاتية أن يعرّف القراء على إيديولوجية هتلر وموسوليني، وهي إيديولوجية تدعو إلى التّعصب العرقي وإلى الدّكتاتورية المطلقة، يقول بدوي: "وحتّى يعرف القراء إيديولوجية الفاشستية والنّازية، كتبت عدّة مقالات عن النّازية مبادؤها، والفلسفة السياسية التي تقوم عليها، وتنظيّماتها الحزبية، وترجمت وشرحت برنامج الحزب النّازي. واستعنت في ذلك بكتب ألفرد روزنبرج، وكتاب (كفاحي) لهتلر، ورسائل صغيرة كانت من مطبوعات حزب النّازي حملتها معي من منشئ. أمّا الفاشستية فقد اكتفيت منها بترجمة مقالة طويلة لموسوليني نشرت في (دائرة المعارف الإيطالية) أولا، ثمّ في كتاب مفرد على حدة ثانيا، بعنوان (مذهبي) Mia dettrina، وكانت كلّ هذه المقالات بتوقيعي وباسمي الكامل."<sup>684</sup> كان في بداية شبابه نازيا حتّى التّخاع ولكنّه سرعان ما انقلب على عقبيه عندما اكتشف بهتان هذه الحركة المتطرّفة وزيفها.

لم يتأثّر أغلب طلابّ جامعة القاهرة بفكر الإخوان الذي كان سائدا في مصر في الثلاثينات من القرن الماضي، يقول بدوي: "أمّا طلابّ الآداب-استثناء قسم اللّغة العربية- فيميلون إلى الفكر الحرّ والتّفكير العقلي، والسّلك النّقدي بإزاء العقائد. لهذا لم يكن لدعوة

<sup>683</sup> نفسه، ص: 125.

<sup>684</sup> نفسه، ص: 126.

الإخوان في كلية الآداب أيّ صدى، رغم وجود زعيم الإخوان في قسم اللغة العربية آنذاك - وهو عبد الحكيم عابدين، الأمر نفسه يقال عن طلاب كلية الحقوق: فإنّ دراسة القانون الحديث تعصم من اتباع دعوة هي مزيج من السلفية واللامعقول ومصادرة حقوق الإنسان لصالح (حقوق الله) فيما يدّعون. وأمّا طلاب الطبّ والزراعة والتجارة فيترجّحون بين التدين المغالي وبين عدم الاكثارات بالدين".<sup>685</sup>، فطلاب الشعب العلميّة في جامعة القاهرة كان يغلب على نزعتهم الإيديولوجية طابع العلمانية والإلحاد، وكان بعضهم ينتمي إلى اليسار يبشّر بتعاليم الاشتراكية والشيوعية ويروجّ للأفكار الماركسية في المجتمع المصري الفتى، وكان بعض طلاب الشعب الأدبية في جامعة القاهرة متشبّعا بأفكار جماعة الإخوان المسلمين في مصر التي دعت إلى إحياء النزعة السلفية في التدين وإلى عودة الخلافة الإسلامية الرّاشدة، والشّيء الذي يعاب على جماعة الإخوان المسلمين في مصر هو أنّها حاربت الفكر الحرّ ودعت إلى مصادرته بالقوّة.

وجّه في سيرته الدّاتية انتقادا شديدا إلى زعيم حزب مصر الفتاة الذي لم يكن يملك الكاريزما والشخصية القويّة التي تؤهّله لقيادة الحزب بكلّ شجاعة وأريحيّة، يقول بدوي منتقدا زعيم حزب مصر الفتاة ما يلي: "وبالرغم من هذا التّحرّك كلّ في اتجاه النّزعة الدّينية لمنافسة الإخوان المسلمين، لم يفلح أحمد حسين في ضمّ أيّ أنصار جدد لمصر الفتاة، بل حدث العكس تماما: وهو نفور أنصارها من هذا التّحرّك وابتداء دخول الشّقاق بين صفوفهم. وتلك قاعدة عامّة في تاريخ الحركات والمذاهب السياسيّة: إنّ كلّ حركة سياسيّة تخرج عن مبادئها الأولى ابتغاء كسب أنصار من خصومها لا بدّ أن يصيبها الإخفاق والانحلال".<sup>686</sup>، يجب على كلّ زعيم سياسي أن يتحلّى بالشخصية القويّة والشجاعة الأدبيّة وهذا لكي يؤثر في الرّأي العامّ ويجنّد الجماهير الشعبيّة لكي تلتحق بحزبه بعد أن تقتنع ببرنامجه السياسيّ.

<sup>685</sup> نفسه، ص: 129.

<sup>686</sup> نفسه، ص: 131.

قدّم في سيرته الذاتية نصائح من ذهب للسياسيين في مصر محاولاً تعليمهم أبعاديات العمل السياسي وأسراره الخفية، فالسياسة فنّ ولفنّ أهله، يقول بدوي مبيناً فنّيات وأسرار العمل السياسي ما يلي: "إنّ على صاحب الحركة السياسية أن يتابع طريقه قدماً على أساس المبادئ التي قام يدعو إليها، مهما لاقى في سبيل ذلك من عقبات أو انتكاسات. ولن يجديه نفعاً أن يستعيد من خصومه شعاراتهم. إن كان يمينياً محافظاً فعليه أن يتابع السير في خطّ يميني، يتطوّر في إطار يميني، وإن كان يسارياً فعليه أن يتحرّك في إطار يساري، أمّا أن يكون يمينياً وفي الوقت نفسه يستعير شعارات اليسار أو أساليبهم وخططهم. فلن يؤدّي به ذلك إلّا إلى الضياع، لأنّه سيفقد أنصاره الأصليين الذين يمكنه الاعتماد عليهم، ولن يكسب شيئاً يذكر من الطّرف المضاد." <sup>687</sup>، فللسياسة قواعدها ولا يتحكّم في هذه القواعد إلّا السياسي المحنّك.

نلاحظ أنّه في سيرته الذاتية وجّه نقداً لاذعاً للرئيس أنور السادات الذي راح ضحية تديّنه الشّديد وتصالحه مع جماعة الإخوان المسلمين التي ستتقلب عليه ونقتله في الأخير، يقول بدوي: "وما أساء إلى الرئيس السادات شيء قدر ظهوره بمظهر التقوى والتديّن الشّديد. فإنّ هذا أغرى أصحاب النّزعات الدّينية المتطرّفة بالشّعور بالمزيد من التّقة في اتجاههم، بل والتّعالي والغلبة عليه في هذا المجال الدّيني. فكان ما كان من مصرعه على أيدي هؤلاء المتطرّفين في الدّين." <sup>688</sup>، لقد حاول أنور السادات الرئيس المصري في بداية عهده الرئاسية أن يظهر بمظهر الإسلامي المستنير الذي أراد أن يجتثّ جذور الاشتراكية من أرض مصر فوقع في براثن جماعة الإخوان المسلمين الذين سيقومون باغتياله بسبب إبرامه لمعاهدة سلام مع إسرائيل.

<sup>687</sup> نفسه، ص: 131-132.

<sup>688</sup> نفسه، ص: 132.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

لقد دعاه الشيخ مصطفى عبد الرزاق وكان آنذاك طالبا عنده في الجامعة إلى الابتعاد عن حزب مصر الفتاة، لأنه مجرد حزب شعبي يعتمد الخطاب الديماغوجي الذي يروج للعنف وللإرهاب، يقول بدوي: "وبعبارته الرقيقة دعاني (مصطفى عبد الرزاق) إلى الابتعاد-ولو مؤقتا في هذه الأسابيع- عن مصر الفتاة. فتعهدت له بذلك، خصوصا وقد ضقت ذرعا بتصرفات أحمد حسين فيما يتعلّق بعملية تحطيم الحانات، والتنافس مع الإخوان المسلمين في الهوس الديني، والرّسالة التي أراد بها أن يدعو هتلر وموسوليني إلى الإسلام، وتصرفات جزئية أخرى لا أذكر الآن تفاصيلها." <sup>689</sup>، لقد صار هذا الحزب الفتّي الذي كان يدّعي الحداثة والتّوير والفكر الحرّ مجرد نسخة مطابقة للأصل لحزب جماعة الإخوان المسلمين، لقد قرّر بدوي أن يترك هذا الحزب نهائيا لأنه حاد عن جادة الصّواب ولم يعد حزبا حقيقيا يدعو إلى الحرّية وإلى العدالة الاجتماعية وإلى الإنسانيّة، لقد صار حزب مصر الفتاة حزبا منبسطا خاضعا لأهواء ولمصالح رؤسائه يقودونه حيث أرادوا، يقول بدوي: "والخلاصة أنني تركت حزب مصر الفتاة عمليا منذ ديسمبر سنة 1940، ورسميا ونهائيا في فبراير سنة 1942، ولم تعد لي بعد ذلك بهذا الحزب وما سيخلفه بعد ذلك (حزب مصر الاشتراكي) أية علاقة كائنة ما كانت." <sup>690</sup>، لقد خرج من حزب مصر الفتاة خروجا مشرفا يحفظ له ماء الوجه وهذا ما سيجعله يتعامل مع الأحزاب السّياسية في مصر بحذر شديد، فكلّ الأحزاب السّياسية في مصر ظاهرها ليس كباطنها وحقلها كثير الألغام.

كان يعتبر أحمد أمين مجرد لصّ محترف في ثوب أديب أنيق، لأنّه كان ينتحل أعمال الآخرين، يقول بدوي: "وكان أحمد أمين رجلا حقودا ضيق الأفق تأكل قلبه الغيرة من كلّ متفوّق، ومن كلّ متقن اللغات أجنبية لأنّه كان لا يعرف لغة أجنبية فيما عدا قشورا تافهة

<sup>689</sup> نفسه، ص: 135.

<sup>690</sup> نفسه، ص: 139.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

من أوليات اللّغة الإنجليزية. وكان يسعى للتّعويض عن عجزه هذا بانتحال أعمال الآخرين، خصوصا الناشئة المتطلّعون إلى الشهرة بالتسلّق على جذوع الشخصيات ذات الشهرة أو النّفوذ. وقد حاول أن يصنع معي هذا الصّنيع، لما أن قدّمت إلى لجنة التّأليف والترجمة والنّشر- وكان هو رئيسها- أصول كتابي: (التّراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) في أواخر سنة 1939. فلم تفلح محاولته هذه وصددته منذ اللّحظة الأولى.<sup>691</sup>، كان أحمد أمين مجرد أديب من ورق يتطفّل على أعمال الآخرين وينسبها إلى نفسه، فعل هذا الأمر مع زكي نجيب محمود في كتاب (قصّة الفلسفة الحديثة)، فهذا الأخير هو المؤلّف الحقيقي لهذا الكتاب، أمّا أحمد أمين فكتب إسمه فقط كمؤلّف ثان وهو لم يبذل أيّ جهد في تأليف هذا الكتاب، وهذا يسمّى في لغة النّقاد بالسرقة الأدبيّة.

وجّه في سيرته الدّاتية انتقادا شديدا للأديب عبد الوهّاب عزّام (1894م-1959م) واعتبره مجرد أديب من ورق يتّجر بالعروبة وبالإسلام لكي يظهر للرّأي العام بأنّه أديب ملتزم بقضايا أمّته المصيرية ولكنّه جعل من العروبة والإسلام حصان طروادة الذي استطاع من خلاله اقتحام قلعة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، يقول بدوي منتقدا الأديب عبد الوهّاب عزّام ما يلي: "فسقط في يدي عبد الوهّاب العزّام، وراح يلوم نفسه أكثر لما عرف أنّ هذه الإجازة المطلوبة هي للمشاركة في الاحتفال بالمولد النبوي بناء على إلحاح زعماء الطّائفة الإسلاميّة في بيروت، فكيف يصنع هذا الصّنيع وهو المتّجر بالإسلام والعروبة هو وابن عمّه عبد الرّحمن عزّام؟ ! لقد وقع في حيص بيص، لحماقته واندفاعه الأهوّج. لهذا وجدت السّكرتير يلقاني بالترحاب، ويخبرني بأنّ العميد وافق على مدّ الإجازة !! بل وإتّه ندم على تلك البرقية."<sup>692</sup>، والشّيء الوحيد الذي دفعه إلى ذلك هو الغيرة والحسد، لأنّه كان يرى نفسه هو الوحيد المدافع عن الإسلام وعن العروبة ولا يوجد في السّاحة الأدبيّة والنّقافيّة من ينافسه في ذلك، بل كان يرى في بدوي ذلك الخصم اللّدود، لذلك لم يغفر له بدوي ما فعل معه،

<sup>691</sup> نفسه، ص: 153.

<sup>692</sup> نفسه، ص: 159.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "لكنّي لم أغتفر له هذا الفعل الخسيس الوقع. فما الدّاعي لإفحام وجهاء بيروت في الخلاف بينه وبينني؟ لو كان لديه شيء من التّعقل. لكان اكتفى بالقول في ردّه: (يؤسفنا عدم تلبية طلبكم..) أو ما أشبه ذلك. لكنّ الحقد يعمي ويضلّ. وصرت حين ألقاه عرضاً في ردهات الكلية أشيح بوجهي عنه ازدراء واشمئزاز، إلى أن ترك العمادة في أواخر ذلك العام ليكون سفيراً في المملكة العربية السّعودية." <sup>693</sup>، فبعد الوهاب عزّام حرّض وجهاء بيروت عليه واعتبره مجرد فيلسوف وجودي يدعو إلى الإباحية وإلى الإلحاد ولا علاقة له بالإسلام ولا بالعروبة، وبدوي كان يعتبره مجرد دجال يتقن فنّ المتاجرة بالعروبة وبالإسلام ولا يصلح أن يكون سفيراً لمصر بالمملكة العربية السّعودية، يقول بدوي: "لكن هذا مبلغ علم الرّجل ورغبته في الدّجل على النّاس. وحتّى لو وجد بعضها، فهل ترسل مصر سفيراً لها في السّعودية من أجل التّجول على متون الإبل بحثاً عن مواضع المعشوقات اللّواتي تغنى بديارهنّ امرؤ القيس والنّابغة والأعشى وعمر ابن أبي ربيعة إلخ؟! لكن هكذا تمنح المناصب الخطيرة في مصر دائماً حتّى يوم النّاس هذا! ونظراً إلى هذا النّجاح العظيم الذي لقيته محاضراتي الثّلاث، دعنتي المدرسة العليا للأدب للتّدريس فيها ابتداء من العام الجامعي 1947-1948" <sup>694</sup>، لقد ذهب للتّدريس في جامعة بيروت وهناك سيصادف حبيبته سلوى التي سيقع في غرامها وسيحبّها حبّاً صوفيّاً وجوديّاً وسيخذلّها ذكراها في روايته الشهيرة (الحرور والنّور) التي ستصبح تحفة أدبيّة نادرة، كان حبّها عفيفاً طاهراً لا يكاد يخرج عن أعراف وتقاليد وطقوس الحبّ العذريّ العفيف، كان ينظر إلى المرأة نظرة مثالية، والمثالية هي التي جعلته يفشل في جميع مغامراته العاطفية مع المرأة.

وجّه سهام النّقد إلى نظام الحكم في لبنان، لأنّه نظام يعتمد على الطّائفية في تعيين رؤساء الجمهورية، ويشترط في رئيس الجمهورية أن يكون مارونياً، أمّا الطّوائف الأخرى المسيحية والإسلامية فمهمّشة ولا تتدخّل في تسيير شؤون الدّولة، يقول بدوي منتقداً نظام

<sup>693</sup> نفسه، ص: 160.

<sup>694</sup> نفسه، ص: 160.

الحكم في لبنان ما يلي: "على أنّ أسوأ ما في نظام الحكم في لبنان هو السلّطة الواسعة جدّاً التي لرئيس الجمهورية: فهو الذي يعيّن رئيس الحكومة والوزراء وسائر موظفي الدّولة حتّى أدناهم. ولمّا كان مارونيا، فإنّ السلطان الفعلي في لبنان هو للموارنة. أمّا سائر الطوائف - من مسيحية وإسلامية - فلا سلطان لها في تسيير أمور الدّولة." <sup>695</sup> ، بسبب هذه الطائفية المقيّنة التي ابتلي بها نظام الحكم في لبنان، دخلت لبنان في الثمانينات من القرن الماضي في حرب أهليّة دامية أكلت الأخضر واليابس وحدثت بين المسيحيين وبين المسلمين ويبدو أنّها كانت حرباً دينية وليست حرباً سياسية، لأنّ منطق الطائفية هو الذي يتحكّم في كلّ شيء في لبنان، وليت المسيحيين يقبلون بالتعايش مع المسلمين حتّى لا يقعوا في حرب أهليّة دامية مرّة أخرى.

ألقي في بيروت محاضرة هامّة حول النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وتناولت الجانب الرّوحي لهذا النّبي العظيم، وحاول أن يعقد مقارنة صوفية بين حياة محمّد صلّى الله عليه وسلّم وبين حياة يسوع المسيح ووفق في ذلك توفيقاً كبيراً، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "كما ألقيت محاضرة في المولد النّبوي ضمن الاحتفال الذي جرت عادة الجامعة الأمريكية في بيروت على إقامته كلّ عام، وكان عنوانها: (تصوّف النّبي محمّد) (صلّى الله عليه وسلّم)، ونظراً لما عقدته فيها من مقارنات بين حياة النّبي محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) وحياة المسيح. فقد أثارت هياجاً وكلاماً كثيراً في الأوساط المسيحية في بيروت." <sup>696</sup> ، فالمسيحيون في لبنان - وخاصة الطائفة المارونية - متعصّبون لدينهم ويكرهون النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم ويكيلون له جميع التّهم وهو منها براء، كان يعتبر النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم أكبر متصوّف عرفته الحضارة الإنسانيّة منذ فجر تاريخها.

<sup>695</sup> نفسه، ص: 169.

<sup>696</sup> نفسه، ص: 164.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

يرى في سيرته الذاتية بأنّ الأساتذة اليسوعيين الذين يدرّسون في معهد الآداب الشّرقية في بيروت هم أشدّ النَّاس عداوة للإسلام يحملهم على ذلك التّعصّب الدّيني الأعمى، وليتهم اعتمدوا على أقوال المستشرقين بل اعتمدوا على بهتانهم الكاذب، يقول بدوي: "أقول إنّ أشدّ ما أوغر هؤلاء اليسوعيين ضدّي هو أنّ القائمين بالتّدريس فيه من اليسوعيين كانوا شديدي الحملة على الإسلام بواسطة افتراءات كاذبة مفضوحة ينسبونّها إلى بعض كبار المستشرقين حتّى تبدو مسنودة بحجّة علميّة."<sup>697</sup>، لقد دافع عن الإسلام وعن النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم بالرّغم من أنّه ملحد، كما أنّ هناك بعض المستشرقين المنصفين دافعوا عن الإسلام وعن النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم دفاعا يعتمد على الحجّة المنطقيّة والحياد الموضوعي والأمانة العلميّة.

انتقد في سيرته الذاتية التّقارير السّرية الكاذبة التي تكتبها الشّركة السّرية في مصر ضدّ المعارضين السّياسيين وضدّ المفكرين الأحرار الذين راحوا ضحايا لهؤلاء، كلّ من يقول كلمة الحقّ أو يعارض يكون مصيره السّجن أو الموت، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وهكذا تكتب الشّركة السّرية التّقارير الكاذبة الظّالمة دون أن تتحرّى الحقيقة فتوقع الأذى بالأبرياء! وتلك حال عامّة في كلّ البلاد، وكم وقع من ضحايا في مصر وغيرها لهذه التّقارير السّرية الكاذبة. وكم سيذهب ضحايا لها في مصر، خصوصا من سنة 1952 حتّى يوم النَّاس هذا!"<sup>698</sup>، تخلّصت مصر سنة 1952 من النّظام الملكي الذي كان يمجّد الإقطاعية وصارت دولة بوليسية تقمع الحرّيات الفرديّة وتؤسّس لديكتاتورية جديدة.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ القراءة المسيحية للإسلام هي الرّائجة في لبنان وهي قراءة يحكمها التّعصّب الدّيني الأعمى، يقول بدوي: "وبلغت الوقاحة بهم إلى حدّ أنّهم رفضوا أن يلقي المحاضرة عن الإسلام أستاذ مسلم وجاءوا بقسطنطين زريق-وهو أرثوذكسي سوري

<sup>697</sup> نفسه، ص: 164.

<sup>698</sup> نفسه، ص: 168.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الأصل-ففوضوه ليكون هو المحاضر الذي يلقي المحاضرة عن الإسلام! إي والله، في لبنان الذي أغلبيته من المسلمين لا يلقي المحاضرة عن الإسلام إلا هذا المسيحي المتجر بالعروبة، والممكن للمسيحية في الجامعة الأمريكية. وكان المسلمون في اللّجنة المكلفة بتنظيم مؤتمر اليونسكو قد اقترحوني أنا لإلقاء هذه المحاضرة، فاعترض المسيحيون في اللّجنة وكانوا هم الأغلبية، ولم يوافق على الاقتراح.<sup>699</sup>، كان يعتبر نفسه مسلما بالوراثة وكان ملحدا، ولكنّه كان يدافع بكلّ موضوعية وبكلّ إنصاف عن الإسلام وعن القرآن وعن النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم حتّى قيل بأنّه في أواخر حياته عاد إلى الإسلام ولكنّ هذا القول غير صحيح.

لقد كانت تلك المحاضرة الهامة التي ألقاها طه حسين في بيروت عن الشّعري العربي باللّغة الفرنسية بمثابة الشّمس التي أضاءت سماء لبنان، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وجاء د. طه حسين إلى بيروت وألقى هذه المحاضرة الرّابعة باللّغة الفرنسية. وكان جمهور الحاضرين لا يقلّ عن ثلاثة آلاف شخص. وأذكر أنّه حين ألقى في وسط المحاضرة بيتا من الشّعري العربي بصوته السّاحر اهتزت أرجاء القاعة بالتّصفيق أكثر من خمس دقائق. فكانت هذه المحاضرة العظيمة شمسا أخفت كلّ شموع الدّسّاسين الذين سعوا إلى طمس حقيقة لبنان.<sup>700</sup>، فلبنان بلد العلم والحضارة والتّاريخ العريق ولكنّ مشكلة الطّائفية الدّينية شوّهت هذا البلد الجميل وجعلته عرضة لحروب أهليّة دامية، أمّا طه حسين فهو أديب بارع قلّ أن يوجد الزّمان بمثله، لأنّه هو رائد الحداثة والتّنوير في مصر وفي الوطن العربي.

لقد انتقد في سيرته الدّاتية مطاعم باريس واعتبرها مجرد مطاعم باهتة خالية من كلّ بريستيج اجتماعي، والإعلام الفرنسي هو الذي رسم لها تلك الصّورة المخملية النّاعمة، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "فانقبضت انقباضا شديدا وقلت لنفسي: أهذا

<sup>699</sup> نفسه، ص: 171.

<sup>700</sup> نفسه، ص: 171.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

كلّ ما تستطيع أن تقدّمه باريس من طعام، مع أنّ رأسي كان مملوءاً بأسماء أطباق شهية وبما ذاع عن المطبخ الفرنسي من أكاذيب تتحلّب من سماعها الألسنة وتتلّمظ الشّفاه؟! ورحت أتطلّع في التّادلين (الجرسونات) بثيابهم السّوداء الرّسمية وهم يجولون بالأطباق وكأنّهم في مأدبة من مادب لوكّوس، أو لويس الرّابع عشر، بينما هم لا يقدّمون إلّا أردأ ما يتصوّره الإنسان من الطّعام!"<sup>701</sup>، إنّها مجردّ مطاعم باهتة وليست مطاعم فاخرة، والإعلام الفرنسي هو الذي رفع من شأنها ورسم حولها هالة اجتماعية مرموقة جعلت الطّبقة الرّاقية في المجتمع الفرنسي تحجّ إلى هذه المطاعم المتواضعة بحجّة أنّها مطاعم راقية يحسب لها ألف حساب، ولكنّها هي في الواقع مجردّ مطاعم سانجة وحظّها الوحيد هو أنّها تقع في قلب مدينة باريس عاصمة الجنّ والملائكة، لذلك أصبحت هذه المطاعم في باريس قبلة للسياح وللأجانب في كلّ وقت وحين.

عندما كان في باريس زار حديقة اللّوكسمبور وهي حديقة جميلة غناء فيها تماثيل أشهر الشّعراء الفرنسيين الذين مرّوا من هناك وتركوا بصمتهم الجمالية هناك، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "فدخلت حديقة اللّوكسمبور، وطوّفت بالنّاحية الجنوبية منها، حيث توجد تماثيل الشّعراء: بودلير، وفرلين، وهرويا، وفكتور هيجو، ويطلق إسم (اللّوكسمبور) على القصر والحديقة الواسعة الممتدّة وراءه."<sup>702</sup>، من يزور هذه الحديقة الجميلة سيشعر حتما بالسّعادة المخملية النّاعمة وسينشرح صدره بالفرح وبالحبور وبالتّفاؤل.

لقد حاول في سيرته الدّاتية أن يصف لنا أبرز معالم حديقة اللّوكسمبور بباريس، وهو وصف يعتمد على دقّة الملاحظة والمبالغة والإطناب في الوصف، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وأبرز معالم الحديقة (نافورة آل مدتشي) عن يسار الدّاخل من شارع فوجيرار من الباب الحديدي القائم على يسار القصر. لكنّها مظلمة الجوّ بسبب الظلال

<sup>701</sup> نفسه، ص: 185.

<sup>702</sup> نفسه، ص: 186.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الكثيفة التي تلقيها الأشجار، ثم النَّافورة التي تتوسّط الحديقة، وهي نافورة حقيقية، لأنّ الماء يندفع معها في أغلب أوقات النَّهار، فيصبّ في بركة واسعة يدفع إليها الأطفال بسفنهم الصّغيرة.<sup>703</sup>، لقد أبدع إبداعاً فنياً وجمالياً وهو يصف هذه الحديقة السّاحرة وصفاً شاعرياً يسحر الأبواب ويجعل العقول تتيه في بوتقة هذا الجمال الأخاذ، لقد جسّدت حديقة اللّوكسمبور بباريس معالم الفنّ الأوروبي الأسطوري الخالد الذي يجعل النّفس تفتنى فيه فناء صوفيّاً وجوديّاً إشراقياً.

تعتبر حديقة اللّوكسمبور بباريس تحفة فنيّة نادرة، وهي من إبداعات هذا الإنسان في هذا العصر الحديث عصر الحضارة الحديثة التي جعلت الجمال يتجسّد في النَّافورات والأيقونات والنّماتيل، واستطاع بحسّه وذوقه الفنّي الرّفيع أن يقرأ هذه التّحفة الفنيّة النّادرة قراءة صوفية وجودية سرّية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ومنذ دخلت حديقة اللّوكسمبور في ذلك اليوم - 1946/06/23 - وقد صارت أحبّ المنارة في باريس إلى نفسي. وصار من عاداتي أن أغدو إليها كلّ يوم في السّاعة السّادسة مساء حتّى مغرب الشّمس، مستمتعا بروضات أزهارها المفوّفة العديدة الألوان، وقد نضدت أجمل تنضيد يشهد بمهارة فنّ البساتين عند الفرنسيين.<sup>704</sup>، كانت هذه الحديقة السّاحرة مثال الجمال الحيّ الذي يسير على قدمين، وهي تحفة فنيّة نادرة أبدعتها أنامل فنّان عبقريّ لا يكرّره الزّمن.

إنّ زيارة حديقة اللّوكسمبور بباريس طوال السّنة تجعلك تكتشف أسرار الفصول الأربعة وما فيها من جمال طبيعيّ ساحر، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وتبلغ الحديقة ذروة جمالها في أشهر الصّيف الأربعة، ثمّ تأخذ أوراق أشجارها - ومعظمها من القسطل - في الاحمرار والانتشار، فتنخذ في الخريف منظراً مثيراً للأحزان. وفي الشّتاء تتعرّى من كلّ أوراقها، فتصبح كئيبة كأنّ لم تغن بالأمس، ثمّ تعود البراعم في شهري إبريل ومايو، وتستردّ

<sup>703</sup> نفسه، ص: 187.

<sup>704</sup> نفسه، ص: 187.

الأشجار أوراقها الطرية، وتتبعث الحياة من جديد في هذه الحديقة التي هجرها الناس طوال الشتاء. إنّ الشعور بتغيير الفصول بارز كلّ البروز في هذه الحديقة.<sup>705</sup> ، من أراد الاستمتاع بجمال الفصول الأربعة طوال السنة عليه أن يزور حديقة اللوكسمبور بباريس لكي يستمتع بجمال الطبيعة الأسطوري والسّاحر، لقد ولد الجمال في أحضان هذه الطبيعة السّاحرة وترعرع فيها وبلغ مبلغ الشّباب، وكم ألهمت هذه الحديقة السّاحرة قرائح الشعراء فقالوا قصائد خالدة.

عندما زار حديقة اللوكسمبور بباريس ألهمته كتابة القصائد الغزلية وفتحت شهيته الشعريّة لكي يقول في الحبّ ما يشاء من درر وقصائد عصماء، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: " وكثير من القصائد التي نظمتها في أثناء مقامي بباريس إنّما نظمتها في حديقة اللوكسمبور في ساعات الأصيل وأنا جالس عند روضة الزّهر الواقعة على يسار النّافورة إذا نظرت إلى السّاعة الموجودة في أعلى القصر، إذ كنت أجلس في هذا الموقع عادة تحت ظلّ شجرة رمّان تفتّحت أزهارها الحمراء." <sup>706</sup> ، فالطبيعة الجميلة السّاحرة هي مصدر إلهام للشّعراء الرّومنسيين الذين يعشقون فنّ التّماهي مع الطبيعة والفناء فيها، فالطبيعة هي كتاب مفتوح لا يقرأ سطوره السّاكنة إلّا الشّاعر العبقرى الحضيف، ما من شاعر أو فنّان موهوب إلّا وألهمته الطبيعة وفتّقت عبقريته الشعريّة والفنيّة وجعلته من أعلام الفكر في الحضارة الإنسانيّة، وما زالت الطبيعة تلهم الشعراء والفنّانين وتذكي قرائحهم إلى يوم النّاس هذا.

كان كلّما زار حديقة اللوكسمبور بباريس إلّا ووقف عند أطلال هذه الحديقة السّاحرة مستحضرا ذكريات الهوى التي قضاها مع الفتيات الحسان اللّواتي سحرن لبه وسكن في فؤاده إلى أبد الأبد، يقول بدوي في هذا الصّد ما يلي: " وكم قضيت ساعات في هذا

<sup>705</sup> نفسه، ص: 187.

<sup>706</sup> نفسه، ص: 187.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الموضع مع فتيات من السويد، أو النرويج، أو النمسا أو هولندا، نتبادل الأحاديث العذبة الرقيقة! لقد كنت آنذاك شابًا أدور حوالي الثلاثين من العمر، وللشباب سحره الذي لا يعوّض عنه شيء. فواحسرتاه اليوم على نفسي وأنا أرتاد هذا الموضع الآن دون صاحبة أو رفيقة! وإني لأناجيهنّ في الذكرى وأقول: أين أنتنّ الآن، أيّتها الصّواحب! وماذا حلّ بكنّ، وماذا فعل المصير بكنّ!"<sup>707</sup>، كلّ فتاة عرفها في هذا الموضع ذهبت في حال سبيلها، وصار يتذكّر أيّام الهوى التي قضاها مع هؤلاء الفتيات اللواتي سرقهن الزمنّ منه وصرن مجرّد ذكرى عابرة كأنّها سراب في واحة الحبّ القاحلة أو حلم مخملي في ليل الهوى البهيم.

كلّ مغامراته العاطفية التي خاضها مع فتيات حديقة اللوكسمبور بباريس لم تكلّ بالنجاح بل توقّفت في بداية الطّريق وأفل نجمها قبل بزوغ صباح الحبّ الناعم، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "كان الوصال إمّا قصيرا، وإمّا طويلا، وفي كلا الحالين كان الفراق نهائيا. كان الوصال كهذه الأزهار المائلة أمام عينيّ: برعم، ثمّ يتفتّح ملاوة من الزّمان، ثمّ تذبل الزّهرة، وتموت بلا بعث ولا رجعة. كانت العلاقة على دخل: استماع بالشّهوة من جانبي، وطمع في الزّواج من جانبهنّ. فكان لا بدّ للعلاقة أن تنقطع، مهما طالّت المناورة بيني وبينهنّ."<sup>708</sup>، كان يبحث عن المتعة العابرة فقط لم يكن يريد تأسيس أسرة سعيدة مع واحدة من هؤلاء الفتيات الحسان، ولكنه عندما تقدّم به العمر ندم على ما فرّط من الهوى في الأيّام الخوالي، لم يستطع نسيان هؤلاء الفتيات الحسان، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "إن نسيتهنّ فهذه أشجار القسطل شواهد باقيات على ما تبادلنا من قبلات، ما دار بيننا من أحاديث وزفرات، وما استولى على مشاعرنا من مواجيد وانفعالات، وما تحدّر من عيوننا من عبرات. غفر الله لكنّ إن كنتنّ نسيتهنّ. أمّا أنا فما زالت الذكرى مشبوبة، والدّموع مصبوبة، والحظوظ مندوبة. لكن سواء لديّ إن تكنّ حاضرات أو غائبات، لأتكنّ لن تجتمعنّ معا، ولن تغبنّ معا، لن تجتمعنّ معا لأتني لن أستطيع الجمع بينكنّ، ولن تغبنّ معا لأتكنّ بضعة من

<sup>707</sup> نفسه، ص: 187.

<sup>708</sup> نفسه، ص: 187-188.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

حياتي"<sup>709</sup>، لقد تعلّق بهوى هؤلاء الفتيات الشّواب تعلّقًا شديدًا يعجز اللّسان عن وصفه، لأنّه حبّ بني على أساس المودة والإخلاص والوفاء والطّهر والعفاف، كان صادقًا في حبّه لكلّ فتاة صادفها في هذا الوجود، كان يبحث عن امرأة مثالية تقاسمه هموم هذه الحياة ولذّتها، وسار به قطار العمر إلى النّهاية ولم يعثر على ضالته المنشودة ألا وهي: المرأة المثالية.

لقد راقّت الطّقوس الكنسية الموجودة في كنيسة نوتردام دي باري بباريس، وهذه الطّقوس تتمثّل في الأناشيد والموسيقى، يقول بدوي: "وانحدرت في شارع سان ميشيل قاصدا كنيسة نوتردام Notre dame de paris، فوصلت إليها في السّاعة الحادية عشرة، وكان القدّاس على وشك الانتهاء، فاستمعت إلى بعض الأناشيد والموسيقى، وصوّبت نظري في أرجاء الكنيسة، والألوان الزّاهية تملؤها من الورديات الثّلاث: وردية الباب، والوردية اليمنى، والوردية اليسرى عند طرفي العرضية Transept فاستروحت هذا الجوّ السّحري العابق بالألوان والأنغام."<sup>710</sup>، كان معجبا بهذا الجوّ الرّوحاني الذي كان سائدا في هذه الكنيسة العريقة، وكان أثناء إقامته في باريس يزور هذه الكنيسة كلّ يوم أحد، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ومنذ شاهدت كنيسة نوتردام دي باري، في يوم الأحد الثّالث والعشرين من شهر يونيو سنة 1946، وهي مقصدي في صباح كلّ أحد أكون فيه موجودا في باريس: أوّلا لسماع الأناشيد الجريجورية المصحوية بموسيقى الأورغن، وثانيا: تأمّل الألواح الرّجّاجية الملّونة، فكلا الأمرين يملأ نفسي وسمعي وبصري بمشاعر وأحاسيس سامية، وتلذّ لي خصوصا أن أجلس على مقعد في مواجهة ألواح زجاج الكابّلة الموجودة في الطّرف الشرقي الأقصى من الكنيسة: فإنّ ألواح قطع الرّجّاج هناك تؤلّف سيمفونية رائعة من الألوان التي يسود في بعضها الأحمر والأصفر، وفي بعضها الآخر الأزرق والكحلي الغامق. وهناك أنطلق في تأمّلات لا نهاية لها، منتشيا بألحان الأناشيد الجريجورية."<sup>711</sup>، لقد أدخلته هذه

<sup>709</sup> نفسه، ص: 188.

<sup>710</sup> نفسه، ص: 188.

<sup>711</sup> نفسه، ص: 191.

الكنيسة في أجواء روحانية لا حصر لها لأنها جمعت بين فنّ الرّسم وبين فنّ الموسيقى فصارت كأنّها متحف فنيّ خالد أو مسرح أوبرالي عريق يجعلك ترى الإبداع رأي العين.

يرى في سيرته الذاتيّة بأنّ المقاهي الأدبية في باريس أو في أوروبا لا تصنع أدبياً ولا عالماً لأنها أصبحت مجردّ أماكن للترفيه وللتسلية ولقتل الوقت، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "صاحبنا هذا هو نموذج لنمط من الطّلاب في باريس وسائر بلاد أوروبا، يظنّون أو يوهمون أنفسهم أنّ الإنتاج الأدبيّ وحيّ يتنزّل على المرء من مجردّ غشيان المقاهي الأدبية، وأنّ الابتكار العلمي في مختلف فروع العلوم الإنسانيّة والفيزيائيّة يتمّ بمجرد مرور الزّمان الطّويل منتسباً إلى هيئة علمية أو مسجّلاً لتحضير درجة جامعيّة ! وهم يبرّرون عجزهم بشتّى المبرّرات التي لا يصدّقها أحد، ولا هم أنفسهم وتمتلئ نفوسهم بالمرارة والحقد والدّخل ضدّ أولئك الذين أنتجوا وأنجزوا ما عليهم من مهمّات!"<sup>712</sup>، فالإبداع يولد من رحم المعاناة الإنسانيّة ولا يولد في المقاهي الأدبية الباهتة التي أصبحت فضاء للترفيه وللتسلية ولعقد المؤامرات العلميّة للمتقّفين ضدّ بعضهم البعض، كما أنّ العبقرية العلميّة هي مجردّ موهبة ليس إلّا، وتبقى هذه المقاهي الأدبية مجردّ مكان للتعارف وللثّرة ولتمضية الوقت.

### المبحث الثالث: شطحات عبد الرّحمن بدوي الفكرية والفنّية والسياسية المبتوثة في خطابه السّير ذاتي

وجّه في سيرته الذاتيّة سهام النّقد إلى عميد المسرح العربيّ توفيق الحكيم (1898م-1987م) واعتبره مجردّ أديب باهت لا هو مبدع ولا هم يحزنون، فالإعلام المصريّ هو الذي صنع الهالة الأسطوريّة الخاصّة بتوفيق الحكيم، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وكان ذلك في أغسطس سنة 1949، وكانت صحيفة (أخبار اليوم) قد أرسلت توفيق الحكيم على

<sup>712</sup> نفسه، ص: 195.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

نفقتها الكاملة إلى باريس ليوافيها بمقالات عنها وعن ذكرياته فيها. فبعث بمقالات هزيلة سمجة تدلّ على جهله التّام بباريس. وأنا أعجب لهذا الرّجل-وكان في سنّ الحادية والخمسين- كيف تصدر عنه هذه التّصرفات الصّيبانية!<sup>713</sup>، فتوفيق الحكيم لم يكن كاتباً كبيراً كما صوّره الإعلام المصري والإعلام العربي، بل هو مجرد كاتب تابع للسلطة الحاكمة في ذلك الوقت لأنّه عاصر فترة حكم جمال عبد النّاصر الذي نجح في صناعة نخبة مثقّفة موالية له استطاعت أن تروّج للنّاصرية في مصر وفي الوطن العربي، وكان من أبرز المثقّفين في مصر الذين روّجوا لسياسة جمال عبد النّاصر في الدّاخل وفي الخارج.

لقد انتقد في سيرته الدّاتية الدّكاترة العرب المتخرّجين من جامعة السّوربون انتقاداً شديداً واعتبرهم مجرد دكاترة من ورق ليس إلّا، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ولهذا انهارت قيمة الدّكتوراهات التي قدّمت في باريس (وغيرها من المدن الفرنسية)، وصارت غير ذات قيمة أصلاً، ثمّ يعود هؤلاء الطّلاب الحاصلون على مثل هذه الدّكتوراهات يتفجّون مغتريين بأنهم حاصلون على الدّكتوراه من السّوربون!"<sup>714</sup>، فالشّهادة ليست هي المقياس الحقيقي للعلم لأنّها للأسف الشّديد تميّعت وذهب ماؤها وبريقها ورونقها وألقها العلمي.

لقد انبهر بجمال الطّبيعة في سويسرة وهذا الجمال تملّك عقله ووجدانه وفؤاده، يقول بدوي: "وفي أول أغسطس سنة 1946 سافرت بالقطار من باريس إلى برن Bern عاصمة سويسرة. ولم أكد أتجاوز الحدود الفرنسية السّويسرية في Porrentruy حتّى شاهدت مناظر تختلف تماماً عمّا كنت أشاهده من نافذة القطار وأنا لا أزال في فرنسا: هناك في سويسرة يسود الجمال الرّائع في الجبال والأودية، والجوّ يعبق بصفاء يسمو بالنّفس إلى الأعالي، والخضرة تكتسب نضارة ونضارة منقطعتي النظير."<sup>715</sup>، فجمال الطّبيعة السّاحرة في سويسرة ليس له ندّ وليس له نظير، إنّه جمال يجعل الإنسان يحلّق في أجواء الأحلام

<sup>713</sup> نفسه، ص: 202.

<sup>714</sup> نفسه، ص: 204.

<sup>715</sup> نفسه، ص: 207.

### الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الوردية الناعمة التي تقود إلى جنّة السعادة المخملية، لقد ألهمت الطبيعة السويسرية الجميلة قرائح الشعراء والفنانين عبر العصور وجعلتهم يمتحون من معينها الصافي الذي لا تكدره الهموم بل فيه السرور والحبور وما يبهج الأنفـس ويلذّ الأعين ويتلج الصدور، ويبدو أنّ سويسرة هي جنّة أرضية أو جنّة سماوية هبطت إلى الأرض.

لقد تاه بين جمال البحيرة السويسرية وبين جمال البحيرة الإيطالية لأتّه جمال لا يكرّره الزمن ويجعل النفس تطلبه في كلّ أوان وحين، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وباستثناء فينيسيا، لم أكن في رحلتي الأولى إلى إيطاليا سنة 1937 قد شاهدت شماليها. فكانت هذه فرصة لمشاهدة ميلانو وبرجمو وفيرونا وبرشيا والاستمتاع بجمال بحيرتها: كومو وجردا، ولجمالها طابع خاصّ يختلف عن طابع البحيرات السويسرية: فهو جمال ناعم، دافئ، هادئ الألوان، أمّا جمال بحيرات سويسرة فرائع، مهيب، يغلب فيه الجليل على الجميل. أمام البحيرة الإيطالية يستغرق المرء في الأحلام، أمّا أمام البحيرة السويسرية فيحتشد الخاطر وتتوتّب المشاعر." <sup>716</sup>، إنهما بحيرتان ساحرتان تسلبان العقول وتاه بين جمالهما الأسطوري السّاحر لذلك كتب عنهما خواطر وجدانية نابغة من صميم الوجدان والفؤاد.

لقد انبهر عندما زار إيطاليا بجمال معمار كاتدرائية الدّومو لأنّها جسدت معالم الفنّ القوطي، يقول بدوي: "وفي ميلانو توقفت ساعة أمام الدّومو Duomo، وهي أكبر كاتدرائية قوطية في إيطاليا. وقد بدئ في تشييدها في سنة 1386 بأمر من جان جليبتسو فسكونتي Gian galeazzo visconte، وتبادل العمل فيها معماريون إيطاليون وأجانب، والتأثّر فيها بالمعمار القوطي في ألمانيا وفرنسا واضح جدًا. لكن واجهتها الحالية قد أمر ببنائها نابليون بوناپرت، فتولّى العمل فيها أماتي C. Amati، يساعده زانويا G. zanoia، وتتميّز هذه الواجهة عن نظائرها من الكاتدرائيات القوطية بوفرة الأبراج الرّفيعة (ستّة أبراج)

<sup>716</sup> نفسه، ص: 209.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الكثيرة النَّقاسيم والعروق والزَّخارف. ممَّا يشوِّش على صفاء الخطوط.<sup>717</sup> ، تعتبر هذه الكاتدرائية من روائع الفنِّ القوطي الإيطالي الذي أبدعته أُنامل الإنسان الأوروبي في ذلك العصر الذَّهبي للحضارة الأوروبية وهي في عزِّ نهضتها وهذا في القرن الخامس عشر الميلادي.

يرى في سيرته الذَّاتية بأنَّ كلَّ البلاد العربية كانت تتمنَّى النَّصر لألمانيا في الحرب العالمية الثَّانية وهذا لكي تنعم بالاستقلال، يقول بدوي: "لهذا كان شعور البلاد العربية نحو ألمانيا وتمنيها لانتصارها شعورا صادقا عميقا صادرا عن غريزة لا تخطئ ووجدان صائب. وأولئك الذين كانوا يصيحون في المظاهرات العارمة في شهر يناير سنة 1942 ثمَّ في شهر يونيو ويوليو من نفس العام: إلى الأمام يارومل! إنَّما كانوا يعبرون عن الوجدان الصَّادق لمصر. لهذا لم يكن غريبا أن يعتبر المصريون يوم 5 مايو سنة 1945 يوم الحداد الوطني الكبير." <sup>718</sup> ، وهو يوم انهزام ألمانيا في الحرب العالمية الثَّانية وبالتالي ضاع أمل الشَّعوب العربية المستعمرة في الحصول على استقلالها، ولكنَّها لم تستسلم للذلِّ والهوان بل قاومت الاستعمار الغاشم بقوة الحديد والنَّار، لأنَّ أسطورة فرنسا التي لا تهزم نسفها النازيون وذرَّوا رمادها في نهر السَّين وبالتالي حصلت الجزائر على استقلالها بعد كفاح دام سبع سنين ونيف.

كان هدفه من خلال انضمامه في الأربعينات من القرن الماضي إلى الحزب الوطني الذي أسَّسه مصطفى كامل هو نشر أفكاره الوجودية في هذا الحزب العريق، يقول بدوي في هذا الصَّدِّد ما يلي: "لهذا رأينا أن ننضمَّ إلى الحزب الوطني، لكن على أساس أن نجدَّ شبابه، ونبعث فيه الحيوية والديناميكية، وأن نقرب بين مبادئه القديمة وبين الاتجاهات الجديدة في السَّياسة. وكان على رأس القائمين بهذه الحركة ثلاثة: فتحي رضوان، ود. نور

<sup>717</sup> نفسه، ص: 209.

<sup>718</sup> نفسه، ص: 214.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الدّين طراف، وأنا، وكان رئيس الحزب الوطني حافظ باشا رمضان قد دخل وزارة أحمد ماهر وزيراً للعدل.<sup>719</sup>، ولكن للأسف الشديد كلّ هذه المحاولات الإصلاحية التي قام بها من أجل تجديد أفكار هذا الحزب العريق قد باءت بالفشل، لذلك قرّر أن يترك هذا الحزب نهائياً ويتفرّغ لنشاطه الفكري والفلسفي.

يرى في سيرته الذاتيّة بأنّ هيئة الأمم المتحدة جاءت لكي تكسّر الاستعمار وتروّج له ولا تدافع عن الشّعوب المغلوبة على أمرها، يقول بدوي: "لو كانت هذه الدّول الكبرى التي أنشأت (هيئة الأمم المتحدة) صادقة النية فيما ادعته من أهداف لهذه المؤسسة، لكان أوّل قرارها هو إعلان استقلال جميع دول العالم وتنفيذ ذلك فوراً. لكن الذي حدث هو على العكس تماماً: استغلّت الدّول الخمس الكبرى دائمة العضوية (الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي، وإنجلترا، وفرنسا، والصين) هذه المؤسسة الدّولية لإسكات كلّ صوت ينادي باستقلال وطنه، وترسيخ سيادتها على الدّول التي اقتطعتها لنفسها نتيجة لانتصارها في الحرب، وللعمل على صرف أبناء البلاد المحتلّة عن الكفاح العملي وتحويل الأمر إلى (قضية) قانونية يتبارى الخطباء من كلا الطّرفين للدفاع عن موقف بلده. وإلاّ فقل لي بربّك، ما هي الدّولة التي نالت استقلالها بفضل قرار من (الأمم المتحدة)؟"<sup>720</sup>، لقد باعت هذه الدّول العظمى التي تتحكّم في هيئة الأمم المتحدة وتسيّرهما كما نشاء الوهم والسراب والوعود الكاذبة للشعوب المستعمرة والمغلوبة على أمرها، وتبيّن للرأي العامّ بأنّ هيئة الأمم المتحدة هي أكبر أكذوبة في ذلك العصر الصّاخب.

ذكر في سيرته الذاتيّة أسباب اغتيال رئيس الوزراء أحمد ماهر (1888م-

1945م) لأنّه كان عميلاً لصالح الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثّانية، يقول بدوي: "أمّا حجّة أحمد ماهر ومن لفّ لفّه من السّياسيين المصريين الطّامعين في الحكم والذين باعوا

<sup>719</sup> نفسه، ص: 215.

<sup>720</sup> نفسه، ص: 218.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

ضماؤهم في مقابل الوصول إلى كراسي الوزارة- فكانت: إنّ الحرب قد أوشكت على الانتهاء لصالح الحلفاء (إنجلترا وأمريكا وروسيا) وإنّ هؤلاء قد قرّروا ألا يدخلوا في هيئة الأمم المتحدة- التي كانوا بسبيل تشكيلها تمكينا لهم من السيطرة على العالم كلّ- إلا أولئك الذين أعلنوا الحرب على دول المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) قبل انتهاء الحرب. وبإلها من حجة سخيفة واهية!"<sup>721</sup>، لقد أسّسوا هذه الهيئة من أجل مصالحهم الشخصية وهذا لكي يعزّزوا مكوثهم في البلاد التي استعمروها بقوة الحديد والنار من أجل نهب ثروتها الباطنية، أمّا العملاء الذين خانوا بلادهم ومكّنوها من الاستعمار فمصيرهم الموت المادي والمعنوي واللعنة الأبدية تطاردهم من جيل إلى جيل، عندما تمّ القضاء على العملاء تخلّصت الشعوب المقهورة والمغلوبة على أمرها من الاستعمار الهمجى.

ينتقد في سيرته الذاتية بشدّة الأحزاب السياسية في مصر لأنّها صارت فضاء حرّاً للوصوليين وللنفعيين الذين يريدون قضاء مآربهم الشخصية على حساب الآخرين، يقول بدوي: "إنّ الوصولية والنفعية هما الدافعان الأساسيان إلى الانضمام إلى الأحزاب السياسية في مصر طوال القرن العشرين وحتىّ يوم النّاس هذا، ولم يكن للمبادئ السياسية والوطنية أيّ أثر في انضمام كلّ أو جلّ المنتسبين إلى الأحزاب السياسية في مصر. وحتىّ المنتسبين إلى أحزاب الشّباب كانوا هم الآخرون يؤملون في أن يجدوا مكانا بارزا في السياسة، لما أن عزّ عليهم أن يجدوه بين الصّفوف الأولى المتكتلة في الأحزاب القديمة."<sup>722</sup>، لقد طغت الأنانية وحبّ الذات على الرّعاء السياسيين وعلى المناضلين على حدّ سواء، كان همّهم الأكبر هو قضاء مصالحهم الشخصية من خلال البحث عن النّفوذ المالي والسياسي وشراء

<sup>721</sup> نفسه، ص: 217.

<sup>722</sup> نفسه، ص: 223.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الذّم من أجل التّوغل التّامّ في دواليب السّلطة، فصارت السّياسة في مصر هي عنوان الانتهازية.

وجّه في سيرته الذاتيّة نقداً شديداً للّهجة إلى القائمين على تقديم جائزة الدولة التقديرية في مصر الذين صاروا يمنحون هذه الجائزة لمن يظهر الولاء التّامّ للسلطة الحاكمة في مصر ولا ينتقدها، بل عليه أن يعمل دعاية مجانية في كتاباته لسياسة تلك الدولة حتّى ترضى عنه وتمنحه هذه الجائزة التي لا تقدّر بأيّ ثمن، يقول بدوي منتقداً جائزة الدولة التقديرية في مصر ما يلي: "لهذا تحوّلت جائزة الدولة التقديرية من تقدير للعلم إلى إهدار لكلّ قيمة علمية. وبدلاً من أن تكون حافزاً للإنتاج العلمي الممتاز، صارت وسيلة وفرصة للتزلف والتفاق والعمل في خدمة مخابرات الدولة، في خدمة السّلطة الحاكمة الظّالمة وتأييد مظالمها وجرائمها ومخازيها!!"<sup>723</sup>، هكذا تمنح الجوائز الأدبية في الوطن العربي بل وفي العالم بأسره، والمقياس الأوّل والأخير من أجل منح هذه الجائزة هو الولاء التّامّ للسلطة الحاكمة، أمّا الإنتاج العلمي الغزير فلا مكان له هنا ونفس الشّيء يقال عن جائزة نوبل.

كان الأمير شكيب أرسلان (1869م-1946م) خلال الحرب العالمية الثّانية يتلقّى إعانات مالية من السّعودية وأفغانستان وألمانيا وكانت هذه الأموال الضّخمة تذهب إلى حسابه الخاص في البنوك السّويسرية أين كان يقيم، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ثمّ الأمير شكيب أرسلان، الكاتب الإسلامي الدّاعي إلى توحيد العالم الإسلامي، ولست أدري ممّن كان يتعيّش: لأنّه كان فقيراً على الرّغم من (إمارته) الدرزية هذه. لكن الغالب على الظنّ هو أنّه كان يتلقّى إعانات من الملك عبد العزيز بن سعود، ومن أمان الله خان ملك أفغانستان ثمّ من ألمانيا ابتداءً من سنة 1936 وطوال الحرب العالمية الثّانية." <sup>724</sup>، هذا هو حال الرّعاء السّياسيين الوهميين الذين يتركون بلادهم ويناضلون من وراء البحار لكي يبيعوا

<sup>723</sup> نفسه، ص: 228.

<sup>724</sup> نفسه، ص: 231.

### الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

الوهم والسراب لشعوبهم المقهورة التي تزرع تحت نير الاستعمار، أمّا هم فيعيشون في بحبوبة مالية ورغد من العيش الأثير، نحن من نصنع الأصنام السياسية والفكرية ونمجّدها ونكلّنها بالورود ونجعلها أسطورة تتناقلها الأجيال كابرا عن كابر على هامش التاريخ.

انتقد في سيرته الذاتية بشدّة قرار تأميم قناة السويس الذي اتخذته الرئيس جمال عبد الناصر في 26 جويلية 1956 وهو قرار غير صائب وغير منطقي لأنّه جاء في وقت غير مناسب لأوضاع مصر السياسية والاقتصادية بل سيعرّض مصر لمخاطر عديدة منها الحصار السياسي والاقتصادي وستعرّض مصر للعدوان الثلاثي بسبب هذا القرار المفاجئ، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "فقد كانت السنة الأولى من عملي في سويسرة-عام 1956-سنة حافلة بالأحداث السياسية الخطيرة التي هزّت مصر هزّاً شديداً. وأبرزها تأميم قناة السويس في 26 يوليو سنة 1956 وما ترتّب عليه من حوادث جسيمة: سياسية واقتصادية".<sup>725</sup>، كان هذا القرار الذي اتخذته الرئيس المصري جمال عبد الناصر مجرد قرار متهور ولا يخدم المصلحة العليا للوطن بل سيعرّض الوطن لأخطار جسيمة لا تحمد عقباها، وأهمّها هو تعرّض مصر للعدوان الثلاثي بسبب هذا القرار الخطير والمفاجئ، كان عبد الناصر يريد الشهرة من وراء تأميمه لقناة السويس، كان يريد أن يكون زعيماً قومياً يقود البلاد العربية الإسلامية ويتحكّم في مصيرها، يقول بدوي: "لكنّ جمال عبد الناصر لم يكن يهّمه من الأمر أيّة منافع اقتصادية، بل كان يريد عملاً سياسياً مفاجئاً مثيراً يكفل له الشهرة والدوي، حتّى لو جرّ على مصر الخراب، وقد قام بعمله هذا بمفرده دون أن يستشير أحداً من زملائه ووزرائه. ولم يعرض هذا الأمر على هؤلاء إلاّ بعد إعلانه وتنفيذه للتأميم".<sup>726</sup>، هذا يدلّ على أنّ الرئيس جمال عبد الناصر كان منفرداً برأيه ولا يستشير أحداً في أيّ قرار يتخذه بخصوص مصير شعبه الذي كان يراه زعيماً عظيماً سيقود البلاد إلى مصاف الأمم المتقدمة والمتحضرة وسيخلّص البلاد من التبعية للأجنبي، فمصر في عهد

<sup>725</sup> نفسه، ص: 237.

<sup>726</sup> نفسه، ص: 238.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

جمال عبد الناصر تخلّصت من الاحتلال البريطاني ولكنها لم تتخلّص من التبعية للأجنبي لأنها صارت تابعة للاتحاد السوفييتي عندما تبنت النظام الاشتراكي وصارت من أنصار المعسكر الشرقي، ولعبت مصر دورا كبيرا في الحرب الباردة التي وقعت بين المعسكر الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وبين المعسكر الشرقي الذي يقوده الاتحاد السوفييتي ودامت هذه الحرب من سنة 1945 إلى سنة 1989 وهي سنة انهيار الاتحاد السوفييتي.

انتقد بشدة في سيرته الذاتية سياسة جمال عبد الناصر برمتها واعتبرها مجرد تصرفات طائشة ليس لها أي علاقة بالسياسة وبالحكم الرشيد، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وهكذا كانت وستكون كلّ تصرفات جمال عبد الناصر خارجيا وداخليا: تصرفات حمقاء طائشة لا تحسب حسابا لأي شيء غير الدوي الأجوف العقيم حول شخصه، مهما ترتب عليها من خراب وويلات لمصر وشعب مصر ومكانة مصر في المجتمع الدولي".<sup>727</sup> كانت شخصية جمال عبد الناصر شخصية نرجسية ولها تضخم كبير في الأنا لذلك مالت إلى الحكم المطلق والتفرد بالسلطة، كما أنها شخصية سادية تحبّ سفك الدماء من أجل تعذيب الآخرين، لقد قام بمجازر رهيبة ضد جماعة الإخوان المسلمين وضد الشيوعيين وضد كلّ من عارض سياسته الداخلية والخارجية حتى لُقّب بهتلر العرب، إنه مشروع دكتاتور من الطراز الرفيع.

وجّه في سيرته الذاتية سهام النقد إلى وزير خارجية مصر في عهد جمال عبد الناصر واعتبره مجرد معنوه لا يفقه في السياسة شيئا، والصدفة هي التي جعلته وزيرا في قطاع جدّ حسّاس يتمثّل في وزارة الخارجية، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وهكذا أيقنت بأنّ وزير الخارجية المصري، محمود فوزي، ما هو إلاّ رجل معنوه جهول لا يدري في السياسة شيئا. ثم سمعته بعد ذلك، بعد العدوان الثلاثي، يخطب في مجلس الأمن عند عرض

<sup>727</sup> نفسه، ص: 238.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

هذا العدوان على مجلس الأمن، فسمعت شخصا غيبيا لا يستطيع أن ينطق بحجة، فضلا عن صوته الذي كان يموء به مواء القطّ المخنوق.<sup>728</sup> ، كان هذا الوزير ضعيف الشخصية ولا يفقه شيئا في علوم السياسة وحججه في الدفاع عن وطنه ضدّ العدوان الثلاثي في مجلس الأمن واهية، كان عليه يدافع عن وطنه بكلّ أريحية ويقنع أعضاء مجلس الأمن بالضرر الذي حدث لشعب مصر بسبب هذا العدوان الثلاثي الغاشم الذي كبّد مصر خسائر فادحة في الأرواح، لقد دفعت مصر الثمن بسبب تصرّفات ساسة لا يفقهون في السياسة شيئا.

عندما كان في سويسرة في عام 1956 وهو العام الذي حدث فيه العدوان الثلاثي على مصر، لاحظ بأنّ الشعب السويسري لم يظهر أيّ تضامن مع الشعب المصري بسبب هذا العدوان الغاشم، بل أظهر العداوة والكراهية الشديدة لكلّ المصريين الموجودين في سويسرة، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: " لكنّ الأمر الغريب حقًا هو موقف الشعب السويسري نفسه، خصوصا منذ ابتداء العدوان الثلاثي في 31 أكتوبر. فقد كان يظهر لنا نحن المصريين الموجودين في سويسرة عداوة شديدا وكراهية سوداء، لدرجة أنّ الخوافين منا كانوا يخشون الظهور في الشوارع أو الجلوس في الأماكن العامّة."<sup>729</sup> ، فسويسرة أيّدت العدوان الثلاثي على مصر لأنّها تنتمي إلى المعسكر الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية فلا تنتظر منها أن تقف مع مصر في محنتها وهي محسوبة على المعسكر الشرقي الذي يقوده الاتحاد السوفييتي.

صرّح في سيرته الذاتية بأنّه لم يكن يريد انفصال السودان عن مصر،

لأنّه يعتبر السودان قطعة من مصر، ولكنّ الإنجليز أرادوا انفصالها عن مصر وكان لهم

<sup>728</sup> نفسه، ص: 240.

<sup>729</sup> نفسه، ص: 242.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

ذلك لحاجة في نفوسهم الدنيئة، يقول بدوي: "وكانت حماستي للثورة قد تزعزعت قبل ذلك بعام لما أن عقد رجالها اتفاقية السودان التي بمقتضاها استقلّ السودان عن مصر! استقلالاً تاماً، بعد أن ظلت مسألة السودان هي العقبة الكأداء في كلّ المفاوضات التي أجرتها مصر مع بريطانيا منذ سنة 1920 حتى ذلك التاريخ. لقد قلت لنفسي آنذاك، فيم إذن كان كلّ نضالنا طوال خمسين عاماً إن كانت النتيجة هي هذا التسليم المطلق في مسألة السودان؟! <sup>730</sup>، هنا ينتقد بشدة الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة يوليو سنة 1952. وعلى رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر لأنهم فرطوا في أرض السودان وباعوها للإنجليز بثمن بخس، ما هكذا يكون النضال من أجل تحرير الأوطان، كان عليهم أن يتمسكوا بأرض السودان لأنها جزء لا يتجزأ من أرض مصر الطاهرة، ولكنّ الإنجليز أرادوا ذلك من أجل نهب واستغلال ثروات السودان لصالحهم، ومن أجل أن تتال مصر استقلالها التام باعت أرض السودان للإنجليز والثمن هو حرية مصر فقط.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ نهر النيل هو الذي وحد بين مصر وبين السودان قديماً وحديثاً، الآن السودان منفصلة عن مصر إقليمياً ولكنّ في الواقع يجمعهما نهر النيل العظيم، يقول بدوي: "لكنني عزيت نفسي آنذاك قائلاً: إن كان هذا هو ما يريده شعب السودان، فليذهب وشأنه. فكلّ ما يهمننا منه هو ضمان تدفق مياه النيل إلى مصر في الحدود المقررة بالاتفاقيات. لقد صار السودان عبئاً ثقيلاً بعد يقظة جنوب السودان وتطلّعه إلى حكم نفسه بنفسه. فكفانا ما نحن فيه من مشاكل، ولنعمل فقط على ضمان حقوقنا المشروعة في مياه النيل." <sup>731</sup>، ويبدو أنّ الإنجليز حاولوا خلق مشكلة بين مصر وبين السودان من خلال تقسيمها لنهر النيل بين مصر وبين السودان لإضعاف مصر اقتصادياً وسياسياً.

<sup>730</sup> نفسه، ص: 245.

<sup>731</sup> نفسه، ص: 245.

حاول في سيرته الذاتية أن يقرأ هزيمة مصر في العدوان الثلاثي عليها قراءة سياسية حتى يضع القارئ في صورة هذا الحدث العظيم ويجعله يعرف أسباب هزيمة مصر في هذه الحرب وما يترتب عنها من نتائج في المستقبل، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وهنا قلت في نفسي: إنَّ الهزيمة هزيمتان: هزيمة مادية عسكرية، وأخرى معنوية مدمرة لكياننا المعنوي. والثانية أشدَّ وأنكى، لأنَّ معناها هو أننا سنواصل التّضليل والكذب على أنفسنا وعلى الشعب المصري، ولن نسعى لتلافي ما وقعنا فيه من أخطاء، بل سنظلّ فرائس للخداع والأوهام. إنَّ أول خطوة للإنقاذ هي الوعي بمدى الكارثة والاعتراف الذاتي بالأخطاء الفاحشة التي ترتكبها القيادة السياسية والعسكرية، ومحاولة التّغيير الجذري الشّامل للأوضاع التي أدت بنا إلى هذه الكارثة الفظيعة." <sup>732</sup>، لا بدّ من الاستفادة من الأخطاء السابقة حتى لا تتكرّر في المستقبل، لأنّ الحرب هي خدعة واستراتيجية في نفس الوقت، ولا بدّ من الاستعداد التّام في الحرب من أجل تجنب أقلّ الأضرار في المستقبل القريب والبعيد، لأنّ أعين العدو لا تنام لذلك يجب أخذ الحيطة والحذر والاستعداد للحرب في أيّ وقت متى شاءت الأقدار.

يصرّح في سيرته الذاتية بأنّه كان ضدّ الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير سنة 1958، لأنّها لا تخدم مصلحة البلدين ولا شعبيهما، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "ومن الأحداث السياسيّة أثناء إقامتي في سويسرة قيام الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير سنة 1958. ولا أذكرها هنا إلاّ لشيء واحد، هو أنّ وزارة الخارجية المصريّة بعثت إلى السفارات في الخارج في أوائل فبراير تسألها رأيها في هذه الوحدة قبل إعلانها. وسألني السّفير رأيي فقلت له: سجّل رأيي كتابة. وأمليت عليه أنني لا أنصح بقيام هذه الوحدة." <sup>733</sup>، لأنّ هذه الوحدة كانت مفروضة على الشّعبيين فرضاً من طرف عسكريين وسياسيين مغامرين غير مخلصين لوطنهم، أراد الرّئيس جمال عبد النّاصر من وراء الوحدة مع سوريا أن يظهر

<sup>732</sup> نفسه، ص: 246.

<sup>733</sup> نفسه، ص: 250.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

في صورة الزعيم القومي الذي يريد أن يوحد البلاد العربية الإسلامية في قومية واحدة إسمها إمبراطورية مصر العظمى، ولكن مشروع القومي فشل فشلا ذريعا لأنه لم يبن على أساس متين بل بني على الأحلام والأوهام والأمنيات والكلام الفارغ الذي لا يفيد.

كان مولعا باقتناء الكتب القديمة النادرة خاصة الكتب الألمانية التي تؤرخ للفلسفة في عصر الأنوار مثل كتب نيتشه وكنت وشوبنهاور، وعندما عاد من سويسرة عاد غانما بالكتب القديمة والنادرة، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: " بيد أنني اقتنيت عددا وافرا من الكتب الألمانية، يصل إلى حوالي ألف وخمسمائة كتاب، اشتريتها من مكتبات بيع الكتب القديمة في برن وزيورخ وبازل وجنيف".<sup>734</sup>، لقد أحبّ الكتب القديمة والنادرة خاصة المخطوطات النفيسة التي كان يبحث عنها في كلّ مكتبات العالم التي زارها وهذا لكي يقدّمها إلى القارئ العربي في حلّة قشبية، لقد خدم التراث العربي الإسلامي خدمة عظيمة وهذا من خلال تحقيقه للمخطوطات النادرة والنفيسة وإظهارها إلى العلن حتّى يستفيد منها المثقف العربي ويستعين بها في بحوثه العلميّة والأدبيّة والفكريّة.

يلمح في سيرته الذاتية بأنّ الموسيقى السويسرية لم ترقه ولم تتل إعجابه واعتبرها مجرد موسيقى جافة لا تطرب السّامع، يقول بدوي: " وهذا اللّون من العزف أو النّفخ في جبال سويسرة، وله نظير في جبال جنوبي ألمانيا وجبال النمسا الغربية. والنّاس هناك يعجبون به، أمّا أنا فلم أطرب له، بل وجدته ثقيلًا على الأذن، خاليا من التّطريب. وكثيرا ما كنت أسأل من أعرف من السّويسريين هل يطربون حقًا من هذا اللّون من العزف. فكانوا يحارون في الجواب".<sup>735</sup>، لأنّ بضاعتهم في تذوّق فنّ الموسيقى كاسدة كما أنّ لونها الموسيقي ساذج وباهت لا يطرب الأسماع ولا يبهج النفوس الكئيبة بل يدعو إلى التّشاؤم والإحباط.

<sup>734</sup> نفسه، ص: 273-274.

<sup>735</sup> نفسه، ص: 276.

يرى في سيرته الذاتية بأن الشعراء السويسريين لا يثيرهم جمال الطبيعة في بلادهم لأننا لا نلمس ذلك في شعرهم الذي تغنوا به في قصائدهم، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي:

"وهذا يفسر لماذا كان السويسريون أقل شعراء العالم وصفا للطبيعة. ذلك أنهم نشئوا منذ نعومة أظفارهم بين هذه المشاهد الطبيعية الرائعة الجمال، وتعودوا عليها، والعادة تفلّ من إرهاف الحساسة فلا تتأثر كثيرا بالجمال مهما سمت درجته في الجمال. فعلى نقاد الأدب أن يحسبوا حساب هذه الواقعة، وأن يطرحوا آرائهم التافهة في تأثير الوسط. فإن قيل: ولكن الشعراء كثيرا ما يصفون بيئتهم-قلنا: إنهم إن وصفوا بيئتهم فلأنهم لم يعرفوا غيرها، ثم إنهم لا يصفون منها إلا ما هو شاذ غريب فيها يلفت النظر، أما المناظر والأمر المعتادة فلا يصفونها."<sup>736</sup>، لأنهم ليس لديهم حسّ فني يجعلهم يتذوقون جمال طبيعة بلادهم الساحر، لأنهم فطروا على جمود العاطفة، فلا الموسيقى تحرّك وجدانهم ولا جمال الطبيعة يلامس أشباح أرواحهم، كان شعرهم باهتا كأرواحهم السّمة والجمال مائل أمام أعينهم ولكنهم لا يرونه أبدا، لقد ألهمت الطبيعة السويسرية كل الشعراء الذين زاروا سويسرة فأنشدوا قصائد شغفت أسماع المتلقين وأطربت وجدانهم وأحيت ضميرهم لكي يتذوق الفنّ الراقي الذي لا يموت مع مرور الأيام والليالي، فجمال الطبيعة هو مصدر إلهام كلّ شاعر وجد على ظهر هذه البسيطة، أمّا شعراء سويسرة فمعين إلهامهم الشعري قد نضب.

يتصوّر في سيرته الذاتية بأن الموسيقى العربية هي موسيقى باهتة لا تجديد فيها ولا إبداع، بل بقيت تراوح مكانها، ولكنها تطرب أهلها لأنها موسيقى محلية وتبقى من التراث العريق لذلك البلد، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "لكنّ الأمر هنا هو كالأمر بالنسبة إلى ما أسمّيه بالأدوات الموسيقية المحلية: فنحن في مصر مثلا قد نظرب للنفخ في الأرغول، أو السلمية، لكنّي واثق أنّه لا يطرب لهذا اللون أحد في العالم غيرنا، ولا في أيّ بلد آخر، ومثل هذا يقال عن كلّ أدوات الموسيقى المحلية في العالم كلّها: لا أحد يطرب لها

<sup>736</sup> نفسه، ص: 274.

إلا أصحابها المحليون، إنها تثير حبّ الاستطلاع عند الآخرين، وليس أكثر من ذلك، ولهذا فإنّ من الحماسة أن نطالب الآخرين بأن يطربوا لما نظرب له محلياً.<sup>737</sup> لأنّ الموسيقى المحليّة لها طابعها الخاصّ ولها بصمتها الخاصّة بها ولها جمهور محدود وكان هذا في قديم الزّمان، أمّا الآن في عصر التّكنولوجيا وعصر النّجوم وعصر العولمة أصبحت الموسيقى المحليّة موسيقى عالمية يسمعونها النّاس في كلّ مكان من خلال هواتفهم النّقالة التي تحتوي على مواقع التّواصل الاجتماعي كالتويتّر والفيسبوك والفايبر واليوتيوب، فصار العالم كأنّه قرية صغيرة فيها شارع واحد، لقد أدّى انتشار العولمة إلى انحسار المحليّة وبالتالي تمّ عولمة الموسيقى المحليّة وانتشارها في كلّ مكان من هذا العالم الفسيح الرّحب الذي لا تحدّه حدود ولا تقيدّه قيود.

يعتقد في سيرته الذاتيّة بأنّ الموسيقى العالميّة هي أفضل موسيقى لأنّها تخاطب جميع الأذواق وتتنفّذ جميع الأصمّاع لأنّها لغة فنيّة عالميّة يفهمها جميع النّاس بالرّغم من اختلاف اللّغة والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعيّة، يقول بدوي وهو يعطينا الفرق بين الموسيقى العالميّة وبين الموسيقى العربيّة ما يلي: "تبقى وحدها الموسيقى الرّفيعة: فإنّها عالميّة، تخاطب الجميع على سواء. لكن لا يقدرها حقّ قدرها إلا الصّفوة من النّاس. والموسيقى العربيّة هي من النّوع المحليّ، ولهذا لا تطرب إلاّ العرب، ومن الادّعاء الأحمق أن نطالب غير العرب بأن يطربوا لها."<sup>738</sup> هنا لا أوافق بدوي على رأيه في الموسيقى العربيّة بأنّها محليّة بل العكس هو الصّحيح، لقد أصبحت الموسيقى العربيّة عالميّة خاصّة في عصرنا هذا عصر العولمة والعلوم والنّجوم والتّكنولوجيا الحديثة والمتطوّرة جدّاً، بل أصبحت الموسيقى بنوعها العالميّ والعربيّ لغة عالميّة يفهمها جميع البشر من سگان هذه المعمورة.

<sup>737</sup> نفسه، ص: 276.

<sup>738</sup> نفسه، ص: 276.

حاول في سيرته الذاتية أن يقرأ واقع الصناعة في هولندا قراءة اقتصادية وقد وُفق في ذلك توفيقا كبيرا، يقول بدوي عن واقع الصناعة في هولندا ما يلي: "وكانت فيها صناعات عظيمة: الجوخ والصّوف، ودبغ الجلود، ومصانع الحديد والصلب، ومصانع المواد الغذائية. ولا تزال تزدهر بصناعة الآلات والأجهزة، والتسيج، والطباعة، ومواد التّجميل، ومصانع المواد الغذائية".<sup>739</sup>، لقد كانت الصناعة في هولندا متطورة ومزدهرة إلى حدّ بعيد وتواكب التطور التكنولوجي الهائل الذي حدث في قطاع الصناعة، فهولندا هي بلد صناعي وزراعي في نفس الوقت ومزدهر اقتصاديا، وتعدّ هولندا من أهمّ الدول في الاتحاد الأوروبي من الناحية الاقتصادية.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ هولندا هي بلد العقل والأحاسيس والعواطف لأنّه شعر بذلك عندما زار هذا البلد الجميل ورأى السعادة المخملية ماثلة أمام عينيه، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "أه ما أجمل الأيام التي قضيتها في هولندا ممّتع الحسّ والعقل والعواطف! لكنّ ميزة هذه الأيام هي أنّها عابرة، ولو استمرّت أو طالت لأملت وأضجرت، ناهيك بها إذا ارتبطت بالتزام، هناك تصبح عذابا لا يطاق"<sup>740</sup>، لأنّ الأوقات الجميلة تمرّ بسرعة وقد لا يشعر بها الإنسان المكتئب والباحث عن السعادة، فهولندا هي بلد الجمال الأسطوري والحرية الفكرية التي تمجدّ العقل الحرّ الباحث عن الحقيقة العلمية التي لا تقيدّها الطقوس الدينية ولا الأعراف الاجتماعية ولا الحتمية التاريخية.

من الأسباب التي جعلته يقبل على تعلّم اللّغة الهولندية بكلّ عزيمة وإصرار هو أنّه وقع في غرام فتاة هولندية عندما زار هولندا لأول مرّة، وهذا لكي يتواصل معها ويتعرّف جيدا من خلالها على الأدب الهولندي المعاصر، يقول بدوي: "وكان اللقاء معها متعة للحسّ والذّوق الفنّي معا، لأنّها كانت واسعة الاطلاع في الفنّ والأدب، وبفضلها اهتمت بقراءة

<sup>739</sup> نفسه، ص: 284.

<sup>740</sup> نفسه، ص: 322.

الأدب الهولندي المعاصر إمّا مترجماً إلى الألمانية والفرنسية وإمّا -إن كان شعراً- باللّغة الهولندية التي حملت نفسي على تعلّمها إرضاء لها من ناحية، ولتذوّق الشّعْر الهولندي في نصّه الأصلي من ناحية أخرى...<sup>741</sup>، لأنّك عندما تتعلّم لغة أجنبية جديدة سوف تكتسب ثقافة جديدة وتكتشف عوالم حضارية أخرى لم تكن تخطر على بالك، لقد تعلّم اللّغة الهولندية في ظرف قياسي وفي مدّة وجيزة صار يطالع بها وبالتالي تسنّى له التّعرف على مختلف العلوم التي جادت بها الحضارة الهولندية على الحضارة الإنسانية كلّها، بل صار يحاضر بها في الملتقيات العلميّة التي تقام في الجامعات الهولندية.

لقد وقع عندما كان في هولندا في غرام فتاة هولندية جميلة جدّاً ومتفّقة جدّاً وهي التي ألهمته لكي يتعلّم اللّغة الهولندية من أجلها، يقول بدوي عن هذه الفتاة الهولندية الفريدة من نوعها ما يلي: "وقد أحضرت هي معها أختها الأصغر ليشاهد هذا الفنّ الشّرقي: فكنا نتمايل كي نختلس القبلات الخاطفة على غفلة-أو تغافل-منه، وزادت هذه اللّعبة من استمتاعنا بهذه السّهرة، ثمّ ودعتها بعد انقضاء السّهرة على رجاء اللّقاء غداً معها وحدها، بعد أن تقنع أختها وزميلتها بالقيام برحلة إلى فرساي. وهكذا أمضيت معها وحدها طوال اليوم التّالي. ثمّ ودعتها في المساء وكان عليها أن تستقلّ القطار في اليوم التّالي عائدة إلى أمستردام."<sup>742</sup>، وهذه المغامرة العاطفية التي خاضها مع هذه الفتاة الهولندية سوف تنتهي بالفراق كما انتهت مغامراته العاطفية السّالفة الذّكر، وبالمختصر المفيد كان زير نساء يطلبهنّ طلباً حثيثاً من أجل المتعة الجنسيّة فقط، لم يفكّر طوال حياته المديدة في الارتباط بامرأة متفّقة جميلة تقاسمه هموم الفكر الوجودي وهموم الحياة معاً، وفضّل أن يعيش وحيداً كالطائر الحرّ لكي يغرد وحده في مروج الفلسفة الوجودية الفسيحة.

<sup>741</sup> نفسه، ص: 322.

<sup>742</sup> نفسه، ص: 321.

يرصد في سيرته الذاتية ظاهرة شيوع الدّعاة في المجتمع الهولندي رغم الرّفاه المادي الذي ينعم فيه شعبها، حيث صارت تجارة الرّقيق الأبيض هي الرّائجة في هذا البلد الجميل، يقول بدوي عارضا علينا واقع الدّعاة في المجتمع الهولندي ما يلي: " لكنّ (متع الحياة) لا تزال على عهدا: متع الفرج والبطن والعين، ثمّ حيّ كبير تتوافر فيه متع الجنس، وتتوالى في طرقاته الضيّقة واجهات زجاجية تجلس وراءها المومسات وهن يدعين المارة إلى الدّخول. فإذا دخل الزّيون أسدلت السّتارة على الواجهة الزجاجية إيذانا بأنّ المحلّ مشغول، وبعد عشرين دقيقة أو نصف ساعة-بحسب الأجر-ترفع السّتارة من جديد وتجلس المومس في مكانها، وهكذا دواليك! وتستمرّ هذه الحال ابتداء من عصر كلّ يوم حتّى صباح اليوم التّالي.<sup>743</sup>، يبدو أنّه كان يغشى هذه الأماكن الهامشية في المجتمع باحثا عن لذّة عابرة، ولكنّ انتشار الدّعاة في أيّ مجتمع لا يبشّر بالخير بل يدلّ على الانحطاط الأخلاقي الذي وصل إليه ذلك المجتمع، وتعتبر تجارة الرّقيق الأبيض أقدم مهنة في التّاريخ الإنساني، ولكنّ هذا هو الواقع الحقيقي لكلّ مجتمع نعيش فيه يوجد فيه الأشياء الصّالحة والأشياء الطّالحة في نفس الوقت، ونحن ندين هذه الظّاهرة المشينة التي انتشرت حتّى في البلاد العربية الإسلامية.

يصف لنا في سيرته الذاتية الحياة اللّيلية في مدينة أمستردام الهولندية بأنّها حياة عجيبة فيها كلّ المتع التي يشتهيها الإنسان الباحث عن اللذات العابرة، فيها الحانات والملاهي والعلب اللّيلية وبيوت الدّعاة، يقول بدوي واصفا الحياة اللّيلية الصّاخبة في مدينة أمستردام الهولندية ما يلي: " وهذا الميدان هو مركز الحياة اللّيلية في أمستردام، ويزخر بعلب اللّيل، وتتوافر فيه كلّ المذات. ويدهش المرء من الفارق الهائل بين حال هذا الميدان في اللّيل، وحاله في النّهار. فلا يصدّق وهو يسير فيه إبّان النّهار أنّه هو نفس المكان الذي

<sup>743</sup> نفسه، ص: 294.

تجوّل فيه إبان الليل. وليت شعري ماذا كانت حال هذا الميدان أيام ديكارت!"<sup>744</sup> هنا يتحوّل ليل مدينة أمستردام الصّاخب إلى نهار حامي الوطيس، تفتح الحانات والعلب الليلية أبوابها المشرعة لاستقبال زبائنها الباحثين عن اللذات العابرة الصّاخبة، فهذه مدينة الملاهي تموت في النهار كأنّ الأرض ابتلعته وعندما يرخي الليل سدوله عليها يدبّ في أوصالها النشاط وتعود إليها الحياة من جديد لكي تمارس طقوسها الممنوعة بكلّ حرّية.

يعرض علينا في سيرته الذاتية سحر جمال الطبيعة الهولندية في الصّيف وفي الشّتاء، حيث يختلف منظرها في الصّيف عن منظرها في الشّتاء كأنّ جمالها يولد من جديد لكي يظهر في حلّة جديدة في كلّ فصل من فصول الطبيعة الأربعة، يقول بدوي واصفا سحر جمال الطبيعة الهولندية في الصّيف وفي الشّتاء ما يلي: " هولندا في الصّيف عكسها في الشّتاء: فهي في الصّيف بساط أخضر يمتدّ من أقصاها إلى أقصاها، وهي في الشّتاء ملاء ناصعة البياض لا يميّز فيها غير البيوت والطّواحين المكسوة بالثلّوج."<sup>745</sup> له نزعة صوفية تأملية وهو يقرأ عجائب الكون قراءة وجودية، فالطبيعة الجميلة تجعل الفيلسوف والشاعر يسبح في عوالم وفي ملكوت الإبداع الإنساني وهكذا كان عبد الرّحمن بدوي فيلسوفا وشاعرا في آن واحد.

كان يريد بعد قيام الثورة على الملكية في 23 جويلية 1952 أن يرى بلاده تنجح إلى النّظام البرلماني وليس إلى النّظام الرئاسي، لأنّ الأوّل يكرّس الحرّية والديمقراطية، أمّا الثّاني فيكرّس الاستبداد والدكتاتورية ويحوّل مصر إلى جمهورية ملكية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: " لماذا كنت أويد النّظام الرئاسي آنذاك، رغم ما يحمله في طيّاته من نزعة أوتقراطية (استبدادية)؟ تخوّفي آنذاك من عودة الأحزاب القديمة بمفاسدها الفاحشة في الحكم.

<sup>744</sup> نفسه، ص: 294.

<sup>745</sup> نفسه، ص: 303.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

ولهذا كنت أراه مرحلة انتقالية فقط لا بدّ أن تتلوها مرحلة النّظام البرلماني".<sup>746</sup> لكنّ هذا الحلم الذي كان يحلم به لم يتحقّق على أرض الواقع، فمصر تحوّلت بعد قيام الثّورة من نظام ملكي إلى نظام جمهوري ملكي يكرّس سلطة الرّعيم الأوحّد الذي يصادر كلّ رأي يعارض سياسته المتغطّرة والمتعطّشة إلى إراقة الدّماء من أجل البقاء في كرسي الحكم وهذا ما سيفعله جمال عبد النّاصر عندما يصبح رئيسا لمصر.

يرى في سيرته الدّاتية بأنّ الرّئيس جمال عبد النّاصر ليس بالرّعيم القومي الوطني الذي يريد الخير لبلاده ولشعبه بل هو مجرد دكتاتور مستبدّ ولا يفعل إلّا ما يريد ويتخفّى وراء شعار باسم مصلحة الشّعب لكي يصدر القرارات الجائرة التي تقود بلاده إلى الهاوية، يقول بدوي منتقدا سياسة الرّئيس جمال عبد النّاصر الجائرة ما يلي: "والقائمة طويلة تستغرق عدّة صفحات من هذه القرارات والتّصرّفات التي أصدرها عبد النّاصر باسم (مصلحة الشّعب)، ففضى بها على مقدرات هذا الشّعب المصري المسكين، الذي كانت تساق غوغاؤه في مظاهرات كاذبة مفتعلة لتأييد هذه القرارات (الشّعبية) كما كان حملة مباخر عبد النّاصر يسوّدون صفحات جرائده الهزيلة لإحراق البخور حول هذه القرارات (بصراحة)".<sup>747</sup> باسم مصلحة الشّعب صادر عبد النّاصر الأموال والعقارات الزراعيّة والعمائر المشيدة والأسهم والسّنّدات وصادر حرّيات النّاس جميعا وجرّ البلد إلى حربين مدمرتين حملة السّويس سنة 1956 وحرب الأيام السّنة في يونيو 1967 وأغلق حدود مصر على أهلها، وفعل كلّ هذه الأشياء باسم الاشتراكية التي تدعو إلى امتلاك الدّولة لكلّ وسائل الإنتاج حتّى تفرض سيطرتها على الشّعب بقوة الحديد والنّار، فالاشتراكية لم يكتب لها النّجاح حتّى في الاتحاد السّوفييتي الذي سرعان ما انهار وتفكّك وتحوّل إلى جمهوريات رأسمالية، وكلّ الدّول العربيّة

<sup>746</sup> نفسه، ص: 342.

<sup>747</sup> نفسه، ص: 351.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

التي تبنت الاشتراكية عند استقلالها تحولت إلى اعتناق الرأسمالية بعد انهيار المعسكر الشرقي الذي يقوده الاتحاد السوفييتي وانتصار المعسكر الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية في إطار ما يعرف بالحرب الباردة.

لقد حاول في العهد الناصري الابتعاد عن السياسة والاتجاه إلى الإنتاج الفكري، يقول بدوي: " في وسط هذا الظلم والظلام الذي خيم على مصر في عهد جمال عبد الناصر، لم يكن أمامي غير البحث العلمي والإنتاج الفكري أكبّ عليهما وأستغرق نشاطي فيهما." <sup>748</sup>، لأنه يؤس من التغيير الجذري الذي وعدت به الثورة المجتمع المصري وبقي الوضع على ما هو عليه بل أسوأ مما كان.

حاول في سيرته الذاتية أن يقرأ واقع مصر قبل ثورة 23 جويلية 1952 وبعدها فوصل إلى نتيجة فحواها أن واقع مصر قبل الثورة كان أفضل بكثير بعدها، لأن الحرية صارت مقيدة بقوانين جائرة وكرامة المواطن المصري مهدورة وصار الخوف هو سيد المواقف كلها، كان النظام الملكي نعمة على الشعب المصري أما النظام الجمهوري فأصبح نقمة عليه، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: " هي سنة 1952. وهي سنة الفصل بين عهد وعهد. كانت الحرية نعمة ينعم الكل بظلالها الوارفة، ويطالب دائما بالمزيد، وإذا بها في العهد الجديد حkra لفرد تحيط به عصابة. وكانت الكرامة من أعز ما يعتز به المصري، فصارت هدفا لكل اضطهاد ومصدرا لكل حرمان وشقاء. وكان الأمن على النفس والمال موفورا لكل شخص، فصار الخوف على كليهما يقض كل فرد وكل أسرة." <sup>749</sup>، لقد دخلت مصر في نفق مظلم بعد الثورة ولم يتحسن وضعها الاجتماعي ولا السياسي، ودب الفساد في جميع مفاصل الجمهورية الفتية وصار الشعب المصري يحن إلى النظام الملكي الذي قامت من أجله الثورة المصرية، لقد سيطر الوصولين على نظام الحكم وأغلقوا اللعبة السياسية على

<sup>748</sup> نفسه، ص: 351.

<sup>749</sup> نفسه، ص: 323.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

المعارضين وأذاقهم الويلات والشّرور بجميع أشكالها وألوانها وصار النّفاق السّيّاسي هو سيّد المواقف كلّها، يقول بدوي مبينًا الواقع السّيّاسي المرّ لمصر ما بعد الثّورة ما يلي: " وكان النّفاق مقصورا على فئة من الوصوليين وعديمي الضّمائر، فأضحى خصلة لشعب بأسره يتنافس الجميع في ممارستها ويتباهى بالتفوّق فيها، وكان التّقرّيب في أيّ حقّ من الحقوق الوطنية خيانة تتهار بسببها الحكومات، وإذا بالتخلّي عن أكبر هذه الحقوق - وهو حقّ مصر في السّودان - يعدّ إنجازا عظيما يتباهى به الحكّام".<sup>750</sup>، لقد فرّطت مصر في السّودان بسبب أنانية حكّامها السّيّاسيين الذين ساسوها بقوة الحديد والنّار وأرادوا التّحكّم في زمام الأمور لكي لا يتمرّد عليهم شعبهم الذي وثق بهم ثقة عمياء، كانت الثّورة المصرية نارا وجحيما على الشّعب المصري المغلوب على أمره، وتوالت المصائب والنّكبات على مصر قبل الثّورة وبعدها، يقول بدوي في هذا الصّدّد شارحا هذه الفكرة ما يلي: " وكانت الهزيمة البسيطة في فلسطين سنة 1948 كارثة تزعزعت بسببها الثّقة في الحاكمين، وإذا بالهزيمة السّاحقة الماحقة في يونيو سنة 1967 تحتشد لها جماهير 9 و 10 يونيو للهتاف بحياة من تسبّبوا في الهزيمة، ويرقص لها ممثلو الشّعب في مجلس الأُمّة ابتهاجا باستمرار المسؤولين عن الهزيمة في التّحضير لهزائم تالية".<sup>751</sup>، فنحن من يصنع الأصنام السّيّاسية بأيدينا ولا نستطيع تحطيمها لأنّنا فطرنا على الإعجاب والتّسبيح بحمدها، والشّعوب النّائمة في العسل لا تستطيع أن تغير من وضعها السّيّاسي لأنّ على بصرها غشاوة لا تستطيع أن ترى عيوب الحاكم، لقد أكلت الثّورة المصرية شعبها لأنّها وجدته لقمة سائغة عندما أيّدها وساندها. لقد فرّطت مصر في فلسطين قبل الثّورة وبعدها وهذا بإيعاز من الإنجليز الذين قدّموا فلسطين على طبق من ذهب لليهود الصّهائنة الذين عاثوا في أرضها فسادا وأهلكوا الحرث والنّسل، لقد صارت فلسطين ملكا لليهود الذين عملوا على تهويد مدينة القدس وقاموا بطرد المقدسيين من أرضهم، لقد شاركت مصر في الحرب العربية الإسرائيليّة في سنة 1948

<sup>750</sup> نفسه، ص: 323.

<sup>751</sup> نفسه، ص: 323.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

وهزمت هزيمة نكراء في هذه الحرب التي مكّنت اليهود من الاستحواذ على أرض فلسطين الطاهرة، فمصر لم تستعد جيّداً لهذه الحرب الضروس بل اعتمدت في حربها هذه على الأسلحة الفاسدة ولعلّ هذه المؤامرة دبّرت لبيل، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "وكان ضياع آلاف قليلة من الجنيّات في شراء أسلحة فاسدة جريمة هائلة طالت من أجلها المحاكمات، وإذا بالتخلّي لإسرائيل عن أسلحة تقدّر بآلاف الملايين أمر هيّن يكافأ عليه فاعلوه بالمزيد من التّمكين لهم من البطش والاستبداد." <sup>752</sup>، وهنا يقصد الرّئيس جمال عبد الناصر الذي انهزم في حرب جوان 1967 أمام الإسرائيليّين، وعزم وأصرّ على تقديم استقالته من رئاسة الجمهورية، ولكنّ الشّعب المصري خرج في مظاهرات عارمة معبراً عن رفضه لاستقالة رئيسه، فلبّى عبد الناصر نداء شعبه و بقي رئيساً لجمهورية مصر العربية إلى غاية وفاته في سنة 1970، فمصر عانت كثيرا في العهد الناصري فهناك ندرة في الأسعار وتمّ قطع العلاقات الدبلوماسية مع بعض البلاد العربية الإسلامية وصار المواطن المصري يتعرّض للاحتقار في كلّ بلاد يسافر أو يهاجر إليها، يقول بدوي شارحا هذا الوضع ما يلي: "وكان النقص في سلعة من السلع أمرا نادر الوقوع، فصار النقص في معظم السلع هو القاعدة وتوفير سلعة هو الاستثناء، وكانت العلاقات مع البلاد العربية الإسلامية تتسم بالمودّة وتبادل المنافع وبالتقدير، فصارت القطيعة والعدوان وعدم التّعاون هي الصّفات السائدة في هذه العلاقات. وكان المصري في سائر بلاد العالم مقبولا لا يثير نفورا ولا ارتيابا ولا ازدراء، فإذا به يصبح هدفا لكلّ مظنة فاسدة، ومدعاة للحذر أو الاحتقار." <sup>753</sup>، هكذا أصبح حال مصر وشعبها بعد الثّورة المزعومة التي ظاهرها جنة وباطنها نار، لقد باعت الوهم والسراب والأحلام الوردية لشعبها المسكين وهي أول من انتهكت حقوق الإنسان المصري التي يكفلها الدّستور والقانون، يقول بدوي: "وكانت حقوق الإنسان المصري مكفولة بالدّستور والقوانين، فإذا انتهكها حاكم ردّه القضاء إلى الصّواب وأنصف المظلومين، فإذا

<sup>752</sup> نفسه، ص: 323-324.

<sup>753</sup> نفسه، ص: 324.

بهذه الحقوق تصبح تعظفا متعاليا من الحاكم على المحكومين أو تهدر دون مراجعة أو جزاء، ويضحى الدستور والقوانين العوبة في أيدي الحاكم وزبانيته يعبث بها كما يشاء هواه.<sup>754</sup> فالزعيم الأوحد هو الذي يكبل الحرّيات ويصادر الرأى الحرّ ويحارب الفكر الحرّ الذي لا يتوافق مع إيديولوجيته ويعارض سياسته، لذلك هو يضع دستورا على مفاسه لكي يخلد في الحكم أو يورثه لأبنائه من بعده، ويجعل القضاء الذي يتحكّم فيه مقصلة يقطع بها رؤوس كلّ معارضيه حتّى لو كانوا أقرب النّاس إليه، فالشّعوب العربية الإسلامية ما زالت بعيدة كلّ البعد عن الديمقراطيّة الحقيقية.

لقد تدهور الاقتصاد المصري بعد قيام الثّورة وأصيب في مقتل وانهار سعر الجنيه المصري وتكاثرت الديون، فلا يوجد هناك خطة اقتصادية للنهوض بالاقتصاد المصري، لقد عجز الخبراء الاقتصاديون عن إيجاد حلول ناجعة للاقتصاد المصري، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وكان الاقتصاد المصري يقوم على أسس راسخة وأرقام صادقة واضحة وينهض بأعبائه رجال وشركات خاصّة تخلص في أعمالها وإدارتها، وإذا به يصبح أرقاما بهلوانية يتلاعب بها وزراء مال لا علم عندهم ولا ضمير، يقدّمون موازنات زائفة ويخطّطون خططا وهمية خمسية وغير خمسية ممّا أدّى باقتصاد مصر إلى الإفلاس وتكاثر الديون وانهيار سعر الجنيه المصري انهيارا متواصلا لا يصدّه شيء حتّى أصبح-في مقابل العملات القويّة-يساوي أقلّ من عشرة في المائة من سعره القديم." <sup>755</sup>، لقد كان الاقتصاد المصري قبل قيام الثّورة في عزّ مجده وهذا بفضل جهود طلعت حرب (1867م-1941م) الذي ساهم في النهضة الاقتصادية لمصر في عهد الملك فؤاد الأوّل (1868م-1936م) والملك فاروق الأوّل (1920م-1965م) ولكنّ قيام الثّورة المصرية قضى على البنية التّحتية التي يقوم عليها الاقتصاد المصري ألا وهي القطاع الخاصّ، وأكبر مشكلة واجهت مصر بعد قيام الثّورة هي مشكلة السّكن التي صار يعاني منها المواطن المصري ويكافح من

<sup>754</sup> نفسه، ص: 324.

<sup>755</sup> نفسه، ص: 324.

أجلها، يقول بدوي: " وكان الإسكان ميسورا يعلن في كلّ مكان عن شقق خالية للإيجار وتزايد المباني بما يزيد عن حاجة الساكنين، وإذا بالملايين لا يجدون مساكن لهم، فضلا عن عشرات الآلاف من المنازل القديمة التي تنهار كلّ عام على رؤوس ساكنيها." <sup>756</sup>، إنّ الحديث عن أزمة السّكن في مصر بعد قيام الثّورة هو حديث نو شجون لأنّ هناك انفجار ديموغرافي هائل عرفته مصر منذ قيام الثّورة إلى يوم النّاس هذا وضافت أرض مصر على أهلها بسبب أزمة السّكن التي يعاني منها المواطن المصري إلى اليوم، لقد تحوّلت مصر بعد قيام الثّورة إلى سجن كبير لمواطنيها الأحرار الذين أرادوا مغادرة البلاد بحثا عن حياة أفضل فمنعوا من السّفر لأسباب واهية وصارت مصر معزولة ثقافيّا وكلّ الكتب التي تأتي من الخارج تمرّ على الرّقيب أو تصادر، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: " وكان لكلّ مصري الحقّ في أن يغادر وطنه طلبا للرزق أو للعلم أو للتجارة أو غير ذلك من مطالب الحياة، وإذا بمصر تتحوّل إلى سجن كبير يعتقل فيه كلّ المصريين، ولا يسمح بالخروج منه إلّا لحفنة قليلة جدّا من المحسوبين والمقرّبين إلى الحاكم وزبانيته، وكانت أدوات النّقافة تتدفّق على البلاد في حرّية تامّة ودون انقطاع أو تشويه ورقابة، وإذا بهذه الأدوات تمنع من الدّخول تدريجيا حتّى فقدت مصر الاتصال بمصادر الفكر العالمي." <sup>757</sup>، لقد صارت مصر بعد قيام الثّورة منغلقة ثقافيّا ولا تقبل النّقافات الوافدة من ضفاف البحر الأبيض المتوسّط، لقد فرضت الثّورة المصرية بقوة الحديد والنّار الفكر الاشتراكي على المواطن المصري وأدرجته في المقرّرات الدّراسية للطلاب، وكلّ الكتب التي تعارض الاتجاه الاشتراكي أو تنتقد الفكر الاشتراكي ستصادر بلا هوادة، وقد يدخل من ألفها أو روج لها السّجن أو يلقي به بعيدا وراء الشّمس.

صرّح في سيرته الذاتيّة أنّه لا يمجدّ لا العهد الملكي ولا عهد الثّورة، لأنّه وقف ضدّهما وانتقدهما انتقادا شديدا. لأنّ العهد الملكي كرّس العبودية والانحلال الخلقي وساهم

<sup>756</sup> نفسه، ص: 324.

<sup>757</sup> نفسه، ص: 324-325.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

في ضياع فلسطين، أمّا عهد الثورة فكّرّس الديكتاتورية العسكرية وتحوّلت مصر من مملكة إلى جمهورية ملكية يحكمها الرّعيم الأوحد، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ولا يعقل منّي أن أمجّد العهد السّابق على سنة 1952، وأنا الذي ناضلت طوال الأعوام السّبعة عشر السّابقة على ذلك التّاريخ ضدّ مفساد ذلك العهد، وما استشرى فيه من خيانات في حقوق الوطن ومن مفساد ومحسوبيات ومظالم واستهتار بالحقوق وعدوان على الحرّيات، لكنّ هذه المفساد والشّرور لا تعادل واحدا في الألف ممّا حدث بعد 23 يوليو سنة 1952".<sup>758</sup>، لأنّ الثورة المصرية زاغت عن أهدافها الحقيقية ولم تساهم في نهضة المجتمع المصري بل تركته يكابد كلّ المحن والكروب كأنّ مصر ما زالت في عهد الملك فاروق الغابر، في العهد الملكي كانت مصر مزدهرة سياسياً واقتصادياً وثقافياً، ففي المجال السّياسي كانت هناك أحزاب سياسية ناشطة في السّاحة ومتخذة في صفوف الشّعب المصري كحزب الوفد على سبيل المثال لا الحصر، أمّا في المجال الاقتصادي استطاع طرقت حرب مدير البنك المصري أن ينهض بالاقتصاد المصري نهضة قويّة وساهم في إنشاء استديو مصر الذي أحدث ثورة سينمائية كبرى في ميدان الفنّ، أمّا في المجال الثّقافي فقد ازدهرت الصّحف والمجلّات بمختلف أنواعها وراجت سوق الكتب بأقلام وظهرت أسماء لامعة في ميدان الأدب كطه حسين ومصطفى لطفى المنفلوطي وأحمد لطفى السيّد (1872م-1963م)، ومصطفى صادق الرّافعي (1880م-1937م) وعبّاس محمود العقّاد وتوفيق الحكيم وغيرهم، ونشط المسرح وتطوّر على يد نجيب الرّيحاني (1889م-1949م) ويوسف وهبي (1898م-1982م) وعلي الكسار (1887م-1957م)، وراج الفنّ السّينمائي وتألق على أيدي مخرجين كبار من أمثال أحمد بدر خان (1909م-1969م) ويوسف وهبي وأنور وجدي (1904م-1955م).

<sup>758</sup> نفسه، ص: 325.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

يرى في سيرته الذاتية بأن وزراء حزب الوفد كانوا فاسدين في عهد الملك فاروق، يقول بدوي: "وكانت فضائح الفساد والرّشوة والمحسوبية والمعاملات الاحتياالية وعمليات النّصب قد شملت كلّ الوزراء الوفديين بغير استثناء، فكانت إقالة وزارة النّحاس في مساء يوم إحراق القاهرة أمرا ارتاح له سائر الشّعب في مصر." <sup>759</sup>، لأنّ الشّعب المصري ثار ضدّ الفساد السّيّاسي وساهم في إقالة رئيس الوزراء مصطفى النّحاس (1879م-1965م) وبالتالي اختفى وزراء حزب الوفد من المشهد السّيّاسي في مصر، فالثّورة يقودها الشّعب وهو الذي يخدم ناراها.

لقد تنبأ في سيرته الذاتية بحدوث انقلاب آخر في مصر عندما قال: "ولزوال هذين السّببين: المفاجأة وانعدام العزم، أخفقت كلّ المحاولات التي بذلت لإحداث انقلاب آخر، مثلما حدث في سنة 1954 و 1967، ومايو سنة 1971، وأكتوبر سنة 1981. لقد كانت شجرة الحكم في ذروة الخريف، فتساقطت أوراقها عند هبوب الرّيح" <sup>760</sup>، وبالرغم من كلّ هذا الحذر الشّديد التي توخّاه الحاكم المصري من الانقلابات العسكرية، فقد استطاع الفريق عبد الفتّاح السّيّسي (ولد سنة 1954م) أن يقود انقلابا ناجحا ويطيح بالرئيس الشّرعي لمصر محمّد مرسي (1951م-2019م).

لقد خذل الشّعب المصري ضمير ووجدان بدوي لأنّه رضي بالخنوع والاستكانة للمستعمر الأجنبي المتمثّل في الاحتلال الإنجليزي لمصر، ولم يقاوم الاستبداد الملكي الذي فرضه الملك فاروق الأوّل بقوة الحديد والنّار، ووقف إلى جانب الثّورة المصرية التي باعت له الوهم والسّرّاب والوعود الكاذبة، فالشّعب المصري في نظره هو شعب قاصر لا يقدر عواقب الأمور، يقول بدوي مبينا موقفه من الشّعب المصري ما يلي: "أمّا الشّعب، فما أدراك ما الشّعب! إنّه كما يقول كيركجور مارد هائل على رجلين من طين، باسمه ترتكب أبشع

<sup>759</sup> نفسه، ص: 327.

<sup>760</sup> نفسه، ص: 329.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

المظالم، وباسمه تدمر أضخم الأبنية، وباسمه تهدر كل القيم النبيلة التي أمضى الإنسان كل تاريخه حتى الآن في سبيل تحريرها وتصعيد قواعدها، وترتيب درجاتها، والشعب هو مثل (ليلي) التي عناها الشاعر حين قال: وكلّ يدعي وصلا بليلى \*\*\* وليلى لا تقرّ لهم بذاكا.<sup>761</sup>، لقد صار الشعب المصري كالدمية التي تحركها الأيدي الخفية وتعبث به كما تشاء، فالشعب المصري منذ نعومة أظافره لم يتعلم أن يقول كلمة (لا) للحاكم المستبد، بل رضي بالذلّ والهوان وأصيب كبرياؤه في مقتل، وصار الشعب المصري لا يطالب بالتغيير السياسي ولا بالديمقراطية الصورية.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ الحاكم المستبد يرتكب جرائمه باسم الشعب لكي يبرر حكمه الديكتاتوري الجائر، يقول بدوي: "فما من حاكم مستبد ظالم إلاّ وزعم أنّه إنّما يرتكب ما يرتكب (باسم الشعب)، و (لصالح الشعب)، و (من أجل الشعب). وتبلغ قمة الوقاحة عند بعضهم فيقول: (نتحكم إلى الشعب)، وما الشعب عنده إلاّ وزير الداخلية الذي يرتب له ما يشاء من نسب وأرقام."<sup>762</sup>، هذه هي الديمقراطية الصورية التي ذكرتها آنفا.

حاول في سيرته الذاتية أن يقرأ لوحات الفنان سيزان Cézanne (1839م-

1906م) قراءة فنية كأنه ناقد فني، يقول بدوي: "وأمام لوحات سيزان توقفت طويلا للنظر في فنّه الجادّ الصّارم التقاطيع، الذي كان بمثابة ردّ فعل ضدّ الخطوط الضبابية التي سادت لوحات زملائه السابقين: الانطباعيين، وعلى الرّغم ممّا ووجه به فنّه هذا من عداء، سواء من جانب زملائه الفنّانين ومن الجمهور، في أثناء حياته، فإنّ هذا الفنّ استطاع أن يلقي بكلّ تأثيره في الرّبع الأوّل من القرن العشرين وسواء عليه صورّ أشخاصا، أو مناظر طبيعية، أو طبائع غير حيّة، فالخصائص واحدة: الصّرامة، عمق التّعبير، غلظ الخطوط، كبرياء الفنّان،

<sup>761</sup> عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، ج2، ص: 96.

<sup>762</sup> المصدر السابق، ص: 96.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

قسوة المصير الإنساني.<sup>763</sup>، لقد استطاع أن يقرأ لوحات الفنّان سيزان قراءة فنيّة ذات خلفية صوفية وجودية سريالية، لأنّ الرّسم هو عبارة عن شعر صامت أخرجته الأشكال والألوان وجعلته ينطق إبداعاً وجمالاً وسحراً سابياً للضمائر وللعقول، كان الفنّان سيزان نموذج المبدع العبقرى اللّودعى الألمعي الذي يحسن رصف الأشكال ودمجها في ألوان شتّى فتستحيل إلى لوحات فنيّة عجيبة وفريدة من نوعها، هكذا يولد الإبداع الإنساني الخالد بعد مخاض فنيّ عسير وطويل.

كان من أشدّ المعجبين بالفنّان العالمي بابلو بيكاسو Pablo Picasso

(1881م-1973م) الذي يعتبر من أشهر الرّسّامين في العالم الذين ساهموا في نهضة فنّ الرّسم من خلال لوحاته الخالدة التي جسّدت الفنّ الذي كان يحلم به بيكاسو أن يراه في بلده إسبانيا التي عانت من ويلات الحرب الأهليّة في عهد الجنرال فرانكو (1892م-1975م) الذي حكم إسبانيا بقوة الحديد والنّار، يقول بدوي في سيرته الذاتيّة معبراً عن إعجابه بالرّسّام والفنّان العالمي بيكاسو ما يلي: "أمّا الحديث عن بيكاسو فلا ينتهي: لقد ملأ الدّنيا وشغل النّاس، إلى حدّ جاوز كلّ معقوليّة. ومعه يصير كلّ شيء ممكناً، بحيث لا يكاد عنوان اللّوحة يدلّ على شيء، لقد صار عنوان اللّوحة مجرد إيهاء، وتقرأها كما تشاء، وشهرته المبالغ فيها إلى أقصى حدّ ربّما ترجع إلى الإفلات من كلّ معنى محقّق، إلى جانب ما برع فيه من الدّعاوة والنّهريج، وما طبع عليه النّاس من العدوى بالشّائعات والإعلانات والمعاضلات.<sup>764</sup>، لقد تميّزت لوحات بيكاسو بالغموض والرّمز الموحى بالدلالات الإشارية التي لا يفكّ شفرتها إلاّ النّاقّد الذّكي، لقد وظّف بيكاسو في إبداعه الفنيّ شذرات من تراثنا

<sup>763</sup> المصدر السابق، ص: 100.

<sup>764</sup> نفسه، ص: 101.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

العربي الإسلامي الذي تركناه هناك في فردوسنا المفقود بلاد الأندلس، فهذه بضاعتنا ردت إلينا وتجلت في فنّ بيكاسو الرّاقِي.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ المقاهي الأدبية في أوروبا لها تاريخ عريق موغل

في القدم ويعبر عن أهميتها التاريخية والحضارية، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "وللمقهى الأدبي في أوروبا تاريخ عريق يرجع إلى القرن السادس عشر: إذ كان الأدباء والفنّانون يلتقون في مقاهي أو حانات تجمع بين الخمارة والمقهى: فيتبادلون الأحاديث إمّا في الشئون العامّة، وإمّا في شئون الأدب أو الفنّ، ويجدون في المقهى مسرحا لاستعراض أصناف مختلفة وأحيانا فريدة، من النَّاس، فيفيدون من هذه المشاهدة في استلهاام موضوعات أدبية أو فنّية ورسم شخصيات فريدة في قصصهم أو لوحاتهم." <sup>765</sup>، من هذه المقاهي الأدبية العريقة في أوروبا خرج الإبداع الإنساني الذي لا يكرّره الزّمن ولا التّاريخ الحضاري للشعوب المبدعة، لقد ساهمت هذه المقاهي الأدبية في نهضة الفنّ الأوروبي وفي بعث الأدب الأوروبي من جديد وتحريره من قبضة الفلسفة اليونانية التي سيطرت على العقل الأوروبي خاصّة في القرون الوسطى، وساهمت الفلسفة الإسلامية في تحرير أوروبا من سطوة الكنيسة.

كانت المقاهي الأدبية في باريس لها سحرها الخاصّ لأنّ فيها تأسّست حركة

الرّمزيين والوجوديين والسرياليين، يقول بدوي: "كثير من هؤلاء الأدباء كانوا يؤلّفون كتبهم وقصصهم ومقالاتهم النّقديّة والأدبية في هذه المقاهي، بل إنّ كثيرا من الحركات الأدبية، والمجلّات الأدبية، قد تأسّست في هذه المقاهي، خصوصا حركة الرّمزيين والوجوديين والسرياليين، كما أنّ كثيرا من القصائد قد أُلقيت في هذه المقاهي." <sup>766</sup>، فمن رحم هذه المقاهي الأدبية في باريس خرجت جميع الحركات الأدبية والفكرية والفلسفية والفنّية التي

<sup>765</sup> نفسه، ص: 47.

<sup>766</sup> نفسه، ص: 48.

غيّرت وجه التاريخ الإنساني في أوروبا بل وفي العالم بأسره، ولكن للأسف الشديد لا يوجد في البلاد العربية الإسلامية هذه المقاهي الأدبية التي منها تنطلق شرارة الثورة الفكرية الكبرى.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ كلّ شيء في مصر تميّع وصار يبعث على الإحباط واليأس والقنوط، فالسلطة في مصر ظالمة ومستبدّة وشعبها مستسلم للذلّ والهوان، يقول بدوي: "يئست نفسي إذن من كلّ شيء في مصر: حاكم طاغية مستبدّ طيّاش، وشعب مسلوب العقل والإرادة مطواع لكلّ ظالم قاهر، وطبقة (متعلّمة) تتنافس وتزايد في تمّلق الحكّام والتزّلف إليهم بمختلف الأساليب كيما يلقي إليها بعض الفتات المتناثر من موائدهم المحتكرة لكلّ أصناف السلّطة".<sup>767</sup>، لقد خانت الطبقة المثقّفة شعبها ووقفت إلى جانب الحاكم الظالم المستبدّ الذي صادر الحريّات وقمع المظاهرات التي طالبت بالتّغيير الجذري لنظام الحكم، وبسبب الاستبداد السّيّاسي والديكتاتورية العسكرية أصبحت مصر معزولة عن العالم الخارجي ثقافيًا وفكريًا كأنّها في جزيرة نائية وبعيدة، يقول بدوي: "وانقطعت العلاقات النّقافية مع العالم الحرّ المتحضّر: فلا استيراد للكتب ولا استيراد للمجلّات العلميّة، ولا تبادل للمعلومات والخبرات، ولا استقدام للعلماء والأدباء والمفكرين، حتّى باتت مصر في عزلة فكرية رهيبية (لا تتسرّب) إليها الكتب والأبحاث العلميّة إلاّ اختلاسا وبمصائب جمّة: مرّة بسبب الرّقابة، وأخرى بسبب انعدام العملة الصّعبة، وهكذا لم يعد في طاقة الباحث أن يتابع ما يجري في العالم من دراسات وأبحاث".<sup>768</sup>، لقد فرضت رقابة صارمة على المؤلّفات والكتب التي تأتي من الخارج لأنّ فيها السّمّ الزّعاف فهي تدعو إلى الفكر الحرّ وإلى الحداثة والتّوير بل تدعو إلى الثورة المضادة التي ستقلب الأوضاع السّيّاسية في مصر رأسا على عقب وستحدث التّغيير الجذري للمجتمع في لمح البصر، وعندما ارتمت مصر في أحضان الاشتراكية سيطر الشيوعيون على الوضع النّقافي هناك، يقول بدوي: "وانحسرت دور النّشر

<sup>767</sup> نفسه، ص: 95.

<sup>768</sup> نفسه، ص: 06.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

والمطابع بسبب التأميم ومنع استيراد أدوات الطبع (من ورق، وحبر وآلات طباعة، ومواد تغليف أو تجليد، إلخ)، حتى كاد النشر ينحصر في دور حكومية (الدار القومية، الهيئة العامة للكتاب، إلخ) سيطر عليها الشيوعيون سيطرة تامة، وحاولوا قصر النشر فيها على أنفسهم أو أذنابهم من الكتاب والمؤلفين، وراموا أن يجعلوا من (اتحاد الكتاب) أداة لحصر النشر في أيدي الشيوعيين وأذنابهم، على غرار نظيره في الاتحاد السوفييتي، وراحوا يسخرون من المؤلفين الأحرار قائلين: اكتبوا ما شئتم، لكنكم لن تجدوا من ينشر لكم ! وتحولت مصر إلى سجن كبير لا يسمح بالخروج منه إلا للسجانين.<sup>769</sup> لأن الإيديولوجية الشيوعية سيطرت على الوضع الثقافي في مصر وهيمنت عليه وأقصت من الساحة الثقافية كل الإيديولوجيات التي تعارضها ولا تدخل في الصف، ولا تمشي معها في الخط السياسي ولا تسايرها في خطتها الفكرية، لقد صارت هذه الإيديولوجية الشيوعية التي وصلت إلى الحكم في مصر وفي الوطن العربي عنوان الاستبداد والقمع السياسي ومصادرة الفكر الحر والرأي الحر، بل تحولت هذه الإيديولوجية الاشتراكية في مصر وفي الوطن العربي إلى عقيدة سياسية وإلى دين فريد من نوعه لا ينتقد أبدا.

لقد صدقت نبوءة بدوي وأصبح أنور السادات رئيسا جديدا لمصر بعد وفاة جمال عبد الناصر سنة 1970 إثر أزمة قلبية حادة عجّلت برحيله عن هذه الدنيا، لقد تميّز عهد السادات بالحرية وبالديمقراطية والانفتاح على الآخر، لقد كان عبد الناصر رجل حرب وديكتاتور من الطراز الرفيع، أما السادات فكان رجل سلام ومتسامحا إلى أقصى درجة، يقول بدوي: "وصدق حزري، فقد أعلن السيد أنور السادات، وكان آنذاك النائب الوحيد لرئيس الجمهورية عن وفاة من قال عنه إنه (من أعزّ الرجال)، وكان السادات قد عين في هذا المنصب في ديسمبر سنة 1969.<sup>770</sup>، يعتبر السادات من أهم الضباط الأحرار الذين ساهموا في قيام الثورة المصرية في 23 جويلية 1952 رفقة جمال عبد الناصر ومحمد

<sup>769</sup> نفسه، ص: 06-07.

<sup>770</sup> نفسه، ص: 238.

نجيب (1901م-1984م)، عندما وصل السادات إلى الحكم تصالح مع جماعة الإخوان المسلمين وهادنهم وأطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين وأطلق العنان للصحة الإسلامية لكي تنشط في مصر وعقد معاهدة سلام مع إسرائيل التي سيدفع ثمنها غاليا في المستقبل عندما يتم اغتياله على يد عنصر خطير ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين إسمه خالد الإسلامبولي (1955م-1982م).

لقد صرّح في سيرته الذاتية بأنه لا ينسى فضل السادات عليه ما دام على قيد الحياة لأنه هو من تدخل وساهم في إطلاق سراحه من السجن عندما أعتقل في ليبيا في سنة 1973 ظلما وعدوانا، يقول بدوي في هذا الصدد ما يلي: "ثم أمضيت في مصر من 8 مايو حتى 7 يوليو سنة 1973، وغداة وصولي ذهبت إلى قصر عابدين لأسجل في سجل التّشريفات شكري الكبير للرئيس السادات لموقفه الكريم العظيم من مسألة اعتقاله ومساغفه الحميدة للإفراج عني، وقد أرسل إلى ليبيا من أجل ذلك مستشاره لشئون ليبيا أشرف مروان فعبر للمسؤولين الليبيين عن اهتمام الرئيس السادات البالغ بأمر إطلاق سراحي فوراً".<sup>771</sup>، فمصر في عهد الرئيس السادات لا تفرط في نخبها الثقافية وتقف إلى جانبهم في السراء وفي الضراء وتحميهم من كلّ الأخطار المحدقة بهم لأنهم هم من يساهمون في نهضة مجتمعهم ورقية الحضاري.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ الجنازات الرسمية في مصر هي مجرد كرنفالات سياسية فقط من أجل ذر الرماد في العيون وتوجيه الرأي العام كما يريدون، يقول بدوي في هذا المقام ما يلي: "لهذا لا ينبغي لأحد أن يقيم لهذه الجنازات في مصر أيّ وزن فيما يتعلق بتقدير (الفقيد)، إنّها مجرد تجمع شعبي كسائر أنواع التّجمعات الشعبية التي يراد بها

<sup>771</sup> نفسه، ص: 253.

للتنفيس والتّويع من رتوب الحياة، وفرصة لمشاهدة الكبراء وذوي النّفوذ من باب حبّ الاستطلاع الزّائف، ومن خطأ الفاحش إذن اتخاذ معيار لمدى التّقدير في نفوس النّاس من عدد المشيعين أو نوعهم في هذه الجنازات الرّسمية الكبيرة.<sup>772</sup> كلّ شيء في الوطن العربي تعرّض إلى التّزييف وقلب الحقائق، فتمّ بيع الأحلام والأوهام للشعوب المغلوبة على أمرها، فصرنا نحن من يصنع البطل والزّعيم الأوحد يمجّده حيّا وميتّا ويجعل من ماتمه عرسا حقيقيّا، فيتحوّل ذلك البطل والزّعيم الأوحد إلى صنم حقيقي له سدنته وخدامه من جيل إلى جيل، لقد صارت الجنازات الرّسمية للشخصيات في الوطن العربي عبارة عن مهرجان كبير فيه تهريج سياسي كثير.

يرى في سيرته الذاتية بأنّ مدينة نيويورك هي مدينة المتناقضات لأنّ فيها الثّراء الفاحش والفقير المدقع، يقول بدوي: "ونيوبيورك هي مدينة المتناقضات الصّارخة: الثّراء الفاحش والفقير المدقع، ناطحات السّحاب والأكواخ الحقيرة، الجادّات الفخمة والأرقة القصيرة الضيّقة، أرفع مظاهر التّمدين وأفحش الجرائم، أمّا اختلاف الدّيانات والمذاهب والأجناس فلا مثيل له في العالم كلّه." <sup>773</sup>، لم تكن يوما ما مدينة نيويورك مدينة الحرّيات بل هي عبارة عن سجن كبير فيه جميع أنواع المظالم والشّرور، كانت مدينة نيويورك مدينة مخيفة بجميع المقاييس، يقول بدوي في هذا الصّدّد ما يلي: "ولمّا كنت ممّن يهون السّير في المدن الكبرى إيّان اللّيل لتعرّف إلى الحياة اللّيلية فيها، فقد استحال عليّ تحقيق هذه المتعة ولم أجروّ على الخروج بعد مغيب الشّمس حتّى للتجوال في الشّوارع المجاورة للفندق الذي كنت أنزل فيه، وزاد في ترويعي أنّ الجادّات الكبرى هي الأخرى كانت قليلة الأضواء في المساء وتغلق فيها المحلّات أبوابها عند السّادسة، فازدادت نفسي انقباضا." <sup>774</sup>، في اللّيل تتحوّل مدينة نيويورك إلى شبح جدّ مرعب ومخيف يسيطر فيها الخوف والرعب لأنّها تصبح مرتعا

<sup>772</sup> نفسه، ص: 239-240.

<sup>773</sup> نفسه، ص: 234.

<sup>774</sup> نفسه، ص: 236.

للمنحرفين يعيثون فيها فسادا كبيرا ظاهرا للعيان، لم تكن يوما ما مدينة نيويورك مدينة الأحلام الوردية بل أصبحت في واقع الأمر مدينة السراب تتبع الوهم إلى كل من يزورها أو يريد الإقامة الأبدية في ربوعها الفسيحة، فبدوي لم يكن مرتاحا في مدينة نيويورك بل كان يشعر بغربة وجودية رهيبية تجعله يشعر بالحزن الدائم وبالاكتئاب الشديد، يقول بدوي: "وقد رددت نفسي هذا القسم نفسه وأنا في نيويورك وهو ألا أعود إليها ولا إلى أي مدينة أخرى في الولايات المتحدة الأمريكية إلا إذا اضطررتي إلى ذلك عوامل قاهرة، ولهذا ورغم مرور سبعة عشر عاما فإني لم أفكر أبدا في زيارة الولايات المتحدة مرة ثانية، بينما أنا أزور أوروبا كل عام وبشوق بالغ ولهفة حارة." <sup>775</sup> ، فبدوي لم يخلق لكي يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، بل خلق لكي يعيش في أجواء جنّة أوروبا السّاحرة التي لا يوجد لها مثل في بلاد هذه الدّنيا الموحشة، لقد وجد في أوروبا راحتة الوجودية التي جعلته يقتحم قلاع الفلسفة الوجودية الحصينة ويتعرّف على أسرار الفلسفة اليونانية والفلسفة الغربية الحديثة التي رأت النور في سماء نهضة أوروبا الحديثة وساهمت في صناعة بريق الحداثة الغربية الوهاج.

لقد لاحظ في سيرته الذاتية عندما زار مدينة نيويورك لأول مرة انعدام المقاهي الأدبية في هذه المدينة المفتوحة على العالم بأسره كأنّ عالم الأدب العجيب لا يستهوي سكّانها، يقول بدوي: "وزاد نفوري من نيويورك عدم وجود المقاهي على النّحو المعروف في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا والنّمسوا وسويسرة وغيرها، وأنا مولع بالجلوس في المقاهي في كلّ أوقات فراغي، وكلّ ما هناك في نيويورك كافتريات لتناول وجبات خفيفة أو بعض المشروبات، وعليك أن تغادر المكان فور انتهائك من الطّعام والشّراب، وهو نفس الحال التي شاهدتها في لندن وأقسمت بعدها ألا أعود إليها إلا مضطرا." <sup>776</sup> ، فالمقاهي الأدبية وجودها ضروري في كلّ مجتمع يتوق إلى الحداثة وإلى التّنوير لأنّها تساهم في التّهضة الحضارية للمجتمعات الباحثة عن الرّقي والازدهار، فمجتمع تتعدم فيه هذه

<sup>775</sup> نفسه، ص: 236.

<sup>776</sup> نفسه، ص: 236.

الفضاءات الإبداعية الثقافية الحرّة هو مجتمع خامل يسيطر عليه الفكر الخرافي الذي يدمّر المجتمعات ويساهم في انحطاطها الحضاري، فهذه المقاهي الأدبية لها رسالة حضارية وإنسانية تساهم في صناعة وعي الإنسان المعاصر.

كان يشعر باغتراب وجودي وبفراغ روحي وهو يزور الولايات المتحدة الأمريكية، لأنّه لم يخلق لأمریکا ولا لحضارتها المادية الموحشة التي تجعل الإنسان يكره هذه الحياة كرها شديدا لأنّه يعاني من فراغ روحي رهيب في هذا الكوكب الأزرق الرّهيب، كان يهوى أوروبا وما فيها من حضارة برّاقة لأنّه وجد فيها راحته الوجودية وتشبّع الروحي والوجداني، ففي أوروبا عرف أسرار وطقوس الفلسفة الوجودية واكتشف عوالم الأدب الأوروبي العجيب ولامس بروحه الشّفاقة أريج الفنّ الأوروبي السّاحر، يقول بدوي في هذا الصّدّ ما يلي: "إنّ هذا الوضع الشّاذّ العجيب لم أجدّه حتّى في إنجلترا نفسها، إذ المكتبات في إنجلترا تحتوي على رصيد ضخم من الكتب المعروضة أمامك، تستطيع أن تطلّع على ما تشاء منه، فإن رأيتّه مفيدا لك اقتنيتّه بالشّراء وأنت مطمئن إلى أنّ النّمن الذي دفعته لم يضع سدى. ومن هذه النّاحية أيضا، وهي عندي في غاية الأهمّيّة، ازددت نفورا من ذلك البلد الشّاذّ الغريب، أعني الولايات المتحدة الأمريكية. فوداعا إذن وإلى غير عودة أيّها البلد الذي لم يخلق لي ولم أخلق له!"<sup>777</sup>، لأنّه خلق لكي يمتح من معين الحضارة الأوروبية الصّافي وفيها حاول أن يكتشف ذاته الوجودية المبدعة التي حلّقت بعيدا في أجواء الفلسفة الوجودية الفسيحة، لقد عرف في أوروبا كلّ أنواع الحبّ الوجودي الصّوفي الخالص المتمثّل في حبّ المرأة والطّبيعة معا، لقد ساهمت الحضارة الأوروبية في صناعة شخصيته الوجودية التي نعرفها الآن، لأنّه يعتبر من روّاد الفلسفة الوجودية في مصر وفي الوطن العربي بلا منازع وأحد المساهمين في بلورة الوعي الحضاري للإنسان العربي المسلم خاصّة في هذا العصر عصر الحداثة والتّنوير.

<sup>777</sup> نفسه، ص: 237.

يرى في سيرته الذاتية بأن مدينة شيراز الإيرانية هي بمثابة مدرسة رائدة في فن التصوير، يقول بدوي: "وشيراز تشتهر بالسجاد الشيرازي، وأفضل أنواعه النوع المعروف بالفشائي ولشهرة مدرسة التصوير في شيراز بعث إمبراطور الهند: أكبر (المتوفى سنة 1605) إلى شيراز واستدعى أحد المصوِّرين المشهورين فيها، ويدعى عبد الصمد، للتدريس في مدرسة التصوير التي أنشأها أكبر في دهلي، وعلى يده تخرَّج عدد من المصوِّرين الهنود في القرن السادس عشر."<sup>778</sup>، لقد ولد فن التصوير في إيران وفيها ازدهر وتطوّر على أيدي رسّامين عباقرة خلّدهم التاريخ.

لقد تعجّب في سيرته الذاتية من إطلاق لقب آية الله على رجال الدين في إيران عندما قال: "أما لقب (آية الله) فيلقب به رجال الدين بعامة في إيران، وأما مراجع التقليد فيلقبون بلقب (آية الله العظمى). وقد تعجّبت من هذه التسمية، فسألت بعض رجال الدين ممّن صارت تربطني بهم صداقة عن السبب في اتخاذهم هذا اللقب، فقالوا: إنّ كلّ مخلوق آية من آيات الله، فسألتهم: ولماذا تختصّون أنفسكم بهذا اللقب دون سائر النّاس إذن؟ فلم يجيروا جوابا واعتصموا بالابتسام الماكر."<sup>779</sup>، فلعب آية الله في إيران هو مجرد لقب أطلق على رجال الدين من أجل إضفاء طابع القداسة عليهم ولكي لا تناقش آرائهم الجريئة في الدين نقاشا علميا جادا وصريحا، لقد ارتبط لقب آية الله بالعقيدة الشيعية التي هيمنت وتوغّلت في المجتمع الإيراني توغلا شديدا، وكانت تقوم على مبدأ العصمة والتقية والولاء لآل البيت، لقد تميّز الفكر الشيعي بالغلو في المنطق والولع بالعرفان الفلسفي الذي قام على فكرة الإمامة التي ساهمت في ظهور ما يسمّى بالفلسفة الإشراقية وفلسفة المتألّهين العرفاء.

يرى في سيرته الذاتية بأن الفتاة الإيرانية فتاة محافظة لأنّ مجتمعها حدّد لها مساحة ضيقة من الحرية لكي تتحرّك في نطاقها ولا تتجاوز الخطوط الحمراء التي رسمها

<sup>778</sup> نفسه، ص: 354.

<sup>779</sup> نفسه، ص: 309.

## الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي

المجتمع الشيعي في إيران، يقول بدوي: "فما أصعب التّعرف إلى الفتيات أو السيّدات في إيران! ومهما قيل عن تحرّر المرأة في إيران منذ بدأ بذلك الشّاه السّابق رضا بهلوي، في سنة 1935، فإنّ الاحتجاز والاحتشام استمرّ طبعاً أصيلاً في المرأة الإيرانية. لقد كان تحرّر المرأة في ملابسها فقط، أمّا في سلوكها فقد بقيت كما هي: شديدة المحافظة، حريصة كلّ الحرص على عفافها، وإنّ ابتسمت لم يكن في ابتسامتها ما يشجّع على طلب المزيد." <sup>780</sup>، لقد حافظت المرأة الإيرانية على عقنّها قبل قيام الثورة الإيرانية في إيران سنة 1979 على يد الإمام الخميني (1902م-1989م) وبعدها، لأنّ المجتمع الإيراني حتّى في عهد الشّاه رضا بهلوي (1919م-1980م) هو مجتمع بدويّ محافظ يعتبر المرأة مجرد سلعة تباع وتشتري في نطاق العبودية أو هي أمة سخّرت لخدمة الرّجل تحت إطار ما يعرف بالزّواج، وبالمختصر المفيد فإنّ المرأة الإيرانية لم تتحرّر بعد من عبوديتها للرّجل ولم تتل حقّها الكامل في المجتمع الإيراني.

يتصوّر في سيرته الدّاتية المجتمع الإيراني بأنّه مجتمع غير إباحي لأنّه لا يوجد في مدنه العديدة لا الحانات ولا بيوت الدّعارة، يقول بدوي: "فلا حانات في طهران أو غيرها من مدن إيران، ولا ساقى ولا مغنيّة، ولا ناي ولا عود ولا طنبور يعزف عليها في أماكن عامّة، وكلّ ما يتداعى في البال من (غزليات) حافظ هو محض تخيل وليس له مع الواقع أيّ سبب." <sup>781</sup>، لأنّ شعر الغزل في بلاد فارس (إيران) أغلبه منحول ولا يصدّر الواقع الحقيقي للمجتمع في ذلك العصر، حتّى رباعيات عمر الخيام (1048م-1131م)، لا تمثّل المجتمع الإيراني ولا المرأة الإيرانية، يقول بدوي موضّحاً هذه الفكرة ما يلي: "ولهذا سرعان ما تبدّدت الصّورة التي كانت في مخيلتي عن المرأة الإيرانية، تلك الصّورة الوردية الرّاهية التي طبعتها في خيالي التّروبيقات التي تحلّي (رباعيات) عمر الخيام بخاصّة في طبعتها الإيرانية العديدة، وأدركت أنّ أكبر خطأ يرتكبه الإنسان هو أن يستمدّ من (رباعيات) الخيام في نصّها

<sup>780</sup> نفسه، ص: 382.

<sup>781</sup> نفسه، ص: 382.

وفيما تحلّى به من تزويقات-آية فكرة صحيحة عن واقع الحال في طهران وسائر المدن الإيرانية.<sup>782</sup>، فشر عمر الخيام يغلب عليه الجانب الصوفي والطابع الفلسفي الإشراقي الذي يجعل النفس تفنى فناء كلياً وتاماً في الحضرة المحمدية وفي حضرة الذات الإلهية الأحدية والواحدية، يعتبر عمر الخيام من العارفين بالله الذين عرفوا الله حق المعرفة وقدره حق قدره ودلّوا عليه في شعرهم، وعندما يتحدّث في شعره عن الخمر هو لا يقصد خمر الدنيا وإنما يقصد المحبة الإلهية التي تذهب عقل المحبّ لله والعاشق له وتجعله يدهش ويحير وبطيش عقله كأنه ثمل سكران، وعندما يتحدّث في شعره عن المرأة متغزلاً هو لا يقصد ذلك الكائن الرقيق الشفاف وإنما يقصد التغزل بالذات الإلهية التي وصل إلى معرفتها وصولاً حقيقياً، فشر عمر الخيام هو شعر باطني لأن له بنية سطحية وبنية عميقة تساهم توسيع أفق القارئ وتفتح باب التأويل على مصراعيه للمتلقّي.

من خلال تجوالنا في مروج مباحث هذا الفصل نكون قد خرجنا بالنتائج الآتية وهي كما يلي:

- 1- حاول في سيرته الذاتية أن يكون موضوعياً ومحايداً في طرحه للأفكار.
- 2- نلمس في سيرته الذاتية نزعة التمرد والثورة على كلّ شيء.
- 3- كانت سيرته الذاتية عبارة عن جنس هجين فيه كل أشكال التعبير السير الذاتي من شعر ورواية وخاطرة وأدب الرحلات.
- 4- في سيرته الذاتية نلاحظ بأنه يعاني من عقدة أوديب ومن عقدة ألكترا لأنه كان يكره والده ووالدته كرها شديداً.
- 5- لقد حاول في سيرته الذاتية أن يقرأ الطبيعة قراءة وجودية صوفية حاملة.

<sup>782</sup> نفسه، ص: 382.

- 6- لقد حاول في سيرته الذاتية أن يقرأ الفنّ والموسيقى قراءة وجودية صوفية حالمة.
- 7- لقد عبّرت هذه السيرة الذاتية عن مراجعات فكرية لم يعلن عنها صراحة كعودته للإسلام وتركه الإلحاد نهائياً على سبيل المثال لا الحصر.
- 8- لقد كسّر في سيرته الذاتية كلّ التّابوهات لأنّه تحدّث عن الجنس بكلّ أريحية وانتقد تقريباً كلّ ساسة العالم انتقاداً لاذعاً من عهد هتلر إلى السّادات.

**خاتمة:**

إنّ إعداد هذه الرسالة التي كانت تحت عنوان "استنطاق المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند عبد الرحمن بدوي" قد سمحت لنا بالولوج إلى دهاليز فلسفته الوجودية التي قامت على أساس تمجيد ذات الإنسان الوجودية الذي يحاول تحقيق كينونته الوجودية على ظهر هذه البسيطة، لقد استطاع من خلال مؤلفاته العديدة تأسيس فلسفة وجودية في مصر وفي الوطن العربي تدعو إلى تمجيد العقل الحرّ الذي يساهم في صناعة الوعي الحضاري للإنسان العربي المسلم خاصّة في هذا العصر الذي يتوق فيه الإنسان إلى الحداثة وإلى التنوير وإلى الفكر الحرّ.

لقد حاولنا في هذه الرسالة أن نقرأ مدونته الفكرية قراءة موضوعية تحمل في جعبتها جرأة السؤال والمناورة الفكرية التي تساهم في الحفر في الأسس المعرفية التي قامت عليها فلسفته الوجودية وهي فلسفة ساهمت في صناعة البنية الفكرية للإنسان الحداثي في هذا العصر عصر النجوم والأنوار والفكر الحرّ.

لقد اتخذ من الفلسفة الوجودية مذهبه في هذه الحياة استطاع من خلالها أن يكتشف سرّ هذه الحياة وما فيها من ألغاز وجودية لا يدركها إلاّ الرجل الحاذق الكيس الفطن الحكيم الذي وقف على هامش الحياة لكي يدرس دراسة فاحصة أسرار هذا الوجود وما فيه من غموض وحيرة وتيه، استطاع أن يفكّ شيفرة الوجود من خلال مناوشته لموضوع الموت وما فيه من أسئلة وجودية طافحة بالقلق الوجودي الذي أحدثه الاغتراب الروحي الذي باغت الإنسان المعاصر الذي ارتقى في أحضان الحداثة.

كانت سيرته الذاتية الموسومة بـ: (سيرة حياتي) هي أهمّ محطة فكرية في حياته لأنّها حملت خلاصة مشروعه الفكري والفلسفي المتمثل في دعوة الناس إلى التّخندق في دهاليز الفكر الوجودي خاصّة في مصر وفي الوطن العربي، لأنّ الفلسفة الوجودية هي التي

ستخلّص الإنسان المعاصر من كلّ القيود الفكرية التي وضعتها الحداثة أمام الإنسان المفكّر صاحب العقل الحرّ الذي استطاع أن يحطّم صنم الخرافة في عقر داره.

بعد رحلة فكرية ممتعة في عوالمه الفكرية والفلسفية استطعت الخروج بهذه النّتائج الآتية، وهي بمثابة بداية وإرهاص لطرح أسئلة جديدة في قادم الأيام، وتتمثّل هذه النّتائج العلمية الموضوعية الدّقيقة فيما يلي:

1- يعتبر من رواد الفلسفة الوجودية في مصر وفي الوطن العربي وحاول أسلمة الوجودية الغربية وتدنّيها بدثار الصّوفية الشّرقية الإسلامية وهو مؤرّخ للفلسفة الوجودية وللفلسفة الغربية القديمة والحديثة والمعاصرة وللفلسفة العربية الإسلامية القديمة والحديثة والمعاصرة وقدم للقارئ العربي عيون الأدب اليوناني القديم والأدب الألماني الحديث والأدب الإسباني الحديث وروائع الأدب الهولندي الحديث.

2- يعتبر من رواد الشّعْر الوجودي في مصر وفي الوطن العربي وناقداً فنيّاً وجودياً من الطّراز الرّفيع، وكانت فلسفته في الحبّ فلسفة وجودية بحتة تحمل في أعماقها الصّدي الصّوفي وفي أواخر حياته نضج فكره الوجودي وعاد إلى الإسلام ونزع جبّة الإلحاد وعاد إلى الحقّ وإلى الصّواب.

3- كانت روايته (هموم الشّباب) عنوان الصّراحة والبوح والاعتراف الدّاتي وعبرت عن نزعتة النّازية المتمرّدة على كلّ شيء ونجد في روايته هذه أصداً أدب الهامش الذي يقتحم قلاع المسكوت عنه والمتمثّل في الحديث عن الجنس بكلّ حرية دون خوف من الرّقيب ونجد نقداً لاذعاً لظاهرة الدّعارة التي انتشرت في مصر خاصّة في عهد الإنجليز.

4- كانت روايته (الحرور والنور) هي السّيرة الدّاتية له وهي التي أرخت لغرامه السّادر الذي جعله يصاب بعقدة أوديب ويكره المرأة كرها شديداً، وحاول أن يقرأ جمال فنّ المعمار الكنسي القوطي قراءة وجودية طافحة بالحمولة الصّوفية وعبرت هذه الرّواية عن التّسامح الدّيني الذي

يجب أن يكون بين الدين الإسلامي وبين الدين المسيحي خاصّة في مصر وفي لبنان لأنّها رواية وجودية تحاول الحفر في أعماق الذات الإنسانية التي أرّقها الاكتئاب والقلق الوجودي.

5- كان في سيرته الذاتية موضوعيًا ومحايدًا في طرحه للأفكار وحاول أن يقرأ الفنّ والموسيقى والطبيعة قراءة وجودية حاملة ونلاحظ في سيرته الذاتية بأنّه يعاني من عقدة أوديب ومن عقدة ألكترا لأنّه كان يكره والده ووالدته كرها شديدًا.

6- إنّ خطاب السيرة الذاتية عنده طافح بالمسكوت عنه الذي استطاع أن يختفي وراء ظلال الصراحة والصدق والبوح والاعتراف الذاتي وكلّ هذه الأشياء ساهمت في تأنيث عوالم السيرة الذاتية ذات البعد الواقعي.

7- استطاع من خلال سيرته الذاتية اقتحام كلّ التابوهات وما فيها من حساسيات نفسية واجتماعية لأنّه أراد أن يقول كلّ شيء دون أن يخشى ردّة فعل القارئ الذي قد لا تعجبه الصراحة ولا الحقائق الصادمة.

8- كانت سيرته الذاتية بمثابة مراجعات فكرية أهمّها تحوّلها من الإلحاد إلى الإيمان لأنّه وقع في مأزق الخوف من الموت ومن المجهول، كما أنّه حاول أن يعيد النظر في بعض أفكاره الوجودية كالموقف من الدين ومن الموت على سبيل المثال لا الحصر.

9- لقد حملت سيرته الذاتية في جعبتها نزع التمرّد والثورة على كلّ شيء، لأنّه أراد من خلال فكره أن يحدث ثورة فكرية عارمة في مصر وفي الوطن العربي، كان بمثابة ذلك المثقّف العضوي الذي حاول إصلاح مجتمعه وتخليصه من الخرافة ومن الجمود

الفكري، فالأفكار الجديدة لا تموت بموت صاحبها وإنما تبقى خالدة على مرّ التاريخ، وبالتالي سيبقى فكره خالدا ما دامت السماوات والأرض.

10- تبدو لغته من خلال سيرته الذاتية سهلة وواضحة لأنها تخاطب العقل والوجدان والضمير الحيّ وتساهم في تكسير حاجز الخوف لدى القارئ التي ساهمت في صناعته الكتابات الفكرية والفلسفية المعقدة.

11- نجد في رواياته الوجودية أصداء السيرة الذاتية لأنها روت قصة حياته من زاوية وجودية ولامست ذاته الوجودية بكلّ أريحية، كانت لغته الروائية لغة شاعرية حالمة طافحة بالحمولة الصوفية وتكاد تقترب من لغة الأحاسيس والعواطف الجياشة التي تمتح من معين الإبداع الإنساني.

12- لقد جمع نصّه السّير ذاتي كلّ الأجناس الأدبية المختلفة والتي تتمثّل في أدب الاعترافات الذاتية وأدب السيرة الذاتية وأدب السيرة الغيرية وأدب الرّحلات والرواية والمقالة والتّقرير الصحفيّ والشعر والخاطرة.

13- نجد في شعره النّزعة الوجودية الصّوفية الحالمة التي تجعل الإنسان يحلّق بعيدا في أجواء الشّعر الإنساني الخالد الذي يمجد عاطفة الإنسان ويحقّق كينونته الوجودية، لأنّ الإنسان خلق لكي يكون مبدعا في هذه الحياة وسيترك أثرا طيّبا بعد رحيله عن هذه الدّنيا.

14- تحوّل في أواخر حياته إلى أكبر مدافع عن الإسلام بالرغم من نزعته الإلحادية، دافع بكلّ صدق عن القرآن الكريم وعن الرسول الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم ووقف وقفة شموخ أمام المستشرقين الذين حاولوا الطعن في الإسلام من خلال الهجوم على رموزه، ولقد ردّ عليهم ردوداً لاذعة أوقفتهم عند حدّهم.

15- إنّ استتطاق المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عنده يتطلّب من القارئ (الناقد) أن يكون مثقفاً ثقافة موسوعية حتّى يتسنى له القبض على أثر المسكوت عنه الكامن في عتبات النّصّ العديدة.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفّقت في بحثي هذا ذلك التّوفيق الذي يحقق أملي في هذه الحياة وهو البحث عن الحقيقة والحقيقة فقط لأنّها هي ضالة الباحث الجادّ أنّى وجدها فهو أولى بها وأهل لها، والله من وراء القصد وهو يهدي السّبيل.

مكتبة البحث:

## فهرس المصادر والمراجع:

## (أ) - المصادر العربية:

- 1 ابن رشد: تلخيص الخطابة، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان.
- 2 -ابن سبعين (أبو محمد عبد الحق المرسي الأندلسي): رسائل ابن سبعين، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر.
- 3 -ابن سينا: البرهان، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، دار النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1966.
- 4 -ابن سينا: عيون الحكمة، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1980.
- 5 الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، ج 1، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1954.
- 6 -الأفلاطونية المحدثة عند العرب، مجموعة من النصوص، حققها وقدم لها: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، ط2، 1977.
- 7 -أفلوطين عند العرب، نصوص حققها وقدم لها: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1955.
- 8 -بدوي (عبد الرحمن): أرسطو عند العرب، دراسة ونصوص غير منشورة، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السالم، الكويت، ط2، 1978.
- 9 بدوي (عبد الرحمن): الحور والنور، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1951.
- 10 بدوي (عبد الرحمن): سيرة حياتي، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

- 11 بدوي (عبد الرحمن): سيرة حياتي، ج 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 12 بدوي (عبد الرحمن): مخطوطات أرسطو في العربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1959.
- 13 -بدوي (عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
- 14 بدوي (عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
- 15 -بدوي (عبد الرحمن): موسوعة المستشرقين، طبعة جديدة منقحة ومزينة بثمانين مادة جديدة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1993.
- 16 -بدوي (عبد الرحمن): هموم الشباب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 2، 1946.
- 17 -التّوحيدي (أبو حيان): الإشارات الإلهية، ج 1، حقّقه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، مصر، 1950.
- 18 -الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح وتعليق: الشيخ محمّد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
- 19 -الزّازي (محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر): مختار الصّاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1989.
- 20 -مسكويه (أبو علي أحمد بن محمّد): الحكمة الخالدة، جاويدان خرد، حقّقه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1952.
- 21 منطق أرسطو، الجزء الأول، حقّقه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

22 وهبه (مجدي)، المهندس (كامل): معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،  
مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

ب) -المصادر المترجمة:

1) -أرسطوطاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حقّقه وعلّق عليه: عبد الرّحمن بدوي،  
وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان، 1979.

2) -أرسطوطاليس: الطّبيعة، ج 1، ترجمة: إسحاق بن حنين، مع شروح: ابن السّمح ومثّى  
بن يونس وابن عدي وأبي الفرج بن الطّيب، حقّقه وقدم له: عبد الرّحمن بدوي، الهيئة  
المصرية العامّة للكتاب، ط1، 1984.

3) -أرسطوطاليس: الطّبيعة، ج 2، ترجمة: إسحاق بن حنين، مع شروح: ابن السّمح ومثّى  
بن يونس وابن عدي وأبي الفرج بين الطّيب، حقّقه وقدم له: عبد الرّحمن بدوي، المكتبة  
العربية، القاهرة، مصر، 1965.

4) -أرسطوطاليس: فنّ الشّعْر، مع التّرجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن  
رشد، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقّق نصوصه: عبد الرّحمن بدوي، مكتبة التّهضة  
المصرية، القاهرة، مصر، 1953.

5) -أوروسوس: تاريخ العالم، التّرجمة العربية القديمة (منتصف القرن الرّابع الهجري)،  
حقّقها وقدم لها: عبد الرّحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط 1،  
1982.

6) -تراجيديات سفوقليس، ترجمها عن اليونانية وقدم لها وعلّق عليها: عبد الرّحمن بدوي،  
المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

- (7) - ثريانتس: دون كيخوته، (الجزء الأول)، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار المدى، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998.
- (8) - جيته: الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1980.
- (9) - جيته: فاوست، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار المدى، دمشق، سورية، ط2، 2007.
- (10) - سارتر (جان بول): الوجود والعدم، بحث في الأنطولوجيا الظاهرانية، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1966.
- (11) - شلر (فريدرش): اللصوص، ترجمة وتقديم: عبد الرحمن بدوي، وزارة الإعلام، الكويت، 1980.

ج) - المصادر بالفرنسية:

- 1- Genette (Gérard) : figuresI, éditions du seuil, paris, France, 1966.
- 2- Genette (Gérard) : figuresII, éditions du seuil, paris, France, 1969.
- 3-Genette (Gérard) : figuresIII, éditions du seuil, paris, France, 1972.

د) - المراجع العربية:

- 1- أبو موسى (محمد محمد): المسكوت عنه في التراث البلاغي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 2017.

- 2- إبراهيم (عبد الله): السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992.
- 3- إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين: دراسات مهداة من أصدقائه وتلاميذه، أشرف على إعدادها: عبد الرحمن بدوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1962.
- 4- الباردي (محمد): عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005.
- 5- بدوي (عبد الرحمن): الأخلاق عند كنت، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، 1979.
- 6- بدوي (عبد الرحمن): الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السالم، الكويت، 1975.
- 7- بدوي (عبد الرحمن): الأدب الألماني في نصف قرن، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1994، العدد: 181.
- 8- بدوي (عبد الرحمن): اشبنجلر، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان، 1982.
- 9- بدوي (عبد الرحمن): أفلاطون في الإسلام، نصوص حققها وعلق عليها، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1980.
- 10- بدوي (عبد الرحمن): الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2005.
- 11- بدوي (عبد الرحمن): الإنسان الكامل في الإسلام، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السالم، الكويت، ط2، 1976.

12-بدوي (عبد الرحمن): الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان، 1982.

13-بدوي (عبد الرحمن): تاريخ التصوّف الإسلامي، من البداية حتّى نهاية القرن الثّاني، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السّالم، الكويت، ط1، 1975.

14-بدوي (عبد الرحمن): حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في البلاغة والشّعر، القاهرة، مصر، 1961.

15-بدوي (عبد الرحمن): حيّ بن يقظان لابن طفيل، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، مصر، 1995.

16-بدوي (عبد الرحمن): خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط4، 1970.

17-بدوي (عبد الرحمن): دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

18-بدوي (عبد الرحمن): دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

19-بدوي (عبد الرحمن): ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط3.

- 20-بدوي (عبد الرحمن):الزّمان الوجودي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1973.
- 21-بدوي (عبد الرحمن): شطحات الصّوفية، أبو يزيد البسطامي، الجزء الأوّل، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السّالم، الكويت.
- 22-بدوي (عبد الرحمن):شهيذة العشق الإلهي، رابعة العدوية، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1962.
- 23-بدوي (عبد الرحمن): شوبنهور، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان.
- 24-بدوي (عبد الرحمن): فلسفة الجمال والفنّ عند هيجل، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- 25-بدوي (عبد الرحمن): فلسفة الدّين والتّربية عند كنت، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
- 26-بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، لبنان، ط3، 1979.
- 27-بدوي (عبد الرحمن): فلسفة القانون والسياسة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979.
- 28-بدوي (عبد الرحمن): فلسفة القانون والسياسة عند هيجل، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

- 29-بدوي (عبد الرَّحمن): الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
- 30-بدوي (عبد الرَّحمن): مؤلفات ابن خلدون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1962.
- 31-بدوي (عبد الرَّحمن): مؤلفات الغزالي، وكالة المطبوعات، 22 شارع فهد السّالم، الكويت، ط2، 1977.
- 32-بدوي (عبد الرَّحمن): مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السّالم، الكويت، ط1، 1975.
- 33-بدوي (عبد الرَّحمن): مذاهب الإسلاميين، الدّروز، المجلد الأوّل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1973.
- 34-بدوي (عبد الرَّحمن): مذاهب الإسلاميين (المعتزلة، الأشاعرة، الإسماعيلية، القرامطة، النّصيرية)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1997.
- 35-بدوي (عبد الرَّحمن): مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، شارع فهد السّالم، الكويت، ط3، 1977.
- 36-بدوي (عبد الرَّحمن): من تاريخ الإلحاد في الإسلام، دار سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1993.

37-بدوي (عبد الرحمن): المنطق الصوري والرياضي، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، ط4، 1977.

38-بدوي (عبد الرحمن): الموت والعبقرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 2، 1962.

39-بدوي (عبد الرحمن): نيتشه، وكالة المطبوعات، 27 شارع فهد السالم، الكويت، ط 5، 1975.

40-بنكراد (سعيد): السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط3، 2012.

41-بوزواوي (محمد): قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

42-بوقرة (نعمان): لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

43-ثامر (فاضل): المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، دار المدى، دمشق، سورية، ط1، 2004.

44-حرب (علي): هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

- 45-حسن (محمد عبد الغني): التّراجم والسّير، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1969.
- 46-حمّودة (عبد العزيز): الخروج من النّيه، دراسة في سلطة النّصّ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر 2003، العدد: 298.
- 47-حمّودة (عبد العزيز): المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التّفكيك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، إبريل 1998، العدد: 232.
- 48-حمّيش (سالم): معهم حيث هم، لقاءات فكرية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 2، 1988.
- 49-السّماهيجي (حسين) وآخرون: عبد الله الغدّامي والممارسة النّقديّة والثّقافيّة، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2003.
- 50-شاكر (تهاني عبد الفتّاح): السّيرة الذاتيّة في الأدب العربي، فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عبّاس نموذجاً، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2002.
- 51-الشّاوي (عبد القادر): الكتابة والوجود، السّيرة الذاتيّة في المغرب، أفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، 2000.
- 52-الشّنقيطي (محمد الأمين): مذكرة في أصول الفقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربيّة السّعودية، ط 5، 2001.

- 53-صالح (بشرى موسى): بوطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 2012.
- 54-ضيف (شوقي): الترجمة الشخصية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1987.
- 55-عبد المطلب (محمد): البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1994.
- 56-عبيد (محمد صابر): التشكيل السيرداتي، التجربة والكتابة، دار نينوى، دمشق، سورية.
- 57-عطية (أحمد عبد الحليم): جاك دريدا والتفكيك، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- 58-عطية (أحمد عبد الحليم): عبد الرحمن بدوي، نجم في سماء الفلسفة، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- 59-عياشي (منذر): الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
- 60-العيادي (عبد العزيز): ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

- 61-غالي (وائل): دفاع عبد الرحمن بدوي عن الزّمان، دار النّقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997.
- 62-الغذّامي (عبد الله محمّد): تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز النّقاقي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 2005.
- 63-الغذّامي (عبد الله): النّقافة التّلفزيونية، سقوط النّخبة وبروز الشّعبي، المركز النّقاقي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 2005.
- 64-الغذّامي (عبد الله محمّد): ثقافة الوهم "مقاربات حول المرأة والجسد واللّغة"، المركز النّقاقي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
- 65-الغذّامي (عبد الله محمّد): حكاية الحداثة في المملكة العربية السّعودية، المركز النّقاقي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط3، 2005.
- 66-الغذّامي (عبد الله محمّد): الكتابة ضدّ الكتابة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
- 67-الغذّامي (عبد الله محمّد): المشاكلة والاختلاف، قراءة في النّظرية النّقديّة العربيّة وبحث في الشّبيه المختلف، المركز النّقاقي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.
- 68-الغذّامي (عبد الله محمّد)، اصطيف (عبد النّبي): نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004.

- 69-الغذامي (عبد الله): النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005.
- 70-فضل (صلاح): أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى، دمشق، سورية، ط 1، 2003.
- 71-فهيم (حسين محمد): أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1978، العدد: 138.
- 72-اللاوندي (سعيد): عبد الرحمن بدوي، فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام، مركز الحضارة العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
- 73-مجموعة من الأساتذة: مقالات في تحليل الخطاب، تقديم: حمّادي صمّود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 2008.
- 74-محمد (عزة شبل): علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق، تقديم: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2009.
- 75-المناصرة (حسين): وهج السرد، مقاربات في الخطاب السردى السعودى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.
- 76-منصور (أنيس): في صالون العقّاد كانت لنا أيّام، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 3، 1993.

77-مونسي (حبيب): نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأديب، السّانيا،  
وهران، 2007.

78-النّابي (ممدوح فرّاج): رواية السّيرة الذاتية في مصر، دراسة في التّأصيل... والتّشكيل،  
الهيئة العامّة لقصور النّقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2011.

79-يقطين (سعيد): انفتاح النّصّ الرّوائي، النّصّ والسّياق، المركز النّقاقي العربي، الدّار  
البيضاء، المغرب، ط2، 2001.

80-يقطين (سعيد): السّرد العربي، مفاهيم وتجلّيات، دار رؤية للنشر والتّوزيع، القاهرة،  
مصر، ط1، 2006.

#### هـ - المراجع المترجمة:

1) -إيكو (أومبرتو): حكايات عن إساءة الفهم، ترجمة: ياسر شعبان، الهيئة العامّة لقصور  
النّقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

2) -بارت (رولان): الكتابة في درجة الصّفّر، ترجمة: محمّد نديم خشفة، مركز الإنماء  
الحضاري، حلب، سورية، ط1، 2002.

3) -بدوي (عبد الرّحمن): دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه، ترجمة: كمال جاد الله، الدّار  
العالمية للكتب والنّشر، الجيزة، مصر.

4 - بدوي (عبد الرحمن): دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقسين من قدره،

ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، الجيزة، مصر، 1999.

5 - بروس (إليزابيث): الذات والدواء، السيرة الذاتية في الأدب والسينما، ترجمة وتقديم: عمر

حلي، مطبعة دار القرويين، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.

6 - بلاثيوس (أسين): ابن عربي، حياته ومذهبه، ترجمه عن الأسبانية: عبد الرحمن بدوي،

مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1965.

7 - بنروي (ج): مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ترجمة: عبد الرحمن بدوي،

مراجعة: محمد ثابت الفندي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1964.

8 - التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، ألف بينها

وترجمها: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1940.

9 - دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، ترجمها عن الألمانية والإنجليزية

والفرنسية: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

10 - ريكور (بول): نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي،

المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.

11 - شخصيات قلقة في الإسلام، دراسات ألف بينها وترجمها: عبد الرحمن بدوي، دار

النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط2، 1964.

12) شولز (روبرت): السّيمياء والتّأويل، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

13) شيدر (هانز هينرش): روح الحضارة العربية، ترجمه عن الألمانية وعلّق عليه: عبد الرّحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1949.

14) علّوش (سعيد): معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، لبنان/سوشبريس، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

15) فوكو (ميشال): حفریات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 1987.

16) كانت (إيمانويل): تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة: عبد الغفّار مكاوي، مراجعة: عبد الرّحمن بدوي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2020.

17) لوجون (فيليب): السّيرة الدّاتية، الميثاق والتّاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم: عمر حلّي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.

18) النّقد التّاريخي، مجموعة من الكتب، ترجمها عن الفرنسية والألمانية: عبد الرّحمن بدوي، وكالة المطبوعات، شارع فهد السّالم، الكويت، ط4، 1981.

(و) -الدوريات:

- 1-رحيم (سعيد محمّد): "السيرة الذاتية" ،مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد: 385، أيار 2003.
- 2-طرشونة (محمّد): "السنية النصّ" ،مجلة ثقافات، كلية الآداب، جامعة البحرين، العدد: 09، شتاء 2004.
- 3-العطار (مها فائق): "السيرة الذاتية في الأدب العربي" ،مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد: 313، أيار 1997.
- 4-ملياني (محمّد): " تلقّي النصّ الأدبي بين التأسيس والآفاق " ،مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد: 403، تشرين الثاني 2004.
- 5-منقور (عبد الجليل): "الخطاب والتأويل، قراءة في التراث الأصولي" ،مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد: 451، تشرين الثاني 2008.
- 6-المومني (قاسم): "عبد الله الغدّامي وقراءة النصّ" ،مجلة كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد: 97-98، ديسمبر 2001-يناير 2002.
- 7-يوسف (أحمد): "السيميائيات التأويلية وفلسفة الأسلوب" ،مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد: 35، العدد: 03، يناير -مارس 2007.

ز) -الندوات:

1) -أعمال ندوة مكونات النصّ الأدبي، أيّام 25-26-27 فبراير 1988، جامعة الحسن الثاني-عين الشقّ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب.

ح) -الرسائل الجامعية:

- 1-بركة (ناصر): أدبيّة السّير الدّاتية في العصر الحديث، بحث في آليات اشتغال النّصوص ومرجعياتها الفاعلة، رسالة دكتوراه (مخطوطة)، جامعة باتنة، الجزائر، 2013.
- 2-عدّة بن عطية (حاج): تأثير الوجودية في (سيرة حياتي) لعبد الرّحمن بدوي-دراسة مقارنة-مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير (مخطوطة)، جامعة وهران-السّانيا-الجزائر، 2012.



الفهرس:

## فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	إهداء
أ - هـ	مقدمة
39-08	مدخل: بين خطاب السيرة الذاتية والمسكوت عنه.
137-40	الفصل الأول: استنطاق المسكوت عنه في فكر عبد الرحمن بدوي
297-140	الفصل الثاني: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب الروائي عند عبد الرحمن بدوي
412-298	الفصل الثالث: استنطاق المسكوت عنه في الخطاب السير ذاتي عند عبد الرحمن بدوي
417-414	خاتمة
437-419	مكتبة البحث
438	فهرس الموضوعات

## **الملخص:**

لقد حاولت في هذا البحث قراءة واستنطاق المسكوت عنه في خطاب السيرة الذاتية عند عبد الرحمن بدوي وهذا من خلال التركيز على فكره الذي تجسّد في الفلسفة الوجودية التي أحدثت ثورة فكرية في العالم العربي برمته، كما أنني حاولت الحفر في الأنساق المضمرة التي انطوت في الخطاب الروائي عنده، وفي الأخير حاولت أن أقرأ البياض الكامن بين ثنايا نصّ الخطاب السّير ذاتي عنده وهذا من أجل الوصول إلى المعنى الحقيقي الذي أراد أن يوصله إلى ذلك القارئ الذّكي الذي يتقن فنّ قراءة ما بين السّطور وبالتالي يسهل عليه استنطاق المسكوت عنه في أيّ خطاب يتلقّاه عبر وسائل التّواصل المختلفة.

## **كلمات مفتاحية:**

خطاب السيرة الذاتية، المسكوت عنه، الفلسفة الوجودية، الرواية، الشعر، التاريخ.

## **Résumé :**

Dans cette recherche, j'ai tenté de lire et d'interroger ce qui reste non-dit dans le discours autobiographique d'Abd al-Rahman Badawi, et ce en me concentrant sur sa pensée, incarnée dans la philosophie existentialiste qui a provoqué une révolution intellectuelle dans l'ensemble du monde arabe. J'ai aussi essayé de creuser les schémas implicites qui étaient ancrés dans son discours fictionnel. Finalement, j'ai essayé de lire la blancheur cachée entre les plis du texte de son discours autobiographique, et ce, pour atteindre le véritable sens qu'il a voulu transmettre à ce lecteur intelligent qui maîtrise l'art de lire entre les lignes, et lui permet ainsi d'interroger plus facilement ce qui est caché dans tout discours qu'il reçoit à travers divers moyens de communication.

## **Mots clés:**

Discours autobiographique, non-dit, philosophie existentielle, roman, poésie, histoire.

## **Summary :**

In this research, I attempted to read and question what remains unsaid in the autobiographical discourse of Abd al-Rahman Badawi, by focusing on his thought, embodied in the existentialist philosophy which provoked a intellectual revolution throughout the Arab world. I also tried to dig into the implicit patterns that were anchored in his fictional discourse. Finally, I tried to read the whiteness hidden between the folds of the text of his autobiographical speech, to reach the true meaning that he wanted to convey to this intelligent reader who masters the art of reading between the lines, and thus allows him to more easily question what is hidden in any speech he receives through various means of communication.

## **Keywords:**

Autobiographical, unspoken discourse, existential philosophy, novel, poetry, history.